الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩ـ١٩١٨

اطروحة تقدمت بها

لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم

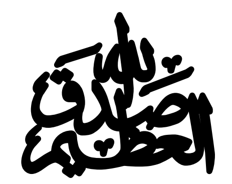
الى
مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه
فلسفة
في
التاريخ الحديث

بأشراف
الاستاذ الدكتور
خليل علي مراد

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾



سورة النمل

الآية ١٩

إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الاطروحة جرى تحت إشرافي في جامعة الموصل ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اختصاص التاريخ الحديث .

التوقيـع :
المشرف : أ. د. خليل علي مراد
التاريـخ : / / ٢٠٠٣

إقرار المقوم اللغوي

أشـهد بـأن هذه الاطروحـة الموسـومة " **الخـدمات العامـة فـي العـراق ١٨٦٩-١٩١٨م**" قد قمت مراجعتها وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية وبهذا اصبحت الاطروحة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير.

التوقيـع :
الاسـم : د. طلال يحيى
التاريـخ : / / ٢٠٠٣

إقرار المقوم الفكري

أشـهد بـأن هذه الاطروحـة الموسومة " **الخـدمات العامـة فـي العـراق ١٨٦٩-١٩١٨م**" قد قمت بمراجعتها وأصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بالسلامة الفكرية.

التوقيـع :
الاسـم : د. غانم عبد الله خلف
التاريـخ : / / ٢٠٠٣

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بنـــاءً علـــى التوصـــيات التـــي تقـــدم بهـــا المشـــرف والمقـــوم اللغـــوي والفكـــري، أرشـــح هـــذه الاطروحة للمناقشة .

التوقيـع :
الاسـم : د. عصمت برهان الدين عبدالقادر
رئيس لجنة الدراسات العليا – رئيس قسم التاريخ
التاريـخ : / / ٢٠٠٣

اقرار لجنة المناقشة على اجراء التصحيحات

نشهد باننا أعضاء لجنة التقييم والمناقشة ، قد اطلعنا على هذه الاطروحة وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ / /

وانه اجرى التعديلات المطلوبة على اطروحته ولاجله وقعنا .

الاستاذ الدكتور	الاستاذ الدكتور	الاستاذ الدكتور
نوري عبد الحميد العاني	طارق نافع الحمداني	غانم محمد الحفو
(رئيس اللجنة)	(عضوا)	(عضوا)

الاستاذ الدكتور	الدكتور	الاستاذ الدكتور
علي شاكر علي	عصمت برهان الدين عبد القادر	خليل علي مراد المندلاوي
(عضوا)	(عضوا)	(مشرفا)

شكر وعرفان

وإذ أحمد الله وأشكره في البدء والمنتهى على مايسر لي من أمر هذا البحث العلمي ودفعني الى إنجازه، أرى من الواجب أن أسجل شكري وامتناني لكل من أعانني على إخراجه بصورته الحاضرة، وأخص في المقدمة أستاذي الفاضل الدكتور خليل علي مراد لما أبداه من ملاحظات وتوجيهات قيمة ومتابعة مستمرة كان لها الأثر في إخراج هذه الرسالة.

كما أتقدم بشكري وامتناني الى أساتذتي الأفاضل في السنة التحضيرية وهم كل من الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل أحمد، والأستاذ الدكتور علي شاكر علي، والأستاذ الدكتور عوني عبد الرحمن السبعاوي، والأستاذ الدكتور محمد علي داهش .

وأود أن أقدم شكري الى كافة العاملين في المؤسسات العلمية الذين قاموا بتقديم يد العون وأخص بالذكر منهم الاخوة والأخوات العاملين في دار الكتب والوثائق ببغداد، والمكتبات المركزية في جامعتي بغداد والموصل مركز التوثيق الإعلامي في وزارة الثقافة والإعلام، ومكتبة المتحف العراقي في بغداد، والمتحف الحضاري في الموصل، والمكتبة العامة في مدينة الموصل.

وأتقدم بالشكر أيضاً الى كل من ساعدني في أثناء كتابة الأطروحة فلهم مني العرفان والامتنان.

الباحثة

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
-المقدمة	١-٢
إطار البحث والمصادر	٣-٧
-التمهيد	٨-٣٠
الفصل الأول: التعليم في العراق	٣١-١٣٠
المبحث الأول: -	٣١-٤١
-أوضاع التعليم غير الرسمي في العراق	٣٢
١-الكتاتيب	٣٢
٢-المدارس الدينية	٣٤
٣-المدارس الأهلية والأجنبية	٣٦
أ-المدارس التبشيرية	٣٦
ب- مدارس الطوائف والاقليات	٤٠
-المبحث الثاني:	٤٢-٤٧
-الإصلاحات التعليمية في الدولة العثمانية	٤٢-٤٧
-المبحث الثالث:	٤٨-٩٤
-أوضاع التعليم في العراق ١٨٦٩-١٩١٤	٤٨
١-المدارس الرشدية	٤٨
أ-المدارس الرشدية الملكية(المدنية)	٤٩
ب- المدارس الرشدية (العسكرية)	٥٣
٢- المدارس الابتدائية	٥٦
٣- المدارس الإعدادية	٦٧
أ- المدارس الإعدادية الملكية (المدنية)	٦٧
ب- المدارس الإعدادية (العسكرية)	٧١
٤- المدارس السلطانية	٧٤
٥- مدرسة نواب الضباط الحربيين	٧٦
٦-المدارس المهنية	٧٧
٧- دور المعلمين	٨٤
٨-التعليم العالي	٨٨

الموضوع	الصفحة
أ–مدرسة الحقوق	٨٨
ب–كلية الإمام الأعظم	٩٠
–إدارة المعارف	٩٢
المبحث الرابع: واقع الخدمات التعليمية في العراق إبان السيطرة العثمانية	٩٥–١٠٩
المبحث الخامس:	١١٠–١٣٠
أوضاع التعليم في العراق إبان مدة الاحتلال البريطاني ١٩١٤–١٩١٨ م	١١٠
تقويم الخدمات التعليمية إبان الاحتلال البريطاني للعراق	١٢٦
الفصل الثاني : البلديات	١٣١–٢٠٠
مدخل	١٣٢
المبحث الاول : الهيكل التنظيمي للبلديات في الولايات العراقية خلال العهد العثماني	١٣٣–١٤٥
المجلس البلدي	١٣٣
الجمعية البلدية	١٣٦
دائرية البلدية	١٣٧
دائرة النافعة (الأشغال العامة)	١٣٩
التشكيلات البلدية في الولايات العراقية	١٤١
المبحث الثاني : الخدمات البلدية في العرق	١٤٥–١٦٤
مهام الجهاز البلدي في العراق	١٤٥
مشاكل الخدمات البلدية	١٥٩
المبحث الثالث :	١٦٥–١٦٩
الاحتلال البريطاني والخدمات البلدية في العراق	١٦٥
التشكيلات البلدية	١٦٥
المبحث الرابع:	١٧٠–١٨١
طبيعة الخدمات البلدية في العراق ١٩١٤–١٩١٨	١٧٠
نظرة نقدية لواقع الخدمات البلدية إبان الاحتلال البريطاني للعراق	١٧٧
الفصل الثالث: خدمات البريد والبرق	١٨٢–٢٠٠
المبحث الأول :الخدمات البريدية	١٨٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: موقف الدولة العثمانية من مكاتب البريد البريطانية	١٨٨-٢٨٩
المبحث الثالث :الخدمات البرقية	١٩٠-١٩٣
المبحث الرابع :تقويم الخدمات البريدية والبرقية في العهد العثماني	١٩٤-١٩٧
المبحث الخامس: الخدمات البريدية والبرقية إبان الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨	١٩٨-٢٠٠
الفصل الرابع: النقل	٢٠١-٢٥٢
المبحث الأول :-النقل البري ١٨٦٩-١٩١٨	٢٠٢-٢٢٠
المبحث الثاني: -	٢٢١-٢٢٥
النقل النهري ١٨٦٩-١٩١٤	-٢٢٥٢٢١
شركة العمان العثماني ١٨٦٩-١٩١٤	٢٢٦-٢٣٩
المبحث الثالث: تقويم خدمات النقل النهري العثمانية	٢٤٠-٢٤٩
المبحث الرابع: النقل النهري في العراق ١٩١٤-١٩١٨	٢٥٠-٢٥٢
الفصل الخامس: الري	٢٥٣-٣٠٠
المبحث الأول:	٢٥٤-٢٨٠
الري في العراق ١٨٦٩-١٩١٤	٢٥٤
تقويم سياسة العثمانيين ي مجال الري	٢٧٨
المبحث الثاني:	٢٨١-٣٠٠
الري في العراق إبان الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨	٢٨١
-مشروع الاستثمار الزراعي	٢٩٣
١-توسيع رقعة الأراضي الزراعية	٢٩٤
٢-أعمال الكري والارواء وبناء السدود الترابية	٢٩٤
٣-أعمال التسليف والأنفاق	٢٩٦
٤- العمل	٢٩٧
٥-إتباع الأساليب الحديثة في الإنتاج	٢٩٧
تقويم أعمال الري في العراق إبان الاحتلال البريطاني في العراق ١٩١٤-١٩١٨	٢٩٩
الفصل السادس: الخدمات الصحية	٣٠١-٣٤٤
المبحث الأول: الحالة الصحية العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤	٣٠١-٣٠٥

الصفحة	الموضوع
٣٠٦-٣٣١	**المبحث الثاني:**
٣٠٦	الخدمات الصحية العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤
٣١٩	-دوائر الحجر الصحي
٣٢٣	واقع الخدمات الصحية في العراق ١٨٦٩-١٩١٤
٣٣٢-٣٤٤	**المبحث الثالث:** الخدمات الصحية في العراق إبان الاحتلال البريطاني ١٩١٤ -١٩١٨
٣٤٥-٣٤٦	**-الخاتمة**
٣٤٧-٣٧٥	**المصادر والمراجع**
	الملاحق
	Abstract

المختصرات

د. م. ب.	دار المخطوطات ببغداد
د. ك. و	دار الكتب والوثائق
س. و. م	سالنامة ولاية الموصل
س. و. ب	سالنامة ولاية بغداد
ب. و. س	سالنامة ولاية البصرة
س. د. ع. ع	سالنامة دولت عليه عثمانية
س. ن. م. ع	سالنامة نظارت معارف عمومية
I.O.R	India Office Report
P. R. O, F. O.	Public Record Office , Foreign Office

قائمة الملاحق :

رقم الملحق	الموضوع	الصفحة
١	الفرمان الخاص بتأسيس تراموای الكاظمية	٣٤٨
٢	الفرمان الخاص نفقات تأسيس تراموای النجف – الكوفة	٣٤٩
٣	خارطة مشاريع ويلكوكس سدتا الفلوجة والهندية وجداولهما	٣٥٠

المقدمة

إطار البحث والمصادر

-التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إطار البحث ونظرة في المصادر:

يقصد بالخدمات العامة النشاطات أو الفعاليات ذات الطابع الخدمي التي تقدمها المؤسسات والهيئات الرسمية التابعة لدولة ما لمواطنيها مثل الخدمات البلدية والصحية والتعليمية وما إلى ذلك ، وتندرج تلك الخدمات ضمن التزامات أو واجبات الدولة تجاه مواطنيها – وبهذا المفهوم تختلف الخدمات العامة التي تقدمها الدولة عن بعض اعمال النفع العام أو الخدمات التي يقدمها بعض الأفراد أو الهيئات غير الرسمية بدافع ديني أو خيري أو لتحقيق غايات واهداف محددة وتنطبق هذه الاخيرة على ما قدمته البعثات التبشيرية من خدمات تعليمية وصحية . ومن هنا كان إقتصار هذه الأطروحة على الخدمات العامة التي تقدمها الدولة .

تغطي هذه الأطروحة مدة العقود الاخيرة من الحكم العثماني في العراق ، أي منذ بدء ولاية مدحت باشا في العراق سنة ١٨٦٩ م – التي كانت بداية تغيرات مهمة في مجال نشاطات ومؤسسات الخدمات العامة في العراق –وحتى انحسار الحكم العثماني عن العراق تماماً في أواخر سنة ١٩١٨ م أمام قوات الاحتلال البريطاني وتطلب ذلك دراسة انعكاسات الحرب العالمية الاولى ١٩١٤–١٩١٨ م على الخدمات العامة في العراق ، فضلاً عن ان تلك السنوات كانت مرحلة انتقالية تدريجية من الحكم العثماني إلى الاحتلال البريطاني .

-إطار البحث :

تألفت الدراسة من تمهيد وستة فصول ، تضمن التمهيد عرضاً عاماً للإدارة العثمانية في العراق ، ثم الاحتلال البريطاني ، وطبيعة الادارة البريطانية في العراق بين ١٩١٤-١٩١٨ م .

تناول الفصل الاول الخدمات التعليمية في العراق ١٨٦٩-١٩١٨ م ، حيث استعرض فيه الواقع التعليمي في العراق قبل صدور قانون المعارف سنة ١٨٦٩ م ، كذلك تطرق هذا الفصل إلى اهم الاصلاحات التعليمية في الدولة العثمانية وانعكاساتها على الولايات العراقية ، فضلا عن المدارس الحديثة التي تم تأسيسها مع تقويم السياسة التعليمية التي طبقتها الدولة العثمانية في العراق . كما إشتمل الفصل على دراسة أوضاع التعليم في العراق خلال مدة الاحتلال البريطاني .

وتعرض الفصل الثاني إلى جهاز خدمي اخر إلا وهو البلديات حيث ركزت مباحثه على دراسة الهيكل التنظيمي والاداري للبلديات ، فضلاً عن بيان أبرز المهمات والواجبات التي اضطلع بها ، مع بيان اهم المشاكل والمعوقات .

وبحث الفصل الثالث في الخدمات البريدية والبرقية ، حيث أشار هذا الفصل إلى ان اولى الدوائر البريدية التي جرى افتتاحها في العراق كانت بريطانية ثم اعقبها افتتاح دوائر عثمانية، وفي هذا المجال أستعرض هذا الفصل انعكاسات المنافسة بين هاتين الدائرتين على واقع الخدمات التي قدمها هذا الجهاز الخدمي .

فيما خصص الفصل الرابع لدراسة اهم المشاريع التي تم تنفيذها خلال هذه المدة التي تخص قطاعاً خدمياً مهماً هو قطاع النقل والمواصلات، وتحديداً إدارتي(ترامواي الكاظمية)، والبواخر النهرية التي كان يطلق عليها "شركة العمان العثماني ، وعلاقتها بالوضع الاقتصادي العام للسكان ومدى نجاحها في تحقيق الاهداف التي أنشئت من اجلها.

وتناول الفصل الخامس اهم المشاريع الاروائية التي تم انجازها ولاسيما مشروع (سدة الهندية) ، وانعكاسات ذلك على الحياة العامة للسكان ، كما تطرق هذا الفصل إلى الواقع الاروائي للعراق خلال مدة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ م الذي وضفته سلطات الاحتلال لتأمين حاجات الادارة العسكرية المحتلة .

أما الفصل السادس والاخير فقد تم تخصيصه لدراسة الواقع الصحي للولايات العراقية، مع استعراض لاهم الدوائر الصحية وملاكاتها الادارية ووظائفها ، واشار هذا الفصل إلى المؤسسات الصحية التي تم افتتاحها ومدى نجاحها في تحقيق الاهداف المتوخاة من انشائها . فضلا عن التطرق إلى اهم النشاطات الطبية التي إضطلعت بها الإرساليات التبشيرية التي وفدت إلى العراق ابان هذه المرحلة .

تحليل المصادر:

اعتمدت الرسالة على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والاجنبية التي وفرت للرسالة معلومات بهذا القدر أو ذاك وتأتي في مقدمة تلك المصادر :

١. الوثائق غير المنشورة :

اعتمدت الرسالة على وثائق غير منشورة بريطانية وعثمانية ، الاولى منها هي ووثائق وزارة الخارجية البريطانية (Foreign Office) ووثائق سجلات وزارة الهند في لندن (India Office Records) التي توجد نسخ مصورة منها في المكتبة المركزية بجامعة بغداد، ومكتبة مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ووثائق خاصة بمرحلة الاحتلال البريطاني وهي محفوظة في دار الكتب والوثائق في (بغداد) ، وفي مركز دراسات الموصل (جامعة الموصل) ، وفي مركز وثائق البصرة التابع لـ (جامعة البصرة) ، وتبرز اهمية هذه الوثائق في ان الغالبية العظمى منها عبارة عن تقارير تقدم بها القناصل والحكام السياسيون ، قدموا من خلالها وصفاً تفصيلياً للأوضاع السياسية والاقتصادية التي تعيشها بعض الولايات العراقية ابان السيطرة العثمانية والاحتلال البريطاني للعراق في حين شكلت الوثائق العثمانية احد المصادر المهمة التي اعتمدت عليها الباحثة ولاسيما وثائق ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول والمحفوظة في مركز التوثيق الاعلامي في وزارة الاعلام .

ب. الوثائق المنشورة :

لعل اهمها الوثائق العثمانية المنشورة في كتاب الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية (١٥٢٥- ١٩١٩ م) التي تمت الاستعانة ببعض منها لتوضيح موقف السلطة العثمانية المركزية من بعض المشاريع الخدمية التي كانت السلطات المحلية تروم انشاءها في بعض المناطق ولاسيما ولاية الموصل .

واعتمد البحث ايضا على وثائق عثمانية منشورة قام بجمعها وتعريبها نوفل نعمة الله نوفل ، ونشرها في سنة ١٨٨٤ م بمجلدين تحت عنوان (الدستور) وهذه الوثائق عبارة عن مجموعة من الانظمة والقوانين والتعليمات التي اصدرتها الدولة في عهد التنظيمات .

فيما شكلت الوثائق الانكليزية المنشورة احدى اهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة ولاسيما فيما يخص مرحلة الاحتلال البريطاني ، منها التقرير المحفوظ في المكتبة المركزية لمدينة الموصل والمعنون (Reports of Administration for 1918) والتقرير الثاني المحفوظ في المكتبة المركزية في بغداد تحت عنوان Office of the Civil Commissioner Administration Reports of Baghdad Wilayat 1917 وهي عبارة عن مجموعة من التقارير الادارية التي تناولت وبشيء من التفصيل مجمل الاحوال السياسية ، والاقتصادية لبعض مناطق العراق ، وتكمن القيمة التاريخية لهذه التقارير في كونها مادة اولية للبحث ذلك لانها تقدم تفصيلات دقيقة ووافية عن

مجرى الاعمال في شتى الدوائر والمرافق الخدمية ، والسبل التي اتبعتها في تسيير الامور العامة للسكان من خلال علاقاتهم اليومية بدوائر الاحتلال البريطاني.

ج. المطبوعات الرسمية :

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المطبوعات الرسمية لعل ابرزها السالنامات العثمانية المركزية منها ، أو تلك الخاصة بولايات بغداد ، البصرة ، الموصل ، والسالنامات عبارة عن كتب سنوية إعتادت الدولة وإداراتها في الولايات على إصدارها انذاك ، حيث كانت تدرج فيها معلومات عن دوائر الدولة ومؤسساتها في العاصمة وفي الولايات مع ذكر اسماء موظفيها ومستخدميها واعدادهم علاوة على ميزانية بعض الولايات فضلا عن ميزانية الدوائر الرسمية ، ومعلومات اخرى تاريخية واقتصادية ، واجتماعية ، ومن المطبوعات الرسمية الاخرى كتاب (A Hand Book of Mesopotamia) الذي اصدرته دائرة الاستخبارات في وزارة البحرية البريطانية ، والذي افادت منه الباحثة في توضيح بعض جوانب البحث ولاسيما الفصل الخاص بالنقل والمواصلات .

د. المخطوطات :

من ابرز المخطوطات التي استعين بها مخطوط محمود شكري الالوسي (اخبار بغداد وما جاورها من البلاد) ومخطوط خير الدين العمري (من المهد إلى اللحد) . وتبرز اهمية المخطوط الثاني بحكم كون مؤلف المخطوط شاهد عيان على كثير من الاحداث التي تخص المدّة المدروسة ، فضلاً عن رئاسته لبلدية الموصل وللسنوات (١٨٨٧– ١٨٩٢ م) . وبالتالي فقد أسهم هذا المخطوط في تقديم صورة تفصيلية عن هذه المؤسسة الخدمية ، وأهم دوائرها ، والمشاريع التي اضطلعت بها إبان تلك المرحلة .

هـ. الكتب العربية والمعربة :

تمت الافادة منها بشكل واسع،ذلك لان العديد منها كان مهماً لهذه الدراسة بالنظر لما تضمنه من معلومات تفصيلية اعتمد مؤلفوها على مادة وثائقية غزيرة،فمن الكتب العربية التي تستحق أشارة خاصة كتاب محمد حسين القهواتي(دور البصرة التجاري في الخليج العربي١٨٦٩–١٩١٤م) والذي يعد أحد المراجع المهمة التي اعتمدت عليها الرسالة في توضيح الجوانب المتعلقة بموضوع خدمات النقل النهري في العراق ولاسيما شركة عمان العثماني.وتدخل في الاهمية ذاتها مؤلفات عبد العزيز سليمان نوار ومنها (المصالح البريطانية في العراق)و(تاريخ العراق الحديث).وهنا لابد من الاشارة إلى كتاب ابراهيم خليل احمد (تطور التعليم الوطني في

العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ م) ، اذ قدم هذا الكتاب معلومات قيمة فيما يتعلق بالسياسة التعليمية التي إنتهجتها كل من الدولة العثمانية والادارة البريطانية في العراق . ومن المصادر الاخرى التي زودت الدراسة بمعلومات مهمة كتابا جميل موسى النجار (الادارة العثمانية في ولاية بغداد) و (تاريخ التعليم في العراق ١٨٦٩-١٩١٨ م) ، اذ أعتمد المؤلف على عدد كبير من الوثائق المنشورة وغير المنشورة فضلاً عن العديد من المصادر الاخرى .

كما أفدت أيضاً من الكتب المعربة ومنها كتاب اداموف (ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها) بجزئيه والذي تضمن معلومات مهمة فيما يخص النقل والمواصلات ولاسيما النقل النهري ويدخل في الاهمية ذاتها كتاب شارل عيساوي (التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠- ١٩١٤ م) ، فضلاً عن عدد من الكتب المعربة التي ألفها عدد من المسؤولين البريطانيين الذين خدموا في العراق وكتبوا تاريخه من وجهة نظر اجنبية امثال ستيفن همسلي لونكريك وكتابيه (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) و (تاريخ العراق الحديث ١٩٠٠- ١٩٥٠ م) بجزئه الأول ، وكتاب المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ، وكتاب ارنولد تي ويلسون (بلاد ما بين النهرين بين ولائين) باجزائه الثلاثة .

و. الكتب الاجنبية :

ومن الكتب الاجنبية التي إعتمدت عليها الرسالة كتاب كونيه Cuinet والموسوم (تركيا الاسيوية Turquie d'Asie) بجزئه الثالث والمطبوع سنة ١٨٩٤ والذي قدم معلومات جيدة غير متوافرة في المصادر الاخرى ، ناهيك عن الاحصائيات المختلفة التي تضمنها الكتاب والتي تناولت بعض النشاطات الخدمية ولاسيما الخدمات التعليمية .

فيما سلط كتاب دوفال V.P Duval الموسوم (بعثة الدومنيكان في الموصل) (La Mission Des Dominicanins a Mossoul) الضوء على النشاطات التعليمية والصحية وغيرها من النشاطات التي اضطلعت بها الارسالية الدومينيكية في ولاية الموصل. ومن الكتب الاجنبية المهمة كتاب حبيب شيحا K. Chiha الموسوم (ولاية بغداد) (La Province de Baghdad) وتكمن أهمية الكتاب في معايشة مؤلفه لبعض الاحداث ، وقربه الزمني من بعضها الاخر .

كما كان لكتابات الرحالة الاجانب أهمية لا تنكر ، إذ تناول مؤلفوها أوضاع العراق من جميع الجوانب فضلاً عن أنهم كانوا يمثلون شهود عيان لكثير من الاحداث التاريخية لتلك الحقبة، ومن تلك الرحلات رحلة الليدي ان بلنت Lady Ann Bluntفي سنة ١٨٧٨ م والمعنونة قبائل بدو الفرات (Beduin Tribes of the Euphrates) ورحلة كريتان كيري

Gratain Geary الموسومة (عبر تركيا الاسيوية) (Through Asiatic Turkey) الواقعة في جزئين وعدد اخر من الرحلات .

ز. الدراسات الجامعية :

إعتمدت الرسالة على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه ، التي شكلت مصدراً مهماً للدراسة ، منها رسالة الماجستير لـ جاسم محمد حسن والموسومة (العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٨ م) ، حيث سلطت الأضواء على مرحلة مهمة من مراحل تاريخ العراق الحديث ، ومن الرسائل الاخرى التي تمت الاستعانة بها رسالة الدكتوراه لصالح مهدي حيدر الموسومة (مشكلات الارض في العراق) (Land Problems of Iraq) وتكمن اهمية هذه الاطروحة في اعتمادها على وثائق وتقارير بريطانية ، وينطبق الشيء نفسه على رسالة الدكتوراه لـ علي ناصر حسين الموسومة (الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ م) ، وغيرها من الدراسات .

ي. الصحف والمجلات :

أفادت الدراسة من بعض الصحف والمجلات التي صدرت في العقود الاخيرة من العهد العثماني لعل أبرزها (جريدة الزوراء)التي تعد مرجعاً تاريخياً مهماً لدراسة تاريخ العراق الحديث ، حيث سجلت ما قام به الولاة من أعمال وما صدرت من تعليمات وأنظمة من الباب العالي، كما تضمنت معلومات عن الحالة الاقتصادية في العراق ، وحركة النقل والمواصلات ، فضلا عن عدد من الصحف الاخرى (كالرقيب) ، (صدى بابل) ، ومجلة (لغة العرب) ، علاوة على جريدتي (الاوقات البصرية) و (العرب) اللتين اصدرتهما سلطات الاحتلال البريطاني والشيء نفسه ينطبق على افادة الرسالة من بحوث عديدة منشورة في الدوريات والمجلات لباحثين عراقيين وردت في ثبت المصادر في نهاية الرسالة .

وهنا لابد من التطرق إلى بعض الصعوبات التي إعترضت طريق الدراسة ، لعل أبرزها عدم الاطلاع على بعض الوثائق الخاصة بمرحلة الاحتلال بسبب حجب بعض الدوائر لتلك الوثلئق عن الباحثين ، فضلاً عن تعرض وثائق اخرى إلى التلف بسببه الاهمال ونخص منها بالذكر وثائق بلديات (بغداد ، البصرة ، الموصل) ، ووجود نقص في أعداد العديد من الصحف العراقية التي تخص المدة المدروسة ولاسيما جريدة (الرقيب) وغيرها .

تمهيد :

اصبح العراق أحد أقاليم الدولة العثمانية ، بعد الحملة العسكرية العثمانية الناجحة التي قادها السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ – ١٥٦٦م)[١] التي تمكنت من إنهاء الوجود الصفوي في بغداد سنة ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م . ومنذ ذلك التاريخ وباستثناء مدد قصيرة[٢] خضع العراق للسيطرة العثمانية قرابة الاربعة قرون .

وعلى الرغم من الاستقرار السياسي الذي تمتع به العراق في بداية الحكم العثماني إلا ان ذلك لم يستمر إلا لمدد قصيرة ، اذ سرعان ما بدأ الضعف التدريجي في نظام الحكم العثماني ، كجزء من حالة عامة شهدتها عموم الدولة العثمانية ، وقد إستمرت السيطرة العثمانية المباشرة على العراق الذي ظل يعاني من الفتن والثورات العشائرية، والتهديدات الفارسية والأزمات الاقتصادية ومن الأوبئة والفيضانات[٣] وبالتالي مهدت هذه الظروف لبعض القوى المحلية للحكم الذاتي عن السلطة المركزية للباب العالي[٤]. ففي البصرة

---

(١) جرى الاحتلال العثماني للعراق على مراحل ، اذ تم احتلال الموصل سنة ٩٢٢هـ /١٥١٦م أعقبها بغداد سنة٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م ، واخيراً البصرة سنة٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦م ، ولمزيد من التفاصيل انظر : سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦–١٩١٦ ، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، ١٩٩١) ، ص ص٧٤–٧٦ ، ٨٣–٨٤.

(٢) كانت هناك مدد خرجت فيها ولايتا البصرة وبغداد عن السيطرة العثمانية ، اذ تمكن الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧– ١٦٢٩م) من احتلال بغداد ، على اثر خيانة حاكمها بكر صوباشي سنة ١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٣م ،حيث استمر هذا الاحتلال حتى سنة ١٠٤٨ هـ/ ١٦٣٨م ، عندما تمكن السلطان مراد الرابع (١٦٢٣–١٦٤٠) من استعادة السيطرة عليها انظر : ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط ، ط٦ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ص٧٠–٩٨ ؛ علي شاكر علي تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨–١٧٥٠ ، "دراسة في أحواله السياسية" ، ط١ ، منشورات مكتبة ٣٠ تموز ، (الموصل ، ١٩٨٥) ، ص ص٣٣–٣٧. فيما تمكن كريم خان الزند من الاستيلاء على البصرة (١٧٧٦–١٧٧٩م) للتفاصيل انظر : علاء موسى كاظم نورس ، العراق في العهد العثماني ١٧٠٠ – ١٨٠٠ ، (بغداد ١٩٧٩) ، ص ص٢٤٩ – ٢٨٦ .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر : خليل علي مراد ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٠٤٨–١١٦٤هـ) (١٦٣٨–١٧٥٠م) ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٥) ، ص ص٢٣–٨٣ .

(٤) كانت هذه الظاهرة التي شهدتها الولايات العراقية ، جزء من ظاهرة عامة سادت الولايات العثمانية ، ولعل ابرز تلك القوى المماليك في مصر (١٧٥٧ – ١٧٨٩م) وآل ظاهر العمر في فلسطين (١٧٣٧–١٧٩٩م) وآل معن في لبنان وآل العظيم في سوريا والاسرة القرمانلية في طرابلس (١٧١١–١٨٣٥) والأسرة الحسينية في تونس .

استقلت اسرة آل افراسياب بحكم البصرة للمدة (١٥٩٦-١٦٦٨م)[١]، اما في الموصل فقد تولت مقاليد الولاية الاسرة الجليلية (١٧٢٦-١٨٣٤م)[٢] وفي سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠ م تمكن العراق من التمتع بحكم محلي عن استانبول للمدة المحصورة بينهـ (١٧٥٠-١٨٣٤م)[٣] ، كما برزت عدة امارات كردية في شمال العراق تمتعت بهذا القدر أو ذاك من الاستقلال عن السلطة المركزية وهذه الامارات هي الامارة السورانية ، والامارة البابانية ، والامارة البهد ينانية[٤].

وفي سنة ١٢٢٣ هـ/١٨٠٨ م اعتلى عرش الدولة العثمانية السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩ م) الذي صمم على إنتهاج سياسة مركزية قائمة على إعادة الحكم المباشر إلى الولايات العثمانية ومنها الولايات العراقية . وقد أنهى حكم المماليك في العراق سنة ١٢٤٧ هـ/١٨٣١ م ، والجليليين في الموصل سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤ م، تبعها إجراءات أخرى للسيطرة على توابع ولاية الموصل ، إذ تمت تصفية الامارة السورانية في راوندوز سنة ١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦ م ، والامارة البهدينانية في العمادية سنة ١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢م ، والامارة البابانية في السليمانية سنة ١٢٦٧ هـ/١٨٥٠ م[٥] .

تزامنت سياسةإعادة فرض السلطة المركزية على الولايات العثمانية مع قيام السلطان محمودالثاني بحركةاصلاحات واسعة[٦]كونت اساساً لما عرف في الادبيات والوثائق العثمانية بـ(التنظيمات) التي بدأها السلطان عبد المجيد (١٨٣٩- ١٨٦١ م) بإصدار المرسومين الإصلاحيين خط شريف كولخانة(١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م) ، وخط شريف هما يون (١٢٧٣ هـ/

---

(١) علي ، المصدر السابق ، ص ص١٢٣-١٢٥ .

(٢) عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي (١٧٢٦-١٨٣٤) ، مطبعة الاداب، (النجف، ١٩٧٥) .

(٣) للتفاصيل انظر: علاء موسى كاظم نورس،حكم المماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١)، (بغداد، ١٩٧٥).

(٤) عبد ربه سكران الوائلي ، الامارة البابانية الكردية (١٧٨٤-١٨٥٠) رسالة ماجستير ، كلية الاداب (جامعة القاهرة ، ١٩٧٩) ؛ محفوظ العباسي ، امارة بهدينان العباسية ، (الموصل ، ١٩٦٩) ، ص ص٣٠-٣٩.

(٥) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، (بغداد، ١٩٥٥) ص ص ٢٧-٣٧ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٠-٣٠٠ .

(٦) تناولت حركة الاصلاح تلك جوانب الحياة المختلفة ففي حقل التعليم ، تأسست العديد من المدارس الحديثة الابتدائية والثانوية ، كما جرى افتتاح مدرسة للحقوق وأخرى للطب يديرها مدرسون فرنسيون ، أما في مجال القضاء فقد تأسس المجلس الاعلى للقضاء ، كما صدرت قوانين للعقوبات والولايات والاراضي لمزيد من التفاصيل حول إصلاحات السلطان محمود الثاني انظر:

Brenard Lewis, Emergence of Modern Turkey, (London, 1961), p. 381 ؛

محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤) ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٨١) ، ص٢١٤ .

١٨٥٦ م) اللذين جاء إصدارهما استجابة لضغط دعاة الاصلاح من جهة ، وللحيلولة دون تدخل الدولة الاوربية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بدعوى حماية الاقليات المسيحية من جهة اخرى ، حيث تضمن المرسومان المذكوران نقداً للاساليب الادارية والمالية السائدة في الدولة العثمانية ، خاصة طريقة الالتزام[١]في جمع الضرائب ، كما انهما وضعا أصول نظام المحاكمات ، واعادة تنظيم الجيش ، فضلاً عن تحديد رواتب ثابتة للموظفين [٢] .

وعندما تولى السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) العرش اصدر في سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١ م وثيقة أكد من خلالها التزامه بسياسة الاصلاحات ايضاً .

صدرت قوانين عديدة ، واتخذت اجراءات كثيرة في سياق حركة التنظيمات كان منها ، قانون الاراضي سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨م [٣] ، والطابو ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩ م ، تلاها إصدار العديد من القوانين التجارية والقضائية والجنائية بين الأعوام (١٨٦٠-١٨٦٣م)[٤] . وقانون الولايات سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤[٥] ، ثم قانون المعارف سنة

---

(١) الالتزام هو أن تناط عملية جمع ضريبة معينة من المكلفين بدفعها لشخص يسمى (الملتزم) مقابل تعهده بدفع مبلغ محدد لخزينة الدولة .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول نصوص هذين المرسومين انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٧٧) ، ص١٥٤-١٦٠ .

(٣) قسمت الاراضي بموجب هذا القانون إلى الاراضي المملوكة ، والاراضي الاميرية ، والاراضي الموقوفة ، والاراضي المتروكة ، والأراضي الموات. انظر: خليل ابراهيم الخالد ، مهدي محمد الازري ، تاريخ احكام الاراضي في العراق ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة دراسات (٢٢٢) ، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨١)، ص ص ٥٢-٥٩ .

(٤) نوفل نعمة الله نوفل ، الدستور ، م١ (بيروت، ١٣٠١هـ) ، ص١٣٠، ص١٤٩ .

(٥) نص هذا القانون على إنشاء مجالس محلية لتعاون المسؤولين في الحكم ، ففي الوقت الذي حددت بنودا اخرى صلاحية الولاة والمتصرفين والقائمقاميين وبموجب القانون المذكور أصبحت المحلة في المدينة أو القصبة هي الوحدة الادارية الاساسية للتفاصيل انظر : المصدر نفسه ، ص ص ٣٨٢-٣٩٦ .

١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م .

لم تأخذ هذه الخطوات الاصلاحية طريقها إلى التطبيق العملي في الولايات العراقية إلا في زمن الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ –١٨٧٢م) الذي شهدت مدة حكمه القصيرة تحولا اساسيا في الكثير من النظم والمفاهيم والممارسات على طريق الاصلاح ، والتي شكلت في رأي بعض الدارسين احدى (ركائز الانعطاف بالعراق نحو العصر الحديث)(١) .

كان النظام الاداري في العراق خلال السيطرة العثمانية يغلب عليه عدم الثبات فغالباً ما كانت حدود الولايات عرضة للتغيير أو التعديل فقد ينقل سنجق من ولاية ويضاف إلى ولاية اخرى ، أو تستحدث سناجق جديدة(٢) .

فقبل سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤ م كان النظام الإداري السائد في الدولة العثمانية هو نظام الايالات(٣)،وبموجبه قسمت الايالات إلى سناجق واقضية ونواح وحتى سنة ١١٦٤ هـ/١٧٥٠م كان العراق مقسماً إلى اربع إيالات وهي بغداد ، البصرة ، الموصل ، شهرزور(٤) . وبالغاء الاخيرة تقلص العدد إلى ثلاث إيالات ، ثم إلى اثنتين (بغداد والموصل) ، بعد أن قضى والي بغداد الجديد علي رضا باشا اللاز على حكم المماليك في بغداد سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م، وتغير وضع البصرة من إيالة إلى سنجق (لواء)(*) تابع لايالة بغداد(٥) .

بقي العراق طوال المدة الممتدة بين (١٨٣١–١٨٥٠ م) يتكون من ولايتين هما ولاية بغداد ، وكانت تضم كلا من بغداد والبصرة ، وولاية الموصل ، وكانت تضم كلا من الموصل وشهرزور وماردين(٦)، ثم أن ولاية الموصل نفسها الغيت سنة ١٢٦٧ هـ/١٨٥٠ م وصارت سنجقاً تابعاً لولاية بغداد(٧) .

---

(١) صديق الدملوجي ، مدحت باشا، مطبعة الزمان ، (بغداد، ١٩٥٢)، ص٣٣ .

(٢) البرت .م . منتشا شفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد، ١٩٧٨) ، ص٢١ .

(٣) كانت الوحدات الادارية الكبيرة التي انقسمت اليها الدولة العثمانية تسمى (الايالأت) ، واستمرت هذه التسمية حتى صدور نظام الولايات سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤ م حيث تم استبدال تسمية (الأيالة) بـ تسمية (الولاية) ، انظر:–
Roderic H. Division; Reform in the Ottoman Empire 1856-1876 (New Jersey, 1963), P.146.

(٤) مراد ، المصدر السابق ، ص ص٤٥–٦٥ .

(*) قسمت الايالات بدورها إلى وحدات ادارية اصغر عرفت بـ (السناجق) ، أي الالوية وكانت يديرها موظف يسمى (سنجق بك) أي امير اللواء .

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ص ١٢.

(٦) لو نكريك ، المصدر السابق، ص٣٣٦ .

(٧) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم البحث ٣٩٨ نوع الوثيقة: أوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٦١ ، تاريخ الوثيقة ١٢٧٨هـ .

وبصدور قانون الولايات العثماني سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤ م ، دخلت التقسيمات الادارية في الدولة العثمانية مرحلة جديدة ، إلا أن تطبيق هذا القانون في العراق تأخر حتى مجيء مدحت باشا ، أعقبه إصدار الدولة العثمانية لنظام ادارة الولايات العمومية وتقسيماتها سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م.الذي لم يحدث تبدلاً جوهرياً في تنظيم إدارة الالوية وتقسيماتها[١]. وقد قسم مدحت باشا العراق إلى ولايتين هما بغداد والموصل* اشتملت الأولى على كل من بغداد والبصرة ، فيما اشتملت الثانية على كل من الموصل وشهرزور[٢] .

ثم ارتفع شأن، البصرة فعادت ولاية مستقلة سنة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٥م[٣] . كذلك الحال بالنسبة لولاية الموصل التي غدت ولاية قائمة بذاتها سنة١٢٩٧ هـ /١٨٧٩م اشتملت على ثلاث سناجق هي كركوك،السليمانية،الموصل[٤].إلا أن ولاية البصرة سرعان ما الغيت سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م،حيث ألحقت من جديد بولاية بغداد[٥].لتعود وتسترد مكانتها ولاية قائمة بذاتها سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م،حيث تآلفت من أربعة سناجق وهي البصرة،العمارة،المنتفك، نجد[**]أما

---

(١) محمد عصفور سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد، ١٩٨٩) ، ص٨٠ .

(*) فيما أشارت بعض المصادر إلى أن العراق قسم ابان هذه المرحلة إلى ثلاث ولايات هي بغداد ، الموصل ، البصرة ، العزاوي ، المصدر السابق، ج٧، ص ص١٦٧-١٧١ ؛ نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في االعراق ١٨٦٩-١٩١٤ رسالة ماجستير ، معهد القائد المؤسس للدراسات القومية والاشتراكية ، (الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٤) ، ص٨٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول تلك التقسيمات انظر: عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ،١٩٦٨) ، ص ص٣٥٧-٣٥٨ .

(٣) اشتملت هذه الولاية على القرنة ، الزبير ، سوق الشيوخ ، الناصرية ، كوت الامارة ، يقظان سعدون العامر، العامر، (البصرة في العهد العثماني الأخير) ، موسوعة البصرة الحضارية ، القسم التاريخي ، (جامعة البصرة، ١٩٨٩)، ص٢٤٧ .

(٤) ابراهيم خليل احمد ، (التشكيلات الإدارية والعسكرية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني) ، مجلة بين النهرين العدد (٣٧-٣٨) ، ١٩٨٢ ، ص١٤٧ ؛ علي شاكر علي ، (الموصل وحركة التنظيمات العثمانية (١٨٣٩-١٨٧٦)) ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد٤، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ،١٩٩٢) ، ص١٧٧ .

(٥) جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٧٥) ، ص ص١٠٥-١٠٦ .

(**)فيما ذكرت إحدى المصادر التاريخية وجود انفصال جديد سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م بين ولايتي بغداد والبصرة مما يدل على حدوث دمج بينهما في وقت سابق انظر: جون غوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الرابع، ترجمة ديوان أمير قطر ، (قطر ،د.ت) ص٢٠٠٢ .

ولاية بغداد فتألفت من ثلاثة سناجق الوية،هي بغداد (المركز) ، كربلاء ، الديوانية[*] ، واستمر هذا التقسيم سائداً حتى الحرب العالمية الأولى[١] ووفقاً لما جاء في قانون الولايات الصادر سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤م ، وإسوة بما طبق في الولايات العثمانية الاخرى ، فقد جرى تقسيم الولايات إلى وحدات أصغر تعرف بالسناجق يحكم كل منها (متصرف) ، وهذه السناجق تقسم إلى أقضية ، كل قضاء منها تحت رئاسة موظف اداري يدعى بـ(القائمقام) ، ويتكون القضاء من مجموعة من النواحي والقرى وتدار كل ناحية من (مدير ناحية) ، ولكل قرية منها (مختار) أو (مختاران) وبحسب نفوس القرية[٢].

ويجري تعيين الوالي والمتصرف بموجب إرادة سلطانية ، أما القائمقام فيجري تعينه من الحكومة المركزية في عاصمة الدولة التي تكون مسؤولة أيضاً عن تعيين رؤساء دوائر مركز الولاية الذين تتبع دوائرهم الوزارة المختصة في العاصمة ، وتكون لهؤلاء مسؤولية مشتركة تجاه والي الولاية والوزارة التي يتبعونها في استانبول[٣] .

أما الجهاز الاداري العثماني فاحتفظ بخطوطه منذ عهد مدحت باشا إذ عُدَ الوالي رئيساً للوحدة الادارية والممثل السياسي للحكومة ، يساعده في ذلك مجموعة من الموظفين منهم نائب الوالي وهو (القاضي في بعض الاحيان) والدفتر دار وهو مسؤول عن الواردات والخزينة والمكتوبجي وهو المسؤول عن قلم التحريرات في الولاية ومدير المعارف[٤] ومدير الزراعة والتجارة[٥] ومدير الصحة ومدير الدفتر الخاقاني[٦] .

(*) لمزيد من التفاصيل حول التقسيمات الفرعية التابعة لهذه الولاية انظر: س .و .ب سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ص ص ١٠٦-١٥٤ .

(١) منتشا شفيلي ، المصدر السابق، ص٢١ ، اجريت تعديلات طفيفة على التقسيمات الادارية المعمول بها بموجب القانونين الصادرين عامي ١٣٣١- ١٣٣٢ هـ ١٩١٢-١٩١٣م ولمزيد من التفاصيل حول تلك التعديلات انظر: فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤ ، مطابع الجمهور ، (الموصل، ١٩٧٥)، ص ص٤٣-٤٨ .

(٢) Lewis , op . cit ., p. 381 .

(٣) Davison , op . cit . , p. 147 .

(٤) كانت اهم الواجبات التي اوكلت إلى مدير المعارف الاشراف المباشر على شؤون التعليم ، وتطبيق التعليمات التي تصدرها وزارة المعارف في استانبول ، والقيام بجولات تفتيشية لعموم المدارس في الولاية للتفاصيل انظر: الدستور ، المصدر السابق ، م١ ، ص٣٨٣ .

(٥) من المهمات التي اضطلع بها مدير الزراعة والتجارة هي العمل على تشجيع الزراعة والتجارة، تدوين الواردات والصادرات وعموم الإيرادات السنوية وتقديمها إلى الوالي، انظر : المصدر نفسه ، ص ص٤٠٣-٤٠٤

(٦) هو المسؤول عن تفتيش واجراء احكام القوانين والتعليمات المتعلقة بحق ادارة الاملاك والاراضي ، المصدر نفسه، ص٤٠٤ .

ومدير الأوقاف[١] ومأمور الاملاك والنفوس[٢] ومديرالنافعة (الأشغال العامة)[٣] .

أما بالنسبة لحفظ الامن والنظام ، فقد نصت المادة الخامسة عشر من نظام الولايات ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤م ، على تشكيل قوة ضابطة في مركز كل ولاية من ولايات الدولة أسندت قيادتها إلى ضابط كبير برتبة مير لواء (امير لواء) ويسمى (الاي بكي)[٤] على ان تكون تكون لهذه القوة وحدات في مراكز سناجق الولايات واقضيتها ، إلا أن تشكيل مثل هذه القوات تأخر حتى مجيء مدحت باشا ، وتحديدا بعد صدور نظام ادارة الضابطة (الجندرمة) سنة١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م الذي قسمت بموجبه قوة الضابطة إلى قسمين قسم الخيالة وقسم المشاة ويشكل هذان القسمان (الايا واحدا) وكل الاي ينقسم الى طوابير (أفواج) والطابور الى بلوكات (سرايا) ، والبلوك الى عدة طواقم (حضائر)[٥] . كما حدد هذا النظام المدة القانونية للخدمة في قوة الضابطة بسنتين ومنع المجندين من ترك الخدمة الابعد إعفائهم أو عزلهم من الخدمة[٦] . وفي سنة١٣٣١ هـ/ ١٩١٣م صدر (نظام) حددت بموجبه استخدام المكلفين في قوات الجندرمة والاعداد السنوية التي تؤخذ منهم عند اجراء (القرعة العسكرية) للاستخدام في تلك القوات[٧] .

كانت المهام الاساسية لقوات الضابطة – التي عرفت فيما بعد بالجندرمة – هي تطبيق التعليمات والقوانين لتحقيق الأمن والإسهام في جمع الايرادات ان القبائل ونقل البريد كما كان يتألف منهم الحرس والحاميات لمراقبة الطرق وحمايتها وحراسة السجون وإطفاء

---

(١) حدد المرسوم اهم وظائف مدير الاوقاف بجمع الضرائب وارسالها إلى خزينة الاوقاف وتدوين كل ما يتعلق بالواردات والنفقات ، ودفع رواتب موظفي الاوقاف من ميزانية الاوقاف ، والاشراف العام على الصناديق المالية للاوقاف ، وكل ما يتعلق بشؤونها ، الدستور ، المصدر السابق ، م ١ ، ص٤٠٥ .

(٢) وهو المسؤول عن ادارة القيود الأساسية التي تحتوي على عموم الاملاك والاراضي وما يتبعها وايراداتها السنوية وجمع قيود عامة الناس وتدوينها ، والنظارة على ما يقع من التغيرات في الاملاك ومواليد النفوس عموماً ووفياتها ونقلياتها وما يتعلق بتذاكر المرور والباسبورطات (جوازات السفر) من المعاملات ، المصدر نفسه، ص ص٤٠٤-٤٠٥ .

(٣) تلخص واجباته الرئيسية في جمع العمال في اوقات معينة من السنة لبناء الجسور والمعابر ، ورصف الطرق وجباية الضرائب المتعلقة بوظيفته ، للتفاصيل المصدر نفسه ، ص ص٤٠٣-٤٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٨٤ .

(٥) المصدر نفسه ، م٢ ، ص٦٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٦٥١ .

(٧) جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ٢٠٠١)، ص٢٨٤ .

الحرائق والقاء القبض على اللصوص وقطاع الطرق ويقوم بعضهم بتقديم الخدمات الخاصة لكبار الموظفين(١) .

وعلى الرغم من صدور القوانين التي كانت تهدف الى تنظيم هذه القوة لكنها بقيت مبعثرة لم توزع بشكل منتظم(٢) . كما كانت سيئة التجهيز ، فضلا عن عدم تسلمهم لرواتبهم بشكل منظم فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على طبيعة الواجبات التي كانوا يقومون بتأديتها وعلى تصرفاتهم خلال تعاملهم مع السكان ففي سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م كتب القنصل الفرنسي الى حكومته ما نصه ان "التسيب في بغداد قد بلغ الاوج فالسرقات متصلة ، واعتقد ان مئتي حادثة قتل قد وقعت منذ ثمانية اشهر في المدينة"(٣) .

كانت الحكومة العثمانية تعلم جيدا بعجز قوة الجندرمة عن أداء واجباتها وعدم كفاءتها، لذلك فقد تم تشكيل قوة جديدة هي قوة الشرطة سنة١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤م وتألفت هذه القوة من خمسة أصناف هي : القوميسير (المفوض) بثلاث درجات ، والجاوشية (العرفاء) وأفراد الشرطة وقد تم تقسيم قوات الشرطة الى أفواج وسرايا وحضائر (٤) .

وإضطلعت قوات الشرطة بواجبات متعددة منها : العمل على تفريق الاجتماعات غير المأذونة والمحافظة على النظام والامن ومنع الاعلانات والبيانات الصادرة ضد الحكومة او المخلة بالآداب العامة وأزالتها ومنع حمل السلاح غير المرخص والاطلاع على جوازات السفر للمسافرين ومنع ادخال المواد الضارة الى البلد وغيرها(٥) .

تألف الجهاز الإداري لدائرة الشرطة في ولاية الموصل سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م من مفوض وستة من الشرطة (٦) ، اما بالنسبة لولاية بغداد فقد تألف الجهاز الإداري لهذه الدائرة سنة سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م من ادارة بسيطة مكونة من قوميسير ثان وقوميسر ثالث وسبعة افراد من الشرطة(٧) . اما في الاقضية والنواحي فتألفت هذه القوة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م من قوميسير ثان ثان وعنصرين من الشرطة في مركز سنجقي كربلاء والديوانية وفي قضائي

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص٦٥٩-٦٦٠ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص٣٧٦-٣٧٧ .

(٢) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص٣٧٦-٣٧٧ .

(٣) بيير دي فوصيل ، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤) ، ترجمة : اكرم فاضل ، دار الجمهورية، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص٤٦ .

(٤) أحمد ، التشكيلات الإدارية والعسكرية... ، ص١٦٣ .

(٥) ياسين شهاب شكري ، ولاية بغداد ١٨٧٢-١٩٠٩ ، "دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية" ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٤) ، ص٤٨ .

(٦) س.و.م لسنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، ص٦٩ .

(٧) س.و.ب سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، ص ص١٣٧-١٣٨ .

الكاظمية والحلة ، وقوميسير ثالث وفرد من افراد الشرطة في كل من أقضية خراسان ، الكوت ، الدليم ،وشرطي واحد في اقضية النجف، سامراء ، خانقين ، بدرة ، الشامية ،مندلي ، في حين خلت اقضية العزيزية ، عنه ، الهندية ، السماوة ، من وجود قوة شرطة فيها[١] .

خضعت هذه القوة في بداية تشكيلها لاشراف الوالي الذي يقوم بتعيين وعزل مديرها ، وبقية منتسبيها ، واستمر ذلك حتى سنة١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م عندما أصدرت الحكومة المركزية نظاماً جديداً لتوسيع سلطات الشرطة وتغيير تقسيماتها ، وقد استعانت بضباط من الشرطة الاوربية . وتضمن هذا النظام تقسيم الدولة العثمانية الى خمس مناطق ، لكل منطقة لجنة يرأسها مفتش عام (مدير الشرطة العام) وقد عين (قراجبا افندي)مفتشاً عاماً لمنطقة بغداد التي تضم ولايتي الموصل والبصرة[٢] .

شاركت الشرطة قوات الجندرمة مقراتهم[٣] ، حتى جرى افتتاح عدد من المخافر (مراكز) (مراكز) فعلى سبيل المثال ذكرت سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وجود (٩) مراكز للشرطة في مركز ولاية الموصل منها مركز باب السراي ، ومركز باب النبي ، ومركز باب الجسر وغيرها[٤] وفضلاً عن هاتين القوتين ، كانت هناك قوة ثالثة، اطلق عليها دائرة المؤاني (ليمان دائرة سي) ، التي كانت يرأسها ضابط من قوة الجندرمة برتبة صول أغاسي (رائد) ، وفيها عدد من أفراد الجندرمة ، فضلا عن قوميسير ثالث من الشرطة ، واثنين من افراد الشرطة ، ولهذه الدائرة فروع في مدن الولاية التي تقع على الانهار ، وهي الكوت ، والحلة ، والمسيب ، والهندية ، والكوفة ، والشنافية ، والديوانية ، ومن أهم مهامها الحفاظ على أمن طرق المواصلات النهرية ، والعناية بصيانة مجاري الانهار ، والاشراف على الجسور المقامة عليها ، وجمع رسوم الشحن من المراكب النهرية[٥] .

---

(١) س . و . ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ص٩٦-٩٧،١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) ابراهيم خليل احمد ، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية (١٩٠٨-١٩٢٢) ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٥) ، ص٣٤ .

(٣) عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة من سنة ١٨٦٨-١٩١٧ ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٩٩) ، ص١٣٢ .

(٤) س.و.م سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، ص ص١٢٥-١٢٦ .

(٥) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص ص١٠٨٢-١٠٨٣ .

بقي الوضع السياسي متأثرا بسلبيات الحكم اذ تجسد ذلك في مسائل عدة منها تعيين بعض الولاة الذين امتازوا بضعف مستواهم الإداري والثقافي(١) .وإنحصرت جهودهم بجمع الاموال عن طريق فرض المزيد من الضرائب وارسالها الى العاصمة حفاظا على مناصبهم(٢) ناهيك عن الشدة التي انتهجتها السلطات المحلية في جباية الضرائب التي قادت الكثيرين الى تقديم العديد من الشكاوى الى العاصمة استنبول وعوضاً عن استجابة السلطات العثمانية الى تلك الشكاوى ، فانها كانت ترسل الكثير من الاحكام المعبرة عن تقدير السلطان وإعجابه بهؤلاء الولاة(٣) . وقد تمادى بعضهم في هذه التصرفات وكمثال على ذلك السياسة التي اتبعها متصرف سنجق الحلة شبلي باشا (١٨٧٢–١٨٧٥ م) ، حيث كان يتولى بنفسه قيادة مجاميع عسكرية مسلحة لارهاب السكان واجبارهم على دفع الضرائب ، حيث عرف عنه بانه من الذين يتوددون الى المسؤولين الاعلى منه منصبا ، وقد حرص على ايصال الاموال المستحصلة من متصرفيته الى العاصمة بغداد على عكس بقية المتصرفين الذين كانوا يرسلونها بوساطة المأمورين(٤) . في حين اتهمت مصادر اخرى والي بغداد عاكف باشا (١٨٧٦–١٨٧٧م) ، بالفساد(٥)، اذ بلغت قيمة الاموال التي جمعها بعد انقضاء ثمانية اشهر على وجوده في الولاية (٥٠.٠٠٠) جنيه عدى المجوهرات وغيرها (٦). في حين اوصل المشير احمد فيضي باشا الذي شغل منصب والي والي بغداد وكالة للمدة (١٩٠٢–١٩٠٤ م) ، على حد قول ممثل القنصلية الروسية في بغداد "النظام الاداري الى التفسخ التام فهو يوزع الوظائف مقابل تعويض مقرر ، زد على ان كل جريمة في الوظيفة وكل ظلم تعطي للوالي حجة لاخذ رشاوى جديدة المرة بعد الأخرى"(٧)

---

(١) جعفر الخياط ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، (بيروت ، ١٩٧١) ، ص١٧ .

(2) Habib Chiha K., Laprovince de Baghdad Son Pass Son Present (Lecairi,1908), PP.59-98.

(٣) الارشيف العثماني باستانبول ، رقم البحث ١٦٢ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٥٥ ، الصفحة ١٥٣ ، تاريخ الوثيقة اواسط شوال ١٢٦٠هـ .

(٤) علي هادي عباس المهداوي ، الحلة في العهد العثماني المتأخر (١٨٦٩–١٩١٤) ، دراسة في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، منشورات بيت الحكمة، (بغداد ، ٢٠٠٢) ، ص٢٨.

(٥) لونكريك ، المصدر السابق ... ، ص٣٦١ .

(6) Anne Blunt, Bedouins, Tribes of the Euphrates, Vol. I (London, 1968), P. 203.

(٧) منتشاشفيلي ، المصدر السابق ، ص٢٤ ؛ كما تطرق الكثير من الرحالة الذين زاروا العراق ابان هذه المرحلة الى هذه الناحية السلبية ، ونخص منهم بالذكر مدام ديولافوا ، رحلة مدام ديولافوا الى كلدة العراق سنة ١٨٨١ نقلها الى العربية عن الفارسية علي البصري ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص٨٦ ؛ فوصيل ، المصدر السابق ، ص ص٧٩–٨٠ ؛ وليم بيري فوك، (احوال بغداد في القرن التاسع عشر) ، ترجمة عبود الشالجي ، مجلة سومر ، (الجزءان (١،٢) ، المجلد ١٦، (بغداد ، ١٩٦٠) ، ص١٨ .

كما أسهمت قلة رواتب الموظفين وعدم دفعها بانتظام الى تفشي الاختلاس والرشوة ، وفساد جهاز الدولة ، ويتطرق سليمان فيضي الى هذه الظاهرة في معرض حديثه عن الادارة العثمانية بقوله اما الرشوة فكانت طابعاً ملازماً لكثير من الموظفين ... بدونها لا تنجز مهمة ولا تنتهي قضية ، بالرشوة كان الامي يعين في المناصب الكبرى ، والشرير في دوائر الشرطة ، والجاهل في الوظائف القضائية والثقافية ، وبالرشوة كان الظالم يكسب دعواه الباطلة في المحاكم ، والكسالى يحصلون على رتب الباشوية والاوسمة ، والرئيس يتغاضى عن تلاعبات مرؤوسيه وسرقاتهم[١] ويسوغ نائب قضاء خريسان (ديالى) في مجلس المبعوثان العثماني(مجلس النواب العثماني) هذه الحقيقة ومسبباتها عندما يقول "ماذا يعمل الموظف ولا يبلغ معاشه الثلاث مئة قرش مع انه لا يقبض منه في السنة الا النصف او ما يزيد على ذلك قليلا واذا نظرت الى ما يقضي له ولعائلته من مصرف قضيت بالضرورة بان ما يأخذه لا يكفيه لعشر مصرفه فمن أين يحصل على الباقي ان لم يفعل ما ذكره من الموبقات" [٢] ويعني بها الرشوة والتزوير والاختلاس ومختلف الوسائل غير المشروعة .

من هنا كانت الوظائف الحكومية مطمع انظار الكثيرين الذين يبحثون عن وسائل الاثراء غير المشروع ، حتى ان مبالغاً ضخمة غالباً ما تزيد عن مجموع الراتب السنوي ، كانت تدفع مقابل التنازل عن هذه الوظيفة او تلك ونادرا ما يحدث ان يستقيل الموظفون لكي يعوضوا خسائرهم ، وادى ذلك ببعض الولاة الى المساومة على المناصب في ولاياتهم مستفيدين من (الهبات) التي يقدمها لهم الموظفون ، وتقوم الشريحة الاخيرة بدورها بجباية ما قدمته للوالي من اهالي البلاد [٣] .

بيد ان ذلك لم يمنع ظهور ولاة إتسموا بالعمل الجدي والاخلاص وكانوا على قدر من الثقافة اذ تحدثت المصادر عن والي بغداد قدري باشا سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٨ م بانه "ذو كفاءة ونشاط ونزاهة، ومثقف يتحدث الفرنسية بطلاقة فضلا عن العربية والفارسية ويجيد اللغة الانكليزية.."[٤] .

---

(١) سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، ط ٣، دار الساقي، (بيروت،١٩٩٨)، ص ٧٠.

(٢) علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩١) ، ص٣٨ .

(٣) يوسف عز الدين ، داؤد باشا ونهاية المماليك ، دار البصري ، (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص١٣ .

(4)Grattan Geary, Through Asiatic Turkey, Vol.1, (London, 1878), P.135; Blunt, Op. Cit., Vol.,2, P.5.

كما اهتم الوالي نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢م) باصلاح أمور ولاية بغداد من خلال الاعمال الاصلاحية التي قام بها في مجال التعليم والمواصلات والزراعة وباقي المجالات الخدمية الاخرى(١) .

إنتهجت الدولة العثمانية في ادارة الولايات العثمانية ، ومنها الولايات العراقية الاخرى سياسة قائمة على سرعة تغيير الولاة(٢) ،فعلى سبيل المثال تراوح متوسط مدة ولاية الكثيرين منهم بين عام واحد وثلاثة أعوام(٣) وبالتالي وقفت هذه السياسة حائلاً دون قيام بعض المصلحين وذي الهمم منهم بتنفيذ مشاريعهم واكمال ما بدأوا به ، وربما عكست تلك السياسة قلق السلطات العثمانية من عدم تعاون أولئك الولاة في تنفيذ سياستها الخاصة من جهة(٤) فضلاً عن خشيتها من أن بقاء أولئك الولاة من شانه أن يرسخ إقدامهم في تلك الولايات وبالتالي يكونون مصدر تهديد للدولة العثمانية(٥) .

الجدول ذو الرقم (١)

مقارنة لعدد الولاة والمتصرفين في بعض السناجق العراقية في اوقات مختلفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩١٤(٦)

السنجق	المدة	الولاة او المتصرفون
الموصل	١٨٥١-١٨٧٥	١٧
كربلاء	١٨٨١-١٩٠٨	٢١
الديوانية	١٨٩٢-١٩١٤	٢٣
البصرة	١٨٦٩-١٨٩٢	٢٢

(١) للتفاصيل انظر س.و.ب سنة ١٣١٨هـ ، ص ص٥٥٤-٥٥٩ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الجدول ذو الرقم (١) .

(٣) حسن ، المصدر السابق ، ص١٠٨ .

(٤) المهداوي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

(5) Peter Slugleett , Britain in Iraq 1914 – 1932, (London , 1976) , P . 234 .

(٦) المهداوي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م تهيأت الفرصة لبريطانيا لتنفيذ مشروع احتلال العراق . فقد كان للعراق أهميته الستراتيجية فضلاً عن الأطماع البريطانية في موارده النفطية والزراعية الغنية[*] . وقد استغلت بريطانيا فرصة انضمام الدولة العثمانية الى جانب دول الوسط (المانيا وامبراطورية النمسا (المجر) ضد دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية) في الحرب العالمية الأولى لاتخاذه ذريعة لاحتلال العراق ، فقامت بانزال قواتها في الفاو في ٦ تشرين الثاني ، أعقبها احتلالها للبصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وواصلت القوات البريطانية الغازية تقدمها حتى تمكنت في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٤ من احتلال القرنة ، وفي ١٢ نيسان احتلت الشعيبة ، أعقبها احتلالها للعمارة في ٣ حزيران. وفي ٢٥ تموز ١٩١٥ إحتلت الناصرية ، وبهذا أصبحت ولاية البصرة بأكملها تقريبا تحت سيطرة بريطانيا التي أخذت تفكر جدياً في ضم ولايتي بغداد والموصل إلى الإدارة الهندية مباشرة ،لذلك قامت بتعيين الجنرال نيكسون(J. A. Nixon) قائداً عاماً على الحملة على العراق حيث تقدمت الحملة البريطانية عن طريق دجلة باتجاه بغداد، وكانت بقيادة الجنرال طاوزند (Townshend) إذ تمكنت القوات البريطانية من احتلال الكوت في ٢٧ أيلول ١٩١٥ ، الا أنها سرعان ما منيت بهزيمة عند منطقة المدائن جنوبي بغداد اضطرت القائد البريطاني نيكسون الى التراجع الى الكوت حيث فرضت القوات العثمانية حصاراً قاسياً على الجيش البريطاني الذي اجبرفي النهاية على التسليم بلا قيد ولا شرط في٢٩ نيسان ١٩١٦[١] .

الا أن القوات البريطانية سرعان ما استجمعت قوتها خاصة بعد تعيين الجنرال ستانلي مود (S . Moude)قائداً عاماً للقوات البريطانية في العراق حيث اجبر القوات العثمانية على الانسحاب من الكوت ، ولم تلبث القوات البريطانية ان توغلت في زحفها شمالا فاحتلت بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ ، حيث اصدر الجنرال مود تصريحه المشهور الى أهالي بغداد الذي جاء فيه "ان الانكليز اننا لم ندخل بلادكم اعداءا فاتحين انما دخلناها محررين ...". [٢]

كان احتلال البريطانيين لبغداد خطوة مهمة في طريق احتلالهم للعراق إذ تقدمت القوات البريطانية بقيادة الجنرال مارشال (Marshall) الذي خلف الجنرال مود ، حتى تمكنت من احتلال سامراء في ٢٢ نيسان سنة ١٩١٧ ، واحتلت قوة أخرى الرمادي في ٢٩ أيلول ١٩١٧ ،

(*)لمزيد من التفاصيل حول الأسباب التي دفعت بريطانيا لاحتلال العراق. انظر: مجيد خدوري، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق، مطبعة الشعب، (الموصل ، ١٩٣٣) .

(١)عبد الرحمن البزاز ، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص ص ١٥-٢١ .

(٢) نص البيان في فيليب ويلارد ايرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر خياط ، (بغداد ، ١٩٤٩) ، ص ص ٣٦٠-٣٦١ .

أعقبها احتلالها لتكريت في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، لتواصل تقدمها نحو الشمال لتحتل الموصل في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧[١] .

بادرت سلطات الاحتلال البريطاني بعد احتلالها البصرة بوضع اللبنات الأولى لتنظيم الإدارة المدنية بصيغ مختلفة عن الإدارة العثمانية التي كانت موجودة في المنطقة . إلا أن هذه العملية لم تخل من صعوبات عديدة ، لخصها برسي كوكس (Percy Cox)[*] بقوله "كانت أولى الصعوبات التي واجهناها في تشكيل الإدارة المدنية قد ازداد تأثيرها الى حد كبير بقرار موظفي العهد التركي ، عدا بعض الموظفين الصغار من العرب مستصحبين احدث السجلات والوثائق الحكومية[٢] " ويمكن تلخيص الاسس التي قامت عليها سياسة سلطان الاحتلال البريطاني بما يأتي :

١. العمل على تأمين الحاجات التي يتطلبها الاحتلال.
٢. جعل الجزء الجنوبي من العراق تابعا لادارة حكومة الهند البريطانية .
٣. التقرب من العشائر والاهتمام بهم.
٤. العمل على إيجاد نظام أداري (مرن) تتركز فيه السطات الأساسية في أيدي الحكام السياسيين ومعاونيهم وهم من الإنكليز عادة ، مع العمل على مشاركة العراقيين في الوظائف الثانوية .
٥. وضع نظام قضائي جديد يهدف الى تغيير القوانين العثمانية الى قوانين هندية جذرية وشاملة وذلك في الشؤون المدنية والتجارية والعقابية وفي المسائل المادية والأصولية ، وكيفية تشكيل المحاكم .
٦. العمل على وضع نظام صحي يوفر الحياة الصحية والعلاجية والوقائية للأفراد والعمل على مكافحة الأمراض والأوبئة لحماية الجيش المحتل منها .

---

(١) للتفاصيل انظر : شكري محمود نديم ، "سير عمليات الاحتلال عسكريا أحوال العراق في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٩" ، في المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، مجموعة باحثين، منشورات بيت الحكمة (بغداد ، ٢٠٠١)، ص٤١ وما بعدها .

(*) برسي كوكس : ولد سنة ١٨٦٤ ، عمل ما بين ١٨٨٤-١٨٩٣ في الهند ثم انتقل للعمل في الصومال وبعدها في مسقط ، عين وزيرا لخارجية حكومة الهند سنة ١٩١٤ ، التحق بالحملة البريطانية على العراق منذ بدايتها وبقي فيه حتى أيلول ١٩١٨، حيث عين وزيراً مفوضاً ، عاد إلى العراق في تشرين الأول ١٩٢٠ ، ليشغل منصب اول معتمد سامي في العراق واستمر في المنصب حتى ايار١٩٢٣ حيث أحيل على التقاعد انظر: منتهى عذاب ذويب ، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) .

(٢) عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص١٢٥ .

٧. العمل على وضع نظام مالي قوي يوفر الموارد الأولية اللازمة لمتطلبات الاحتلال[١] خلال الأيام الأولى للاحتلال البريطاني ، صدرت أوامر القيادة العسكرية باستبدال عنوان وظيفة كوكس من الضابط السياسي الاول إلى رئيس الحكام السياسيين Chief Poilitcal Officers حيث وضعت تحت أمرته مجموعة من ضباط الجيش للعمل في شؤون الإدارة المدنية وبمعاونة هؤلاء الضباط وعلى رأسهم ارنولد ولسن (Arnold Wilson)[*] ، الذي عين فيما بعد نائباً لرئيس الحكام السياسين ، باشر برسي كوكس بتشكيل دائرته السياسية التي ستتولى الأشراف على الإدارات المدنية .

كانت الإدارة الجديدة مركزية ، اذ كان الحكام السياسيون ومعاونوهم مسؤولين أمام كوكس في تنفيذ القانون ، وتوطيد دعائم الأمن ، ومساعدة السلطات العسكرية في المسائل المحلية ، كتوفير المواد الغذائية التي يحتاجها الجيش ، وجمع الفلاحين لاعمال السخرة في المشاريع العسكرية ، وتقدير الخسائر التي ألحقت بممتلكات الأهالي جراء المعارك ، ودفع التعويضات المناسبة عنها[٢] . ودراسة الإمكانات الاقتصادية في مناطقهم الإدارية والتعاون مع الشيوخ الموالين[٣] وحماية خطوط المواصلات .. وغيرها من الواجبات الأخرى ، أما كوكس فقد كان مسؤولا أمام القائد العام للاحتلال لكونه عضواً في هيئة أركانه لذلك كان كوكس يُسير شؤون أدارته ، عندما يكون مع القوة الزاحفة ، من خلال عمل مساعده المباشر، ثم وكيله ويلسون ، الذي كان يتولى الأمور في البصرة نيابة عنه ويبلغه بكل تطورات الأمور وهو في محل وجوده في الجبهة.

كانت أولى الدوائر التي تولت سلطات الاحتلال تشكيلها[٤] ، منذ الأسبوع الأول من

---

(١) البزاز ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨-٣٤ .

(*) ارنولد ولسن : ولد سنة ١٨٨٤ ، شغل منصب معاون الضابط السياسي في القنصلية البريطانية في الاحواز للمدة ١٩٠٧-١٩١٣ ، انتدب للعمل في لجنة تحديد الحدود العثمانية الفارسية ، بعد إعلان الحرب العالمية الاولى عين نائبا لرئيس الحكام السياسيين ثم وكيلا له (١٩١٨-١٩٢٠) شارك في الحرب العالمية الثانية فقتل سنة ١٩٤٠ ، سؤدد كاظم مهدي ، ارنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) .

(٢) علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩١٨ ، في المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، مجموعة باحثين، بيت الحكمة، (بغداد ٢٠٠٢) ص٥١٩ .

(٣) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٤) حميد احمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص٣٢٧ .

الاحتلال البريطاني للبصرة ، هي دائرة الشرطة حيث عين المقدم كريكسن (E . C . Gregson)[*] مفوضا لمؤسسة الشرطة أما أهم المهمات التي أسندت إلى هذه القوة فتمثلت في فرض الرقابة العسكرية الصارمة والحد من هجمات القبائل على المقرات الخلفية للقوات البريطانية والعمل على نشر ألامن والاستقرار بعد حالة الفوضى التي عاشتها مدينة البصرة على اثر انسحاب العثمانيين منها واحتلال البريطانيين لها[١] .

اعتمدت سلطات الاحتلال في تكوين هذه القوة على رجال الشرطة الذين تم جلبهم من الهند وعدن والصومال[٢]أعقبها تأسيس قوة مماثلة للشرطة في العمارة والناصرية وسوق الشيوخ والقرنة [٣] .

وبعد الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار ١٩١٧ وبالنظر لأهمية الجانب الأمني صدرت الاوامر بتشكيل النواة الاولى للشرطة حيث أسندت هذه المهمة إلى العقيد (كريكسن) وفي خلال سنة ١٩١٨ حل (بريسكوت) محل (كريكسن) وهو صاحب خبرة في مؤسسة الشرطة والتحق بهذه القوة عدد من الجنود البريطانيين ممن اكتسبوا خبرة في هذا المجال في بريطانيا قبل التحاقهم في صفوف القوات العسكرية المسلحة[٤] وعدد من أفراد الشرطة المصرية من المستخدمين في وحدة العمال[٥]. حيث بلغ تعداد هذه القوة سنة ١٩١٦ في ولاية البصرة ٤٠٠ ضابط وشرطي ليرتفع العدد إلى (٥٢٠) شرطيا بعد احتلال بغداد سنة ١٩١٧ ، ليصل العدد إلى(١٤٣٠) شرطيا أواخر سنة ١٩١٨[٦] .

أما المناطق العشائرية فأسندت مهمة ضبط الأمن والاستقرار فيها إلى الشبانة (الليفي) Levies وهي شرطة محلية غير نظامية تولى شيوخ القبائل مهمة تجنيدهم على ان يكون نطاق

(*) أحد موظفي الشرطة الهندية ، كانت له خبرة واسعة بشؤون الحدود الشمالية الغربية من الهند ومنطقة الخليج العربي ، انظر :

Office of the Civil Commissioner , Administration Reports of Baghdad Wilayat , 1919 , P . 6 .
وسنشير اليه لاحقا بـ Reports of Baghdad Wilayat.

(١) حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، ص١٤ .

(٢) فاروق صالح العمر ، حول السياسية البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، "دراسة وثائقية" ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص٢٤ .

(٣) سرارنلدتي ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة : فؤاد جميل ، ج١ ، دار الجمهورية ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص٢٢٩ ؛ ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٤) ويلسون ، المصدر السابق، ج٢ ، ص ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٥) مس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٢ ، مطبعة دار الكتب ، (بيروت، ١٩٧١) ، ص٣٢٤ .

(٦) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٨٣ .

عملهم ضمن حدود مناطقهم الأصلية ، اما الهدف الذي سعت قوات الاحتلال إلى تحقيقه فهو كسب تأييد رؤوساء العشائر في مقابل ذلك ضمنت الفئة الأخيرة حصولها على تأييد الموظفين البريطانيين والسلطة الحاكمة ، وعلى السلاح إذا اقتضى الأمر[١] .

أسند إلى هذه القوة عدد من الواجبات منها الحيلولة دون وصول المساعدات إلى الأتراك ، وحماية خطوط المواصلات ، ومنع الفئات المتذمرة من سياسة سلطات لاحتلال من القيام بنشاطات معادية ، فضلا عن جباية الواردات ونقل الرسائل ، وحراسة المخازن في بعض الأمكنة[٢] .

ونتيجة للدور الذي اضطلع به مجندوا العشائر (الشبانة) في ضبط الأمن في المناطق العشائرية التابعة للبصرة ، قرر القائد العام في تموز ١٩١٧ إعمام هذه التجربة على بغداد ، على ان يصل عدد أفراد هذه القوة في أواخرهذا العام إلى(١٤٠٠) مجند من الخيالة والمشاة ، وعلى نحو غير متوقع وصل العدد إلى (٢٠٠٠) مجند ، استخدم نصفهم في بغداد[٣] . أما النصف الأخر فجرى توزيعه على المناطق التابعة لولاية بغداد ، وقد أدت هذه القوة دوراً مهماً في إدامة الصلة الودية بين السلطة المحتلة من شيوخ العشائر ، فضلاً عن مهماتها الرئيسية التي تتلخص في حراسة الطرق ومخازن التموين والأسلحة ومراقبة تحركات القبائل ورصد فعاليتها المضادة لقوات الاحتلال البريطاني[٤] .

وأمام ضخامة القوات العسكرية البريطانية وحاجتها المتزايدة إلى الموارد المالية ولتأمين مصاريف الدائرة السياسية وموظفيها ، اتجهت أنظار سلطات الاحتلال إلى إعادة تنظيم الإدارة المالية ، لا سيما انها اعتمدت بالدرجة الأساس في تامين مصروفاتها على واردات الأراضي والضرائب المفروضة على الحاصلات الزراعية[٥] . وعلى هذا الأساس تم تشكيل (دائرة

([١]) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٦١ .

([٢]) العمر ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤-٢٥ .

([٣]) بيل ، المصدر السابق ، ص٣٢٤ .

([٤]) المصدر نفسه ، ص ص ٣٢٣-٣٢٤ .

([٥]) زادت مبالغ هذه الواردات في عهد الاحتلال البريطاني ، ويمكن توضيح ذلك من خلال إجراء مقارنة بين مقدار الواردات التي تمت جبايتها إبان الاحتلال العثماني للعراق ، وبين مقدار الواردات التي تمت جبايتها إبان الاحتلال البريطاني ، فعلى سبيل المثال جمع الأتراك في عام ١٩١١-١٩١٢ حوالي (٩.٦٩٧.٠٠٠) روبية من العشر والكودة وضرائب الأرض الأخرى ، في حين بلغت الواردات التي جمعت من الضرائب نفسها ولعام ١٩١٨ (١٥.٧٤٧.٤٣٠) روبية انظر : ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٢ .

الواردات) التي إضطلع هنري دوبس H . Doobs[*] بمهمة إدارتها ، حيث ابتدأ عمله الوظيفي بجمع ما تركه الأتراك من السجلات العثمانية لغرض تنظيم شؤون الورادات ، وتأمين افضل السبل لسد احتياجاتها[١] .

وقد أعدت هذه الدوائر قوائم تفصيلية للضرائب والرسوم فلم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وفرض عليها ضريبة او رسم ومنها ضرائب ورسوم البلديات ، والغرامات التي تفرض على المخالفات ، فضلا عن الضرائب الزراعية ، والضرائب المفروضة على المواشي ، وواردات الأراضي السنية والوقفيات ، والضرائب الخاصة المتأتية من الملح والريجي (أحتكارالتبغ) والمشروبات الروحية ، وعدد من الرسوم كرسوم الطابع ورسوم الكمارك ... وغيرها من الضرائب والرسوم الأخرى[٢] .

وبمرور الوقت تعددت واجبات هذه الدائرة ، خاصة بعد اتساع رقعة الأراضي المحتلة ، حيث تولت هذه الدائرة إدارة شؤون الأوقاف والأراضي الأميرية والكمارك والدين العثماني[**] فضلا عن الأشراف على المؤسسات التربوية والدوائر البلدية فيما تولى الرائد ستيورات (Stewart) مهمة السكرتير القضائي ، اذ انحصرت واجباته الرئيسية في تحقيق الأمن ومعاقبته المخالفين لاداء الأوامر القيادة العسكرية ، وكان يعاونه مدير مؤسسة الشرطة[٣] .

(*) هنري دوبس (١٨٧١-١٩٣٤) من كبار موظفي حكومة الهند ، عمل في مناطق مختلفة في فارس وأفغانستان والعراق ، التحق بالحملة البريطانية على العراق في كانون الثاني ١٩١٥، عين مندوباً سامياً خلفاً لبرسي كوكس في سنة ١٩٢٣ ، انظر مهدي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(١) لم يكن في بغداد عند الاحتلال البريطاني مثل هذه السجلات التي تبين أنواع الضرائب ومقدارها او السجلات المالية او سجلات الأراضي كما لم يكن بالإمكان إيجاد الموظفين ليقوموا بهذه الأعمال اما في الموصل فقد وجدت سلطات الاحتلال عند احتلالها لها السجلات الكافية والموظفين قائمين بإعمالهم ، انظر هنري فوستر ، تكوين العراق الحديث ، ترجمة : عبد المسيح جويدة ، ج١ ، مطبعة السريان ، (بغداد ، ١٩٤٦) ، ص٣٥٠ .

(٢) التميمي ، المصدر السابق، ص ص ٤٦٩-٤٨٤ .

(**) إدارة الدين العثماني (دائرة الديون العمومية العثمانية) : مؤسسة مالية مستقلة داخل الدولة العثمانية تشكلت في ٨ كانون الثاني ١٨٨١ على اثر عجز ميزانية الدولة العثمانية عند دفع الأقساط المستحقة من القروض الداخلية والخارجية ، حيث كان لهذه الدائرة فروع في ولايات العراق الثلاث ، البصرة ، بغداد ، الموصل . ز . ي. هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٨٢ .

(٣) ولمزيد من التفاصيل انظر التميمي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٧١-٤١١ .

وبعد الهزائم التي ألحقتها القوات البريطانية بالقوات العثمانية وإحتلالها لعدد من المدن العراقية ، وفي محاولة من سلطات الاحتلال لحسم المشاكل والخلافات التي تحصل في مجتمع المناطق الجديدة المحتلة ، شكلت الإدارة البريطانية في نيسان ١٩١٥ ، لجنة تألفت من ضابط عدلي اقدم هو المقدم ستيوارت جورج فوكس (G . Knox) ، وضابط عدلي مستجد هو جارلس فرزي مكنزي (C . F Machenzi) ، ومساعد ضابط عدلي وهو خان بهادر رستم علي وهو (هندي) حيث أوكلت اليهم مهمة اعداد مجموعة القوانين التي تستند إلى القوانين الهندية والعثمانية مع الاخذ بنظر الاعتبار ما يناسب الظروف[1] الراهنة والحاجات القائمة والمستجدة تمهيدا لاعادة فتح المحاكم[2] .

وفي الأول من آب ١٩١٥ أنهت اللجنة أعمالها عندما أعلن القائد العام للجيش البريطاني المحتل (جون اليكس نيكسون) إلغاء قانون العقوبات العثماني ، وصدور قانون سمي (قانون الاراضي العراقية المحتلة The Iraqi Occupied Territories Code 1915) ، الذي اعتمد في وضعه على القوانين والتشريعات الهندية مع ادخال بعض التعديلات التي تلائم الظروف المحلية .

تألف القانون المذكور من (٦ أبواب) ، بـ ٦٣ بنداً والحق به (٣٤)قانوناً هندياً على شكل جداول[3] . حيث منح هذا القانون للقائد العام صلاحيات تشريعية وقضائية واسعة فمن تشريع أي قانون يراه ضروريا ومن حقه أيضا ان ينظر في الدعاوى المستأنفة ، في حين تولى الحكام في المناطق والمقاطعات (الألوية والاقضية) والنواحي مسؤولية فض المنازعات ومعالجتها بقوة السلاح بعد ان منحهم المحاكم العسكرية صلاحيات واسعة ضمن حدود مناطقهم ومقاطعاتهم الإدارية[4].

---

(١) حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤–١٩١٨ ، ص ٥٢٣ .

(٢) بقيت المحكمة المدنية التي أسستها قوات الاحتلال في منطقة البصرة المحكمة الوحيدة حتى لاحتلال البريطاني لبغداد في ١١ اذار ١٩١٧ ، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥١ .

(٤) حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤–١٩١٨ ، ص٥٢٤ .

وبعد الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار ١٩١٧ وانسحاب القوات العثمانية والكثير من الموظفين منها – ممن يمكن ان يكونوا ذوي فائدة لسلطة الاحتلال الجديدة(١) باشرت سلطات الاحتلال بفتح بعض المحاكم ابتداء من حزيران ١٩١٧ ، ومن هذه المحاكم (المحكمة الشرعية) حيث اختير لرئاستها القاضي (علي علاء الدين الالوسي)(٢) . وفي تموز من العام نفسه جرى افتتاح محكمة مدنية اخرى أطلق عليها اسم (محكمة الصلح) ، اختير لرئاستها عبد الوهاب النائب(٣) .

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩١٧ صدر بيان المحاكم رقم (٦) ، الذي أعده الضابط العدلي الأقدم رايد غار بونهام كارتر(*)والذي نص على تأسيس عدد من المحاكم منها (محكمة بداءة الحقوق) التي عين (فورمس)رئيساً لها و (داؤد سمر) عضو أول و (عبد الجبار احمد جميل) عضو ثان(٤) .

ومن المحاكم الأخرى التي تم افتتاحها (محكمة الجزاء) التي عين فيها عضوان الحاج عزت افندي المحامي وروبين افندي فضلا عن تعيين كل من عبد الحميد عبادة ، واحمد سامي بصفة كاتبي ضبط(٥) . كما تضمن البيان تأسيس محكمة استئناف واحدة في بغداد تحال اليها كافة القضايا المراد استئنافها ومن جميع أنحاء العراق(٦) .

---

(1) Report of Baghdad wilayat 1917 , P . 6 .

(٢) هو ابن القاضي والعلامة الكبير نعمان خيري الدين بن ابي الثناء الالوسي ، تخرج من مدرسة القضاة في استانبول ، تولى القضاء في عدد من المدن العثمانية ، انتخب عضوا في مجلس المبعوثان العثماني سنة ١٩٠٨ فضلا عن عضويته في المجلس العمومي لولاية بغداد ، ثم تولى منصب القضاء في عهد الاحتلال البريطاني ، العلاف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٨–٢٣٢ .

(٣) عبد الوهاب النائب (١٨٥٢–١٩٢٧) ، وهو ابن الشيخ عبد القادر عبد الغني العبيدي ، الملقب بـ (النائب) لتوليه نيابة الشرع في بغداد حاز على ثقة الولاة العثمانيين ، وكرمه السلطان عبد الحميد بمنحه لقب قاضي الحرمين الشريفين ، ولاه البريطانيون عند احتلالهم بغداد على محكمة الصلح ، ثم رئاسة مجلس التمييز ، محمد صالح السهرودي ، لب الالباب ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٣٢) ، ص٨٣ .

(*) رئيس الدائرة القانونية في السودان ، إستدعته الادارة السياسية إلى بغداد للعمل على تنظيم شؤون الجهاز القضائي في ولاية بغداد ، التي وصلها في تشرين الاول ١٩١٧ ، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ص ٩١–٩٢ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٣٣ ، ٨ شباط ١٩١٨ .

(٥) المصدر نفسه ، العدد ٥٢ ، ٢ آب ١٩١٨ .

(٦) الحكومة العراقية، وزارة العدلية ، مجموعة البيانات والإعلانات الصادرة من القائد العا ، بيان رقم (٦) ، في ٢٨ كانون الاول ١٩١٧ ، مطبعة دنكور ، (بغداد، ١٩٣٦) ص ص ٩–٢٥ .

بقيت المحاكم المدينة تدار في إجراءاتها القضائية على قانون أصول المحاكمة العثماني الصادر سنة ١٨٨٠ ، وفي قراراتها على قانون الجزاء العثماني الصادر سنة ١٨٥٩ وبيان المحاكم رقم (٦) الصادر في ٢٨ كانون الأول ١٩١٧[١] حتى صدور قانون أصول المحاكمات الجزائية وقانون العقوبات سنة ١٩١٨[٢] . الذي جرى تطبيقه في بغداد في كانون الثاني ١٩١٩[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن سلطان الاحتلال لم تطبق هذه القوانين على المناطق العشائرية وانما أصدرت نظاماً خاصاً في ٢١ شباط ١٩١٦ عرف بنظام (دعاوى العشائر المدنية والجزائية) الذي تألف من (٢١) مادة تمحورت حول ثلاثة أمور أساسية هي ، الدعاوى العشائرية وكيفية حسمها والأحكام الانضباطية التي يجري تطبيقها بحق المخلين بالأمن والصلاحيات التي يتمتع بها الحكام السياسيون ومعاونوهم لتطبيق أحكام هذا النظام[٤] .ومن بين بين الدوائر الأخرى التي تم تشكيلها – التي سيتم التطرق اليها لاحقا – دائرة الأشغال العامة ودوائر البلدية والسكك الحديد والتلغراف وغيرها من الدوائر الأخرى .

وبعد أن وضع المحتلون الأسس العامة لتشكيلات دوائر الإدارة المدنية في مدينة البصرة ، التي أصبحت قاعدة عسكرية وادارية لقواتهم المحتلة ، باشروا بتقسيماتهم الإدارية للمناطق المحتلة في ضوء تقدم القوات العسكرية ومساحة المناطق المحتلة[٥] .

إستبدل البريطانيون معظم المصطلحات الإدارية العثمانية ، فاصبح اللواء يسمى منطقة (Division) والقضاء مقاطعة (District) في حين إحتفظت النواحي بتسمياتها الإدارية العثمانية[٦] .

أما عن المسؤوليات الإدارية فقد جرى توزيعها كل حسب درجته الإدارية فعلى سبيل المثال تولى إدارة كل منطقة (أي لواء) من مناطق البصرة والعمارة والناصرية ضابطان الأول بصفة حاكم عسكري والثاني بصفة حاكم سياسي ، فيما تولى إدارة المقاطعات (الاقضية) ضباط

---

(١) بيل ، المصدر السابق ، ص٢٨١ .

(٢) صلاح عبد الهادي الجبوري ، تاريخ القضاء في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية (ابن رشد) (جامعة بغداد ، ٢٠٠٠) ، ص٨٨ ، ص١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

(٤) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

(٥) حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، ص٧٨ .

(٦)حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ص٥١٧ .

سياسيون بصفة مساعد ضابط سياسي (حكام) Assistant Political Officer وهم مسؤولون أمام الحاكم السياسي ، وفقا لقاعدة التسلسل الهرمي للمسؤولية[1] .

وأوكلت مهمة إدارة النواحي إلى شيوخ العشائر المتنفذين في المناطق ، وكان يتم اختيارهم وفق مواصفات خاصة يقف في مقدمتها الولاء للسلطة المحتلة والعمل على تنفيذ سياستها[2] .

وبعد احتلال البريطانيين لبغداد في آذار ١٩١٧ ، قررت الحكومة البريطانية في شهر تموز ١٩١٧ ، البدء بالتحول من الإدارة العسكرية إلى الإدارة المدنية وبموجب التشكيلات الجديدة ، تم استبدال منصب (رئيس الحكام السياسيين) ، وهو الاسم الذي كان يطلق على السير برسي كوكس ، حيث تقرر تسميته (الحاكم المدني العام) ، إلا أن هذا لا يعني ان إدارة البلاد أصبحت مدنية وغير خاضعة إداريا للحكم العسكري ، بل ان الإدارة المدنية بقيت تحت إشراف القائد العام للقوات البريطانية في العراق[3] .

وفي شهر أيلول ١٩١٨ ، رفعت الفوارق التي كانت موجودة بين بغداد والبصرة فاصبح العراق متكون من منطقة إدارية واحدة ، أضيفت إليها المناطق المحتلة تدريجياً وعلى هذا الأساس أصبحت ولايتا (البصرة وبغداد) تضمان المدن الآتية :

١. ولاية البصرة : تضم كلا من البصرة والزبير وابي الخصيب والقرنة وقلعة صالح والعمارة وعلي الغربي والحي والكوت وبدرة والبغيلة والنعمانية والعزيزية والناصرية وسوق الشيوخ وقلعة سكر والشطرة .
٢. ولاية بغداد : وتضم كلا من بغداد وسامراء والكاظمية والرمادي وبعقوبة والشنافية والديوانية والنجف والكوفة والهندية والمسيب ومندلي ودلّي عباس (المنصورية) وشهربان (المقدادية) ودلتاوة (الخالص)[4] .

وحين أتمت القوات البريطانية احتلالها للولايات العراقية الثلاث أصبحت تنظيماتها خاضعة للإدارة المركزية في بغداد التي يرأسها (الحاكم المدني العام) ، وقد وزعت الدوائر بين خمس سكرتاريات هامة هي :

١. سكرتارية الواردات وقد عين لرئاستها اللوتننت أي . بي هول E . B . Howell .
٢. سكرتارية المالية وقد عين لرئاستها الكولونيل سيليتر H .S. Slater . .

---

(1) بيل ، المصدر السابق ، ص ص ١٩-٢٠ .

(2) حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، ص ٩٠-٩٣ .

(3) شكري محمود نديم ، أحوال العراق في مرحلة المشروطة الثانية ١٩٠٨-١٩١٨ ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٥) ، ص٢٦٧ .

(4) المصدر نفسه .

٣. سكرتارية العدلية . وقد عين لرئاستها بونهام كارتر Sir . E . E . Bonham .

٤. سكرتارية الصحة وقد عين لرئاستها ليوتننت كولونيل باتي W . R . Battye .

٥. سكرتارية الأشغال العامة وقد عين لرئاستها جنرال اتكنسون E . H . Atkinson .

وهناك عدد أخر من الدوائر التي لم تكن مرتبطة بهذه السكرتاريات بل كانت مرتبطة بدائرة (الحاكم المدني العام) . ومن هذه الدوائر نظارة المعارف العمومية والشرطة وغيرها[١].

---

(١) نديم ، احوال العراق ... ، ص ٢٦٧ .

الفصل الأول: التعليم

-المبحث الأول:

أوضاع التعليم غير الرسمي في العراق

١-الكتاتيب

٢-المدارس الدينية

٣-المدارس الأهلية والأجنبية

أ-المدارس التبشيرية

ب- مدارس الطوائف والاقليات

-المبحث الثاني:

-الإصلاحات التعليمية في الدولة العثمانية

-المبحث الثالث:

-أوضاع التعليم الرسمي في العراق ١٨٦٩-١٩١٤

١- المدارس الرشدية:

أ-المدارس الرشدية الملكية(المدنية)

ب- المدارس الرشدية (العسكرية)

٢-المدارس الابتدائية

٣-- المدارس الإعدادية

أ- المدارس الإعدادية الملكية (المدنية)

ب- المدارس الإعدادية (العسكرية)

٤- المدارس السلطانية

٥- مدرسة نواب الضباط الحربيين

٦-المدارس المهنية

٧- دور المعلمين

٨-التعليم العالي

أ-مدرسة الحقوق

ب-كلية الإمام الأعظم

-إدارة المعارف

المبحث الرابع: واقع الخدمات التعليمية في العراق إبان السيطرة العثمانية

المبحث الخامس:

أوضاع التعليم في العراق إبان مدة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ م

تقويم الخدمات التعليمية إبان الاحتلال البريطاني للعراق

الفصل الاول

التعليم

المبحث الأول : أوضاع التعليم غير الرسمي في العراق

لم تعد الدولة العثمانية ، وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، التعليم والخدمات التعليمية من ضمن اختصاصاتها وانما أوكلت هذه المهمة إلى الأفراد والجماعات[1] فاقتصر الاهتمام بهذا النشاط الخدمي على جهود بعض السلاطين والولاة ، والميسورين والوجهاء في إنشاء بعض المدارس والأنفاق عليها وعلى طلبتها ، وقد إنحصر التعليم قبل الإصلاحات التعليمية في القرن التاسع عشر على التدريس في الكتاتيب والمدارس الدينية ، ومدارس الطوائف الدينية ، ومدارس الإرساليات التبشيرية في مختلف الولايات العثمانية .

وبغية إعطاء صورة توضيحية لاوضاع التعليم في العراق قبل تلك الإصلاحات فقد ارتأينا تقديم عرض سريع لكل مؤسسة من هذه المؤسسات التعليمية :-

١. الكتاتيب :-

سمي هذا النوع من المدارس الذي أنتشر في أرجاء الدولة العثمانية بمدارس الصبيان "صبيان مكتبلري" ، التي كانت تقوم في الغالب في محلات ملاصقة للجوامع أو مستقلة عنها في مباني مشيدة لهذا الغرض أوكل إليها مهمة تحفيظ آيات القران الكريم وتعليم القراءة والكتابة وضبط الأخلاق[٢] .

ولم يقتصر التعليم في الكتاتيب على الذكور فحسب ، بل أوكل إلى بعض النسوة (الملايات) مهمة تدريس الفتيات مع شيء من الاختلاف في طريقة التدريس ، إذ كانت الفتيات يتلقين دروساً في الأشغال اليدوية والمنزلية ، فضلاً عن الدروس الدينية[٣] .

كانت الدراسة في الكتاتيب تبدأ في سن السادسة ، ولم تكن محددة بمدة زمنية وإنما اعتمدت على مقدرة الصبي على حفظ القران وسرعة تعلمه القراءة والكتابة ، لذا فان مدة الدراسة

---

(١) د. ابراهيم خليل أحمد ، (تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢) ، مركز دراسات الخليج العربي (البصرة ، ١٩٨٢) ، ص ٢٦.

(٢) فاضل مهدي بيات ، (التعليم في العراق في العهد العثماني دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية)، القسم الاول ، مجلة المورد ، المجلد(٢٢) ، العدد الاول ١٩٩٤ ، ص ص ٣٣-٣٤.

(٣) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق في مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الادارة المحلية، (بغداد، ١٩٧٠) ، ٣٣.

قد تكون سنة واحدة وربما تمتد إلى ٣ سنوات[١] . واذا ما أظهر الطالب تفوقا ونباهة فقد يلتحق باحدى المدارس ليكمل تعليمه لكن أعداد هؤلاء كانت قليلة[٢].

ولاتوجد لدينا احصائيات دقيقة عن أعداد الكتاتيب ، الا ان هناك مصدراً قدر أعدادها في ثمانينات القرن التاسع عشر نحو (٣٠٠)كتّاب ، يتلقى نحو ٦ الاف من الصبيان دروسهم فيها ، وهي موزعة كالتالي :-

(١٣٧) كتّاباً في ولاية بغداد[*] ، (١٠٧) كتّاباً في ولاية الموصل ، في حين كانت حصة ولاية البصرة (٦٧) كتّاباً[٣].

٢. المدارس الدينية[**] :-

تعد المدارس الدينية أحد روافد التعليم المهمة التي سبقت تأسيس المدارس الحديثة[٤] .وامتداداً طبيعياً للمدارس الدينية المعروفة كالمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية ، والمدرسة المرجانية[٥] . وقد تنافس السلاطين والولاة وأبناء الاسر الثرية على أنشاء مثل هذه المدارس بدوافع مختلفة ، من بينها الدافع الديني[٦] .

حيث كان لهذه المدارس الدينية أوقاف خاصة خصصت إيراداتها للانفاق عليها وعلى طلبتها واحتياجاتهم.

---

(١) خليل علي مراد ، (أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى)، ندوة التعليم في الموصل، التي نظمها مركز دراسات الموصل بتاريخ ١٩٩٨/١١/١١ ، ص ١ .

(٢) ابراهيم خليل احمد (حركة التربية والتعليم والنشر) ، مجموعة باحثين ، حضارة العراق ، ج ١١ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٢٩٢.

(*) ذكرت سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٨٩٤ أن عدد الكتاتيب في مركز ولاية بغداد كان (٣٤) كتّابا انظر: س. و. ب. سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤ م ، ص ١١٣ ؛ وارتفع العدد إلى (٤٠) كتّاباً سنة ١٩٠١ انظر: Chiha , op. cit ., p103

(٣) عبد العزيز سليمان نوار ، عوامل فعالة في الاتجاهات الفكرية والسياسية في العراق الحديث ، دراسة في التعليم وأثره في تكوين الزعامة ١٨٧٢-١٩٠٩ (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ص ١٨-١٩.

(**) أطلق العثمانيون تسمية "مدرسة" على المدارس الدينية تمييزا لها عن المدارس الرسمية الحديثة التي اطلق عليها العثمانيون تسمية "مكتب" ، العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٤) جبرائيل حنوش أصفر ، مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، مخطوط في د.م.ب تحت الرقم ١١٠٤ ، ص ص ١٧٢-١٧٣.

(٥) ياسين ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٦) زبير بلال اسماعيل ، علماء ومدارس اربيل ، مطبعة الزهراء الحديثة ، (الموصل ، ١٩٨٤) ، ص ١٠

أما عن طبيعة الدراسة في هذه المدارس فقد غلب عليها الطابع الديني ، إذ ركزت غالبية مناهجها على تدريس القران الكريم ، وعلوم الحديث والفقه واللغة العربية والشعر العربي إلى جانب الفلسفة وعلم المنطق والفلك[١] .

ويشترط على المتقدم للدراسة في هذه الدراسة ، أن ينهي تعليمه في الكتاب ، ولم يكن لهذه المدارس مدراء ولا أساتذة دائمون ، كما أنها لم تستوف أية اجور دراسية من الطلاب ، فضلاً عن انه لايوجد فيها سقف زمني للتخرج[٢].

وبعد اتقان الطالب لجميع العلوم النقلية والعقلية يحصل على (الاجازة) من اساتذته وشيوخه ، وغالبا ما تمنح في احتفال يحضره الطلاب وجمهور من الناس[٣] .

انتشرت هذه المدارس في عموم الولايات العراقية ، وان اختلفت في القوة والضعف ، فكانت أشهرها في بغداد ، والموصل ، والنجف ، إذ قدمت لنا السالنامات إحصائيات قيمة عن اعدادها ووفقا لهذه المصادر ، فقد كان عدد من المدارس الدينية في مدينة بغداد أوائل القرن العشرين (٢٦) مدرسة ، ارتفعت اعدادها إلى (٣٢) مدرسة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م فيما بلغ مجموع مدارس الموصل لسنة ١٣١٧ هـ/١٨٩٩م(٣١) مدرسة[٤] وكان في ولاية البصرة عدد محدود من المدارس ، لم يتجاوز عددها(٣) وهي : الرحمانية والسليمانية والرؤوفية[٥] فيما كان كان لقصبة الزبير حظ أوفر من تلك المدارس ، حيث بلغ مجموعها (٧) مدارس[٦].

ونتيجة لافتتاح المدارس الحديثة ، قل اقبال الطلبة على الدراسة في هذه المدارس[٧] ومع هذا ظلت هذه المدارس تمارس دورها التعليمي جنباً إلى جنب مع باقي مؤسسات التعليم الحديث ، وقد أشار أحد المصادر الحديثة إلى ان عددها وصل إلى (١٤٩) مدرسة في اواخر العهد العثماني[٨] .

---

(١) يوسف عز الدين ، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، دار المعارف، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ص ٣٢-٣٣.

(٢) أحمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ص ٢٧-٢٨.

(٣) سالم الحمداني ، (التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر) ، مجلة اداب الرافدين ، العدد (١٠) اذار ١٩٧٩ ، ، ص ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول تلك المدارس انظر: جميل موسى النجار ، التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩-١٩١٨ ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، (بغداد ، ٢٠٠٢) ، ص ص ٨٤-٨٥.

(٥) العامر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢.

(٦) ب. و. س. سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩ م ، ١٦٤.

(٧) يوسف عز الدين ، الشعر العراقي وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ، (القاهرة ، ١٩٥٦) ، ص ٣.

(٨) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٢٩.

٣. المدارس الاهلية والأجنبية :-

إلى جانب الكتاتيب والمدارس الدينية ، كانت هناك مدارس خاصة يرتادها أبناء الطوائف الدينية الاخرى ، وتقسم إلى نوعين الاولى مدارس الارساليات التبشيرية وهي المدارس التي اسستها الارساليات التبشيرية ، أما ألاخرى فهي تلك المدارس التي إضطلع بتأسيسها رعايا الدولة العثمانية ومن أبناء الطوائف المسيحية واليهودية ، وبغية القاء الضوء على الدور الذي إضطلعت به هذه المدارس سنكتفي بذكر أهم تلك المدارس .

أ. المدارس التبشيرية :-

أخذت الدول الاوربية خلال عهد التنظيمات العثمانية تحث الخطى في ايجاد أساليب توسيع نفوذها في الولايات العثمانية ومنها ارسال الارساليات التبشيرية وتأسيس المدارس ، وقد برزت فرنسا في مقدمة الدول الاوربية في ميدان الحركة التبشيرية ، حيث أوفدت إلى العراق وأقطار عربية العديد من تلك الارساليات[١].

إتخذت هذه الارساليات عدة وسائل لتحقيق أهدافها ، كان التعليم أحد أهم تلك الوسائل وأخطرها . وقد اسست ارسالية الاباء الكرمليين التبشيرية مدرسة الاباء الكرمليين في بغداد سنة١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤م التي كانت تدرس العلوم المختلفة فضلاً عن اللغات الفرنسية والعربية والتركية[٢] . وعلاوة على ذلك قأم الاباء الكرمليون بانشاء عدة مدارس ابتدائية لتعليم البنات ، ، وكان بعضها مختلطاً[٣]. في حين افتتحت هذه الارسالية مدرستين في ولاية البصرة الاولى للبنين[*]

والثانية للبنات جرى إفتتاحها سنة١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦[٤].

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول نشاطات الارساليات انظر : سلامة حسين موسى ، التبشير في العراق ، وسائله وأهدافه ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٩٤ وما بعدها.

(٢) جريدة الرقيب ، العدد ١٧٣ ، ٩ شوال ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م ولمزيد من التفاصيل حول ظروف تأسيس هذه هذه المدارس و موادها الدراسية ، عدد طلابها ، انظر : النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ص ٢٦٨-٢٧١.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول المدارس التي فتحتها هذه الارسالية انظر:
chiha, op.cit., p104;vital cuinet, La Turquie d, Asia,Tome troisieme,(Paris, 1894) p.19

(*) لم تجمع المصادر على تحديد تاريخ محدد لافتتاح هذه المدرسة ويرجح ان إفتتاحها كان قبل سنة١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م.

(٤) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ ، وان كان المصدر اكد وجود مدرسة اخرى للبنات كان قبل سنة ١٩٠٨.

اما إرسالية الاباء الدومينكان التبشيرية فقد بدأت نشاطها بانشاء اول مدرسة للاباء الدومينكان الايطاليين في الموصل سنة١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م ، ثم قامت بتسليمها إلى الاباء الدومينكان الفرنسية سنة١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦ م بعد ان اصبحت الارسالية بيدهم(١) كما افتتحت الراهبات الفرنسيات مدرسة اخوات المحبة سنة١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣م . حيث أخذت هذه المدرسة بنصيب وافر من تعليم الطالبات المسلمات والمسيحيات على حد سواء فضلاً عن تدريبهم على الاشغال البيتية كالخياطة والنقش والتطريز(٢) كما قامت الارسالية نفسها بافتتاح روضة للاطفال الذين هم دون سن الخامسة(٣) اعقبها افتتاح مدارس اخرى في مركز ولاية الموصل(٤) ثم امتد نشاط الاباء الدومينكان إلى الاقضية والنواحي التابعة للولاية ، إذ قدر احد المصادر مجموع المدارس التي يديرها الاباء الدومينكان سنة١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م بـ (٢٠) مدرسة في الموصل وجزيرة بن عمر وأطرافها(٥).كانت هذه المؤسسات التعليمية تتلقى المساعدات المالية من الحكومة الفرنسية(٦)

فضلاً عن خضوعها للتفتيش المستمر من قبل القناصل الفرنسيين(٧) .

إلى جانب الارساليات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية نشطت في العراق ارساليات تبشيرية بروتستانتية بريطانية وأمريكية . ففي ولاية الموصل جرى افتتاح مدرستين احداهما

---

(١) للتفاصيل حول انتقال الارسالية من الايطاليين إلى الفرنسيين انظر :
V.p. Duval , Lamission Des Dominicanins a Mossoul (Coponis, 1898) , p. 9.

(٢) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٢ ؛ ذنون يونس الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في ولاية الموصل ، اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب جامعة الموصل ، ١٩٩٠) ، ص ١٥٦.

(3)Geary , op. cit , Vol., 2 p. 84.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول المدارس التي تولى الاباء الرومنيكان افتتاحها في ولاية الموصل انظر : حيدر عبد عيسى الرويمي ، الاباء الرومنيكان في الموصل دراسة في نشاطهم الطبية والثقافية والاجتماعية . ١٧٥٠-١٩٧٤ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل، ٢٠٠١)، ص ص ١٢٢-١٢٣ .

(5)John s. Guest , The yezidis (London , 1987) p. 174 . .

(٦) حسن ، المصدر السابق ، ص٣٩٦ .

(٧) فوصيل ، المصدر السابق، ص١٤٦ .

للذكور وهي (متوسطة)[١] والثانية ابتدائية سنة ١٢٦٨ هـ/ ١٨٥١ م [٢]. في حين تأخر افتتاح هذه المدارس في ولاية بغداد حتى سنة ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م حيث جرى في هذه السنة افتتاح مدرستين احداهما للذكور وهي متوسطة[٣] ، تلاها افتتاح مدرسة (ابتدائية) للبنات[٤] .

أما بالنسبة للمناهج الدراسية لهذه المدارس فاشتملت على تدريس بعض المواد كاللغة الانكليزية ، والعربية ، والتركية ، والموسيقى ، وبقدر تعلق الأمر بمدارس الاناث تلقت الطالبات دروساً عملية في الخياطة والتطريز ايضاً [٥] .

وقدر تعلق الأمر بالارسالية العربية The Arabian Misson[*] التي بادر أحد اعضائها ويدعى بارني Barny سنة١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥ م بافتتاح مدرسة صغيرة في مسكنه في البصرة ، إلا أن السلطات العثمانية سرعان ما اغلقتها بحجة عدم حصولها على الموافقات الرسمية [٧] . إلا انها عادت وسمحت لاحد اعضاء الارسالية ويدعى مورددايك (Moerdayk) بافتتاح مدرسة اخرى سنة١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م . وقد واجهت الهيئة المؤسسة للمدرسة صعوبات عديدة منها صعوبة الحصول على البناء المدرسي ، والمناهج الدراسية المناسبة[٧] .

---

(١) س.ن.م.ع سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩، ص ١٤١٦ .

(٢) للتفاصيل حول طلبة هذه المدرسة انظر: المصدر نفسه ، سنة ١٣١٨هـ ، ص١٥٨٩ .

(٣) نوار، عوامل فعالة ... ، ص ١٢٤؛ حارث يوسف غنيمة ، البروتستانت والانجيليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، (بغداد ، ١٩٩٨) ، ص٨٠ .

(٤) بدأ التناقص التدريجي لطلاب المدرسة الابتدائية حتى اختفى ذكرها من السالنامات الصادرة سنة ١٩٠٦، انظر بدر مصطفى عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ١٨٦٩، ١٢٨٦-١٩٠٩ ، ١٣٢٧هـ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل، ١٩٩٧) ، ص١٣٠ .

(٥) س.و.ب سة ١٣١٦هـ/١٨٩٨ ، ص ١٧٠ .

(*) وهي ارسالية تبشيرية امريكية بروتستانية اسسها سنة١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩م ، د. لانسنك Lansing ، استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت التابع للكنيسة الاصلاحية الهولندية في الولايات المتحدة الامريكية ، وثلاثة من تلاميذه وكانت فاتحة نشاطهم اقامة عدد من المقرات التبشيرية اولها في البصرة سنة١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١م ، ومقرين فرعيين واحد في العمارة سنة ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م ، والاخر في الناصرية والزبير سنة١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م، عبد المالك خلف التميمي ، التبشير في الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، مؤسسة الكميل،(الكويت، ١٩٨٨)،ص٤٨ ؛ Mason A. D nd Barny

, F . J The History of the Arabion Misson (New york, 1926), P.126.

(٧) I bid. p. 151.

(٧) غنيمة ، المصدر السابق ، ص٨١١ .

خطت الجهود التعليمية لهذه الارسالية خطوة بارزة عندما تمكن أحد اعضائها ويدعى جون فإن ايس John van Ess(*) من الحصول على موافقة الحكومة العثمانية بافتتاح مدرسة للبنين في البصرة سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ م (١) . وامام النجاح الذي حققته هذه المدرسة جرى افتتاح مدرسة ثانية لكنها للبنات اسندت ادارتها إلى دورثي –زوجة فإن ايس–(٢) .

إلى جانب هذه المدارس كانت مدارس اجنبية منها المدرسة الالمانية التي تم افتتاحها في بغداد في بغداد سنة١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م (٣) . والتي إستمرت التدريسات فيها حتى اعلان الحرب العالمية الأولى ، حيث أغلقت المدرسة وانتقل طلابها إلى مدارس اخرى في بغداد أو للدراسة خارج العراق(٤) .

وكانت أوضاع المدارس التبشيرية أفضل من اوضاع المدارس الحكومية ففي الوقت الذي كانت الاخيرة تعاني من النقص والاهمال ، كانت المدارس التبشيرية تتمتع بدعم الحكومات الغربية(٥) فيما اسهمت نشاطاتها التعليمية بشكل أو بآخر في قيام حركة فكرية ، ففي الوقت الذي الذي عملت فيه على ادخال اللغة العربية في تدريساتها ، ادخلت ولاول مرة تدريس اللغات الاوربية ولاسيما الانكليزية والفرنسية فضلاً عن العلوم الحديثة كالاداب والصحة(٦) .فكن ذلك أحد أحد الاسباب الرئيسية في زيادة إقبال العراقيين على الدراسة في هذه المدارس . وفي محاولة من الدولة العثمانية للحد من هذه الظاهرة ، اصدرت نظارة (وزارة الداخلية) سنة ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٦ م قرارها القاضي بمنع التحاق الطلبة المسلمين بهذه المدارس ، ويبدو أن هذا القرار دخل حيز

(*) جون فإن ايس: أحد اعضاء الارسالية العربية التبشيرية حاصل على شهادة الدكتوراه في اللاهوت من الكلية المركزية في ايوا ، عين قنصلاً مؤقتاً للولايات المتحدة في البصرة سنة ١٩١٤.

H. J Borgman , The Reformed Church in Americas Mission in Iraq , 1890 to 1950 (with special Emphasis on the work of John van Ess) , Univesity of puget sound , 1963 pp . 26 , 49 .

(١) في حين أرخ مصدر اخر تاريخ افتتاح المدرسة بسنة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م . للتفاصيل أنظر:

Barny , op . cit . , p. 151 . وكان من بين طلابها خمسة من أولاد الشيخ خزعل شيخ المحمرة أنظر Bergman , op . cit . , p. 38 .

(٣) المصدر نفسه.

(٣) غنيمة ، المصدر السابق ص١٢١ .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر حسان على البازركان ، (المدرسة الالمانية في بغداد) ، مجلة بغداد ، العدد٣٠ ، ، مايس ١٩٦٧، ص ص١٦-١٧ .

(٥) عبد الرزاق احمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق اطروحة دكتوراه،(جامعة بغداد، ١٩٩٠)، ص٧٤ .

(٦) المصدر نفسه ؛ عبدالرزاق الهلالي ، معجم العراق ، ج١،(بغداد، ١٩٥٣)، ص٢٢٩ .

التنفيذ ، إذ لم تشر المصادر الرسمية العثمانية (السالنامات) إلى وجود طلاب مسلمين في هذه المدارس[١].

ب. مدارس الطوائف والاقليات الدينية :

وهي المدارس التي تولت الطوائف الدينية مسؤولية إدارتها والانفاق عليها إذ انتهجت الدولة العثمانية سياسة قائمة على إعتبار كل طائفة من الطوائف الدينية (ملة) قائمة بذاتها فمنحتها امتيازات خاصة من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة بها شرط حصولها على رخصة رسمية بذلك[٢] .

وبقدر تعلق الأمر بمدارس الطوائف المسيحية ، فإنها توزعت على ولايات العراق الثلاث ، وان تفاوتت اعدادها من ولاية إلى اخرى تبعاً لعدد نفوس ابناء الطوائف الدينية في كل ولاية . إذ كان لولاية الموصل النصيب الاكبر من هذه المدارس .اعقبتها ولاية بغداد ، أما ولاية البصرة فتأخر فيها افتتاح مثل هذه المدارس حتى اوائل القرن العشرين[٣] .

تعد مدرسة الارمن للذكور في بغداد من أقدم هذه المدارس ، إذ يرقى تاريخ تأسيسها إلى سنة ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣م . وفي السنة نفسها تم افتتاح مدرسة الارمن الارثذوكس (للبنات) [٤] . تلاها افتتاح مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٨ م حيث إفتتحتها الطوائف الكاثوليكية الثلاث ، إلا أن الدراسة في هذه المدرسة واجهت صعوبات عديدة ادت إلى اغلاقها سنة١٣١١ هـ/ ١٨٩٣ ، حيث بادرت كل طائفة من الطوائف المسيحية الثلاث بافتتاح مدرسة خاصة بها[٥] .

كما قامت الطوائف المسيحية الثلاث في ولاية الموصل ، بانشاء عدد من المدارس الخاصة بها ، إذ تعد مدرسة الكلدان التي تم افتتاحها سنة١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ م من اوائل هذه المدارس اعقبها افتتاح مدرسة للسريان وثالثة لليعاقبة ، ثم توالى افتتاح مثل هذه المدارس حتى

---

(١)النجار ، التعليم في العراق ، ص٢٦٣ .

(٢) العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

(٣) قدرت احدى الاحصائيات عدد مسيحي العراق سنة١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م بحدود (٣٩.٨٥٠) وبواقع :-

٣٠.٠٠٠ نسمة في ولاية الموصل .

٧.٠٠٠ نسمة في ولاية بغداد .

٢.٨٥٠ نسمة في ولاية البصرة انظر : Guinet, op. cit., pp. 90-92, p 226.

(٤) انظر النجار ، التعليم في العراق ...، ص ص٢٣٨-٢٤٤ .

(٥) النصيري، المصدر السابق، ص٧٧ .

وصلت اعدادها سنة ١٣٢١ هـ/١٩٠٣ م إلى عشر مدارس خاصة بطائفة السريان فيما قامت طائفة الكلدان بافتتاح (٢٠) مدرسة في الولاية ، أما طائفة اليعاقبة فلم يتجاوز مجموع المدارس التي قامت بافتتاحها الثلاث مدارس[١] .في حين تأخر افتتاح مثل هذه المدارس في ولاية البصرة ، حتى بدايات القرن العشرين ، حيث جرى افتتاح مدرسة راهبات التقدمة سنة ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م ، ومدرسة الاناث اللاتين ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م ومدرسة الارمن سنة١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م[٢] .

أما الطائفة اليهودية فقد اولى الاتحاد الاسرائيلي العالمي (الاليانس) " Alliance Israclite Universelle"[*] اهمية كبيرة للتعليم ، وقام بتأسيس عدد من المدارس الحديثة في ولاية بغداد[٣] ، منها مدرسة الاليانس بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والاعدادية ومدرسة لورا خضوري الابتدائية، ومدرسة رفقة نورائيل للبنين سنة ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م ومدرسة مدراش منداني سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م ، ومدرسة راحيل شمعون الابتدائية ومدرسة التعاون سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩م ، ومدرسة ازيل لليهود (روضة اطفال) التي يرقى تاريخ افتتاحها إلى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، ومدرسة الوطن المسائية ومدرسة هارون صالح[٤] .

ولم يقتصر افتتاح هذه المدارس على مركز ولاية بغداد بل شمل الاقضية التابعة لها إذ جرى افتتاح مدرستين يهوديتين في الحلة[٥]

ومدرسة ثالثة في خانقين[٦] فيما ضمت ولاية الموصل عدداً من المدارس التقليدية اليهودية يرقى تاريخ افتتاحها إلى بداية القرن التاسع عشر حيث جرى توزيعها على الشكل الاتي :

مدرستان في لواء الموصل (المركز) ، ومدرسة واحدة في كل من اقضية دهوك وكركوك والسليمانية واربيل وزاخو[١] . ثم تولت جمعية الاليانس افتتاح مدرستين حديثتين الأولى

---

(١) للتفاصيل حول هذه المدارس انظر النجار ، التعليم في العراق ...،ص ص٢٤٥-٢٥٢ .

(٢) العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(*) الاتحاد الاسرائيلي العالمي (الاليانس) : تاسس في باريس سنة ١٨٦٠ ، كان له الدور الرئيسي في تعزيز النفوذ الصهيوني من خلال عدة وسائل كان التعليم أحد تلك الوسائل ، إذ هدف من خلال اقامة المدارس إلى ايجاد مرتكز اجتماعي وثقافي للحركة الصهيونية للتفاصيل انظر : فاضل البراك ، المدارس اليهودية والايرانية في العراق" دراسة مقارنة " ، الدار العربية ، (بغداد، ١٩٨٥) ، ص٢٦ .

(٣) اطلق على المدارس اليهودية التقليدية التي كانت موجودة في العراق قبل ستينات القرن التاسع عشر بمدارس المدراش والتي وصلت اعدادها إلى ٥٠ مدرسة سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠ م انظر: Cuinet , op. cit ., p. 98

(٤) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدارس انظر : س.و.ب، سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ٣٢٨-٣٢٩ ؛ عباس، المصدر السابق ،ص ص١٣٧- ١٤٢ .

(٥) النجار، التعليم في العراق ... ، ص٣٧٦ .

(٦) مجلة لغة العرب ، المجلد (١٩) ، الجزء(٧) ، كانون الثاني ١٩١٢ ، ص٢٧٩ .

في الموصل جرى افتتاحها سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م [٢]. والاخرى في كركوك سنة١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م [٣] .

أما في ولاية البصرة فوجدت فيها بعض المدارس اليهودية الاولية التي توزعت على الشكل الاتي:

مدرستان في مركز الولاية احداهما مختلطة والاخرى ابتدائية ، ومدرستان في العمارة ومدرسة واحدة في اقضية الناصرية ، الشطرة ، الحي[٤] ، فيما قامت جمعية الاليانس بافتتاح مدرسة حديثة في البصرة[٥] . وانتهجت المدارس اليهودية النمط الغربي في تدريساتها مع عناية واضحة بالرياضيات والطبيعيات والعلوم الانسانية فضلاً عن تدريس عدد من اللغات منها العبرية ، العربية ، التركية ، الفرنسية ، الانكليزية[٦] .

ونظراً للنظام والدقة والعناية بتوفير المدرسين والكتب المطبوعة التي اتسمت بها المدارس اليهودية ، فقد التحق للدراسة في هذه المدارس اعداد من الطلبة المسلمين والمسيحيين[٧] .

المبحث الثاني : الاصلاحات التعليمية في الدولة العثمانية

استمرت الاوضاع التعليمية في الدول العثمانية على ما هي عليه أعتلاء السلطان سليم الثالث العرش (١٧٨٩-١٨٠٧ م) وهو اول سلطان مصلح بالمعنى الحديث للكلمة ، اذ شغل الجانب العسكري حيزاً كبيراً من اهتمامه وكان من احد جوانب هذا الاهتمام تأسيسه لعدد من المدارس العسكرية فضلاً عن عدد من المعاهد الفنية التي عدت الاولى من نوعها في البلاد، أذ استعانت الدولة للقيام بهذا العمل بعدد من المستشارين الاوربيين([٨]) .

ثم تعزز الاهتمام بالتعليم في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) الذي ابتدأ عهده بتطوير المدارس العسكرية التي أسسها سليم الثالث ، كما أبدى اهتماما واسعا بموضوع

---

(١) النجار ، التعليم في العراق ...، ص ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) البراك ، المصدر السابق، ص٣١ .

(٣) النجار ، التعليم في العراق ...، ص ص٣٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ٣٠٢-٣٠٤ .

(٥) باسم حمزة عباس ، تاريخ التربية والتعليم في البصرة ١٩٢١-١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٩٢)، ص١٤ .

(6) P. R. O., F .O . 371 , 348 (9199) , Jewish school at Baghdad , No 981 . 1906 . p. 82 ; Geary , op . cit . , vol. 1., P . 132 .

(٧) نوار ، عوامل فعالة ...، ص١٣٧ .

(٨) عبد الوهاب القيسي ، (حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧) ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد، العدد (٣٤) ، كانون الثاني ، ١٩٦١ ، ص١١٢ .

التعليم المدني (الابتدائي والثانوي) ، وأسست في عهده مدرستان احداهما للحقوق والاخرى للطب ، إوكل ادراتهما الى مدرسين فرنسيين[١] .

دخلت حركة الاصلاح مرحلة مهمة عندما بدأت الدول العثمانية بادخال الاصلاحات الى مؤسساتها المختلفة بما في ذلك مؤسساتها التعليمية وذلك إبان مرحلةالاصلاحات التي اطلقت عليها المصادر التاريخية فترة التنظيمات (١٨٣٩-١٨٧٩م) ففي عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) صدر مرسومان اصلاحيات هما (خط شريف كلخانة) في١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م ، وخط حمايون في١٢٧٣ هـ /١٨٥٦م واللذان أكدا من ضمن مما اكد ضرورة قيام الدولة بتحمل اعباء التعليم وجعل هذا الامر واجباً عليها ، وكخطوة ايجابية نحو تقدم الدولة وعلى مختلف الاصعدة[٢] .

وبغية وضع هذه المبادئ موضع التطبيق فقد تم تشكيل لجنة خاصة سنة١٢٦٣ هـ/ ١٨٤٦ م ، أوكل اليها تقديم التوصيات للنهوض بالواقع التعليمي[٣] . وبناء على التوصيات التي التي قدمتها اللجنة في العام نفسه صدر قانون اصلاح النظام التعليمي الذي شكل بموجبه ديوان المعارف العمومية[٤] حيث اسندت اليه مهمة الاشراف على شؤون التعليم ، ثم تحول فيما بعد الى نظارة (وزارة) المعارف التي أوكل اليها مجموعة من الواجبات لعل ابرزها تحديد الضوابط والاصول القانونية للشروع بتأسيس المدارس الابتدائية ، والرشدية (المتوسطة) والاعدادية والكليات[٥] .

وفي سنة١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١م ، تم تشكيل لجان متخصصة في نظارة (وزارة) المعارف اخذت على عاتقها تطوير التعليم الرسمي والبدء بتعليم البنات ، كما صدرت سلسلة من الاجراءات المؤدية الى نشر التعليم ، الا ان المشاكل السياسية والعسكرية والمالية التي واجهت الدولة آنذاك لم تسمح لها الا بانشاء عدد قليل من المدارس . فقد ذكرت احصائية تعود الى منتصف القرن التاسع عشر ان عدد المدارس الرشدية في عموم الدولة العثمانية كان (٦ مدارس رشدية) بلغ مجموع طلابها (٨٧٠) طالبا[٦] .

---

(١) احمد ، تطور التعليم ، ص ص٢٩-٣٤ ؛ Lewis, op. Cit. P. 389.

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧ الطبعة الاولى، شركة الطبع والنشر الاهلية (بغداد، ١٩٥٩) ، ص١٢٢ ، ص١٢٤ .

(٣) حول عضوية اللجنة واهم توصياتها انظر ، Lewis, op. Ci., P. 96.

(4) Stanford Shaw and Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modren Turkey (Cambridge: 1976), Vol. II, PP. 106-111.

(5) Lewis, op. cit., P. 112.

(6) Ibid. P. 111-112.

وفي سنة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩ م خطا نظام التعليم في الدولة العثمانية خطوة يمكن عدها نقلة نوعية في ميدان الخدمات التعليمية من خلال صدور (نظام المعارف العمومية) "معارف عمومية نظامنامه سي" الذي عد اول تشريع متكامل يوضع للتعليم المدني الحديث في الدولة العثمانية اذ صيغ هذا النظام في "١٩٨" مادة تناول فيها مختلف نواحي التعليم ومؤسساته[١] . وبموجب هذا القانون تم تشكيل مجلس عال للمعارف في العاصمةاستانبول ، ومجالس معارف في الولايات ، أوكل اليها مهمة ادارة التعليم في الولاية ، منها تنفيذ التعليمات والاوامر التي تصدرها نظارة المعارف ، ورفع التقارير السنوية ، التي يتم بموجبها تحديد عملية التعليم داخل كل ولاية واتباع افضل السبل لادارة عائدات المدارس وتحديد أوجه صرف تلك العائدات[٢] .

كما اعطى القانون حيزا كبيرا من الاهتمام لموضوع تأسيس المدارس في الولايات حيث نص على تقسيم التعليم الى ثلاث مراحل ابتدائية ورشدية (متوسطة)واعدادية فضلاً عن المدارس السلطانية ومدارس الصنائع ودور المعلمين وبعض المدارس العالية[٣] . في حين صاغ القانون في مواد اخرى الشروط والضوابط اللازمة لتأسيس هذه المدارس[٤] .

وفي الوقت نفسه نظم القانون كل ما يتصل بالادارة المالية لهذه المدارس فعلى سبيل المثال نصت المادة (١١) من القانون المذكور على جعل الدراسة الابتدائية والمتوسطة مجانية ، اما عن مصاريف هذه المدارس فكان يجري استيفاؤها من الاهالي والمجلس المحلي وصندوق المعارف ، في حين حصر القانون مسؤولية الصرف على المدارس الاعدادية بمجالس معارف الولايات ، كما الزم القانون طلاب المدارس دفع اجور يسيرة[٥] ، وفي الوقت نفسه حدد القانون المناهج الدراسية لكل مرحلة[٦] ، فيما أجاز وفي مواد اخرى منه استخدام العقوبات التأديبية تجاه تجاه المخالفين من الطلبة التي تراوحت بين التأنيب والتوبيخ والحرمان من الدرس والطرد بقرار

(١) النجار ، الادارة العثمانية ... ، ص٣٨٠ .

(٢) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص١٧٥-١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ص١٥٦-١٧٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٢ .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول المناهج الدراسية لجميع هذه المراحل الدراسية انظر المصدر نفسه ص ص ١٥٨-١٦٢ .

(٦) حنان عيسى الجبوري، مشكلات ادارة المدرسة الثانوية في العراق، مطبعة الارشاد، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ص ٦٧-٦٨ .

من مجلس المعارف وحسبما يقتضي الحال[١] . ولم يغفل قانون المعارف المدارس الخاصة (الاهلية والاجنبية) حيث افرد لها جانبا من اهتمامه[٢] .

وفي سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م صدر نظام ادارة الولايات العمومية حيث تناول الفصل السادس منه تأكيد –وظائف مديري المعارف – اذ أوكل اليهم رئاسة مجالس المعارف في ولاياتهم، فضلا عن الاشراف المباشر على اعمال أدارات المعارف في تلك الولايات[٣] .

وبعد خمس سنوات اصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩ م) الدستور العثماني في سنة ١٢٩٣ هـ /١٨٧٦ ، وقدر تعلق الامر بالتعليم افرد الدستور بعضا من موده لهذا المرفق الحيوي ومنها المادة (١٦) التي اكدت وضع جميع المكاتب تحت نظارة الدولة اما بالنسبة للتعليم في الولايات العثمانية فقد أوكل هذا الامر الى المجالس العمومية وفقا للمادة (١١٠) من الدستور ، في حين نصت المادة (١١٤) منه على جعل التعليم الزاميا في الدولة العثمانية[٤] .

وفي سنة١٢٩٧ هـ/ ١٨٧٩ م اعلن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩) عن برنامجه الاصلاحي في مجال التعليم مؤكدا انه "اذا كانت ثمة نواقص أو ثغرات في تنظيم التعليم العام، فلا بد من وضع حد لها"[٥] .

من هذا المنطلق شهد الجانب التعليمي اهتماماً واسع النطاق من لدن السلطان عبد الحميد ، ولاسيما التعليم الديني الذي جاء متزامناً مع تبني السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الاسلامية[*] اذ تميز عهده بالتوسع في بناء المدارس الدينية ، ورصد الاموال الطائلة لانشائها،

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٧٥–١٧٧ .

(٣) للتفاصيل حول نصوص هذه المواد انظر الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ، ص ١٤٦ ؛ نديم ، أحوال العراق ، ص ص ١١٣–١١٤ .

(٤) الدستور، المصدر السابق، م٢ ، ص ١٧٤.

(5) Shaw, op. cit., vol. II, p. 249.

(*) الجامعة الاسلامية : فكرة سياسية دينية انتهجها السلطان عبد الحميد ، اذ ذكرت احدى المصادر ان المفكر جمال الدين الافغاني هو صاحب هذه الفكرة ، حيث روج لها بين عامي ١٨٧١–١٨٧٩ وترمي افكار هذه الجامعة إلى احياء الاسلام بشموليته بالاعتماد على الماضي الاسلامي ، من خلال نشر الافكار والتعاليم الاسلامية لرفع مستوى المجتمعات الاسلامية إلى المجتمعات المتقدمة . وقد هدف السلطان عبد الحميد من تبنيه لفكرة الجامعة الاسلامية إلى استعادة الخلافة لمكانتها السابقة ، حيث لاقت هذه الافكار رواجا داخل المشرق العربي بل وحتى خارج ارجاء الدولة العثمانية . للتفاصيل انظر الجميل ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤٤–٤٤٦ . ولمزيد من التفاصيل حول جهود السلطان عبد الثاني فيما يخص الجامعة الاسلامية

وقد بالغت احد المصادر في اشارتها إلى انجازات السلطان بقولها "انه لم يدع قرية بحاجة إلى مدرسة دينية إلا امر بانشائها ، ولم يتلق نداءا من عالم أو شيخ بانشاء مدرسة دينية إلا ولبى طلبه"(١) .

اما بالنسبة للتعليم الحديث فقد ازدادت اعداد المدارس الابتدائية والرشدية ابان هذه المرحلة علاوة على اهتمامه بالتعليم العالي من خلال المؤسسات التعليمية التي جرى افتتاحها ابان هذه المرحلة والمتمثلة بكليات الطب والاداب والعلوم ومدرسة الحقوق ، فضلا عن كليات التجارة والزراعة والبيطرة وغيرها من المؤسسات التعليمية(٢) .

كما حظيت اللغة العربية في عهده بمكانة ضاهت اللغة التركية ، وتذكر بعض المصادر انه كان ينوي جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدولة العثمانية إلا انه تردد في التنفيذ(٣) .

وفي محاولة من السلطان عبد الحميد الثاني لتقريب العشائر والتقليل من انتفاضاتها ضد الحكومة ، جرى افتتاح مدرسة خاصة لاولاد شيوخ العشائر العربية وغير العربية سميت بـ (عشيرة مكتبي) سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م حيث استمرت الدراسة فيها حتى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م(٤) .

كما حاول السلطان عبد الحميد الحد من نشاطات المدارس الاجنبية ومدارس الطوائف عندما اصدرت نظارة الداخلية تعليماتها سنة١٣١١ هـ/ ١٨٩٣ م القاضية بعدم السماح لهذه المدارس بممارسة نشاطاتها التعليمية ما لم تحصل على(الارادة السنية من الجانب السلطاني) كما خضعت هذه المدارس إلى التفتيش المستمر من لجان تفتيش تتولى وزارة المعارف تشكيلها(٥) .

وقد تعلق الامر بالولايات العراقية اوفد الباب العالي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م لجنة اصلاحية اسندت رئاستها إلى ناظم باشا (والي قسطموني) لدراسة الاحوال الادارية والاقتصادية والثقافية لهذه الولايات من خلال جولاتها في المدن العراقية ، وفيما يتعلق بالتعليم اوصت هذه

محمد عبد الرحمن يونس العبيدي ، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الاسلامية (١٨٧٦-١٩٠٩) ، رسالة ماجستير ،كلية التربية (جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) .

(١) انيس ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(٢) للتفاصيل انظر عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص ص ٣٧-٣٨ .

(٣) حسن ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ، فيما ارخ مصدر اخر تاريخ افتتاح المدرسة بسنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، نوار ، عوامل فعالة ... ، ص ٨٦ .

(٥) النجار ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص ٢٢٦ .

اللجنــة فــتح عــدد مــن مــدارس البنــين والبنــات ، فضــلا عــن افتتــاح كليــة الحقــوق ســنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م[١] .

وعلى الرغم من النشاط التعليمي المتميز الذي تحقق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والمتمثل في ارتفاع اعداد المدارس وللمراحل الدراسية كافة اذ طالت بد الاصلاح الحياة التعليمية في مختلف مراحلها ، إلا ان هذه المدارس ظلت تعاني من السلبيات حتى الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨م[٢] . ومن جهة اخرى شكل افتقار الدولة العثمانية إلى الامكانات المادية والبشرية حائلا دون وضع هذه القرارات موضع التنفيذ وبالتالي ظل قسم من هذه القوانين حبرا على ورق .

المبحث الثالث

اوضاع التعليم في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤ :

بالرغم من جهود الدولة العثمانية لاصلاح الواقع التعليمي من خلال مجموعة القوانين والتشريعات سالفة الذكر ، الاان هذه القوانين لم تطبق في الولايات العربية وعلى درجة واحدة من السرعة والشمول ، فقد كانت ولايات سوريا وبيروت وحلب اولى الولايات التي طبقت فيها بشمول ، ولكن تطبيقها في الولايات العراقية كان اقل سرعة وشمولاً ، واما تطبيقها في ولايتي اليمن والحجاز فكان ضئيلاً[٣] .

---

(١) بيات ، المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٣) ساطع الحصري البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، دار العلم للملايين، (بيروت ، ١٩٦٠) ص٩٣ .

ظل التعليم الديني متمثلاً بالكتاتيب والمدارس الدينية ، ومدارس الارساليات التبشيرية هو التعليم الوحيد حتى ستينات القرن التاسع عشر اما التعليم الحديث فلم تعرف الولايات العراقية اية مدارس رسمية باستثناء اشارة واحدة وردت في احد المصادر التاريخية اذ اكدت وجود مدرسة ابتدائية . احتوت على صفوف ابتدائية ورشدية . افتتحت في سنة١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١ م في ولاية الموصل[١] .

ومع مجئ مدحت باشا (١٨٦٩ . ١٨٧٢م) ، الذي عد اول وال عثماني وضع العديد من الاصلاحات مرحلة التنظيمات موضع التنفيذ في العراق ، حيث عدت مَدة ولايته على الرغم من قصرها بداية لسياسة تعليمية حديثة ومخططة[٢] . اذ ابتدأ ولايته بتاسيس العديد من المدارس الرسمية في العراق ، ليتواصل افتتاح هذه المدارس في العقود التي اعقبت ولايته وتسهيلاً لمتابعة تاسيس تلك المدارس فاننا سنتناولها حسب المراحل الدراسية ووفق أسبقية الاهتمام العثماني بها .

١ - المدارس الرشدية :-

كانت الخطوة الاولى التي اتخذتها الدولة العثمانية ، عندما أقدمت على تاسيس المدارس الرسمية إعطاء الاولوية للمدارس الرشدية على المدراس الابتدائية ، تاركة المدارس الاخيرة تعمل على وفق تعليمات المؤسسات الدينية القديمة والمتمثلة بالكتاتيب وتحت اشرافها[٣] .

وقد عزت المصادر التاريخية اسباب ذلك الى حاجة الدولة السريعة والملحة الى عدد ليس بالقليل من خريجي المدارس الرشدية (الملكية والعسكرية) للعمل في الدوائر المختلفة[٤] . فضلاً عن فقدان الامكانيات الفنية والمالية اللازمة لفتح المدارس الابتدائية[٥] .

وانقسمت المدارس الرشدية الى صنفين هما :-

أ - المدارس الرشدية الملكية (المدنية) :

نص نظام المعارف الصادر سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م على اقامة مدرسة رشدية في كل محلة او قرية يزيد عدد دورها على الخمس مئة دار سواء كان سكانها مسلمين أم غير مسلمين

---

(١) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج١ ، المطبعة السلفية، (القاهرة ، ١٩٢٣) ، ص٣٢٣.

(٢) فاطمة شمخي الغريباوي ، الحركة الفكرية في بغداد ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) ، ص٧٩ .

(٣) هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص ص٤٥ . ٤٦ .

(٤) نوار ، عوامل فعالة ....، ص٥٣ .

(٥) جريدة الرقيب ، العدد ٤٥ ، ١٩ شعبان ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م٢ . عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ص٦٣ .

في حين حددت مادة اخرى مدة الدراسة فيها باربع سنوات[١] . واكد القانون في مادة اخرى انه في حالةوجود اكثر من مئة دار سكن للمسيحين تفتح لهم مدرسة رشدية ايضاً [٢] .

وكما هو الحال بالنسبة لجميع انواع المدارس الموجودة في الولايات العراقية سارت المدارس الرشدية على القوانين والانظمة نفسها الصادرة عن نظارة (وزارة) المعارف في استانبول[٣] . وكان من شروط القبول في المدارس الرشدية قبل افتتاح المدارس الابتدائية ، ان يكون المتقدم قد وصل الى درجة متقدمة في المدارس الاسلامية التقليدية[٤] .وبعد افتتاح المدارس الابتدائية اصبح شرط انهاء الدراسة الابتدائية واحداً من شروط القبول في المدارس الرشدية[٥] .

اما عن مناهج الدراسة في هذه المدارس فاشتملت على دراسة عدد من المواد من بينها مبادئ العلوم الدينية وقواعد العربية وعلم الحساب واصول مسك الدفاتر والرسم ومبادئ الهندسة والتاريخ العام ، والتاريخ العثماني والجغرافية والرياضه[٦] .

وكانت اللغة التركية هي لغة التدريس لكافة المراحل الدراسية ومنها المدارس الرشدية.

في حين حددت المادة (٢١) من نظام المعارف الملاك التعليمي لهذه المدارس[٧] بمعلم واحد او معلمين اثنين يجري تعينهم طبقاً لنظام المعلمين ، وعدا هؤلاء فلكل مكتب مبصر[*] واحد وبواب واحد . غير ان زيادة عدد الطلبة جعلت المسؤولين لايتقيدون بهذا الملاك[٨] .

يرجع الفضل الى مدحت باشا بتاسيس اول مدرسة رشدية ملكية في بغداد ، ابتدأت التدريسات فيها سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م[٩] .وكان الهدف من انشائها ان تنشئ طلاباً اتراكاً في

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٥٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الجبوري ، المصدر السابق ، ص٦٧ .

(٤) نوار ، عوامل فعالة.... ، ص٥٥ .

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر س.ن.م.ع ، لسنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص٤٠٢ ، ص٤٣٣ .

(٦) الجبوري ، المصدر السابق ، ص٦٧ .

(٧) للاستزادة حول نص المادة انظر الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٥٦ .

(*) المبصر هو المامور او الموظف المكلف بتفتيش (اومراقبة) افعال الطلاب وحركاتهم والنظر في حسن احوالهم ، شمس الدين سامي ، قاموس الاعلام تاريخ وجغرافيا لغاتني وتعبير اصلاحه كافة أسماء خاصة بي جامعدر، التنجي جلد (استانبول ، ١٣١٧هـ) ، ص١٢٧ .

(٨) فعلى سبيل المثال توزع الملاك التعليمي للمكتب الرشدي في البصرة على الشكل الاتي :-
معلم اول (مدير) ، معلم ثاني ومعلم رياضة ، ومعلم حسن الخط واملاء للتفاصيل انظر : س.ن.م.ع لسنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص١١٧٤ .

(٩) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧، (بغداد ، ١٩٥٥) ، ص٢٠٦ ، p . 99 و op ., cit و cuinet. .

اللسان والاتجاه[1] . اعقبها افتتاح مدرسة رشدية ثانية في سنجق كركوك ، بالمساعدات المالية لاهالي المدينة حيث بلغ مجموع الطلبة المقبولين فيها (٨٠)طالباً [2] . فيما ارخت مصادر اخرى اخرى افتتاح مدرسة رشدية في قضاء الحلة سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م[3] .

اما بالنسبة لولاية الموصل فاستمرت الدراسة في الصفوف الرشدية التي ضمها (المكتب الابتدائي)[4] –الذي سبقت الاشارة اليه .لتفصل الصفوف الابتدائية عن الرشدية ، ولتصبح المدرسة رشدية في سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م[5] .

في حين تأخر ظهور مثل هذه المدارس في ولاية البصرة حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر بسبب افتقارها الى الملاكات التدريسية ، وحال قدوم احد المعلمين من العاصمة (استانبول) ، تم افتتاح اول مكتب رشدي في البصرة سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م[6] .

الزم قانون المعارف ، مديريات المعارف بتأمين نفقات المدارس الرشدية[7] . في الوقت الذي اضطلعت فيه دائرة الاملاك السنية [*] بافتتاح عدد من المدارس الرشدية في ولايتي البصرة وبغداد[1] .

([1]) سلمان ، المصدر السابق ،ص٦٥ .

([2]) اعتمدت المدرسة المذكورة على المساعدات المالية التي يقدمها اهالي المدينة ، الاان تلك المساعدات سرعان سرعان ماتوقفت سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م بدليل مناشدة طلاب المدرسة اهالي المدينة تقديم المساعدة المالية لمدرستهم كي تستمر في عملها انظر النجار ، تاريخ التعليم .. ص١١٣ .

([3]) يوسف كركوش الحلي ، مختصر تاريخ الحلة ، (صيدا ، ١٩٣٤) ، ص٧٥ .

([4]) ورد في احد المصادر وجود مدرستين رشيدتين في كل من اربيل والسليمانية ، ارخ افتتاحهما سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م ، النجار ، التعليم في العراق ... ، ص١٤٨ .

([5]) الهلالي ، تاريخ العراق ...، ص١٧٧، ص١٨٠، فيما تباينت الاراء حول هذه المدرسة ففي الوقت الذي انكرت مصادر اخرى وجود هذه المدارسة انظر س.ن.م.ع ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص١١٧٤ ، ذكرت مصادر اخرى ان صفوف هذه المدرسة كانت ضمن صفوف المدرسة الاعدادية . انظر مراد ، المصدر السابق ، ص٣

([6]) اليوسف ، المصدر السابق ، ص١٧٠ .فيما اوردتمصادر اخرى رأياً مغايراً لهذا الرأي عندما ارخت افتتاح افتتاح اول مدرسة رشدية في ولاية البصرة ، وتحديداً في قضاء الزبير سنة ١٢٩٢هـ –١٨٧٥م . انظر النجار ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص١٤٩.

([7]) تراوحت تلك النفقات بين (٢٤٢) و(١٢٠٠) ليرة عثمانية للمدرسة الواحدة سنوياً . Cuinet, op. Cit., p. 100 . والليرة العثمانية عملة نقدية تعادل ١٠٠ قرش أي مايعادل (٩٠٨) بالفلس العراقي تقريباً . حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩–١٩١٤ منشورات مركز دراسات الخليج العربي مطبعة الارشاد (بغداد ١٩٨٠) ص ٤٨٢.

كما اسهم الاهالي في انشاء بعض المدارس الرشدية اذ كانت تجمع منهم الاموال اللازمة لبناء تلك المدارس وتعميرها[٢] .

دفعت حاجة الدولة المتزايدة لخريجي المدارس للعمل في الوظائف الحكومية الى زيادة الاهتمام بهذه المدارس والدليل على هذا الاهتمام ارتفاع اعداد المدارس الرشدية الى (٢٠) مدرسة سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م[٣] . ثم الى (٤٠) مدرسة رشدية سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م . وقد توزعت على الشكل الاتي :-

- ١٩ مدرسة رشدية في ولاية بغداد ، بواقع (١١) مدرسة رشدية في مركز الولاية في حين توزعت البقية الباقية على لوائي كربلاء والديوانية واقضيتها الستة .

- ١٤ مدرسة رشدية في ولاية الموصل ، بواقع (٥) مدارس رشدية في لواء الموصل والاقضية التابعة له ، في حين كانت حصة لواء كركوك واقضيته (٩) مدارس رشدية .

-٧ مدارس رشدية في ولاية البصرة ، بواقع مدرستين رشديتين في مركز الولاية ، في حين كانت حصة لوائي العمارة والناصرية (٥) مدارس رشدية(٤) .

اما المدارس الرشدية الخاصة بالبنات ، فعلى الرغم من تاكيد قانون المعارف الصريح انشاء مثل هكذا مدارس[٥] الاان افتتاحها تاخر حتى سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م ، حينما تم إفتتاح أول مدرسة للبنات في الموصل[٦] . اعقبها إفتتاح مدرسة رشدية في بغداد بجهود من والي بغداد

(*) دائرة الاملاك السنية ، هي الدائرة التي اوكل اليها ادارة الاملاك الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثاني للتفاصيل انظر صباح حسين عقاب الجراح ، املاك السنية في العراق (١٨٧٦- ١٩٠٩) ، "دراسة تاريخية" ، رسالة ماجستير كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) .

(١) ومن هذه المدارس التي تم تشييدها من تبرعات الاهالي ، المدرسة الرشدية في مدينة الهفوف في الاحساء التابع لولاية البصرة ، والمدرسة الرشدية في سامراء للتفاصيل انظر المصدر نفسه ص ص٧٣ . ٧٤ .

(٢) جريدة الزوراء الاعداد ١٧٦٥ ، ١٥ ذي القعدة سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م؛ العدد ١٩٠٥ ، ١٤ صفر ١٣١٩هـ/١٩٠١م ؛ العدد ١٩٠٦ ، ٢١ صفر سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٣) للتفاصيل انظر س.د.ع ، سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، ص٢٥٣ .

(٤)فيضي ، المصدر السابق ، ص٧٣ . في الوقت الذي حدد فيه مصدر اخر مجموع المدارس الرشدية الموجودة في العراق ابان تلك المرحلة بـ (٢٤) مدرسة موزعة على الشكل الاتي :-

١٢ مدرسة رشدية في ولاية بغداد ،(٦)مدارس رشدية في ولاية الموصل ، (٦) مدارس رشدية في ولاية البصرة للتفاصيل انظر النجار ، التعليم في العراق ....، ص١٤٤ ، ص١٤٨ ، ص١٥٠ .

(٥) الدستور ، المصدر السابق ، م١ ، ص١٦٠ .

(٦) أرخ الهلالي افتتاح هذه المدرسة١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ / في الوقت الذي يجد المتتبع لسالنامات الدولة العثمانية ومنها سالنامت نظارات المعارف العمومية ذكر لهذه المدرسة وعدد طالباتها وملاكها التدريسي قبل هذا

نامق باشا (١٨٩٩ . ١٩٠٢) ، وبلغ مجموع طالباتها (٦٧) طالبة سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٠م[١] ، ليرتفع العدد الى (٩٥) طالبة سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م[٢] ، ثم الى (١٣٧) طالبة سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م[٣] .

اما الهيئة التعليمية لهذه المدارس . فقد كانت قليلة في عددها[*] فعلى سبيل المثال تألفت الهيئة التعليمية للمدرسة الرشدية للأناث في بغداد من(٣) معلمات ومبصرة واحدة[٤] . ومما يجدر ذكره ان المدارس الرشدية للاناث كانت تضم قسمين :-

الاول ابتدائي والثاني رشدي اما عن سنوات الدراسة فكانت ست سنوات ، فيما لم تختلف الدراسة في هذه المدارس عنها في مدارس الذكور باستثناء بعض الدروس في الفنون البيتية والاعمال اليدوية[٥] .

ب- المدارس الرشدية (العسكرية) :-

حظي التعليم العسكري بحيز كبير من أهتمام الدولة العثمانية ، إذ هدفت من خلاله تدريب الشباب وفق الاساليب والنظم العسكرية الحديثة ، لذلك بادرت التاسيس العديد من المدارس العسكرية (الرشدية والعسكرية) فضلاً عن المدارس العسكرية العالية قبل غيرها من المدارس المدنية في استانبول وبعض الولايات العثمانية الاخرى[٦] .

ففي سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م تم الايعاز الى مراكز الفيالق وبضمنها بغداد التي كانت مركزاً للفيلق السادس بضرورة تأسيس مدارس عسكرية فيها[٧] الاان ظهور مثل هذه المدارس تاخر الى سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وتحديداً خلال ولاية مدحت باشا ، اذ كانت فاتحة اعماله

التاريخ انظر الهلالي تاريخ التعليم في العراق ...ص١٨١ : س.ن.م.ع سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، ص١٤٠٤ .

(١) س.ن.م.ع ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص١١٨٣ .

(٢) س.و.ب ، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، ص١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص١٠١ .

(*) سياتي الحديث عن هذه المسالة ضمن مشاكل التعليم في العهد العثماني .

(٤) المصدر نفسه ، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، ص١٠١ : في حين تالفت الهيئة التعليمية وللمدرسة نفسها سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م من اربع معلمات ، المصدر نفسه ، سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص١٠١ .

(٥) فاضل مهدي بيات ، "التعليم في العراق في العهد العثماني دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية" ، القسم الثاني ، مجلة المورد ، مجلد(٢٢) ، العدد٢ ، ١٩٩٤ ص١١ .

(٦) ابراهيم الوائلي ، الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ، ط٢ ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص١٠٠ .

(٧) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص١٠ .

(*) القيسي ، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية ... ص ١٢٤

افتتاحه لاول مدرسة رشدية عسكرية حديثة في بغداد[*] وفي سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م جرى افتتاح مدرسة ثانية في بغداد[١] ، الاان المدرستين سرعان ما ادمجتا في مدرسة واحدة في العام نفسه ، امام الصعوبات المالية التي واجهتها[٢] . فيما ارخت مصادر اخرى افتتاح مدرسة اخرى في قضاء السليمانية التابع لولاية الموصل في سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م[٣] .

اما عن شروط التقديم لهذه المدارس فيبدو انها إتسمت ببعض المرونة ، فقد سمحت للمتخرجين من مدارس الصبيان (الكتاتيب) بالتقديم الى هذه المدارس ، ثم بعد ذلك لكل من يجيد تلاوة القران الكريم واللغة التركية مع بعض الالمام بعلم الحساب[٤] . ويبدو ان وراء هذا التساهل جملة من الاسباب من بينها حاجة الدولة الى الملاكات العسكرية من اهالي البلاد خاصة وان بغداد كانت مقراً للفيلق السادس ، فضلاً عن أفتقار الولايات العراقية الى المدارس الابتدائية الكافية لتخريج طلاب يلتحقون في هذه المدارس .

كانت مدة الدراسة في هذه المدارس ثلاث سنوات ، ثم اصبحت فيما بعد اربع سنوات[*] فضلاً عن صفين تمهديين[**] اطلق عليهما الاحتياط تم تخصيصها للطلاب الذين لايجيدون قراءة اللغة التركية[٥] .

قسمت الدروس التي يتلقاها الطالب في هذه المدارس الى قسمين :-

القسم الاول . المحاضرات النظرية . اذ يتلقى الطالب دروساً في التاريخ والجغرافية والدين والحساب وحسن الخط فضلاً عن دراسة اللغة العربية والتركية والفارسية[٦] .

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٦٤ ١ جمادي الاول ١٢٨٧هـ/١٨٧٠ م .

(٢) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ص٩٨ .

(٣) س.و.م ، سنة ١٣١٠هـ /١٨٩٢م ، ص٢١٤ ؛ محمد امين زكي ، تاريخ السليمانية وأنحائها ، نقله الى العربية محمد جميل بندي الروزبياني ، شركة النشر والطباعة العراقية، (بغداد ١٩٥١) ، ص٢٠٥ ، ص٢١٠ .

(٤) ياسين عبد الكريم عبد الله ، ((المؤسسة العسكرية في العهد العثماني)) في تاريخ القوات المسلحة ، ج١ ، ط١ ، وزارة الدفاع ،(بغداد ، ١٩٨٦) ، ص١٤٦ .

(*) في حين ورد في احد المصادر ان مجموع صفوف المدرسة الرشدية العسكرية في السليمانية هو(٥) صفوف ، انظر ميجرسون "ميرزا غلام حسين الشيرازي" ، رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان ، ج٢ ، من السليمانية الى بغداد ترجمة فؤاد جميل ، ط١ ، مطابع الجمهورية، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص٣٢ .

(**) تم استحداث الصف الاول سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، اما الصف الثاني فاستحدث سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م النجار ، التعليم في العراق ... ، ص١٧٨ .

(٥) محمد رؤوف الشيخلي ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعدها ، ج١ ،(البصرة ، ١٩٧٢) ، ص٣٣ .

(٦) النجار ، التعليم في العراق ....، ص١٧٩ ، سون ، المصدر السابق ، ص١٥ .

في حين ركز . القسم الثاني . من الدراسة على التدريب العملي مع الاهتمام البالغ بالرياضة البدنية[١] وهذه المدارس عسكرية صرفة ، حيث تولت قيادة الجيش السادس مهمة الاشراف الاداري على هذه المدارس [٢] ، وبالتالي شكل ضباط الجيش الغالبية من مدرسيها فضلاً عن المدرسين المدنيين ، فعلى سبيل المثال ورد في احد المصادر الرسمية ان جميع معلمي المدرسة الرشدية العسكرية في بغداد والبالغ عددهم (١١)مدرساً فضلاً عن مدير المدرسة هم من العسكرين[٣] . وارتفع عدد المدرسين العسكرين الى (٢٠)مدرساً سنة ١٩٠٧[٤]

١٩٠٧[٤] .

وفضلاً عن المدرسين العراقيين ضم الملاك التدريسي لهذه المدارس عدداً من المدرسين الاتراك ، وفي اعقاب افتتاح دور المعلمين في عدد من الولايات العراقية ، تولى العراقيين معظم مهام التدريس[٥] .

اتسمت الدراسة في هذا النوع من المدارس بالانتظام[٦] . فضلاً عن كونها داخلية ومجانية[٧] . وعد هذا احد الاسباب الرئيسية في زيادة اقبال العراقيين على الالتحاق بهذه المدارس ، علاوة على ارتفاع نفقات التعليم في المدارس الرسمية من جهة وقلة هذه المدارس من جهة اخرى ، وبالتالي عدم قدرة هذه المدارس على استيعاب اعداد الطلبة ، فضلاً عن انخفاض المستوى المعاشي للاسرة العراقية ، كما كان العامل الاجتماعي والمتمثل بالمركز الاجتماعي الذي يحتله العسكري انذاك حافزاً للكثيرمن الطلبة على الالتحاق بهذه المدارس[٨]

تفاوتت اعدادالطلبة المقبولين في هذه المدارس تبعاً للدعم المالي المقدم لها ، وتبعاً لحاجة الدولة للعناصر العسكرية ففي الوقت الذي كانت فيه الخطط المركزية تشير الى احتياج

---

(١) فيضي ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

(٢) Cuinet , Op. Cit., p 99. واستمر ذلك حتى سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م عندما تولت إدارة المعارف مهمة الاشراف على هذه المدارس أسوة بباقي المدارس المدنية أنظر. جريدة صدى بابل، العدد٢٢٦ ، ١٥ شباط ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

(٣) س.ن.م.ع سنة ١٣١٨هـ ، ص١١٨٤ .

(٤) س.و.ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ص١٢٧ . ١٢٨ .

(٥) اعتماد يوسف القصيري ، "المدرسة الرشدية العسكرية والاعدادية العسكرية" ، مجلة سومر ، المجلد (٤٧) ، ١٩٩٥ ، ص٦٢ .

(٦) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص١٤ .

(٧) القصيري ، المصدر السابق ، ص٦٢ . Cuinet ، op . cit .، p. 99 .

(٨) نوار ، عوامل فعالة ، ص ص٥٧ . ٥٩

كبير للضباط ، تتوسع عملية قبول الطلاب في هذه المدارس ، والعكس صحيح . فعلى سبيل المثال بلغ مجموع طلاب المدرسة الرشدية في بغداد (٥٦١) طالباً سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م[١] ثم ارتفع العدد إلى (٧٤٠) طالباً سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[٢] ، وبسبب قلة الدعم المالي للمدرسة إنخفظ العدد الكلي للطلبة المقبولين في هذه المدرسة الى (٣٨٣) طالباً سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م[٣] ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م[٣] ، انخفض العدد الى (١٠٦) طالب سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[٤] ، ليرتفع العدد العدد من جديد الى (١٣٨) طالباً سنة ١٩١٤[٥] .

استمرت الدراسة في المدارس الرشدية العسكرية حتى الاحتلال البرطاني للعراق[٦] .

المدارس الابتدائية :-

لم ينل التعليم الابتدائي الاهتمام الكافي من الدولة العثمانية ، حتى أواخر العقد التاسع من القرن التاسع عشر ، على الرغم من تأكيد قانون المعارف الزامية التعليم الابتدائي في الولايات العثمانية[٧] . ويعزو بعضهم عدم الاهتمام بهذه المرحلة من مراحل التعليم الى عدد من الاسباب منها إفتقار الحكومة للامكانيات الفنية والمالية والملاكات التعليمية الكافية لنشر هذا النوع من التعليم في ولاياتها ، فضلاً عن حاجة الدولة الى خريجي المدارس الرشدية للعمل فيها كتاباً وموظفين[٨] . فضلاً عن عدم جدية الحكومة العثمانية في نشر التعليم في العراق ويتجلى ذلك في السياسة التي رسمها قانون التعليم في عدد من مواده عندما القى بمسؤولية انشاء المدارس الابتدائية ورواتب معلميها ومصاريفها الاخرى على عاتق الاهالي[٩] . في حين اقتصر اهتمام الدولة ابان تلك الحقبة على التعليم العسكري بمرحلتيه (الرشدي والاعدادي)[١٠] .

وأمام هذه الاسباب لم يشهد العراق حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر إفتتاح أية مدرسة ابتدائية باستثناء المدرسة الابتدائية في ولاية الموصل ، اذ أرخت المصادر التاريخية

---

(١) س.ن.م.ع ، سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، ص١٠٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ،سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص١١٨٤ .

(٣) س.و.ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ،ص ص١٢٧ . ١٢٨ .

(٤) س.ن.م.ع ،سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ،ص١٥٧٥ .

(٥) غسان العطية ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ . ١٩٢١ تقديم حسين جميل ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، مطبعة مطبعة دار السلام (لندن ، ١٩٨٨) ، ص١٣٤ .

(٦) العلاف ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

(٧) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ،ص١٥٧ .

(٨) جريدة الرقيب ، العدد ٤٥ ، ٢٩ شعبان ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، نوار ، عوامل فعالة ...، ص٥٣ .

(٩) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٥٦ .

(١٠) نوار ، عوامل فعالة ، ص٤١ .

إفتتاحها بسنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م بمساعي احد وجهاء المدينة ويدعي فهمي افندي بن

مصطفى العمري[١].اما في ولاية البصرة فقد جرى افتتاح اول مدرسة ابتدائية فيها سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م[٢] . في حين تاخر افتتاح مثل هذه المدارس في ولاية بغداد حتى سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م [*] . اذ شهدت هذه السنة افتتاح اول مدرسة ابتدائية فيها[٣] الا وهي المدرسة الحميدية[٤] . اعقبها افتتاح ثلاث مدارس اخرى وهي (جديد حسن باشا) و(الاعظمية) و(الكرخ) [٥] ، ليرتفع عدد المدارس الى (٨) مدارس ابتدائية سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م[**] .

---

(١) الصائغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٢ . فيما ذكر مصدر اخر افتتاح مدرسة ابتدائية ثانية وفي السنة ذاتها في سنجق كركوك حملت اسم (الرشدية) ويبدو ان صاحب هذا الراي قد التبس عليه الامر إذ ان المقصود بهذه المدرسة الرشدية . التي سبقت الاشارة اليها . اذ لم تعثر الباحثة على مايؤيد هذا الراي انظر محمد كلدان ((تاسيس المدارس النظامية في كركوك)) مجلة الثقافة الحديثة ، العدد (٢) ، حزيران ، ١٩٥٤ ، ص٤٣ .

(٢) خلود عبد اللطيف اليوسف ، البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦ . ١٩٠٩ ، رسالة ماجستير، (جامعة البصرة ، ١٩٩٢) ، ص ٧٠ . في حين اشارت احدى الدراسات الى ان معظم المدارس التي جرى تشييدها بعد سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ، وعلى وجه الخصوص في ولاية البصرة كانت من واردات الاراضي السنية ، انظر عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ...، ص٥٦ ، في حين قدرت مصادر اخرى مجموع المدارس الابتدائية التي تولت الدائرة السنية انشاءها في ولاية بغداد بـ (١٤) مدرسة ابتدائية ، نذكر منها المدرسة الابتدائية في البغيلة في كوت الامارة ، واخرى في خانقين ومدرسة ابتدائية في سامراء ، لمزيد من التفاصيل حول تلك المدارس انظر جريدة الرقيب ، العدد ١٠ ، ١٠ربيع الاول ، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ؛ الجراح المصدر السابق ، ص ص١٧٣ . ١٧٤ .

(*) في حين اشار احد المصادر الى ان اول مدرسة ابتدائية جرى افتتاحها في ولاية بغداد كان سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، الا ان الدراسة لم تستمر فيها بدليل عدم ذكرها في المصادر الرسمية في المراحل اللاحقة النجار ، التعليم في العراق ...، ص١٢٧ .

(٣) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص ص١٥٢ . ١٥٣ ؛ الغريباوي ، المصدر السابق ، ص٨٠ . نوار ، عوامل فعالة ... ، ص٤٤ . في حين يحدد جميل موسى النجار في مؤلفه التعليم في العراقفي العهد العثماني الاخير ١٨٦٩–١٩١٨ افتتاح اول المدارس الابتدائية في ولاية بغداد سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م ، اذ شهدت هذه السنة افتتاح مدرستين احداهما في خانقين والثانية في قضاء عانة ثم يعود المؤلف ويناقض رايه عندما يؤرخ افتتاح اول مدرسة ابتدائية في ولاية بغداد بسنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م انظر المصدر نفسه ، ص٣٩٩ .

(٤) تبرع بانشاء هذه المدرسة الشيخ عبد الوهاب النائب انظر نوار ، عوامل فعالة ... ، ص٤٤ .

(٥) النجار ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص١٣٤ .

(**) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدارس واعداد طلبتها وهيئاتها التعليمية انظر الجدول ذوالرقم (٢) .

الجدول ذو الرقم (٢)

المدارس الابتدائية في ولاية بغداد سنة ١٨٩٤[١]

اسم المدرسة	مكانها	عدد الطلاب	عددالمعلمين
جديد حسن باشا	المركز	٩٤	٣
العثمانية	المركز	٥٥	١
الكرخ	المركز	٣٦	٢
الفضل	المركز	١٥٠	٢
الاعظمية	المركز	٤٨	١
الحميدية	المركز	١٢٠	٣
سامراء	سامراء	١٠٨	١
عانة	عانة	٢٠	٢

طرأ بعض التحسن التدريجي على اعداد المدارس الابتدائية في ولاية بغداد سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[*] اذ وصلت اعداد المدارس الابتدائية فيها الى (١٧) مدرسة[٢] منها (٧) مدارس في مركز الولاية[٣] ، اما الباقية فتوزعت على الالوية والاقضية التابعة لها[٤] .

في حين بقيت المدرسة الابتدائية في الموصل . التي سبقت الاشارة اليها . المدرسة الابتدائية الوحيدة حتى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، اذ شهد هذا العام افتتاح خمس مدارس ابتدائية

---

(١) س.و.ب ، لسنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ، ص٢٢٦ . ومن الجدير بالذكر ان المدارس الواقعة خارج بغداد حملت اسم المكان الذي بنيت فيه .

(*) قام نامق باشا اثناء ولايته لبغداد (١٨٩٩ . ١٩٠٢) ، بافتتاح ست مدارس ابتدائية منها اثنتين في مركز الولاية ومدرستين في مندلي وواحدة في كل من خانقين والحلة .

انظر جريدة الزوراء ، العدد ١٧٧٥ ، ١٠ صفر ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ؛العدد ١٨٨١، ٢٦ جمادى الاخرة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ؛ العدد ١٨٨٩ ، ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(٢) س.ن.م.ع . سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ،ص ص ، ١١٩٠ . ١١٩١ .

(٣) هي الحميدية وجريدة حسن باشا والاعظمية والكرخ والفضل والبارودية العثمانية والصابونية .

(٤) توزعت هذه المدارس على الشكل الاتي :

(٣) مدارس في سامراء واحدة في كل من الدليم وكوت الامارة وخانقين والهندية والنجف وكربلاء والكاظمية .

في القرى التابعة للولاية وهي كوكجلي ، منارة شبك ، الدراويش ، عمر قبوجي[١] ثم توالي افتتاح المدارس الابتدائية حتى بلغ عددها (١٨) مدرسة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م[٢] ثم ارتفع العدد سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م الى (٣٠) مدرسة ابتدائية[٣] .ثم بلغ المجموع الكلي للمدارس الابتدائية عشية الحرب العالمية الاولى (٥١) مدرسة ابتدائية[٤] .

اما في ولاية البصرة فاشار احد المصادر الى وجود (١٠) مدارس ابتدائية سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م[٥] . في حين وصل عدد هذه المدارس سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م الى (١٢) مدرسة ابتدائية[٦] . ثم ارتفع العدد قبيل الحرب العالمية الاولى الى (٣١) مدرسة ابتدائية[٧] ابتدائية[٧] .

اما فيما يخص المناهج الدراسية لهذه المدارس فانها اشتملت على القراءة (الف باء) ، الكتابة ، والقران الكريم ومبادئ الحساب ومختصر التاريخ العثماني ومختصر الجغرافية والمعلومات النافعة والاشياء والصحة فيما تلقى الاطفال غير المسلمين اصول دينهم باشراف رؤسائهم الروحانيين[٨] .

اما عن مدة الدراسة في هذه المدارس فبالرغم من تحديد المادة السادسة من قانون المعارف تلك المدة باربع سنوات على مستوى اربعة صفوف[٩] . الاانها اصبحت ثلاث سنين

الجدول ذو الرقم (٣)

---

(١) النجار ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص١٣٤ .في حين ينفي الهلالي نفيا قاطعاً وجود اية مدرسة ابتدائية خارج ولاية الموصل قبل سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ، الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ...، ص١٧٧ .

(٢) وهي نمونة الابتدائية وجامع خزام والرابعية وشيخ خالد وباب عراق وجامع جمشيد وباب السراي واورتة خراب وقرة قوينلي وكوكجلي وطوبزاوة وعمر قوبجي و شريخان وابو جربوعة ويارمجة ومنارة شبك ونينوى. انظر س.و.م سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤ م ص٢٦٢ ، في نفس هذه السنة جرى إفتتاح مدرسة ابتدائية ثانية في مركز ولاية الموصل ، مراد ، اوضاع التعليم في الموصل ... ، ص٣ .

(٣) احمد ، حركة التربية والتعليم ...، ص٣٣٩ .

(٤) ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق ، ١٩٢١ . ١٩٢٧ ، ج ١، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص١١٨ .

(٥) س.ن.م.ع ، سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م ، ص٩٥٨ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدارس انظر الجدول ذو الرقم (٣) .

(٧) للتفاصيل انظر الجدول ذو الرقم (٤) .

(٨) مراد ، اوضاع التعليم في الموصل .. ، ص٤ .

(٩) جمال اسد مزعل ، نظام التعليم في العراق (الموصل ، ١٩٨٩) ، ص٢٤ .

المدارس الابتدائية في ولاية البصرة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م[١]

اسم المدرسة	مكانها	عدد المعلمين
الحميدية	المركز	٢
فيضية	المركز	٢
عشار الابتدائية	العشار	١ . ١(*)
عشار للبنات	العشار	٢ . ٠(*)
مناوي الابتدائية	مناوي	٢
حمدان الابتدائية	حمدان	١ . ١(*)
سبيليات الابتدائية	سبيليات	٢
ابو الخصيب الابتدائي	ابو الخصيب	٢ .(*)
المنتفك	المنتفك	٢
الزبير الابتدائية	الزبير	١.١(*)
عمارة	عمارة	٢
نجد	نجد	٢

في العقد الاخير من القرن التاسع عشر[٢] . ومع ذلك فقد كانت هنالك مدارس ابتدائية ذات صنفين وخاصة في المدارس الابتدائية الموجودة خارج ولاية بغداد[٣] .

وحدد قانون المعارف في عدد من مواده اعمار التلاميذ الملتحقين بهذه المدارس ، فبالنسبة للذكور حددت اعمار التلاميذ المقبولين بين (٧ . ١١) سنة ، اما الاناث فحدد العمر بين (٦ . ١٠) سنوات[٤] . فيما منعت المادة الثالثة اختلاط الاطفال المسلمين بغير المسلمين في في المرحلة الابتدائية[٥]، ويبدو ان هذه المادة من القانون قد طبقت تطبيقاً تاماً في مدارس ولايات العراق الابتدائية ، حيث لم تذكر المصادر التاريخية وجود طلاب غير مسلمين في تلك

---

(١) ب . و . س ، سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، ص١٧٨ ، ص٢١٤ ، ٢٣٥ .

(*) يشير العدد الثاني الى اعداد الشواغر

(٢) ساطع الحصري ، حولية الثقافة العربية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص٦ ص٦ .

(٣) نوار عوامل فعالة .. ، ص٤٩ .

(٤) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٥٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٧٤ .

المدارس . في حين تناولت مواد اخرى العقوبات الواجب إتخاذها تجاه الاطفال المتخلفين عن الالتحاق بهذه المدارس .

عانت المدارس الابتدائية ابان هذه المرحلة من النقص الحاد في ملاكاتها التدريسية ، حيث اعتمدت مدارس عديدة منها على معلم واحد(١) . ولم يتجاوز ملاك هذه المدارس في احسن الاحوال ثلاثة معلمين . وقد كان لهذه المشكلة انعكاساتها السلبية على المستوى الدراسي لهذه المدارس فكانت الصحف توجه الانتقادات الى أساليب التدريس في هذه المدارس ممايجعل الطلاب يقضون اوقاتهم عبثاً(٢) .

وامام تزايد اعداد المدارس الابتدائية ، ظهرت الحاجة الى مزيد من المعلمين الامر الذي دفع الدولة الى فتح دور المعلمين في كل من (بغداد ، البصرة ، الموصل) وتحديدا سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م(*) حيث جرى توزيع خريجيها على المدارس القديمة فضلاً عن المدارس الجديدة التي جرى افتتاحها ابان هذه المرحلة .

ازداد الاهتمام بالمدارس الابتدائية بعد الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م . حيث بذلت الجهود لتاسيسها ونشرها في المدن والحواضر المختلفة ، خاصة بعد زيادة الهيئة الاصلاحية برئاسة ناظم باشا (والي قسطموني) ، وبعض وجهاء بغداد(٣) . إلى بعض الولايات العراقية لدراسة حاجة العراق من المدارس الجديدة وفي ضوء التوصيات التي قدمتها اللجنة إلى السلطة المركزية في استانبول ، فقد جرى افتتاح (٨) مدارس ابتدائية في ولاية بغداد خمس منها للذكور وثلاث للاناث ، ومدرسة واحدة للذكور في كل من الكاظمية(٤) . وخراسان (بعقوبة) وكوت الامارة ، والجزيرة ، وبدرة ، والرمادي ، والسماوة ، والشامية ، وكربلاء وتكريت وديلتاوه (الخالص) وشهربان (المقدادية) والرحالية هيت الكوفة الاعظمية ، اذ تم استئجار العديد من الدور لتكون بنايات لهذه المدارس كما جرى تعيين عدد

---

(١) نوار ، عوامل فعالة .. ، ص٥٠ ؛ عبد المنعم الغلامي ، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨ . ١٩١٢ ، ط١ (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص٢٤ .

(٢) نسيبة عبد العزيز عبد الحاج علاوي ، الادارة العثمانية في الموصل (١٨٧٩ . ١٩٠٨) ،رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٢) ، ص١٣٠ .

(*) سياتي الحديث عن دور المعلمين في فترة لاحقة .

(٣) حول عضوية هذه اللجنة انظر جريدة الزوراء ، العدد ٢١٥١ ، ١٩ رمضان ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) بلغ مجموع تلاميذ المدرسة عند افتتاحها (٤٠)تلميذاً ، محمد حسن ال ياسين، لمحات من تاريخ الكاظمية مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص٢٥ .

من المعلمين وبرواتب مجزية[١]. وفي الوقت نفسه تم تشكيل لجنتين مركزيتين اوكل اليهما اجراء الاختبارات لمعلمي المدارس الابتدائية لمعرفة مدى اهليتهم للتدريس في هذه المدارس[٢] .

انتهج الاتحاديون بعد مدة قصيرة من انقلاب سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م سياسة قائمة على استخدام تلك المدارس كمراكز لنشر افكارهم ومبادئهم ، وتمثلت تلك السياسة باوسع اشكالها عندما افتتحوا عددا من المدارس الملحقة بجمعية الاتحاد والترقي حملت اسم (اتحاد وترقي مكتبي) ، وحاولوا جعلها انموذجية في كل شيء ، اذ اوكلت ادارة هذه المدارس وتنظيم شؤونها إلى لجنة خاصة (قومسيون) ، تم تشكيلها في كل مدرسة من هذه المدارس[٣]. وجرى اختيار معلمي هذه المدارس من بين اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بهدف تلقين الطلبة اهداف الجمعية ومبادئها[٤]. ومن بين هذه المدارس مدرسة الاتحاد والترقي في البصرة[٥]. ومدرسة اخرى في الموصل[٦]، وثالثة في السليمانية[٧]. ومدرستان في بغداد احدهما للذكور[٨]. واخرى للاناث – التي سيأتي الحديث عنها لاحقا .

وفي محاولة لاستقطاب اكبر عدد ممكن من الطلاب للالتحاق بهذه المدارس قامت الهيئة المؤسسة لهذه المدارس باعفاء عدد من التلاميذ – اليتامى حصرا – من دفع اجورهم الدراسية ، فضلا عن تحمل هذه المدارس لجميع نفقاتهم الدراسية فعلى سبيل المثال قامت

---

(١) تم تحديد رواتب معلمي هذه المدرسة بـ (٤٠٠) قرش لمدير المدرسة و (٢٠٠) قرش لباقي المعلمين ، انظر جريدة الزوراء ، العدد ٢١٦٤ ، ٤ صفر سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .

(٢) المصدر نفسه ، العدد ٢١٥٦ ، ٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٣) جريدة الرقيب ، العدد ٢٤ ، ٢ جمادى الاخرة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٤) احمد ، ولاية الموصل ... ، ص٣٩ .

(٥) وهي مدرسة (تذكار الحرية) التي سيطر عليها الاتحاديون وحولوها إلى مدرسة حكومية ، اذ بلغ مجموع طلابها عند افتتاحها(١٢) تلميذا ، انظر عباس ، تاريخ التربية والتعليم ....، ص٢١ .

(٦) احمد ، ولاية الموصل ...، ص٣٩ . وبلغ مجموع تلاميذها (٨٥) تلميذاً سنة ١٩١١. أنظر س.و.م سنة ١٣٣٠ هـ/١٩١١ م .

(٧) قسمت الدراسة في هذه المدرسة إلى قسمين القسم الاول للعامة ، والاخر لبعض الخاصة من الذين يودون الانخراط في سلك مأموري الحكومة ، جريدة صدى بابل ، العدد ١٣ في ٥ تشرين الثاني ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

(٨) يرجع افتتاح هذه المدرسة إلى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م وكان عدد الطلبة المسجلين فيها ٤٠ طالبا انظر جريدة جريدة الرقيب ، العدد ٣٥ ، في ٨ رجب ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، آل ياسين ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

اللجنة المشرفة على ادارة مدرسة الاتحاد والترقي في الموصل باعفاء (٤٠) تلميذا من مجموع تلاميذها من دفع الاجور الدراسية[١].

كما تم اصدار سلسلة من القوانين والانظمة الخاصة بالتعليم ، لعل اهمها (قانون التدريسات المؤقت) الصادر سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤[*] (قانون المدارس الابتدائية) الصادر سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م الذي هدف إلى تنظيم شؤون التعليم الابتدائي ، اذ نظم هذا القانون جدول الدروس اليومية ، عندما الزم المدارس الابتدائية بتدريس الموضوعات المهمة في الفترة الصباحية ، اما موضوعات الزراعة العملية والنشيد والرسم والرياضة البدنية فكانت تدرس في الفترة المسائية ، كما نظم القانون عددا من القضايا التي تخص الطلاب والمعلمين والاجازات المدرسية[٢].

اما بالنسبة لمسألة الانفاق على المدارس الابتدائية فقد سار الاتحاديون على النهج السابق نفسه والقاضي بتحمل الاهالي مسؤولية انشاء هذه المدارس وتأمين مصاريفها بحجة قلة التخصيصات المالية لحقل التعليم[٣]. ووفقا لهذه السياسة تم تنظيم حملات واسعة لجمع التبرعات التبرعات لبناء عدد من المدارس الابتدائية منها مدرسة الهويدر[٤]. وبلدروز وبهرز في ولاية بغداد[٥] ومدرسة الصلاحية (كفري) في ولاية الموصل ومدارس اخرى[١]. وفي اماكن اخرى تم

---

(١) جريدة الرقيب ، العدد ٣٥ ، ٨ رجب سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(*) كان من ضمن التعليمات التي تضمنها هذا القانون دمج الدراسة الرشدية بمرحلة الدراسة الابتدائية لتصبح مدة الدراسة في المدارس الابتدائية ست سنوات ، اما عن مصير هذا القرار فقد تعذر الحصول على ما يؤيد تطبيق هذا القرار نتيجة لفقدان السجلات والمصادر الرسمية العائدة لتلك المرحلة .

(٢) النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ص٣٤٦–٣٤٧ .

(٣) توفيق علي برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨–١٩١٤ ، دار الهنا للطباعة ، (القاهرة (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص٤١ .

(٤) بلغ مجموع تبرعات اهالي قرية الهويدر (٧٧١٥) قرش صاغ فضلا عن تبرع احد اهالي هذه القرية بالارض التي شيدت عليها بناية المدرسة انظر مجلة لغة العرب ، المجلد (١)، الجزء(٦) ، كانون الاول ١٩١١ ، ص٢٤٢ ؛ المصدر نفسه ، المجلد(٦) ، الجزء(٥) ، تشرين الثاني ١٩١٣ ، ص٢٧٦ ، والقرش صاغ عملة نقدية = ٤٠ بارة أي ١٢٠ (أقجة) أي مايعادل ٩ فلوس ، انظر غانم محمد علي ، النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩–١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٨٩)، ص١٦٥ .

(٥) مجلة لغة العرب ، المجلد (٢) ، الجزء (٨)، شباط ١٩١٣ ، ص٣٥٩ .

تخصيص واردات بعض المرافق الخدمية لتأمين مصاريف عدد من المدارس ، فعلى سبيل المثال تم تخصيص واردات جسر (تبه) في قضاء الحلة لتأمين مصاريف المدارس الابتدائية والرشدية المزمع انشاؤها في لواء الديوانية[٢].

وردا على سياسة الاتحاديين التعليمية جرى افتتاح بعض المدارس الاهلية نذكر منها مدرسة الترقي والجعفري العثماني في بغداد[٣]. ودار العرفان الابتدائية في الموصل[٤]. وكان لهذه المدارس دورها في نشر الوعي القومي بين الطلاب وبث الشعور المعادي للاتحاديين وقد استمرت هذه المدارس في ممارسة نشاطاتها السياسية والتعليمية حتى الاحتلال البريطاني للعراق .

لم ينل التعليم الابتدائي للبنات أي اهتمام من الحكومة العثمانية على الرغم من تأكيد قانون المعارف على ضرورة افتتاح مدرسة ابتدائية في كل ولاية او قضاء وحسب الحاجة[٥]. لذلك لم يكن امام الراغبات بالتعليم من وسيلة سوى الالتحاق بمدارس البنين الابتدائية[٦]. او مدارس البنات التابعة للارساليات التبشيرية .

اما اول مدرسة ابتدائية للبنات جرى افتتاحها في العراق فكانت في ولاية البصرة والمركز سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م[٧]. أعقبها افتتاح مدرسة ابتدائية في منطقة العشار سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م[٨]. واستمرت الدراسة في هاتين المدرستين حتى الاحتلال البريطاني للبصرة[٩].

---

(١) المصدر نفسه ، المجلد (٢) ، الجزء(٧)، كانون الثاني ١٩١٣ ، ص٣١٨ .

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٦٣ ، ١٠ محرم سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠ .

(٣) ضمت هذه المدرسة صفوفا ابتدائية ورشدية واعدادية ، حيث استمرت الدراسة فيها حتى نشوب الحرب العالمية الاولى اذ توقفت الدراسة في اقسامها باستثناء القسم الابتدائي الذي بقيت الدراسة مستمرة فيه انظر علي البازركان ، فصول من تاريخ التربية والتعليم ، ذكريات ووثائق ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص ص٥٢-٦٠.

(٤) للتفاصيل انظر ميساء حامد الحاج سعيد ، محمد رؤوف الغلامي (١٨٩٠-١٩٦٨) ، دراسة تاريخية في نشاطه العلمي والسياسي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٩) ، ص ص٨٥-٨٨.

(٥) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٥٨ .

(٦) ابراهيم خليل احمد ، (جريدة الزوراء البغدادية مصدراً لتاريخ العراق الحديث ١٨٦٩-١٩١٤)، في نخبة من اساتذة التاريخ ، ندوة بغداد في التاريخ ، التي نظمها قسم التاريخ للفترة ٥-٧ آيار ،(بغداد ، ١٩٩٠) ، ص٤٠٤ .

(٧) اليوسف ، المصدر السابق ، ص١٧١ .

(٨) ب.و.س ، سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، ص١٧٨ .

(٩) لم يتجاوز عدد تلميذات هاتين المدرستين (٣١) تلميذة سنة١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ ، الحصري ، مذكراتي في العراق...، ص١١٦ .

اما بالنسبة لولاية بغداد ، فقد نشطت الجهود الرسمية بعد الانقلاب العثماني لافتتاح العديد من مدارس البنات ، اذ جرى افتتاح (٤) مدارس رسمية وهي الكرخ والبارودية وباب الشيخ[١]. واخيرا مدرسة الاتحاد والترقي التي يرقى افتتاحها إلى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م[٢]. كما شهدت ولاية الموصل ابان المرحلة نفسها افتتاح اول مدرسة ابتدائية للبنات في محلة السرجخانة بلغ عدد تلميذاتها (١٢٠) تلميذة[٣]. ليرتفع عدد طالبتها إلى (١٤٠) تلميذة سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢[٤] وفي سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧ وصل العدد إلى (١٤٩) تلميذة[٥].

وطبقا لاحدى الاحصائيات التي تعود إلى ما قبل الحرب العالمية الاولى . فقد ارتفعت اعداد مدارس البنات (الابتدائية والرشدية) ، في عموم الولايات العراقية إلى (١٣) مدرسة توزعت على الشكل الاتي : (٧) مدارس في ولاية بغداد ، (٤) مدارس في ولاية الموصل ، واثنتان في ولاية البصرة[٦].

وبالرغم من السلبيات التي رافقت سياسة الاتحاديين التعليمية ، الا ان بعض التحسن طرأ على اوضاع التعليم الابتدائي ، ويتضح ذلك من ارتفاع اعداد المدارس الابتدائية التي جرى افتتاحها ابان تلك الحقبة حيث وصلت اعدادها إلى (١٤٧) مدرسة ابتدائية خلال السنة الدراسية ١٩١٣-١٩١٤[٧].

الجدول ذو الرقم (٤)[٨]

المدارس الابتدائية الرسمية في الولايات العراقية

خلال السنة الدراسية ١٩١٣-١٩١٤

---

(١) بلغ مجموع تلميذات المدارس الثلاث (١٤٩) تلميذة سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م انظر س.و.ب سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، ص٧٩ .

(٢) مجلة لغة العرب ، المجلد (٣) ، الجزء (٧) ، كانون الثاني ١٩١٤ ، ص٣٩٢ ؛ جريدة صدى بابل ، العدد ٢٢٠ ، ٢٤ كانون الثاني ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م .

(٣) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ...، ص١٨١ ، اما عن تاريخ افتتاح هذه المدرسة فلم تذكر المصادر التاريخية تأريخاً محدداً لافتتاح المدرسة ، ويبدو ان هذه المدرسة قد فتحت بين ١٩٠٨-١٩١٢ .

(٤) س.و.م ، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، ص١٢٠ .

(٥) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ...، هامش ص١٨١ (وقد تعلق الامر بالهيئة التدريسية لهذه المدرسة فتألفت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م من معلمة اولى فاطمة خانم ، معلمة ثانية زهراء خانم ، معلمة ثالثة بثينة خانم ، للتفاصيل انظر س . و . م لسنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ١٥٨ .

(٦) الحصري ، مذكراتي في العراق ...، ص١١٨ .

(٧) لمزيد من التفاصيل حول أعداد المدارس الابتدائية وعدد تلاميذها وملاكاتها التعليمية أنظر الجدول ذو الرقم (٤) .

(٨) الحصري ، مذكراتي في العراق ...، ص١١٨ .

ولاية بغداد	عدد المدارس			عدد القائمين بالتعليم			عدد التلاميذ		
	ذكور	اناث	المجموع	المعلمين	المعلمات	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
المركز	٥١	٤	٥٥	١١٤	١٥	١٢٩	٢٢٥٧	٤٣٣	٢٦٩٠
كربلاء	١١	١	١٢	٢٤	٢	٢٦	٤٣١	٣٩	٤٧٠
الديوانية	٩	٢	١١	٢٣	٥	١٨	٣٤٣	٦٨	٤١١
المجموع	٧١	٧	٧٨	١٦١	٢٢	١٨٣	٣٠٣١	٥٤٠	٣٥٧١
ولاية الموصل									
المركز	٢٢	٢	٢٤	٣٥	٥	٤٠	٩٥٤	١٤٧	١١٠١
كركوك	١٨	٢	٢٠	٣٣	١	٣٤	٧٤٧	٣٨	٧٨٥
السليمانية	٧	٠	٧	١٠	٠	١٠	٢٤٨	٠	٢٤٨
المجموع	٤٧	٤	٥١	٧٨	٦	٨٤	١٩٤٩	١٨٥	٢١٣٤
ولاية البصرة									
المركز	١٦	١	١٧	٢٦	٢	٢٨	٤٤٩	١١	٤٦٠
العمارة	٦	١	٧	١٢	٢	١٤	٢٣٩	٢٠	٢٥٩
المنتفك	٧	٠	٧	١٢	٠	١٢	٢٣١	٠	٢٣١
المجموع	٢٩	٢	٣١	٥٠	٤	٥٤	٩١٩	٣١	٩٥٠
المجموع العام	١٤٧	١٣	١٦٠	٢٨٩	٣٢	٣٢١	٥٨٩٩	٧٥٦	٦٦٥٥

٤. المدارس الاعدادية :

أنقسمت المدارس الاعدادية في العراق إلى قسمين ، هما المدارس الاعدادية الملكية (المدنية) ، والمدارس الاعدادية العسكرية .

أ. المدارس الاعدادية الملكية (المدنية) :

يعد انتشار المدارس الاعدادية الملكية البداية الحقيقية للتطور التعليمي ، اذ يعود الفضل إلــى الــوالي رديــف باشــا (١٨٧٢- ١٨٧٤ م) ، فــي تأسـيس اول مدرســة اعداديــة سـنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م التي اتخذت لها بناية المدرسة الرشدية التي كان مدحت باشا قد انشأها، وبالتالي فقد الحقت بها صفوف المدرسة الرشدية ، ليصبح المجموع الكلي لصفوفها (٧) صفوف ، الثلاث الاولى منها رشدية ، اما الاربعة الاخرى فكانت اعدادية[١]. واستمر ذلك حتى سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م عندما اصبحت لها بناية مستقلة[*].

اما بالنسبة لولاية الموصل فجرى تحويل المدرسة الرشدية فيها إلى اعدادية ملكية سنة ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م بتوجيه من وزارة المعارف العثمانية[٢]. اعقبها تحويل المدرستين الرشدتين في السليمانية وكركوك إلى مدارس اعدادية ملكية[٣]. وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى افتتاح المكتب الاعدادي الكلداني في الموصل[٤].

تأخر افتتاح هذا النوع من المدارس في البصرة حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ اذ تم في هذه السنة افتتاح مدرستين اعداديتين اولاهما المكتب الاعدادي الملكي[٥]. اعقبها في السنة نفسها افتتاح اول اعدادية (اهلية) اطلق عليها اسم (يادكار حريت) او (تذكار حريت)والتي لقيت اقبالاً واسعاً من الطلبة لاعتمادها على اللغة العربية لغة التدريس بخلاف المدارس الرسمية ، غير ان هذا الاجراء لم يرق للسلطات الاتحادية التي بادرت بعد سنة من افتتاحها بالسيطرة على المدرسة

---

(١) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ص٧٨ .

(*) شغلت المدرسة الاعدادية بناية مستشفى الغرباء ، حتى سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١ عندما اصبحت لها بناية مستقلة .

(٢) تألفت البناية المذكورة من خمسة صفوف ، لمزيد من التفاصيل حول المدرسة المذكورة انظر خيري العمري من المهد إلى اللحد ، ج١ ، مخطوط مطبوع على ألة الرنيو محفوظ لدى السيد سعود العمري ، ص١٤-١٥ ، فيما ذكر مصدر اخر عن تشييد بناية ضخمة للمدرسة الاعدادية الرسمية في الموصل ، وتحديدا ابان ولاية نوري باشا ١٩٠٢ – ١٩٠٦ بمعاونه البلدية والاهليين الذين تبرعوا بمبالغ من النقود والعينات لبناء المدرسة التي يطلق عليها الان اسم (الاعدادية الشرقية) انظر احمد علي الصوفي ، تاريخ بلدية الموصل ، ج١ ، (الموصل ، ١٩٧٠) ، ص٣٢ .

(٣) شذى فيصل رشو العبيدي ، الادارة العثمانية في الموصل في عهد الاتحاديين ، ١٩٠٨-١٩١٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) ، ص١١٢ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ٦٩ ، ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٥) الارحيم ، المصدر السابق ، ص١٣٩ ؛ في حين أرخ مصدر اخر إفتتاح أول مدرسة اعدادية في ولاية البصرة بسنة ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤ م وقبيل الاحتلال البريطاني للبصرة انظر النجار ، التعليم في العراق ..، ص٣٥١ .

وجعلت اللغة التركية لغة التدريس – اسوة بباقي المدارس – وجرى تغيير اسمها إلى مدرسة (الاتحاد والترقي)(١).

تلقى طلاب هذه المدارس دروسا في مختلف العلوم الحديثة منها المثلثات والحساب والقانون والفلك والاحياء والجبر ومسك الدفاتر والاقتصاد والدين والمعلومات المدنية والفيزياء والصحة والميكانيك وحسن الخط(٢). وفي أوائل القرن العشرين أدخلت المدرسة الاعدادية في بغداد تدريس بعض اللغات كالفرنسية والانكليزية والفارسية اضافة إلى العربية(٣). أما عن نظام الامتحانات ففضلاً عن وجود الامتحانات السنوية ، كانت هناك امتحانات عمومية يتم اجراؤها بحضور هيئات متخصصة(٤).

لم تكن الدراسة في هذه المدارس مجانية ، إذ اصدرت نظارة (وزارة) المعارف في استانبول ابتداءاً من سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م إلى مديريات المعارف تعليماتها القاضية باستيفاء اجور سنوية مقدارها (ليرتان)(٥) عن كل طالب من طلاب المدرسة الاعدادية، واجازت تلك التعليمات أعفاء ٢٠% من الطلاب غير القادرين على دفع تلك الاجور بشرط ان يستمر هولاء في دراستهم دون رسوب (٦) .

وعلى الرغم من تحديد قانون المعارف ملاك الهيئة التعليمية للمدارس الاعدادية ب٦ معلمين لكل مدرسة مع معاونيهم(٧) إلا أن المدارس الاعدادية في الولايات العراقية اتسمت بارتفاع ملاك هيئاتها التعليمية(*) ، فعلى سبيل المثال بلغ عدد المعلمين في المدرسة الاعدادية في بغداد (١٦) معلما سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩(٨)، وارتفع العدد إلى (١٨) معلما في السنة التالية التالية (٩) فيما تكونت الهيئة التعليمية للمدرسة الاعدادية في ولاية الموصل (المركز)من(١٠)

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدرسة. انظر فيضي ، المصدر السابق ، ص ص٧٩-٨٣ .

(٢) س . و .ب ، سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص ص٩٩-١٠٠ .

(٣) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٦٣ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٤٥ .

(٤) جريدة الزوراء العدد ١٣٩٧ ، ٨ حزيران ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ؛ العدد ١٤٠١ ، ٢٠ تموز سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م

(٥) الليرة تساوي رسمياً ١٠٠ قرش . علي، النظام المالي... ص١٧٥ .

(٦) النجار ، التعليم في العراق ... ص ٣٥٤ .

(٧) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٦٢.

(*) ضمت هذه المدارس ضمن كادرها التدريسي عدداً من العسكريين ، انظر : س.و.م سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م، ص١١٧.

(٨) س.ن.م.ع سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ص١١٧.

(٩) المصدر نفسه سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ص١٠٦٢.

معلمين سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م [١] أما بالنسبة إلى المدرسة الاعدادية الاهلية في البصرة ، فبلغ مجموع معليميها ١٠ معلمين سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م [٢] إلى جانب ذلك امتازت ملاكات هذه المدارس بالكفائة والتخصص .

تولت وزارة المعارف في استانبول توزيع خريجي دار المعلمين العالية[٣] على المدارس وكانت ضمن ملاك هذه المدارس أيضا ملاك خدمي مكون من مبصر وبواب [٤].

أما بالنسبة إلى اعداد الطلبة فقد اوردت المصادر الرسمية (السالنامات) معلومات تفصيلية عن ذلك ، إذ بلغ مجموع طلاب المدرسة الاعدادية في بغداد (١٢٧) طالباً سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م[٥] ارتفع العدد إلى (٢٢٦) طالباً سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م[٦] . فيما ضمت صفوف المدرسة الاعدادية الملكية في الموصل (٢٤١) طالباً سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م[٧] . وذكرت سالنامة ولاية الموصل سنة ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١-١٩١٢م بان عدد طلاب المدرسة ذاتها كان ١٦٣ طالباً ، في حين لغ عدد طلاب المدرسة الاعدادية الملكية في كركوك وللسنة ذاتها (١٣٥) طالبا ، أما طلاب المدرسة الاعدادية في السليمانية فكان (٣٤) طالبا سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م [٨] وقدر تعلق الامر بالنسبة للمدارس الاعدادية في ولاية البصرة فقد ذكر أحد المصادر بان عدد طلاب المدرسة الاعدادية في البصرة سنة

١٣٢٩هـ/١٩١١م كان ٨٠طالباً [٩] .في حين ذكر مصدر اخر بان عدد طلاب مدرسة الاتحاد والترقي (يادكار حريت سابقا) بلغ ١٦٠ طالباً سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م[١٠] .

---

(١) س. و. م. سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢ م ، ص ١١٧.

(٢) فيضي ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩-٨٠.

(٣) دار المعلممين العالية في استانبول وهي احدى المؤسسات التعليمية التي يعود تاريخ افتتاحها إلى سنة ١٨٥٠م ، انظر : الهلالي : تاريخ التعليم في العراق ، ص١٨٢.

(٤) الدستور المصدر السابق م٢، ص١٦٢.

(٥) س.و.ب ، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص١٢٠. ومن الجدير بالذكر ان هذه المدارس الاعدادية سمحت لطلاب الغير مسلمين للالتحاق بها وان تفاوتت اعداد المقبولين من ولاية الى اخرى، فعلى سبيل المثال ذكرت سالنامه ولاية بغداد ١٣٢٥ هـ/١٩٠٧ م بان مجموع طلاب الاعدادية الملكية لتلك السنة كان (٢٥٧) طالباً كان من ضمنهم (١٩) طالباً غير مسلم أنظر س.و.ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ص٩٠

(٦) بيات، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ١٢.

(٧) س.و.م ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص١٥٨.

(٨) المصدر نفسه سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م ، ص٢٩٤،٢٣٧.

(٩) الارحيم المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(١٠) فيضي ، المصدر السابق ، ص ص ٨٠-٨١.

شكلت قلة اعداد المدارس الاعدادية أو انعدامها في أماكن اخرى موضوعاً لمناقشات عدد من النواب العراقيين في مجلس المبعوثات عندما رفع نائبا كركوك في المجلس صالح باشا ، ومحمد علي قيدار مذكرة إلى رئيس المجلس تطرقا فيها إلى تأخر التعليم في قضاء كركوك وعجز المدارس الموجودة فيها عن استيعاب الاعداد الكبيرة من الطلاب ، كما طالب بفتح مدرسة اعدادية ورشدية ، وابتدائية علاوة على المدارس الصناعية ، فيما نبه نائب بغداد ، مصطفى الواعظ إلى أنه لا توجد مدرسة اعدادية في الحلة [١].

وامعانا في السياسة العنصرية التي انتهجها الاتحاديون حاول بعض مدرسي المدرسة الاعدادية في بغداد ، احباط سعي مئة طالب عربي في الامتحان[٢] . لذلك دعت مجلة (لغة العرب) "والي الولاية إلى التدخل لانصاف الطلاب ، واصلاح هذا الخلل ..."[٣].

وفي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م قررت وزارة المعارف تحويل المدرسة الاعدادية في بغداد إلى مدرسة سلطانية[٤] ،وفي الوقت نفسه حاول والي الموصل انذاك ، سليمان نظيف ، تطبيق الشيء نفسه في الموصل ، إلا أن جهوده باءت بالفشل امام رفض وزارة المعارف الموافقة على هذا الاجراء[٥].

أما بالنسبة للتعليم الاعدادي للبنات ، فلم تكن هناك سوى مدرسة اعدادية واحدة في بغداد جرى افتتاحها سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٤م[٦].

ب- المدارس الاعدادية العسكرية:-

توافقا مع المنهج التي سارت عليه الدولة العثمانية في اعطاء الاولوية للتعليم العسكري وبغية تخريج الطلبة المؤهلين لاكمال دراستهم في الكلية الحربية في إستانبول [١] جرى افتتاح اولى الاعداديات العسكرية في بغداد سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م [٢].

([١]) عصمت برهان الدين عبد القادر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثات ١٩٠٨-١٩١٤، رسالة ماجستير، كلية الاداب (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) ،ص١٥٠.

([٢])جريدة صدى بابل ، العدد ٢٠٤، ١٤ ايلول سنة١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣م.

([٣]) مجلة لغة العرب ، م٣، ج٥، تشرين الثاني سنة ١٩١٣، ص٢٧٧.

([٤])المصدر نفسه ، م٣، ج٦ ، تشرين الثاني سنة ١٩١٣، ص٣٣٢.

([٥]) العبيدي ، الادارة العثمانية في ولاية الموصل... ، ص١١٤.

([٦]) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد... ، ص٨١.

تولت قيادة الجيش السادس الاشراف اداريا على المدارس العسكرية بضمنها المدرسة الاعدادية العسكرية بما في ذلك دفع نفقاتها المالية ، فعلى سبيل المثال بلغت النفقات السنوية للمدرسين العسكريين الرشدية والاعدادية في بغداد سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م (٤٠٠٠) ليرة عثمانية ، ويعد هذا المبلغ كبيرا إذا ما قورن بالمبالغ التي كانت تصرف على المدارس المدنية المماثلة مما يدل على اهتمام الدولة بالمدارس العسكرية [٣] ، .

أما عن شروط التقديم إلى هذه المدارس فاشترط في الطالب المتقدم أن يكون من خريجي المدرسة الرشدية العسكرية [٤] ، وكانت مدة الدراسة في هذه المدارس ٣ سنوات ، ثم أصبحت ٤ سنوات منذ سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م عندما اضيفت لها سنة دراسية سميت (مخرج صنفي) كان على الطالب أن يجتازها قبل ابتداءه بالسنة الأولى من سنوات دراسته في الاعدادية [٥] . وقسمت الدروس في هذه الاعدادية إلى قسمين نظري وعملي ، حيث اشتملت الدروس النظرية على دراسة الجبر والهندسة المستوية والمثلثات والتاريخ والجغرافية والرسم وعلم الفلك، فضلاً عن دراسة عدد من اللغات كالتركية والفارسية والالمانية ودروس في الدين علاوة على الرياضة البدنية[٦] .

كانت المدرسة تحتوي على صنفين من الدراسة العسكرية ، الصنف الاول (بري) ، أما الصنف الثاني فهو (بحري) [٧] حيث لم يتجاوز عدد الطلبة المقبولين فيه في أحسن الاحول (٨٠)طالبا [٨].

شكل ضباط الجيش الغالبية من معلمي المدرسة[١] ، إذ بلغ مجموع معلميها(١٠) معلمين سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م [٢] ارتفع العدد إلى(١٢) معلما سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م [٣]

---

(١) انستاس ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا (البصرة ،١٩١٩) ص٢٠. أما ابرز المدارس العسكرية العليا في إستانبول فكانت الكلية الطبية العسكرية ومدرسة الفنون البحرية الهندسية والكلية الحربية.

(٢)محمد رؤوف الشيخلي ، المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠هـ إلى سنة ١٣٦٠هـ (البصرة،١٩٧٧) ، ص٢٥٨.

(3) Cuinet ,OP Cit ,p.100.

(٤) القصيري ، المصدر السابق ، ص٦١؛ القيسي، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية .. ص١٢٤ ؛ العطية المصدر السابق ص ١٣٥.

(٥) النجار ، التعليم في العراق ...ص١٧٩.

(٦) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد... ، ص٩٩ ؛ Cuinet , op., cit ,p.99.

(٧) استحدثت هذا القسم سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م في الوقت الذي ذكر مصدر اخر وجود مكتب بحري سلطاني في ولاية البصرة ، جرى افتتاحه سنة ١٨٩٠هـ / ١٨٧٣م ، للتفاصيل انظر : عوامل فعالة ، ص٦٩.

(٨) الهلالي ، تاريخ التعليم ... ، ص١٦٤.

كانت الدراسة في هذه المدرسة داخلية ومجانية [٤] . وكان الطالب يتقاضى خلال الدراسة راتبا شهريا قدره ١٩ قرشا صاغ وبعد انهاء الطالب الدراسة في هذه الاعدادية يتم ارساله على نفقة الحكومة إلى استانبول لاكمال دراسته العليا بالكلية الحربية [٥] يتخرج الطالب بعدها برتبة ضابط ، وكان هذا أحد الاسباب الرئيسية في إزدياد اقبال الطلبة على الالتحاق بهذه المدرسة ولا سيما ابناء العوائل الفقيرة[٦].

أما بالنسبة إلى اعداد طلبة هذه الاعدادية فكان (٧٠) طالبا سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م وارتفع العدد إلى(٢١٨)طالبا سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م[٧] إلى(٤٠٣) طالبا سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م[٨] ليصل إلى (٥٠٠)طالب سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م[٩] .

والمتتبع لاعداد الطلبة المتخرجين من هذه الاعدادية يلاحظ قلة اعداهم بالقياس إلى اعداد الطلبة المقبولين ، وكمثال على ذلك بلغ عدد الطلبة المقبولين (٧٠)طالبا سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م تخرج منهم (١٣) طالبا[١٠] . وينطبق الحال نفسه على خريجي السنوات اللاحقة ، وان دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على الشدة والجدية التي انتهجتها ادارة المدرسة في اعداد الطالب وتخريجه حيث يخضع الطالب إلى عدة امتحانات خلال السنة فضلاً عن الامتحان النهائي .

أما اخر دورة تخرجت من هذه المدرسة فكانت في سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، إلا انها لم تلتحق بالكلية الحربية ، بسبب إعلان الحرب العالمية الأولى ، وتوقف الدراسة في هذه المدرسة ، وظلت بناية هذه المدرسة قائمة حتى سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م حيث تم اتخاذها مستشفى[١١] .

قدمت هذه المدرسة اعدادا كبيرة من الضباط ، الذين تقلدوا مناصب عالية في الدولة العراقية نذكر منهم ياسين الهاشمي و نوري السعيد وعددا اخر من الشخصيات العراقية[١] .

([1]) Cuinet ,op., cit. ,p. 99.

([٢]) س.ن.م.ع سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، ص١٠٦٣.

([٣]) المصدر نفسه سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص١١٨١-١١٨٢.

([4]) Cuinet ,op., cit ., p.99.

([٥]) ارسل جميع طلاب الدفعة الأولى إلى المدرسة الحربية في استانبول ، العزاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٩.

([٦]) طالب مشتاق ، اوراق ايامي ، ج١، ط٢، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع (بغداد، ١٩٨٩) ، ص ٣٦.

([٧]) القصيري ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

([٨]) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص١٠٠ .

([٩]) القصيري ، المصدر السابق ، ص ص ٦٣-٦٤ .

([١٠]) المصدر نفسه ؛ عبد الله ، المصدر السابق ، ص١٤٧ .

([١١]) القصيري ، المصدر السابق ، ص ص ٦٣-٦٤ .

المدارس السلطانية :

هي نوع أخر من المدارس الاعدادية إلا أنه يفوقها تنظيماً ومستوى ، أما اول مدرسة سلطانية جرى أفتتاحها في الدولة العثمانية فهي مدرسة غلطة سراي سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، حيث ابدت الدولة العثمانية اهتماماً ملحوظاً بهذه المدرسة إذ نص المرسوم السلطاني القاضي بانشائها على وجوب أن تكون هذه المدرسة على شاكلة المدارس الاوربية[٢] .

افرد قانون المعارف جانبا من موأده لهذا النوع من المدارس ، فعلى سبيل المثال نصت المادة (٤٢) من هذا القانون على أن تفتح مدرسة سلطانية في المدينة أو القصبة التي تكون

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) بلغ عدد الطلبة المسجلين في السنة الأولى من إفتتاحها (٣٤١) طالبا، ارتفع هذا العدد إلى اكثر من (٦٠٠) طالب في السنة التالية للتفاصيل انظر : Davison OP . Cit . , pp . 246 – 247 .

مركزا للولاية[1] . إلا أن الدولة العثمانية لم تتوسع في عملية فتح المدارس السلطانية حتى فترة متأخرة ، ففي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى افتتاح عدة مدارس من هذا النوع في العاصمة استانبول ، ثم في ولايات الدولة العثمانية ، حتى بلغ مجموع المدارس السلطانية سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م (٢٦) مدرسة[2] . أما الولايات العراقية ، فإن اول مدرسة جرى افتتاحها، القائمة على أعطاء الافضلية في افتتاح المدارس للمناطق التي تسكنها أقلية تركمانية ومنها كركوك التي فيها كانت في مركز لواء كركوك[3] .

حدد قانون المعارف مدة الدراسة في المدارس السلطانية بـ (٦)سنوات ، ثم اصدرت الدولة نظاماً خاصاً لهذه المدارس مدد الدراسة في هذه المدراس الى(٧) سنوات حيث قسمت الدراسة فيها إلى قسمين وعلى الشكل الاتي :

١. القسم الاول : الذي خصص لقبول الطلاب من خريجي المدارس الرشدية مدة الدراسة كانت ٦ سنوات .
٢. القسم العالي : واحتوى على فرعين ادبي ، وعلمي ، واشترط في المتقدم للدراسة إلى هذا القسم انهاؤه للدراسة الاعدادية[4] .

أما عن المواد الدراسية فيها ، فكانت نفس دروس المدارس الاعدادية الملكية تقريبا إذ كان الطلب يتلقى الدروس في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية ، فضلاً عن اللغات التركية والفارسية والانكليزية والفرنسية[5] .

---

(1) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٦٣ .

(2) النجار ، التعليم في العراق... ، ص٣٥٦ .

(3) احمد ، ولاية الموصل .. ، ص٨٣ (فيما أورد أحد المصادر راياً مغايراً لهذا الراي ، عندما اشار إلى أن نية الحكومة كانت متجهة إلى افتتاح هذه المدرسة في ولاية الموصل إلا أن نائب كركوك علي قيردار تمكن من اقناع والي الموصل انذاك سليمان نظيف بتأسيس المدرسة في كركوك على أن يقوم الاهالي بتشييد البناية ووفقا للخارطة المنظمة من وزارة المعارف ، كلدان ، المصدر السابق ، ص٤٣ . إلا أن هذا الراي بعيد عن الصواب لان إنشاء مثل هكذا مدرسة يقتضي موافقة نظارة المعارف ، بدليل رفض الاخيرة طلب والي الموصل(سليمان نظيف) تحويل المدرسة الاعدادية إلى مدرسة سلطانية كما سياتي الحديث عن ذلك لاحقاً) .

(4) فيما ذكر الهلالي في مؤلفه تاريخ التعليم في العراق ... ، ص١٥٨ ، أن مدة الدراسة في هذه المدارس كان ١٢ سنة جرى توزيعها على الشكل الاتي :
١. القسم الابتدائي : يتالف من خمسة صفوف .
٢. القسم الثاني : ويتالف من سبعة صفوف .

(5) الغريباوي ، المصدر السابق ، ٨٣ .

بقيت المدرسة السلطانية في كركوك المدرسة الوحيدة حتى سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣ عندما قررت نظارة المعارف تحويل المدرسة الاعدادية في بغداد إلى مدرسة سلطانية[1] . حيث تم قبول (٨٠) طالباً للدراسة فيها[2] . فيما حاول والي الموصل سليمان نظيف سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م تحويل الاعدادية في الموصل إلى مدرسة سلطانية ، لكن نظارة المعارف رفضت طلبه . أما في ولاية البصرة فأسست اول مدرسة سلطانية فيها في ايلول ١٣٣٢هـ/١٩١٤م [3]إلا أن الدراسة فيها لم تستمر طويلاً بسبب الاحتلال البريطاني للبصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٣٣٢هـ/١٩١٤م كما ادت الحرب إلى توقف الدراسة في المدارس السلطانية الاخرى[4] .

٥-مدرسة نواب الضباط الحربيين

اطلق على هذه المدرسة[*] (كوجك ضابطان مكتبي)[5] ، وكان يقبل فيها خريجوا المدارس الاعدادية (المدنية والعسكرية) ، أما مدة الدراسة فيها فكانت ستة اشهر[6] يتلقى الطالب الطالب خلالها دروسا ومحاضرات عسكرية مركزة في الفنون النظرية والتدريسية ومحاضرات في الجوانب القتالية[7] . وبعد انهاء الطالب لدراسته يتم تنسيبه إلى الوحدات العسكرية العاملة في الجيش[8] .

---

(١) الجبوري ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ٢١٩ ، ٢٨ كانون الاول سنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م .

(٣) حامد البازي ، البصرة في الفترة المظلمة ، دار البصري ، (بغداد ، ١٣٨٩هـ) ، ص١٣٠ .

(٤) فيضي ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

(*) تشغل محلها اليوم (اعدادية الكرخ للبنين)

(٥) جريدة صدى بابل ، العدد ١٥٦ ، ٦ تشرين الاول سنة١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م ؛ حيث ذكر أحد المصادر أن الفضل في افتتاح هذه المدرسة يعود إلى والي بغداد ناظم باشا (١٩١٠-١٩١١) الذي احضر عدداً من خريجي ضباط الصف في استانبول للاشراف على إنشاء هذه المدرسة في بغداد انظر : عبد الله ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

(٦) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ... ص١٦٣.

(٧) المصدر نفسه ، ص١٦٣ .

(٨) عبد الله ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

أما ملاكها التعليمي فكانت الغالبية العظمى منه من الضباط الاتراك وبعض العراقيين[١]. فضلا عن طبيب يتولى الاشراف الطبي على منتسبي هذه المدرسة[٢] .

استمرت الدراسة في هذه المدرسة حتى الحرب العالمية الأولى حيث توقفت على اثر التحاق عدد من اساتذتها وطلابها بساحات القتال[٣] .

وفي اواخر سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م أسست مدرسة لاعداد افراد الدرك (الجندرمة) في بغداد[٤] وفي الوقت نفسه جرى إفتتاح مدرسة للشرطة ، اوكل اليها مهمة تخريج الملاكات العاملة في سلك الشرطة ، فضلا عن تدريب مدراء النواحي وتدريسهم بغية رفع كفاءتهم الادارية[٥] .

٦-المدارس المهنية

يعود إنشاء اول مدرسة مهنية في العراق إلى مدحت باشا الذي أنشى اول مدرسة صنائع في بغداد سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م[٦] من الاعانات التي جمعت من وجهاء المدينة واثريائها[٧] . اعقبها تأسيس مدارس مماثلة في الموصل[٨] . وكركوك[١] . في حين ذكرت مصادر اخرى

([١]) كان من جملة معلميها العراقيين علي جودت الايوبي ، جعفر العسكري ، نوري السعيد. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٣ ، مطبعة الشعب، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص١٧٥ .

([٢]) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٢٥ ، ٨ شباط ١٣٣٢هـ/١٩١٤ م .

([3]) I . O . R . L/P + S /10/212 , Summary of Events in Turkish Iraq During February and March , 1914 1914 .

([٤]) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص١٥ .

([٥])المصدر نفسه .

([٦]) جاسم محمد حسن العدول ، (تاريخ اول مدرسة صناعية في بغداد)، ندوة بغداد في التاريخ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص٤٣ ، فيما اشار المؤلف نفسه وفي مصدر اخر إلى وجود مدرسة صناعية ثانية قامت الارسالية الكرملية بافتتاحها في ولاية بغداد سنة١٣٢١ هـ/١٩٠٣ م حسن، المصدر السابق ، ص٣٢٣ .

([٧]) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٦ ، ٣ صفر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ؛ العدد ١٤٨ ، ١ ربيع الاول ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م

([٨]) لم تتفق المصادر لحد الان على تاريخ محدد لافتتاح هذه المدرسة ، فقد ذكر بعضهم أن افتتاح هذه المدرسة المدرسة كان في العقد السابع من القرن التاسع عشر ، انظر ، ابراهيم خليل احمد (مدرسة صنائع الموصل) ، جريدة الحدباء ، العدد ٢٢٢ ، ١٣ ايلول ١٩٨٥ ، في حين ينفي المؤلف جميل موسى النجار في كتابه التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير... ، ص١١٦ ، أن يكون تأسيس هذه المدرسة قد جرى في عهد مدحت باشا مستندا في ذلك إلى شكوى تقدم بها أحد ابناء الموصل ونشرتها جريدة (الزوراء) ، ناشد من خلالها ابناء مدينته المباشرة ببذل المساعدات المالية لانشاء مدرسة صنائع في الموصل على غرار (مدرسة صنائع في بغداد ، واقتداء باهالي مدينة كركوك) .

وجود محاولة متأخرة لافتتاح مدرسة مهنية في البصرة وتحديدا سنه ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب رفض السلطات العثمانية

الموافقة على انشائها[٢].

اولى مدحت باشا اهتماما ملحوظا لتلك المدارس وتحديدا مدرسة صنائع بغداد ويبدو أن خلف هذا الاهتمام مجموعة من الاسباب ، يقف في مقدمتها الرغبة في تعليم الايتام وابناء الاسر الفقيرة بعض الصناعات والحرف التي تعينهم على كسب قوتهم[٣] . ومن ثم امكانية الاستفادة من الملاكات المتخرجة في تشغيل المعامل والمشاريع الصناعية التي كان مدحت باشا يروم انشاءها في العراق[٤] . فضلا عن تنمية المنتجات المحلية ، وبالتالي الحد من ظاهرة إستيراد المنتجات الاجنبية من الخارج[٥] .

إقتصر القبول في هذه المدارس بالدرجة الاساس على اولاد الفقراء ، واليتامى حيث جرى توزيعهم على فروع المدرسة كالحدادة ، والنسيج ، وصناعة الاحذية والخياطة[٦] . في الوقت الذي أستوردت فيه المكائن اللازمة لهذه المدارس من اوربا[١].

---

(١) اطلق عليها تسمية اصلاح خانة التي تم انشاؤها بتبرعات الاهالي انظر صالح عبد الله سرية ، تطور التعليم الصناعي في العراق ، فيما افادت مصادر اخرى إلى افتتاح مدرسة صنائع ثانية في قضاء كركوك سنة١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م وبجهود من متصرف القضاء عون الله الكاظمي ويبدو أن الأمر لا يتعدى استئنافاً للدراسة في مدرسة الصناعة في كركوك التي ربما تكون قد توقفت قبل ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م للتفاصيل انظر I .O . R . L/P : S /10/212 , Summary of Events in Turkish Iraq During July , 1913 . P . 57 .+ كلدان المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) فيضي ، المصدر السابق ، ص٨٨ ؛ اليوسف ، المصدر السابق ، ص١٧٢ .

(3) Chiha , OP . Cit ., P . 103 .

(٤) هناء رجب ، (التعليم في العراق بين الماضي والحاضر) ، مجلة المعلم الجديد ، م٤٣ ، ج٣ ، تشرين الاول ، ١٩٨٦، ص٢٤ .

(٥) المصدر نفسسه .

(٦) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص١٦٦ .

أما عن مدة الدراسة في هذه المدارس فكانت خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية يحصل بعدها الطالب على شهادة الدبلوم ، وبغية تمكين الطالب المتخرج من ممارسة حرفته قدمت مدرسة صنائع بغداد(٢)، قرضاً مالياً للطالب المتخرج يستعين به في شراء الادوات اللازمة لممارسة المهنة التي تدرب عليها(٣) .

كانت الدراسة في هذه المدارس داخلية ومجانية وعلى نفقة الحكومة ، أما عن طبيعة الدروس فكانت على نوعين نظرية وعملية ، اشتملت الدروس النظرية على دراسة التاريخ والجغرافية ، والجبر ،والحساب ، فضلا عن دراسة عدد من اللغات كالتركية ، والعربية ، والفارسية والفرنسية(٤) . فيما اضاف نامق باشا (١٨٩٩-١٩٠٢) مادة الموسيقى إلى مواد الدراسة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بغية اعداد ، عدد من الموسيقيين وتدريبهم لوحدات الجيش(٥) . واشتملت الدروس العملية على البرادة والحدادة وصناعة النسيج الصوفي والحريري وصناعة السجاد والاحذية(٦) . كما استعانت هذه المدارس بعدد من الحرفيين المهرة الذين وصل عددهم إلى (٧) معلمين سنة ١٩٠٧(٧) . فيما لم يزد عدد معلمي المواد النظرية على اربعة معلمين فقط(٨) .

أما عن طبيعة نظام الامتحانات في هذه المدارس ، فكانت سنوية إذ يتم اجراؤها امام لجنة من الممتحنين ، كانت تضم في عضويتها عدد من الشخصيات البارزة في كل ولاية(٩).

---

(1) I . O . R . L/P + S /10/212 , Summary of Events in Turkish Iraq During June , 1914 . P . 66 ; Cuinet . OP . Cit ., P . 100 .

(٢) ستركز الدراسة على مدرسة صنائع بغداد لتعذر الحصول على نشاطات مدرستي صنائع كركوك والموصل ، إذ ودت اول اشارة إلى هاتين المدرستين في المصادر الرسمية العثمانية (السالنامات) في سنة ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م وبشكل مقتضب انظر س.و.م سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، ص١٤٠ ، ص٢٣٨ .

(٣) اشترطت المدرسة على طلبي هذا القرض أن يكونوا من سكنة بغداد حصراً ، ولعل هذا الشرط كانت تقتضيه ظروف البلاد وعدم القدرة على تحصيل هذا القرض إذا ما رحل المتخرج عن العاصمة ، نوار تاريخ العراق الحديث ، ص٣٨٣ .

(٤) جاسم الحياني ، التعليم الصناعي في العراق ماضيه وحاضره ، بحث مستل من المؤتمر الهندسي العربي التاسع المنعقد في بغداد للفترة من ١٣-١٨ كانون الاول ، ص٦ ؛ جريدة صدى بابل ، العدد ٢٠٤ ، ١٤ ايلول ١٩١٣ .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٥ ، ٩ شعبان سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(٦) الحياني ، المصدر السابق ، ص٦ .

(٧) للتفاصيل انظر س.و.ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص٩٨ .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٠٠ ، ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م .

أوكل إلى البلديات مهمة الاشراف على مدارس الصنائع ، أما مدرسة صنائع بغداد فقد إستمر اشراف الدائرة البلدية على إدارة شؤونها حتى سنة١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م [١] . عندما احيلت مهمة الاشراف تلك إلى لجنة خاصة سميت بـ (مكتب صنايع قومسيوني) ، هيئة أو لجنة مدرسة الصنائع كان من ابرز اعمالها استحداث قسمين جديدين هما البرادة وصناعة السجاد[٢] .

عدت مدارس الصناعة مؤسسات انتاجية ، إذا اتسمت منتجاتها بالجودة وباعتراف الكثيرين منهم الرحالة وليم بيري فوك ، الذي قام بزيارة لمدرسة صنائع بغداد حيث قال عنها ذهبنا إلى مؤسسة كانت اكثر اهمية بالنسبة لي من جميع الاماكن التي زرتها وهي مدرسة الصناعة للاولاد والايتام حيث وجدنا ٨٠ غلاما ... كانت تبدو عليهم علامات الذكاء والنباهة كانت مصنوعاتهم حسنة جداً باعتبار صناعها لا يزالون صغاراً ..."[٣] وقد استطاع منتسبو هذه المدرسة أن يسهموا في تركيب بعض السفن النهرية في ترسانة بغداد عوضا عن الايدي الاجنبية التي تقوم بالمهمة كما عملوا في معامل النسيج وصناعة الاحذية إلى جانب ادارتهم وتشغيلهم مطبعة الولاية[٤] .

عانت مدارس الصنائع منذ مرحلة مبكرة من مشاكل ومعوقات اثرت وبشكل كبير في سير التدريسات فيها لعل ابرزها :

١. افتقارها إلى الموارد المالية الكافية :

اعتمدت هذه المدارس على عائد انتاجها في سد مصاريفها ، الذي شكل أحد المصادر الرئيسية من مصادر تمويل هذه المدارس[٥]. فيما شكلت أموال الاوقاف المصدر الثاني من هذه المصادر[٦] . ومع ذلك لم تكن هذه العائدات لتغطي حاجات هذه المدارس ، ولا سيما بعد تراجع الدراسة فيها نتيجة لقلة الاهتمام بهذه المدارس ، وامام الضائقة المالية ناشدت ادارتا مدرستي صنائع بغداد وكركوك بتقديم المساعدات المالية لهاتين المدرستين ويبدو أن هذا الطلب

---

(١) سرية ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٢) اسندت رئاسة هذه اللجنة إلى مصطفى فهمي بك ناظر الديون العمومية ، فضلا عن عدد من الموظفين البارزين نذكر منهم محمد فهمي المدرس، وفؤاد بك مفتش الصحة، ومهندس البلدية(موجيل) ... عدد أخر من الموظفين البارزين. . انظر بيل، المصدر السابق ، ص٤١ .

(٣) فوك ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٩٥ ، ٨ رجب ١٣٠٩هـ/١٨٩١م .

(٥) قدر Cuinet العائد السنوي لمدرسة صنائع بغداد بـ (١٠٠٠) ليرة عثمانية Cuinet , OP . Cit , . P . 100 .

(٦) العدول ، المصدر السابق ، ص٤٥٦ .

لقي استجابة جيدة في بادئ الأمر من الاهالي والموظفين[١] . إلا أن حملة التبرع تلك ما لبثت أن فترت بعد مدة قصيرة بدليل مناشدة طلاب المدرسة الرشدية المدنية في كركوك اهالي القضاء بالاستمرار بتقديم العون لمدرستهم ومدرسة الصنائع كي يتاح لها الاستمرار في عملها[٢] . ولمواجهة هذه المشكلة اقترح عدد من النواب [٣] في مجلس المبعوثان العثماني[*] ،

الحاق مدارس الصنائع بوزارة النافعة والاشغال العامة) وتخصيص مبالغ كافية لها من الوزارة[٤] .
.

يبدو أن قلة الدعم المالي لمدارس الصنائع قد اثر سلباً في نشاط هذه المدارس إلى الحد الذي توقفت فيه مدرسة صنائع بغداد عن اداء امتحاناتها النهائية لبضع سنوات[٥] . وقد افتقدت جريدة (الزوراء) الاهمال الذي أسس عليه مكتب صنائع بغداد بقولها : "لم ينل هذا المكتب منذ وقت طويل ما هو حري به ومحتاج إليه فبقي محروما من الانتظام ادارة وتدريباً .. وخرج عن كونه مكتبا ودخل في شكل منزل لمسافري الاطفال ، وقد امتد معه زمن الاهمال حتى أن الامتحان الذي هو من ايجابيات الاحوال المتخذة ترك منذ زمن يزيد على ١٦ سنة ..."[٦] .

---

(١)فضلاً عن التبرعات النقدية ، كانت هناك بعض التبرعات العينية منها تبرع أحد المواطنين بارض زراعية في قضاء بدرة ، ثم تخصيص وارداتها السنوية البالغة (١٢١) ليرة عثمانية لصالح مدرسة صنائع بغداد انظر : كمال بك حتاتة (معربا) ، مذكرات مدحت باشا، ط١ ، (د.ت) ، ص١٦٨ ؛ النجار، التعليم في العراق ... ، ص١٨٤ ؛ فيما اوردت جريدة الزوراء ولاعداد متفرقة قوائم باسماء المتبرعين لمدرسة صنائع (بغداد) ومن مختلف الولايات العراقية انظر : جريدة الزوراء ، العدد ١٦٢ ، ٦ تموز ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م؛ العدد ١٧٠ ، ٣ اغسطس ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ؛ العدد ١٧٥ ، ١٧ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

(٢) النجار ، التعليم في العراق ...، ص ص ١٩٠-١٩١ .

(٣)منهم داؤد يوسفاني ، محمد علي فاضل ، محمد علي قيردار . انظر. احمد،ولاية الموصل ... ، ص٥٨ .

(*) مجلس المبعوثان العثماني هو مجلس النواب العثماني الذي نص دستور سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م على تشكيله وقد عقدت الدورة الاولى للمجلس في اذار ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م وفي سراي (طولمة باغجة) ، وبلغ معجموع النواب الممثلين في المجلس (١٠٦) نائب ، كانت حصة الولايات العربية منها (١٦) نائبا لمزيد من التفاصيل انظر . عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٤) احمد ، ولاية الموصل ... ، ص٨٥ .

(٥) للتفاصيل ، انظر : عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص٨٩ .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٤٩ ، ٥ رمضان سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ .

أمـا بالنسـبة لمدرسـة صـنائع كركـوك فـاكتنف الغمـوض نشـاط المدرسـة للمـدة بين ٨٧٢ –١٩٠٨[١] باستثناء اشارة سريعة في أحد المصادر إلى توقف نشاط هذه المدرسة التعليمي بعد سنوات من انشائها[٢] .

٢. قلة اهتمام السلطات الحكومية بهذه المدارس ولا سيما بعد عزل مدحت باشا عن الولاية الأمر الذي عرض الدراسة في هذه المدارس إلى التوقف بعض الشيء ، ونخص منها بالذكر مدرستي صنائع كركوك والموصل ، ويبدو أن الدراسة في المدرسة الاخيرة قد توقفت ، إذ لم يرد أي ذكر لهذه المدرسة في المصادر العثمانية (السالنامات) ، وامام إفتقار ولاية الموصل إلى مثل هذه المدرسة ، قرر مجلس ولاية الموصل اعادة إنشاء مدرسة صنائع الموصل ، حيث حصلت موافقة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩) على انشائها على أن يتم الصرف عليها من واردات الجسر المقام على نهر دجلة([٣]) . ومع ذلك تأخر إنشاء هذه المدرسة إلى سنة١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م ، بدليل مناشدة جريدة (النجاح) "ارباب الحمية من أهل الحل والعقد أن يبذلوا الجهد لتأسيس مكتب الصنائع"[٤] . الذي تبرعت بلدية الموصل بتشييد بنايته[٥] . وينطبق الحال نفسه على مدرسة صنائع بغداد التي اقتصر الاهتمام بها على بعض الجهود الفردية ، نخص منها بالذكر جهود والي بغداد نامق باشا (١٨٩٩–١٩٠٢) الذي ابدى اهتماما واسع النطاق بهذه المدرسة من خلال توسيعه لمناهجها الدراسية[٦] ، واقسامها العلمية ، من خلال استحداثه لقسم النجارة سنة١٣١٩ هـ/ ١٩٠١م [٧] ، كما عمل على جلب مكائن جديدة للمدرسة من اوربا لتأسيس معمل للغزل تابع للمدرسة[٨] .

([١]) وردت اول اشارة وبشكل عابر إلى مدرسة صنائع كركوك في المصادر الرسمية العثمانية سنة ١٩١١ ، انظر: س.و.م سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م ، ص٢٣٨ .

([٢]) نوار ، عوامل فعالة ، ص ٩٥ .

([٣]) الارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء (استانبول) ، الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية ١٥٢٥ – ١٩١٩ ترجمة خليل علي مراد وعلي شاكر علي نسخة خطية مصورة محفوظة في مركز دراسات الموصل ، ١٩٩٥ ، ص٩٤ .

([٤]) جريدة النجاح ، العدد ٢٨ ، ١٣ جمادي الاخرى سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

([٥]) تم إنشاء هذه المدرسة على تل كناسة المقابل لباب سنجار ، حيث استعملت انقاض مخفر باب سنجار لبناء لبناء هذه المدرسة ، انظر : احمد علي الصوفي ، خطط الموصل ، ج١ ، ط١ ، (الموصل ، ١٩٥٣) ، ص٢٥ .

([٦]) للتفاصيل انظر جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٥ ، ٨ ربيع الاخر ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

([٧]) المصدر نفسه ، العدد ١٨٧٥ في ١٤ ربيع الاخره سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

([٨]) الهلالي ، تاريخ التعليم ... ، ص ص ٢٠١–٢٠٢ .

٣. قلة اعداد الطلبة :

شكل عزوف الكثير من الاهالي عن ارسال ابنائهم إلى هذه المدارس أحد الاسباب الرئيسية في قلة اعداد طلبة مدارس الصنائع ، لانها بسبب اعتقادهم لم تكن جديرة بالاحترام ، لان الغالبية العظمى من طلابها هم من الايتام والفقراء[١] .

أمام هذه المشاكل مجتمعة بدأ التراجع التدريجي لهذه المدارس الذي انعكس في تناقص اعداد الطلبة الملتحقين للدراسة فيها فبعد ان كان عدد طلاب مدرسة صنائع بغداد في السنة الاولى من افتتاحها (١٤٤) طالبا[٢] انخفض هذا العدد إلى (٦٩) طالبا سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م[٣] ليرتفع العدد إلى (١٣٠) طالبا سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[٤] ولعل تلك الزيادة في اعداد الطلاب انما ترجع إلى الاهتمام الذي اولاه والي بغداد نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢م) للمدرسة ، ليعود عدد الطلاب إلى الانخفاض حتى وصل إلى ٧٠ طالباً قبيل الحرب العالمية الاولى[٥] . في حين لم يتجاوز عدد طلاب مدرسة صنائع كركوك (١٣) طالبا سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م[٦] ، ثم (١٥) طالبا سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م[٧] .

استمرت الدراسة في هذه المدارس حتى اعلان الحرب العالمية الاولى[٨] ، حيث سخر الالمان مدرسة صنائع بغداد خدمة لاغراضهم العسكرية من خلال اشراف الخبراء الالمان على اقسام المدرسة وتحويل انتاجها لمتطلبات الجيش حيث اصبح طلابها مجرد عمال يؤدون ما يطلب منهم[٩] . وفي أعقاب انسحاب القوات العثمانية من بغداد ، عشية الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م بادرت القوات العثمانية إلى نسف هذه المدرسة ومكائنها وقامت باحراق بنايتها[١٠] .

---

(١) النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ١٩٠ .

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٧٩ .

(٣) س.و.ب ، سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ، ص ١٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ٢٤٦ .

(٥) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص ٩١ .

(٦) سرية ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٧) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص ٢٥١ .

(٨) جريدة العرب ، العدد ٥٤٣ ، ١٣ ايلول ١٩١٩ .

(٩) النجار ، التعليم في العراق ، ص ٣٦٠ .

(١٠) ذكرت احدى الوثائق البريطانية قيام الجيش العثماني المتقهقر بسلب محتويات مدرسة صنائع كركوك ، التي التي قامت سلطات الاحتلال فيما بعد بتحويلها إلى مستشفى مدني . انظر :
Reports of Administration for 1918 of Division and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia, vol., 1, Calcutta, p. 434.

افتقرت الولايات العراقية إلى وجود مدرسة زراعية فيها ، وامام حاجة البلاد إلى الكفاءات العلمية والمدربة في هذا المجال ، طالبت اصوات بتأسيس "مدرسة زراعية في الموصل"[١] ، نخص منها بالذكر مطالبة عدد من نواب العراق في مجلس المبعوثان العثماني وهم كل من داؤد يوسفاني ، ومحمد علي فاضل ، ومحمد علي قيدار ، كما طالبت جريدة (صدى بابل) في احدى اعدادها بوجوب أفتتاح مدرسة زراعية عالية في بغداد[٢] . وامام المطالب المستمرة بافتتاح مثل هكذا مدارس خاطب والي بغداد جاويد باشا (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) السلطات المركزية في استانبول لاستحصال الموافقات الرسمية[٣] . ويبدو ان هذه المدرسة لم يجر افتتاحها حتى نهاية الاحتلال العثماني للعراق .

٧-دور المعلمين :

مع ازدياد اعداد المدارس الابتدائية والرشدية ظهرت الحاجة لسد النقص الحاد في اعداد المعلمين في الولايات العربية ومنها الولايات العراقية ولاسيما ان معظم معلمي هذه المدارس كانوا من الاتراك ، كما ان الحكومة العثمانية واجهت صعوبات كثيرة في ارسال المعلمين من استانبول ،أو إرسال الطلاب العراقيين للدراسة في دار المعلمين في استانبول[٤]. ولذلك جرى افتتاح دور للمعلمين في كل من بغداد والموصل والبصرة[٥] .

اما عن شروط القبول فقد اشترط على المتقدم ان يكون قد انهى تعليمه في المدارس الرشدية أو المدارس الدينية ، فيما حددت المادة الرابعة من التعليمات الخاصة بالقبول بان لايقل عمر المتقدم عن ٢٠ سنة ، وان يتقن التركية قراءة وكتابة فضلاً عن اجتيازه لامتحان في بعض قواعد اللغة التركية[٦] .

---

(١) احمد ، ولاية الموصل ... ، ص ٨٥ .

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٣٨ ، ١٠ ايار ١٩١٤ .

(3) I.O.R.L. /p+ s//10/212, Summary of Events in Turkish Iraq during February and March 1914, p. 2097.

(٤) أرخت المصادر تاريخ أفتتاح هذه الدار ١٣٠٣ هـ/١٨٨٥ م . الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق... ، ص ١٧٠ .

(٥) مزعل ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ؛ احمد ، اوضاع التعليم ... ، ص ٥٦ ؛ فيما حدد مصدر اخر تاريخ تاريخ افتتاح دار المعلمين في ولاية البصرة سنة١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م . انظر النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ١٩٣ .

(٦) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص ٨٤ .

وفيمـا يتعلـق بالمنـاهج الدراسـية فكانـت نفـس المنـاهج المسـتخدمة فـي دور المعلمـين باستانبول ، التـي اشتملت علـى دراسـة الرياضـيات والهندسـة والعلـوم الطبيعيـة واصـول التـدريس وعلم الالهيات ، والتاريخ الاسلامي ، واللغة التركية ، والفارسية ، واللغة العربية ، والفرنسية[١] .

اما عن مدة الدراسة فكانت في البداية ٣ سنوات[٢] ، ثم اصبحت ٤ سنوات فيما بعد . كما اشترط على المتخرجين من هذه المدارس الخدمة الفعلية في مدارس الدولة مدة لا تقل عن ٥ سنوات ، وبعكسه تسترد جميع الرواتب التي تقاضوها طوال مدة وجودهم في الدار ، فضلاً عن حرمانهم من أهلية الشهادة التي حصلوا عليها[٣] . كان من المفروض ان تقسم الدراسة في دور المعلمين إلى ثلاثة اقسام وهي الابتدائي، والرشدي ، والعالي[٤] ، إلا ان كثيرا منها اقتصرت اقتصرت الدراسة فيها على القسم الابتدائي[٥] .

وقد تفاوتت اعداد الطلبة المقبولين في مدارس المعلمين من ولاية إلى اخرى ، ففي الوقت الذي لم تتجاوز فيه اعداد طلبة دار المعلمين في الموصل الـ (٥) طلاب سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م[٦] ذكرت سالنامات بغداد للسنوات١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠م ، ١٣١٩هـ/١٩٠١ م ، ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م ان اعداد طلبة هذه المدارس في بغداد بلغ (٤٠) طالبا[٧] . كما امتازت هذه المدارس بقلة اعداد صفوفها ، اذ لم تتجاوز الصفين في احسن الاحوال[٨] علاوة على قلة ملاكاتها التدريسية التي لم تتجاوز (٤) معلمين[٩] مما اضطرها في النهاية إلى الاستعانة ببعض ببعض الشيوخ والملالي[١٠] .

الجدول ذو الرقم (٥)

المناهج الدراسية وعدد الساعات الاسبوعية للقسم الابتدائي لدور المعلمين[١١]

اسماء الدروس	السنة الاولى	السنة الثانية

(١) الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ١٢ .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٣ ، ٢٥ رجب سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م . لمزيد من التفاصيل حول المناهج الدراسية لهذا القسم انظر الجدول ذو الرقم (٥) .

(٦) س.و.م سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧ م ، ص ١٥٨ .

(٧) س.و.ب للسنوات ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ٢٤٥ ؛ سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، ص ١٢٠ ؛ سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص ١٠٠ .

(٨) الغلامي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٩) س.و.ب ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ٢٤٥ .

(١٠) الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(١١) س.ن.م.ع سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ١٣٣ .

	عدد الساعات الاسبوعية	عدد الساعات الاسبوعية
القرآن الكريم والتجويد والفقه الشريف	٤	٣
قواعد اللغة التركية واملاؤها	٣	–
اصول التدريس	–	١
الانشاء	–	٢
الصرف والنحو العربي	٢	٢
قواعد اللغة الفارسية	٢	٢
اللغة الفرنسية	–	١
حساب	٢	٢
علم اشياء (الاشياء)	١	١
الجغرافية العمومية للدولة العثمانية	٢	٢
تاريخ – اسلام	٢	١
حسن الخط	١	١
المجموع	١٩	١٨

وفي اعقاب انقلاب سنة١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م شهدت دور المعلمين في العراق بعض الاهتمام ، حيث اتسعت مناهجها اسوة بما كان يجري في الولايات العثمانية الاخرى[١] كما تقرر ان يكون نظامها التعليمي نفس النظام المتبع في دار المعلمين في استانبول[٢] فضلا عن استحداث شعب جديدة ، فيما الحق ببعض منها عدد من الاقسام الداخلية التي يجري الانفاق عليها من اموال الدولة[٣] . فضلاً عن استخدام اللغة العربية إلى جانب اللغة التركية لغة التدريس[٤] وانعكس ذلك بالتالي على توسع قبول الطلبة ، اذ وصل مجموع طلاب دور المعلمين المعلمين في بغداد والموصل والبصرة إلى (٢٧٠) طالبا سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م[٥] كما الحقت بدار المعلمين في بغداد مدرسة ابتدائية للتطبيق اطلق عليها مدرسة "تطبيقات دار المعلمين"[٦]

---

(١) الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦٦.

(٢)الهلالي ، تاريخ التعليم... ، ص ١٨٢ .

(٣) جريدة النجاح ، العدد ٧ ، ٧ محرم سنة ١٣٢٧هـ ؛ ابراهيم خليل احمد ، (اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩–١٩١٤) ، مجلة التربية والعلم ، العدد (٣) شباط ، ١٩٨٨ .

(٤) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ... ، ص ٨٥ .

(٥) الحصري ، مذكراتي في العراق ... ، ص ١١٧ .

(٦) العلاف ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ فيما ذكر مصدر اخر وجود مدرسة تطبيقات ملحقة بدار المعلمين في الموصل قامت سلطات الاحتلال البريطاني باغلاقها بعد احتلالها للموصل في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ م ، احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ١٠٣ .

حيث الزمت مديرية المعارف معلمي المدارس الابتدائية التابعة لولاية بغداد بالالتحاق بهذه المدرسة . فضلاً عن استحداث قسم مسائي في دار المعلمين ببغداد[1] ، حيث بلغ عدد طلابه (١٩٠) طالبا سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م[2] وامام ازدياد اعداد المدارس الابتدائية فضلا عن ازدياد عدد الملتحقين بدور المعلمين طالبت العديد من العناصر المثقفة بفتح دور معلمين جديدة[3] . ويبدو ان تلك المطالب لاقت اذاناً صاغية من الحكومة العثمانية ، حيث

---

(1) جريدة الزوراء ، العدد ٢٥٨٢ ، ٨ اغسطس ١٣٣١هـ/١٩١٣م .

(2) س.و.ب ، سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، ص ٧٨ .

(3) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٨٠ ، ١٣ شوال سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م .

وضع والي بغداد جمال بك (١٩١١-١٩١٢) الحجر الاساس لانشاء دار معلمين ثانية في بغداد ، اذ بغداد خصص لهذا المشروع مبلغ (١٠٦٠٠) ليرة ، أرسلت منه العاصمة استانبول مبلغ ١٠٠.٠٠٠ قرش[١] أي ما يعادل (١٠٠٠) ليرة دفعة اولى لبدء العمل ، لكن هذه البناية لم يتم تنفيذها حتى نهاية الحكم العثماني بسبب الصعوبات التي اعترضت سبيل تنفيذها[٢] .

استمرت دور المعلمين في تدريساتها حتى قيام الحرب العالمية الاولى ، اذ اغلقت دار المعلمين في بغداد عند اعلان قيام الحرب[٣] ، نتيجة لاستدعاء طلبتها ومدرسيها لاداء الخدمة العسكرية ، في حين قامت قوات الاحتلال البريطاني بعد احتلالها للبصرة باغلاق دار المعلمين فيها . اما دار المعلمين في الموصل فقد بدأت الدراسة فيها بالتراجع منذ اعلان قيام الحرب نتيجة تضاؤل عدد طلابها سنة بعد اخرى حتى تم اغلاقها نهائياً عندما احتلت القوات البريطانية الموصل سنة ١٩١٨[٤] .

---

(١) مجلة لغة العرب ، المجلد(١) ، الجزء (٦) ، كانون الاول ١٩١١ ، ص ٢٤٣ ؛ جريدة صدى بابل ، العدد ١٣٢ ، ٢٨ نيسان سنة١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ .

(٢) النجار ، التعليم في العراق.. ، ص ٣٦٣ .

(٣) العلاف ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ الغلامي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٤) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ، ص ١٨٢ .

٨-التعليم العالي :

أ. مدرسة الحقوق :

يعود تأسيس اول مدرسة للحقوق في الدولة العثمانية إلى سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م ، وتقرر في الوقت نفسه اقامة مدارس مماثلة في عدد من الولايات العثمانية ومنها الولايات العراقية [١]، ويرى بعض الدارسين ان الدافع الرئيسي الذي دفع الحكومة العثمانية لتأسيس مثل هذه المدارس خارج العاصمة العثمانية ، هو ازدياد الرغبة لدى الطلاب المتخرجين من المدارس الاعدادية لاكمال تعليمهم في مدرسة الحقوق باستانبول ، وبالتالي عدم امكانية استيعاب جميع الطلبة الوافدين من الولايات العثمانية ، وسعيا من الحكومة العثمانية لمواجهة هذه المشكلة لجأت إلى افتتاح عدد من مدارس الحقوق خارج العاصمة استانبول[٢] .

وفي اعقاب قدوم الهيئة الاصلاحية إلى بغداد اواخر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، وبعد ان طافت مناطق العراق قدمت تقريرها إلى الحكومة العثمانية الذي تضمن اقتراحات عديدة ، وسبقت الاشارة إلى بعض منها وكان من ضمنها تأسيس مدرسة للحقوق في بغداد[٣] . ويبدو ان هذا الاقتراح لقي قبولاً حسناً من الحكومة العثمانية ، إلا ان افتتاحها تأخر حتى ايلول١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨م [*] .

اتبعت المدرسة الشروط نفسها التي كان يجري في ضوئها قبول الطلبة في مدرسة الحقوق في استانبول ، منها حصول المتقدم على شهادة الدراسة الاعدادية ، وان لا يتجاوز عمره عن ١٨ سنة كما اشترط عليه تأدية امتحان في الكتابة التركية ، والصرف ، والنحو ، والمنطق والحساب ، والتاريخ العام والعثماني[٤] .

اما عن مدة الدراسة فكانت ٤ سنوات يقبل فيها خريجو الاعدادية الملكية (المدنية) يتلقى الطلاب فيها دروسا في الاصول الحقوقية والجزائية ، واصول الفقه والعرائض ، والاقتصاد

---

(١) نديم ، أحوال العراق ... ص ١٢٣ .

(٢) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني، ص ١٣ .

(٣) نديم ، أحوال العراق، ص ١٢٣ ؛ احمد ، اوضاع التعليم في العراق... ، ص ٥٦ .

(*) لمزيد من التفاصيل انظر حسن الدجيلي ، تقدم التعليم العالي في العراق دراسة قائمة على الوثائق والمستندات ، مطبعة الرشاد، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ص ٢٢-٢٣ .

(٤) بيات ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ١٣ .

والاصول المالية[1] . فيما اختير مدرسو هذه المدرسة من خريجي الكليات ومن كبار موظفي الولاية الاداريين والحقوقيين[2] الذي وصل عددهم إلى (١١) مدرسا سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م[3] .

أما فيما يتعلق بنظام الامتحانات في هذه المدارس فكانت شفوية عدا الموضوعات التي تتطلب تطبيقات عملية . ويدير هذه الامتحانات هيأة قوامها استاذ الموضوع المختص واستاذان او ثلاثة تنتخبهم ادارة الكلية ومعظمهم من الموظفين والحكام [4] .

واما عدد طلابها فقد بلغ (١١٨) طالبا[5] سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى توزيعهم على صفين (الاول والثاني) ، ليرتفع هذا العدد إلى (٢٥٢) طالبا سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م[6] ثم إلى (١٥٠) طالبا سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م[7] .

وفي سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م اكتشفت السلطات العثمانية نشاطا سريا بين طلبة مدرسة الحقوق لذلك قرر الوالي جمال بك (١٩١١-١٩١٢) غلق المدرسة ، متذرعاً بحجج شتى[8] لكن لكن هذه المحاولة واجهت معارضة شديدة من جهات متعددة ومنهم وجهاء بغداد ، والهيئة الادارية لحزب الحرية والائتلاف البصرة[*] وطلاب الكلية الذين شكلوا (جمعية حقوق بغداد) للدفاع عن مستقبل كليتهم ، كما ارسلوا برقيات احتجاج المسؤولين في استانبول[9] . وكان لهذه الجهود دورها في إفشال مشروع إغلاق المدرسة . واستمرت المدرسة في تدريساتها حتى الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار ١٣٣٥هـ/١٩١٧م عندما تعطلت الدراسة فيها اسوة بباقي المدارس ، حيث تم استقدام طلابها ضباطا احتياطا في جبهات الحرب لقتال قوات الاحتلال البريطاني[10] .

---

(1) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ... ، ص ٥٧ ؛ الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢-٢٤ .

(2) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢-٢٤ .

(3) الارحيم ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٤) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(5) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ص ٩٥ .

(6) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ...، ص ٧٠ .

(7) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢-٢٤ ؛ البازركان ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧-٢٨ .

(8) جريدة صدى بابل ، العدد ٨٦ ، ١٦ نيسان ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م ؛ مجلة لغة العرب ، المجلد (٢)، الجزء(٧) الجزء(٧) ، كانون الثاني ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢م ، ص ص ٢٧٠-٢٧١ .

(*) حزب الحرية والائتلاف (البصرة) : وهو فرع لحزب الحرية والائتلاف الذي اسس سنة١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م ومن مؤسسيه طالب النقيب واسماعيل السامرائي ، وسليمان فيضي واخرون ، وكانت غايته الدعوة إلى الاصلاحات في البلاد العربية والمطالبة بالحكم الذاتي اللامركزي في العراق . للتفاصيل انظر عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص ٢٣ .

(9) حول نصوص هذه البرقيات ، انظر جريدة صدى بابل ، العدد ٨٦ ، ١٦ نيسان١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م .

(10) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ٣١ ؛ الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ، ص ٢١٧ .

ب. كلية الامام الاعظم :

يرقى تاريخ تأسيس هذه المدرسة إلى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م عندما شيد شرف الملوك بن محمود وابيه السلطان عضد الدولة السلجوقي مدرسة كبيرة لاتباع المذهب الحنفي[١] . واستمرت المدرسة تصارع الزمن وتقلباته حتى سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م عندما طالب علماء المدرسة الحنفية الباب العالي بان يعنى بامر هذه المدرسة ومستقبل خريجيها[٢] .

ويبدو ان تلك الطلبات لاقت قبولا لدى السلطات العثمانية حيث بادرت إلى افتتاح الكلية سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م التي اطلقت عليها (كلية الامام الاعظم)[٣] ، وسارت الدراسة فيها على نفس المنهاج الدراسي لقريناتها في استانبول ، كما اعطي لخريجيها الحق بالتوظف في دوائر الدولة والاوقاف ، وفي التدريس والقضاء[٤] .

استمرت الدراسة في كلية الامام الاعظم حتى الحرب العالمية الاولى ثم ما لبثت ان استؤنفت الدراسة فيها ابان الاحتلال البريطاني حيث اعيد النظر فيها وفقا لتوجيهات مديرية الاوقاف العامة ، اما عن مدة الدراسة فيها فاصبحت ستة سنوات[٥] .

بذل العراقيون جهودا حثيثة من خلال المطالبة المستمرة بان تنال الولايات العراقية نصيبها الكافي من التعليم العالي ، ومنهم عدد من النواب في مجلس المبعوثان العثماني فقد دعى نائب بغداد عبد الهادي الاعظمي إلى انشاء جامعة على غرار جامعة الازهر تدرس فيها العلوم كافة[٦] . فيما طالب نائب من نواب بغداد بتأسيس كلية الطب اسوة بدمشق[٧] . بل ان يوسف غنيمة ذهب إلى ابعد من ذلك عندما طالب بانشاء مدارس عالية على غرار المدارس الاوربية المتقدمة[٨] .

---

(١) الغريباوي، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٢) للتفاصيل انظر . مجلة لغة العرب ، السنة الاولى ، المجلد (١) ، الجزء(٦)، كانون الاول١٩١١،ص ص٢٤٥-٢٤٦.

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢٨ .

(٤) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ١ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٧) احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ، ص ٥٠ .

(٨) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

ومن الجدير بالذكر ان عددا من الطلبة العراقيين درسوا على نفقتهم الخاصة في المدارس العليا والكليات خارج العراق في تلك المرحلة ، فبين عامي ١٩٠٠-١٩١٧ ، تلقى (٦٠) طالبا دراستهم في الكليات العثمانية في استانبول وخمسة طلاب في جامعة باريس فيما بلغ عدد الخريجين من الجامعة الامريكية في بيروت (٦) طلاب فقط بين عامي ١٩٠٣-١٩١٧[١] .

اما بالنسبة للدراسة العسكرية في الاستانة ، فقد كان للعراقيين الحظ الاوفر فيها ، عندما سافر المئات من الطلبة العراقيين الذين انهوا دراستهم العسكرية في بغداد إلى استانبول لضمان اكمال تحصيلهم الدراسي في الكلية الحربية وعلى نفقة الدولة[٢] .

طالب عدد من النواب العراقيين في مجلس المبعوثان العثماني بان تولي السلطات العثمانية مسألة دراسة الطلبة العراقيين جانبا من اهتمامها . فقد اعترض نائب بغداد جميل صدقي الزهاوي على تخفيض مخصصات البعثات العامة واعرب عن استغرابه من هذا الامر بقوله "في سنة ١٩١٣ كانت مخصصات الطلبة الذين يرسلون للدراسة إلى اوربا ٥٠٠ الف قرش فكيف تكون في سنة ١٩١٤ (٣٥٠) الف قرش ؟ بينما من المفروض ان تزداد هذه المخصصات مع زيادة اعداد الطلبة ..."[٣] .

لم تطرأ أية زيادة على اعداد الطلبة الدارسين على النفقة الخاصة حتى نهاية الاحتلال البريطاني ، حيث عد ذلك نتيجة طبيعية وانعكاسا للاوضاع الاقتصادية والمعاشية المتردية التي عاشتها الغالبية العظمى من السكان في اثناء الحرب العالمية الاولى .

---

(١) احمد ، تطور التعليم الوطني ...، ص ٥٣ . من الجدير بالاشارة ان وزارة المعارف كانت ترسل تعليمات إلى مديريات المعارف في الولايات تطلب فيها تزويدها باسماء الطلاب الحاصلين على شهادة الاعدادية لغرض منحهم بعثات دراسية إلى الخارج على شرط ان تتراوح اعمارهم بين (١٨-٢٢) عاما ، وان يجتازوا امتحانا باللغتين التركية والفرنسية ، واخر بالعلوم الرياضية والطبيعية ، انظر عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ... ، ص ٢٢٠ .

(٣) عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

ادارة المعارف :

أهتم قانون المعارف الصادر سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م بمسألة ادارة المعارف عندما اكد على ضرورة تشكيل (مجلس معارف) في كل ولاية من الولايات هو السلطة الادارية الرسمية للتعليم في الولاية ، ويكون شعبة لـ (مجلس المعارف الكبير) في العاصمة استانبول.

كما نص القانون على ان يرأس مجلس معارف كل ولاية (رئيس) ، يشغل في الوقت نفسه مديراً لادارة المعارف ، وتقوم بتعيينه ، وبعض كبار موظفي المجلس ، نظارة المعارف العمومية في استنبول ، ويضم المجلس عدداً من الاعضاء من الموظفين ومن بعض الشخصيات المحلية التي تقوم بانتقائها ادارة الولاية ، اما الادارة التعليمية في السناجق التابعة للولاية ، فتوكل في كل سنجق منها باثنين من موظفي مجلس معارف الولاية يسمون بـ (المفتشين)[١] :

اما بالنسبة للمهمات التي انيطت بهذا المجلس فتمثلت بتنفيذ الاوامر والتعليمات التي ترد من نظارة المعارف والتأكد من وضعها موضع التطبيق ، والاشراف على سير التدريسات وانشاء المدارس الجديدة ، فضلاً عن تنظيم ميزانية المعارف والوقوف على صحة المعاملات الخاصة بالتعليم ، ولا سيما تلك التي تتعلق بتعيين المعلمين ومنح الشهادات[٢] .

وفي الوقت نفسه تطرق نظام ادارة الولايات العمومية الصادر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م إلى مسألة تنظيم ادارات التعليم عندما اكد اهمية وظيفة مدير معارف الولاية ، حيث تناول الفصل السابع من القانون المذكور هذه الوظائف التي اشتملت على رئاسة مجلس المعارف ، والنظر والتدقيق في الجوانب المتعلقة بالتعليم واجراء الاصلاحات وتفتيش المدارس والمكتبات ، رفع التقارير السنوية إلى الوالي ، حيث يقوم الاخير برفعها إلى الباب العالي مبيناً فيها ما تم اجراؤه من اعمال في مجال المعارف ويكون بأمرة مدير المعارف عدد من المعاونين والمفتشين فضلاً عن مجلس المعارف[٣] .

بادر مدحت باشا إلى تشكيل مجالس للمعارف ، في بعض الولايات العراقية ومنها بغداد غير ان اعمال هذا المجلس سرعان ما تعثرت بعد رحيل هذا الوالي نتيجة لاهمال اعضائها وعدم تفانيهم في اداء واجباتهم[٤] فضلاً عن محدودية نشاطها بتأثير

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٧٧-١٧٨ .

(٣) شكري، المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٠١٧ ، ١٧ جمادى الاولى ١٢٩٩هـ/١٨٨١م .

قلة مواردها المالية ، وفقدان المخصصات المالية له[١] . ولم ينتظم عملها حتى صدور قانون تشكيل مجالس المعارف في الولايات سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ، حيث أسس اول مجلس للمعارف في ولاية بغداد سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٣م[٢] اعقبه تأسيس مجالس مماثلة في الموصل والبصرة[٣] .

اما عن عضوية هذه المجالس فقد تألفت من رئيس المجلس فضلاً عن عدد من الاعضاء المحليين ، فعلى سبيل المثال تألف مجلس معارف ولاية بغداد ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، من رئيس المجلس وعدد من الاعضاء بضمنهم مدير الاعدادية العسكرية ، والملكية ، ومحاسب المعارف ، وعدد من وجهاء المدينة[٤] .

في حين ضم مجلس معارف ولاية البصرة سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م في عضويته رئيس المجلس و ٨ أعضاء[٥] وتألف مجلس معارف ولاية الموصل سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م من رئيس المجلس و ٤ أعضاء آخرين هم مأمور الدفتر الخاقاني ، ومحاسب المعارف والمكتوبجي وناظر النفوس[٦] . في الوقت الذي ذكرت فيه سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢ م ولاول مرة مرة وجود مجلسين :

اولهما مجلس المعارف الذي تألف من مدير للمعارف و (٥) أعضاء ، ٣ منهم من الوجهاء والاهالي ، فضلاً عن مدير دائرة المعلمين ، ومدير المكتب الاعدادي[٧] .

اما المجلس الثاني فهو مجلس معارف المدارس الابتدائية "ولايت معارف ابتدائية مجلس" الذي تألف من الوالي رئيساً ، و ٧ أعضاء آخرين ، و(٤) وجهاء والباقي من الاهالي فضلاً عن مدير دار المعلمين ومفتش المركز واحد معلمي المدارس الرشدية[٨] .

لم يقتصر تشكيل مجالس المعارف على مراكز الولايات بل عرفت عدد من الاقضية مثل هذه المجالس ، منها اقضية كركوك ، والسليمانية ، والمنتفك وكربلاء وعدد آخر من السناجق[٩] .

---

(١) الجبوري ، مشكلات ادارة المدارس الثانوية ، ص٦٣ ؛ Lewis, Op. Cit., P.162-163

(٢) س.و.ب ، سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢ م ، ص ص ٨٤-٨٥ .

(٣) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٤١ .

(٤) س.و.ب ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ١١٣ .

(٥) ب.و.س ، سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ ، ص١٧٧ .

(٦) س.و.م ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص٨٧ .

(٧) المصدر نفسه ، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢ ، ص١١٦ .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) بيات ، المصدر السابق ، القسم الاول ، ص٣٢ .

وبعد تأسيس مجالس المعارف ، تم استحداث دوائر للمعارف في الولايات الرئيسية فعلى سبيل المثال تألف ملاك دائرة معارف ولاية الموصل سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م من مدير المعارف ، ومأمور المحاسبة ، والمحاسب ، والكاتب وأمين الصندوق ومأمور المتحف[١] .

اما في ولاية البصرة فتألفت دائرة المعارف من مدير ومحاسب وكاتب ، وأمين صندوق[٢] .

فيما وجد في بعض الاقضية مثل قضاء العمادية التابع لسنجق الموصل ، وشهربازار التابع لسنجق السليمانية ، هيئة معارف (معارف قومسيوني)[٣] وعرفت بعض الاقضية تشكيل ما ما عرف (بجمعية المعارف) ، (معارف أنجمن) حيث تألفت هذه الجمعية في قضاء كركوك من المتصرف رئيساً فضلاً عن (١٠) أعضاء آخرين كان من ضمنهم مفتش المعارف فضلاً عن الكاتب[٤] :

اما ميزانية المعارف فبالاضافة الى المبالغ المخصصة والاجور التي تستحصل من الطلاب وتخصيصات بعض المدارس من الاوقاف والاكتتابات المتفرقة فان لميزانية المعارف مصدرين مهمين هما :

١. كل وقف زال عنه الشرط ، ولم يبق له حاجة أو فائدة لاية جهة ثانية ، فان ايراده ينقل إلى ادارة المعارف حسب الارادة السنية أو السلطانية .
٢. ان يخصص ثلث عن سبع ، وربع العشر المستحصل من الزراع للمعارف ، كما كانت تضاف ضريبة قدرها ٥% على الاملاك والاراضي باسم أعانة المعارف حيث يقوم مأمور حسابات المعارف باستحصال حصة المعارف من الضرائب ، مع مأموري المالية سوية[٥] .

.

وبالرغم من ضخامة هذه الواردات التي كثيراً ما كانت تفيض عن مصروفات المعارف الا ان هذا الفائض لم يستغل لبناء المدارس ودعم الخدمات التعليمية في الولايات العراقية ، بل انه كان يرسل إلى العاصمة استانبول ، فعلى سبيل المثال خصص فائض ميزانية معارف ولاية بغداد للسنوات١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠م ،١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م للمدارس العالية في استانبول[٦] .

---

(١) س.و.م ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص١٥٧ .
(٢) ب.و.س ، سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، ص١٧٧ .
(٣) بيات ، المصدر السابق ، القسم الاول ، ص٣٢ .
(٤) س.و.م ، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢ م ، ص٢٣٧ .
(٥) الجبوري ، مشكلات ادارة المدارس الثانوية ، ص ص ٦٢-٦٣ .
(٦) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ... ، ص٣٨٤ .

المبحث الرابع

واقع الخدمات التعليمية في العراق ابان السيطرة العثمانية

إذا كان العثمانيون قد وضعوا الحجر الاساس للتعليم الرسمي الحديث في العراق فإن سياستهم التعليمية عانت من كثير من السلبيات التي تركت بصماتها على واقع الخدمات التعليمية التي يمكن اجمالها بـ :

١- قلة التخصيصات المالية:-

ظلت ميزانية المعارف في الولايات العراقية تشكو من نقص وعجز(١) . إذ شكلت حصة المعارف جزءاً ضئيلاً بل ومعدوما في احيان كثيرة من تخصيصات الميزانية العامة لهذه الولايات(٢) ، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال المقارنة بين مصروفات هذه الدائرة وباقي الدوائر والامثلة كثيرة على ذلك ، فعلى سبيل المثال ووفقا لما ورد في ميزانية ولاية الموصل للاعوام (١٩١٠-١٩١١) ، بلغت رواتب ومصروفات المعارف(٤٨٥.٣٧٧)قرشاً يقابلها ١٧.٥٤٣.٤٣٨ قرش تم تخصيصها للدوائر التابعة لوزارة الحربية و(٤.٣٦٧.٥٦٧) قرشاً للجندرمة (*) و (٤.٤٥٦.٥١٣)قرشاً للدوائر التابعة لوزارة المالية (٣) .

فضلا عن هذه التخصيصات اعتمدت دوائر المعارف المعارف لتغطية احتياجاتها على مجموعة من الموارد ، منها التخصيصات الحكومية التي كانت الحكومة المركزية تبعث بها سنوياً إلى عموم الولايات ومنها الولايات العراقية ، وقد ازدادت هذه المخصصات بعض الشيء، وذلك منذ سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م عندما رفعت الحكومة في تلك السنة ضريبة (العشر) على انتاج الاراضي الزراعية إلى ضريبة مقدارها ٣٩% ، وخصصت ثلث هذه الضريبة الذي سمي حصة اعانة المعارف (اعانة معارف حصه سي) للخدمات التعليمية . فكانت الحكومة المركزية تجمع تلك الضريبة من الولايات وتقوم بتخصيص مبلغ معين لمعارف كل ولاية غير اخذة بنظر الاعتبار مقدار حصة اعانة المعارف التي يجبى منها، ومن ثم فإن الولايات ذات الايرادات العالية من الضرائب الزراعية وفي مقدمتها ولايات العراق لم تحظ بحصة كبيرة أو متميزة من تلك المخصصات على اساس ان الدولة تجبي معظم تلك الضريبة منها ، وكمثال على ذلك قيام الدولة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م باستيفاء اكثر

---

(١) الجبوري ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

(٢) لم ترد اية تخصيصات لحقل المعارف في ميزانية ولاية الموصل لسنة١٣١٠ هـ/١٨٩٢م ، س.و.م سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص١٥٥ .

(*) كانت الدولة العثمانية ابان تلك الفترة في حالة حرب بينها وبين دول البلقان ثم الحرب الايطالية.

(3) Justin Maccarthy, The Arab world, Turkey and Balkans, A hand book of historical statistics 1878-1914 (Boston, 1982), PP. 190-204.

من ١٦.٢ مليون قرش ضرائب على الاراضي الزراعية في ولاية بغداد ، في حين لم يتجاوز المبلغ المخصص لمعارف هذه الولاية وفي السنة ذاتها ٣٦٦.٥٨٣ قرشا[١] .

وفي اوائل القرن العشرين تنوعت واردات المعارف في ولايات العراق لتشمل فضلا عن المخصصات الحكومية موارد محلية كرسوم الشريعة[٢] ورسوم بيع البضائع التي تنقل عن طريق الانهار والاعانات الجبرية التي كانت تجمع للمعارف من الناس من مختلف مدن العراق ... وغيرها من الرسوم[٣] حيث فاقت هذه الموارد في كثير من السنوات مصروفات هذه الدائرة ، لكن مما يؤاخذ عليه عدم استغلال دوائر المعارف هذا الفائض لبناء المدارس ، ودعم الخدمات التعليمية في الولايات العراقية الثلاث ، بل انها عمدت في كثير من الاحيان إلى ارسال الفائض إلى العاصمة استانبول[٤] . حيث يجري تخصيصه للانفاق على الخدمات التعليمية وعلى مستوى الدولة . فعلى سبيل المثال عمدت الحكومة المركزية إلى استيفاء مبلغ (١٥٥.٦٤٢) قرشا من فائض اموال ادارة معارف ولاية بغداد ، وقامت بتخصيص هذا المبلغ للمدارس العالية في استانبول[٥] .

كان لهذه المشكلة انعكاساتها السلبية في عجز مجالس المعارف في عدد من الولايات عن تنفيذ المشروعات التعليمية ، وكانت اكثر المدارس تعرضا لمثل هذه الازمات مدارس الصنائع ، وإذا كانت مدرسة صنائع بغداد قد عالجت هذه المشكلة بايجاد مصادر تمويلية اضافية غير مخصصات (مجلس معارف بغداد) ، فإن مدرسة صنائع كركوك لم تحظ بمثل هذه الميزة[٦] ، وقد يفسر هذا سبب خفوت نشاطها التعليمي للسنوات المحصورة بين ١٨٧٢-١٩١٢ م .

وبسبب النقص في الميزانية اهاب والي بغداد تقي الدين باشا (١٨٨٠-١٨٨٦) بالاهالي تقديم التبرعات اللازمة لانشاء احدى المدارس التي كان يروم انشاءها[٧] في الوقت نفسه لجأ

---

(١) النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ص ٢١٣-٢١٤ .

(٢) الشريعة : هي شاطئ النهر الذي ترسو فيه المراكب ووسائط النقل النهرية الاخرى المعروفة في العراق آنذاك بـ (القفف) و (الاكلاك) ، حيث فرضت هذه الضريبة على البضائع التي تحملها هذه الوسائط النهرية التي تفاوتت اقيامها حسب نوعية وكمية تلك المحمولات ، المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر الجدول ذو الرقم (٦) الذي يعطي صورة توضيحية للمبالغ التي تم اقتطاعها من حصة معارف ولاية بغداد .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢١٥ .

(٦) نوار ، عوامل فعالة .. ، ص٩٥ .

(٧) المصدر نفسه .

بعض المعلمين إلى جمع التبرعات القسرية من التلاميذ بحجة انها (لصندوق المعارف) على الرغم من التأكيدات المستمرة لادارات المعارف على منع مثل هذا الاجراء(١)

الجدول ذو الرقم (٦)(*)

المبالغ التي تم اقتطاعها من حصة معارف ولاية بغداد

السنة	الايرادات		المصروفات		الفائض
	بارة	(قروش)	بارة	(قروش)	
١٩٠٠م	١٦	٣٦٠.٦٩٨		٢٠٢.٤٨٠	
١٩٠١م	١٢	٤٤٨.٨٦٢		١٥٥.٦٤٢	
١٩٠٢م	١٤	٣٢٨.٣٣٥		٣١٢.٨٦٠	
١٩٠٤م	١٠	٥٠٤.٤٣٦		٣٤٥.٦٦٠	
١٩٠٦م	-	٨٦٧.٤٧٠		٣٢٦.٥٥٥	
١٩٠٧م	-	٨٨٢.٥٨١		٣٢٢.٦٩٥	

ظلت منفصلة الانفاق تواجه التعليم في العراق حتى نهاية الاحتلال العثماني ، وكمثال على ذلك لم تكن ميزانية معارف ولاية بغداد قبيل الحرب العالمية الأولى لتزيد على ٣٤.٠٠٠ ليرة عثمانية مها ٩.٠٠٠ ليرة ، تم صرفها على كلية الحقوق والمدرسة الاعدادية ، وهي مخصصة من الميزانية العامة و (٢٥.٠٠٠) ليرة من حصة المعارف من الورادات المحلية ، تصرف على المدارس الاخرى(٢) .

٢. قلة اعداد المدارس الرسمية :

ترتب على قلة التخصيصات المالية لقطاع التعليم مسألة طبيعية إلا وهي قلة اعداد المدارس الرسمية وبالتالي عدم قدرة هذا العدد القليل من المدارس بمختلف مراحلها على تلبية احتياجات السكان ، مما ادى إلى نتيجة حتمية تمثلت بانخفاض نسبة المتعلمين ، حيث انتقدت جريدة (الرقيب) ، قلة اعداد المدارس الابتدائية الموجودة في ولاية بغداد ، وانعكاس ذلك على انخفاض نسبة المتعلمين بقولها "بسبب قلة وجود المكاتب الابتدائية في ولايتنا ، نرى أن من

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ١٨١٩ ، ١٣ صفر سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م .

* شكري ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٢) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ... ، ص٧١ .

يعرفون القراءة والكتابة أن راجعنا عدد الاهالي لا يكون إلا بنسبة واحد في المائة على جهة المبالغة ...[1] ، وتنخفض هذه النسبة إلى ١ من ١٠٠٠ في الريف"[2] .

علاوة على ذلك لم يكن هدف الدولة من إنشاء هذا الكم القليل من هذه المدارس وبمختلف مراحلها رفع المستوى التعليمي ، إنما ادت الاهداف الآنية دورا كبيرا في توجيه سياسة افتتاح المدارس الرسمية في العراق ، ففي اول عمل لها في هذا المجال اقدمت الدولة على افتتاح مدارس شدية مدنية اعلى مستوى من المدارس الابتدائية لحاجتها العاجلة إلى اعداد موظفين مدنيين من ابناء الولايات العراقية للاستعانة بهم في ادارة المؤسسات الحكومية في هذه الولايات ، وقد تسنى للدولة تحقيق الهدف الذي وضعته لانشاء المدارس الحديثة إلا وهو اعداد موظفين مدنيين إلى حد بعيد في مطلع القرن العشرين ، فكان اغلب موظفي الحكومة انذاك من العراقيين .

وكذلك الحال بالنسبة لباقي المدارس الحديثة ، إذ لم تقدم الدولة على تأسيس معظم المدارس الحديثة إلا بعد أن ظهرت الحاجة إلى خريجيها ، وكانت تتوقف عن فتح المزيد من هذه المدارس ، وتحد من عملية قبول الطلاب فيها حينما تنتفي الحاجة ، أو يوفى قسط من تلك الحاجة[3] .في حين لم يكن هناك أي تناسب في اعداد مدارس كل مرحلة دراسية ، اذ جرى التركيز على افتتاح المدارس الابتدائية ، فمن ضمن (٢٢٨) مدرسة التي افتتحتها الدولة في الولايات العراقية كان هناك (١٤٧) مدرسة ابتدائية[4] .

٣. التوزيع الجغرافي للمدارس :

علاوة على قلة المدارس الرسمية ، فإنها تركزت في المدن والمراكز الحضرية ، التي لم يشكل سكانها إلا ٢٤% من سكان العراق الذين قدر عددهم انذاك بنحو (٢٢٥٠٠٠٠) نسمة ، في حين شكلت العشائر البدوية (١٧%) ، وسكان الريف (٥%) مما أدى إلى حرمان الغالبية العظمى من السكان من الحصول على ادنى فرصة للتعليم[5] .

وينطبق الحال على الولايات الرئيسية (بغداد والموصل والبصرة) ، إذا كان هناك تفاوت في توزيع المدارس بين ولاية واخرى فعلى سبيل المثال استأثرت ولاية بغداد بالعدد الاكبر من تلك المدارس يقابلها ارتفاع في اعداد الطلاب والطالبات ثم تأتى ولاية الموصل بالدرجة الثانية ،

---

(١) الفياض ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

(٢) جريدة الرقيب ، العدد ٧ ، ١٨ صفر سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٣) النجار ، تاريخ التعليم في العراق ...، ص ص٣٩٧-٣٩٨ .

(٤) الحصري ، مذكراتي في العراق ، ص١١٨ .

(٥) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ، ١٨٦٩-١٩١٤م ، ص ٧٠ .

تليها ولاية البصرة التي افتقدت حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ وجود مدرسة اعدادية وسلطانية فيها ، في حين لم يتناسب الموجود من المدارس الابتدائية والرشدية مع العدد التي اقرته القوانين الخاصة بالتعليم[١] .

حتى بالنسبة للولاية الواحدة كان هناك من التمييز بين سنجق واخر، ففي ولاية بغداد، كانت هناك (١٩) مدرسة رشدية سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م في حين بلغت حصة سنجقي كربلاء والديوانية واقضيتها الستة (٨) مدارس رشدية . في حين افتقرت بعض السناجق مثل النجف وحتى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م إلى وجود مدرسة رشدية[٢] .

كان لهذا التفاوت في اعداد المدارس الرسمية تاثيره في التفاوت في نسبة التلاميذ في هذه الولايات ، إذ اوردت احدى الاحصائيات نسب عدد التلاميذ إلى عدد السكان ، حيث توزعت على الشكل الاتي :

بغداد ٣%

الموصل ١%

البصرة ٠.٤%[٣]

شكلت قلة اعداد المدارس الرسمية أو انعدامها في مناطق اخرى موضوعاً لمناقشات عدد من النواب العراقيين في مجلس المبعوثان ، إذ طالب مصطفى نور الدين الواعظ مبعوث بغداد في هذا المجلس بتأسيس مدارس ابتدائية في الديوانية والمدن والقصبات التابعة لها ، كما دعا الزهاوي إلى تأسيس مدارس ابتدائية وكلية تخرج رجالاً اكفاء تناط بهم وظائف الحكومة وتمشية مصالح الدولة الرسمية[٤] .

وقد رفع نائبا كركوك (صالح باشا ومحمد علي قيدار) ، في المجلس المذكور مذكرة إلى رئيس المجلس (احمد رضا) اشارا فيها إلى تخلف التعليم في كركوك وعجز المدارس الموجودة عن استيفاء الاعداد الكبيرة من الطلاب ، كما طالبا بفتح مدارس اعدادية ورشدية وابتدائية علاوة على مدارس الصنائع[٥] .

وكان للصحف دورها في تسليط الضوء على هذا الجانب إذ نشرت جريدة (الرقيب) شكاية اهالي سنجق الديوانية بخصوصأفتقار هذا السنجق إلى مدرسة ابتدائية جاء فيها أن "لواء

---

(١) اليوسف ، المصدر السابق ، ص١٦٩ .

(٢) جرى في سنة ١٩١٣ افتتاح اول مدرسة رشدية في النجف ، الفياض ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٣) نوار ، عوامل فعالة .... ، ص١٤٦ .

(٤) النصيري ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٥) عبد القادر ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

الديوانية يشكو من اهمال الحكومة إياه وعدم تشكيل مكتب ابتدائي فيه الان مع أن المعارف تأخذ منها الرسوم تامة ...." [١] .

٤ - اهمال التعيم النسوي :-

اقتصر تعليم البنات في البداية مقتصراً على الكتاتيب البسيطة ومدارس البنات التي افتتحتها الارساليات التبشيرية والطوائف غير المسلمة في العراق حيث جرى إفتتاح أول مدرسة رشدية للبنات ١٣١٤هـ/١٨٩٦م اعقبها افتتاح مدارس للبنات في انحاء متفرقة من العراق .

اتجهت انظار المثقفين العراقيين بعد الانقلاب العثماني إلى الاهتمام بتعليم البنات عندما دعا عبد اللطيف ثنيان[٢] إلى الاهتمام بمدارس البنات وزيادة عددها لاهمية ذلك في حياة الاسرة العراقية [٣] . اعقبتها دعوة الشاعر جميل صدقي الزهاوي لتعليم المرأة وتحريرها من القيود الاجتماعية [٤] . كما انبرى سليمان فيضي في دعوته الى انشاء مدرسة للبنات في البصرة لان "مكتب الاناث في البصوة لم يزل اسماً بلا جسم وان المحل المعين له لايمكن ان تسكنه الحيوانات ... لعدم انتظامه ، ولاتسال عن المعلمات لانهن يليق بهن ان يكن عوض عمن يدرسنهن لعدم درايتهن"[٥] .

كما اولت الصحافة العراقية جانباً من اهتمامها للتعليم السنوي ومنها جريدة (صدى بابل) التي اكدت على مسالة تعليم المرأة بقولها "ان الوطن لايرقى بامرأة جاهلة منحطة في الاداب"[٦] .

وعلى الرغم من افتتاح العديد من مدارس البنات الا ان هذه المدارس واجهت مجموعة من المشاكل منذ افتتاحها تمثلت في قلة اعداد الطالبات الملتحقات للدراسة في هذه المدارس بالاضافة الى هذه المشاكل النظرة الاجتماعية الضيقة تجاه المرأة وتعليمها[٧] ، وبالتالي تردد

---

(١) جريدة الرقيب ، العدد ٤ ، ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٢) عبد اللطيف ثنيان :صحفي رائد، وأديب، ولد في بغداد سنة ١٨٦٧ ، أصدر في سنة ١٩٠٩ جريدة الرقيب، توفي سنة ١٩٤٠ . حميد المطبعي، موسوعة أعلام القرن العشرين، ج٢ ، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٩٦) ، ص ١٥٠.

(٣) النصيري ، المصدر السابق ، ص١٣٧ .

(٤) طارق نافع الحمداني ، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات، (بيروت ، ١٩٨٩) ، ص ص٧٦ . ٧٧ .

(٥) فيضي ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

(٦) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٤ ، ٨ كانون الثاني ١٩١٠ .

(٧) عباس ياسر ، (صفحات مطوية من تلريخ المرأة في العراق) ، مجلة بين النهرين السنة الثالثة ، العدد الخامس ، (الموصل ، ١٩٧٧) ، ص ص٤٨ . ٤٩ .

الاهالي في ارسال بناتهم الى المدارس ، وموقف علماء الدين المتشدد والمتسلط من التعليم النسوي ، حيث لعبت هذه الشريحة دوراً كبيراً في توجيه السياسة التعليمية في العراق حتى اوائل القرن العشرين ، فضلاً عن الاتجاهات المتشددة للقائمين على شؤون التعليم تجاه تعليم المرأة[١] .

اما المشكلة الثانية التي واجهها التعليم النسوي فكانت مشكلة توفير الملاك التدريسي ، وصعوبة استقدام المعلمات من استانبول ، لانه لاتوجد معلمات عراقيات انذاك ولعلاج هذه المشكلة تمت الاستعانة بزوجات الموظفين الاتراك وبعض زوجات الاجانب ممن تتوافر فيهن المؤهلات المهنية والفنية[٢] حيث تألف الملاك التدريسي للمدرسة الرشدية في بغداد من ٣ معلمات[٣] .

وليس ادل على عدم اهتمام السلطات القائمة بالتعليم السنوي ، ان من بين (١٦٠) مدرسة ابتدائية التي كانت موجودة في عموم العراق عشية الحرب العالمية الاولى ، كانت حصة مدارس البنات (١٣) مدرسة منها (٧) مدارس في ولاية بغداد و(٤) مدارس في ولاية الموصل ومدرستان في ولاية البصرة[٤] .

٥ – لغة التدريس :-

عانت المدارس الرسمية من مشكلة اخرى وهي لغة التدريس ، اذ كانت اللغة التركية هي لغة التدريس ، وكان الطالب يتلقى علومه كلها باللغة التركية ولم تستثن من ذلك قواعد النحو والصرف ، وتشدد الاتحاديون خصوصاً في تطبيق هذه السياسة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت الساعات المخصصة للغة العربية في صفوف المدارس الرشدية والاعدادية (١١) ساعة فقط في حين كانت حصة اللغة التركية (١٢) ساعة[٥] .واسفر ذلك عن نتيجتين رئيستين اولاهما اولاهما ان مادة التدريس كانت غير مفهومة للغالبية العظمى من الطلبة ، والاخرى عدم قدرة الطلبة على الكتابة بيسر بالعربية[٦] .

---

(١) عباس ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ، ص٧٠ .

(٢) صالح فليح حسن ، جغرافية التعليم الابتدائي في العراق ، (بغداد ، ١٩٧٩) ؛ ص٥٢ ، الجبوري ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٥ . ١٦٦ .

(٣) س.و.ب ، سنة ١٣١٩هـ ، ص١٢١ .

(٤) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ١٨٦٩ . ١٩١٤ ، ص٧٢ ؛ الحصري ، مذكراتي في العراق ، ص١١٦ .

(٥) الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل ....، ص١٦٦ .

(٦) لرنكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٨١ .

ويتحدث خيري العمري ، عن اثر معلم اللغة العربية التركي الاصل ، بانه "باعد بين العرب ولسان ابائهم فخرجنا من المدرسة ونحن لانعلم عن العربية الاما نتكلمه في بيوت ابائنا .."[١] . وكان للصحف العراقية دورها في تسليط الضوء على الحال الذي امست عليه اللغة العربية في المدارس الرسمية ومنها جريدة (نينوى) بقولها "... ان المدارس الرسمية تميت اللغة العربية وتميت معها كل نهضة قد تنمو وتزدهر ..." [٢] ، كما تطرقت جريدة (صدى بابل) الى هذه المسالة بقولها 'ان الطلاب الذين يذهبون افواجاً لن يتلقوا التعليم وكسب المعارف بل انهم يواجهون الموت الادبي ... الذي يؤدي الى القضاء على لغة الاباء والاجداد ..."[٣] .

فيما انتقدت جريدة (النجاح) الموصلية سياسة التعليم في المدارس الرسمية ، واثارها السلبية في النشئ الجديد عندما اشار احد اعدادها الى ذلك ، يدخل الطفل العربي وهو في سنة العاشرة من عمره فتنهال عليه الدروس باللغة التركية حتى اذا خرج من ذلك المكتب نجده قد نسخت من افكار الملكة العربية فاصبح جاهلاً لغة امه وابيه ..."[٤] .

وحملت الجريدة ذاتها الحكومة مسؤولية عدم الاهتمام باللغة العربية قائلة "نعم للحكومة تاثير في ذلك اذ لم تعتن بتعميم هذه اللغة في مدارسها الابتدائية" والانتهائية"[٥] .

كما عبرت جريدة (التهذيب) ، عن الحرص الشديد على اللغة العربية والخوف عليها من لغة الاجانب لان ضياعها هو ضياع للعنصر العربي باسره ، فقد وصفت هذه الجريدة اللغة "بمنزلة الروح في الجسد فاذا فقد الروح مات وفنى الجسد وهكذا الامة اذا فقدت لغتها ..."[٦].

وعندما كان بعض من المثقفين يرومون فتح مدارس تعتمد اللغة العربية لغة التدريس فان سلطات الاتحاديين كانت تنتزع هذه المدارس من ايدي مؤسيسها كما فعلت مع مدرسة تذكار الحرية "يادكار حريت" . التي سبقت الاشارة اليها . .

---

(١) العمري ، المصدر السابق ،ج١ ، ص١٣ .

(٢) ابراهيم خليل احمد ، نشأة الصحافة العربية في الموصل ، ط١ ، (الموصل ، ١٩٨٥) ، ص٤٥ .

(٣) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٠٣ ، ١٧ ايلول ١٩١٣ .

(٤) جريدة النجاح ، العدد ٤٣ ، ٢٩ رمضان سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

(٥) احمد ، نشأة الصحافة ....،ص٥٠ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول الدور الذي اضطلعت به الصحافة في تاكيد مسالة تعريب التعليم انظر محمد توفيق حسين ، التوجهات القومية في صحافة العراق في اواخر الاحتلال العثماني ١٩٠٨ . ١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية (الجامعة المستنصرية ،١٩٨٨) ، ص ص٥٧ . ٦٣ .

وطالب عدد من النواب العراقيين في مجلس المبعوثان بجعل اللغة العربية لغة التدريس في مدارس الولايات وعلى وجه الخصوص نائب البصرة سليمان فيضي ونائب بغداد جميل صدقي الزهاوي[1] .

شغلت مسألة تعريب لغة التعليم جانباً من برامج الجمعيات والاحزاب العربية التي جرى تشكيلها ابان العهد العثماني ومنها حزب اللامركزية العثمانية وحزب الحرية والائتلاف والجمعية القحطانية وجمعية البصرة الاصلاحية وغيرها من الجمعيات والاحزاب ، حيث توجت جهودها بانعقاد المؤتمر العربي الاول في باريس[2] في ١٨ حزيران ١٩١٣ ، بحضور ممثلين عن معظم الجمعيات والاحزاب السياسية حيث تمخض عنه التوقيع على اتفاقية بين ممثل جمعية الاتحاد والترقي المركز العام و طلعت بك وزير الداخلية وبين معتمد الشبيبة العربية عبد الكريم الخليل وقدر تعلق الامر بمسالة تعريب لغة التعليم، نصت المادة الاولى من هذه الاتفاقية على ان تكون اللغة العربية لغة التعليم في مدارس الولايات العربية الابتدائية والرشدية والاعدادية وان يكون التعليم العالي بلغة الاكثرية ، وان يكون تدريس اللغة التركية الزاميا في المدارس الاعدادية .

الا ان الاتفاق المذكور لم يدخل حيز التنفيذ إذ سارع الاتحاديون وفي محاولة للأتفاف على القرار المذكور الى اصدار المرسوم السلطاني في ١٨ اب ١٩١٣ الذي خالف الاتفاقية السابقة جملةً وتفصيلاً ، إذ نصت المادة الثالثة من المرسوم على ان تكون اللغة العربية لغة التعليم في المدارس الابتدائية والرشدية في الولايات العربية وفي المدارس الاعدادية الواقعة خارج مراكز تلك الولايات على ان تبقى اللغة التركية لغة التدريس في المدارس الاعدادية الواقعة في مراكز الولايات العربية ، وهذا ما لم يغير من واقع الحال شيئا بالنسبة للغة الدراسة في المدارس الاعدادية ، إذ ان جميع تلك المدارس خاصة في ولايات العراق كانت قائمة في مراكز الولايات[3] الامر الذي ادى الى اشتداد حدة المعارضة الشعبية من جديد ، التي ادت الى اجبار السلطات العثمانية على العدول عن قرارها .سالف الذكر. واما الولايات العراقية فقد ابلغ والي بغداد حسين جلال بك ١٣٢٩هـ/١٩١١م الادارات المحلية في الالوية العراقية على أن يكون التدريس في

---

(1) فيضي ، المصدر السابق ، ص١٨٨ .

(2) عقد هذا المؤتمر في باريس سنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م واشترك فيه ممثلون عن جميع الولايات العربية وعن الجاليات العربية في عدد من الدول الاجنبية ، وقد صدرت عن هذا المؤتمر مجموعة من القرارات من ضمنها اجراء المعاملات الرسمية في كافة البلاد العربية باللغة العربية للتفاصيل جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، ط٦ ، دار العلم للملايين، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ص١٩٢ . ١٩٣ .

(3) برو ، المصدر السابق .٥٤٠-٥٤٨؛ الغلامي ، المصدر السابق ، ص ١٤٩.

المدارس الحكومية باللغة العربية[1] فيما ابلغت ادارات دور المعلمين ومدرسة الحقوق والمدارس الاعدادية بجعل التدريس فيها باللغة العربية باستثناء مادتي التاريخ والجغرافية التي استمر تدريسها باللغة التركية[٢] .

وسعياً من دوائر معارف الولايات العراقية لوضع القرار موضع التنفيذ ، وامام إفتقار العراق الى الكتب المنهجية باللغة العربية ، فانها استعانت بكتب الدراسة المصرية والسورية[٣] في الوقت نفسه قامت ادارة معارف ولاية بغداد بتشكيل (لجنة التاليف والتدقيق) ، حيث اسند اليها تاليف عدد من الكتب في موضوعات الهندسة والتاريخ وعلم الحال في موضوعات لمرحلتي الدراسة الابتدائية والرشدية[٤] .

فيما بقيت مشكلة توفير مثل هذه الكتب لباقي مراحل التعليم الرسمي في العراق احدى المشاكل الرئيسية التي لازمت السياسية التعليمية في العراق حتى نهاية الاحتلال العثماني للعراق . في حيث كلفت بعض ادارات المدارس في ولاية الموصل احد التجار باستيراد الكتب المدرسية العربية من ولايات بلاد الشام لتوزيعها على مدارس الولاية[٥].

٦. قلة الملاك التعليمي ونوعيته :

عانت المدارس الرسمية ابان تلك المرحلة من مشكلة قلة المعلمين والمدرسين ،ولمواجهة المشكلة اعتمدت الدولة ولمدة طويلة .على عدد من العراقيين من طلاب المدارس الدينية ، ومعلمي الكتاتيب للتدريس في المدارس الابتدائية والرشدية احيانا ،كما إستقدمت الدولة عددا من

---

(1) I.O,R, L/P. +s/ 10/212, summary of Events in Turkish Iraq during September, 1913, No 4691, p.10

(٣) قامت سلطات الاتحاديين وفي محاولة منا للالتفاف على القرار المذكور بتحويل المدرستين الاعداديتين في كركوك وبغداد الى اعداديتين سلطانيتين وبالتالي جعل اللغة التركية لغة التدريس بدلا من العربية انظر مجلة لغة العرب ، المجلد (٣)، الجزء(٦)، تشرين الثاني سنة ١٩١٣ ،ص٣٣٢.

(٤)الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ...، ص٢٣٥.

(٤) مجلة لغة العرب ، المجلد (٣) ، الجزء (٦)، تشرين الثاني ،سنة ١٩١٣، ص٣٣٢.

(٥) الغلامي ، المصدر السابق ،ص٣٠.

المعلمين الاتراك المتخرجين من مدارس اعداد المعلمين في الولايات التركية للتدريس في المدارس الحكومية في ولايات العراق ، الا ان عدد هؤلاء كان قليلا لايكفي حاجة المدارس من المعلمين[١] . ولم يكن اختيار المعلمين يتم على اساس الكفاءة وانما لعبت المحسوبية دورا كبيرا في هذا الاختيار[٢]. ناهيك عن أفتقار بعضهم إلى الشهادة التي تؤذن لهم بالقبض على زمام هذه الوظيفة الشريفة السامية ، فضلا عن ضعف قابلياتهم العلمية ، وجهلهم باللغة العربية[٣] .

وقد انتقدت الصحف العراقية المستوى المتردي للملاكات الذي وصفتهم جريدة الزوراء بانهم ليسوا بمعلمين بل مكتسبين لهذه الصنعة ووصفتهم إنهم عديمي الأهلية والاقتدار ..."[٤] .

أما ساطع الحصري فنعتهم بانهم "كسولين مهملين ، جانحين إلى اماتة الاوقات طالبين إلى التلاميذ خضوعا وانقيادا مفعمين بالذل والمسكنة ، يحملوهم على استظهار الدروس حرفيا من غير أن يعنوا بشرح حقائقها ويثقلوا بانفسهم على ايضاح مراميها"[٥] ولاشك أن استخدام مثل هذه العناصر من شأنه أن يسهم بشكل أو باخر في تردي المستوى العلمي لطلاب هذه المدارس .

ولمعالجة هذا الواقع قدمت جريدة (صدى بابل) في احدى مقالاتها العديد من المقترحات منها " اختيار المعلمين من العرب الاكفاء الذين يتقنون فن التعليم ولهم المام باللغة العربية ،

---

(١) النجار، التعليم في العراق... ص ٤٠٤.

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص ٣٥٧ .

(٣) د.ك.و ، ملفات البلاط الملكي ، تقرير في العهد العثماني والعهد الحالي رقم الملفة 811/801 ؛ محمد رزق اوغسطين ، العرب في خمسين سنة ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص ٢٤ .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ١٦٤ ؛ ١٦ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ١٠١٧ ، ٢٤ نيسان ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م .

(١) نهاد صبيح سعد ، الفكر التربوي عند ساطع الحصري " تحليله وتقويمه " ، مطبعة دار الكتب (جامعة البصرة ، ١٩٧٩)، ص ٥٤ .

ونبغوا وتضلعوا في علومها" [١] ، وكتعبير عن الاهتمام باللغة العربية طالبت جريدة (الرقيب) بـ "اعطاء درس اللغة العربية في المدارس الرشدية والاعدادية والعالية ، واختيار معلمين اكفاء لتدريسها ، وليس كما يتم التدريس آنذاك من قبل معلمين غير عارفين منها غير خلط الصرف العربي بالتركي ويخلطونها بالنحو الفارسي"[٢] .

لم يؤد افتتاح دور المعلمين في الولايات العراقية إلى وضع حد لهذه المشاكل ، فقد كان من المفروض ، والتزاماً بما جاء في نظام المعارف أن تقسم الدراسة في دار المعلمين إلى ثلاثة اقسام هي : الابتدائي ، والرشدي ، والاعدادي ، فكان خريجو القسم الابتدائي يتخصصون بالتدريس في المدارس الابتدائية ، والقسم الرشدي في المدارس الرشدية وهكذا إلا أنه ومما يؤاخذ عليه أفتقار الغالبية العظمى من دور المعلمين إلى قسمي (الرشدي والاعدادي) ، لذلك لجأت المدارس الرشدية في الولايات العراقية إلى الاعتماد على دور المعلمين الرشدية في استانبول والولايات الاخرى ، كما اعتمدت على مدرسي المدارس الدينية في تغطية العجز في الملاك التعليمي[٣] .

عانى المعلمون في حقل التعليم من انخفاض رواتبهم وعدم انتظام دفعها[٤] مقارنة بالدوائر الاخرى فكان ذلك مدعاة إلى مطالبة الصحف بزيادة رواتبهم فها هي جريدة (النجاح) تطالب بـ "... لزوم تشويق المدرسين والعلماء وطلبة العلم قولا وفعلا لان الذي يتوغل ويشتغل بالعلم لا يمكنه الاكتساب والاحتراف لرفع الضرورة والاحتياج ..."[٥] .

من جانب اخر شكل استخدام العسكريين للتدريس في المدارس الرسمية نقطة سلبية عانت منها المدارس الرسمية في العراق ، إذ كثيرا ما اضطر هؤلاء إلى ترك التدريس في هذه المدارس بسبب ظروف عملهم التي كانت تتطلب الانتقال المستمر من مكان إلى اخر .

كما كان لاندلاع الحرب العالمية الأولى انعكاساتها السلبية على سير التدريس في المدارس الرسمية من خلال استدعاء اعداد من معلمي هذه المدارس للخدمة العسكرية الأمر الذي هدد الدراسة في بعض المدارس بالتوقف[٦] .

٧. المناهج الدراسية :

---

(١) جريدة صدى بابل ، العدد ١٤ ، ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ .

(٢) جريدة الرقيب ، العدد ٧ ، ١٨ صفر ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٣) النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ٤٠٤ .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ٧ ، ١٨ صفر ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ؛ العدد ٣٠ ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٥) جريدة النجاح ، العدد ٢١ ، ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

(٦) النجار ، التعليم في العراق ... ، ص ٤٠٤ .

اتسمت المناهج الدراسية ببعدها عن الواقع الذي كان يعيشه المجتمع ابان هذه المرحلة، فضلاً عن غلبة الصفة النظرية عليها ، ومما يلاحظ على المناهج الدراسية كثرة الموضوعات التي يدرسها الطالب وازدحامها بالمفردات ، فطالب المرحلة الابتدائية مثلاً يدرس (١٨) مادة دراسية فضلاً عن كثرة المفردات ايضاً .

أما الكتب المدرسية المقررة فقد الف معظمها مؤلفون عثمانيون منها على سبيل المثال: كتاب "تاريخ عثماني" ، لمؤلفية (علي رشاد وعلي سيدي) ، وكتاب" كوزول حساب "، لمؤلفيه "احمد جواد وشناسي" في حين ترجمت عن الفرنسية بعض الكتب المدرسية وخاصة العلمية منها[١] وعندما صدر نظام التدريس باللغة العربية – سالف الذكر –ونظراً لافتقار معلمي المدارس للكتب العربية المناسبة للتدريس فيها ، لذلك تألفت في كل ولاية لجنة لانتقاء الكتب المناسبة ، ونظراً لعدم توافر الكتب المدرسية العربية فقد استعانت دوائر المعارف فيه بكتب الدراسة المصرية والسورية[٢] . في الوقت نفسه تم تأليف هيئة خاصة اوكل اليها مهمة ترجمة الكتب المدرسية وتأليفها باللغة العربية[٣] .

كانت مسألة المناهج الدراسية والكتب الدراسية موضوع انتقاد الكثيرين حيث طالبت جريدة (القريب) في أحد اعدادها بضرورة "إجراء تعديل على خطة التدريس اسوة بما كان يجري في الغرب"[٤] .

٨. ادارة المعارف :

كان النظام التعليمي في العراق مركزياً حيث كانت وزارة المعارف هي المسؤولة عن وضع المناهج التعليمية ، وتأليف الكتب الدراسية ، والاشراف على جميع النشاطات التفصيلية في المدارس ولكافة المراحل الابتدائية والرشدية والاعدادية ، كما انها كانت مسؤولة عن وضع نظم تفصيلية للامتحانات ، فضلاً عن تعيين مديري المدارس ومعلميها ، وتهيئة ميزانية المعارف[٥] . لذلك بقيت ادارات المعارف طوال العهد العثماني جهازاً تنفيدياً أوكل اليه تنفيذ

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول أسماء الكتب المنهجية التركية ومؤافيها انظر احمد ، تطور التعليم الوطني .. ، هامش ص٦١ .

(٢) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق... ، ص٢٣٥ .

(٣) نوار ، عوامل فعالة ، ص١٠٠ .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ١٧٣ ، ٩ شوال ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٥) مزعل ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

التعليمات التي تصدرها وزارة المعارف في العاصمة العثمانية ، وبالتالي لم تمتلك تلك المجالس الصلاحيات التي تخولها رسم السياسات التعليمية وحسب ظروف الولاية أو المنطقة[١].

كما دلت الوقائع على أن الدولة العثمانية لم تكن جادة في نشر التعليم في العراق ، بدليل قلة كفاءة اكثر الموظفين الذين ترسلهم لادارة شؤون المعارف فيه ، حيث كان هؤلاء على جانب قليل من الثقافة والمعرفة[٢] . إذ أن غالبيتهم كانوا من علماء الدين أو من الشخصيات المحافظة التي لا علاقة لها بأمور التعليم الحديث ، باستثناء بعض الفترات التي كان فيها بعض الاعضاء المتنورين من امثال جميل صدقي الزهاوي ، وفهمي المدرس ، وحكمت سليمان[٣] ، لذلك لم تستطع تلك المجالس أن تقوم بدورها في ترقية المعارف ، وبالتالي كانت أحد الاسباب التي ادت إلى اعاقة التعليم الحديث في العراق .

انتقدت جريدة (الزوراء) ، الوضع السيئ الذي الي امست عليه ادارة المعارف بقولها "... عينا لهذه الادارة مأمورين غير خالين من القابلية ، ويسوغ لنا أن نقول أن هؤلاء المأمورين لم يرتقوا في تنظيم المكاتب واصلاحها . ولم يهتموا بها بل حصروا انظارهم نحو تحصيل وجباية عائدات المعارف كأنهم ليس لهم وظيفة غيرها"[٤] .

وإذا كان هناك ما يمكن قوله اخيراً فهو أن الاوضاع الاقتصادية المتردية للمجتمع العراقي في ظل الاحتلال العثماني وانتشار الفقر كان لها اثرها في مدى الاقبال على التعليم ذلك أن الكثير من الاسر الفقيرة لم تكن تفكر في ارسال ابنائها إلى المدارس بل تسعى إلى توجيههم نحو العمل والكسب[٥] . واقتصر التعليم الحكومي على بعض الخواص ، فيما حرم الكثيرون منه منه وخاصة في المناطق العشائرية البعيدة[٦] . في حين فضل بعضهم ارسال ابنائهم إلى المدارس الاهلية والخاصة ومنها الارساليات التبشيرية ، إذ اتسمت الدراسة فيها ، بارتفاع مستواها التعليمي فضلاً عن عنايتها باللغة العربية واللغات الاوربية ولاسيما الانكليزية والفرنسية فضلاً عن تدريسها العلوم الحديثة كالاداب والصحة[٧] وغيرها من العلوم الحديثة ، كما حرصت

---

(١) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق .... ، ص٢٣٧ .

(٢) الجبوري ، مشكلات ادارة المدارس الثانوية ، ص٦٢ .

(٣) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق .... ، ص٢٢٨ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢١ ، ٧ رجب سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م .

(٥) هاشم جواد ، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٦) ، ص١١٧ ؛ زمرة من المدرسين، سر تأخر المعارف العراقية ، ط١ ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٢)، ص ص ٧٦–٧٧ .

(٦) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٩٣٠ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الاوراق ١٢٠٥، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٠٦ ، رقم الكارتون ٧ ، تاريخ الوثيقة ٢٤ شوال ١٢٩٧هـ أيلول ١٢٩٦ .

(٧) النصيري ، المصدر السابق ، ص٧٤ ؛ الهلالي ، معجم العراق ، ج١ ، ص٢٢٩ .

الكثير من هذه المدارس على تعليم ابنائها الكثير من المهن التي تعينهم في حياتهم العملية[1] ، وقد انعكس ذلك في ارتفاع اعداد تلاميذها بالقياس إلى اعداد تلاميذ المدارس الرسمية ، فعلى سبيل المثال ضمت المدارس الابتدائية الخاصة (٨٠٢٠) تلميذاً ، و (٢١٦٣) تلميذة في سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م في حين لم يكن يتجاوز عدد تلاميذ المدارس الرسمية بمختلف مراحلها ليزيد عن (٧٣٧٨) تلميذاً و ٦٠٠ تلميذة في تلك السنة [2] .

بالرغم من كل هذه المآخذ على التعليم فإن الموضوعية تقتضي الاشارة إلى أن التطورات المتحققة في المجال التعليمي كانت مهمة على الرغم من محدوديتها ، إذ كان لهذه المؤسسات التعليمية اسهاماتها في تخريج جيل من المثقفين العراقيين الذين سيكون لهم دور مؤثر في العراق المعاصر وعلى الاصعدة كافة .

المبحث الخامس :

اوضاع التعليم في العراق ابان الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ .

بعد أن اكملت القوات البريطانية احتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ قامت بسلسلة من الاجراءات التي من شأنها تنظيم الادارة المدنية في هذه المدينة وضواحيها ، كان من بين تلك الاجراءات استقدام هنري دوبس H.Dobbs من الهند حيث جرى تعيينه ناظراً الواردات . كما اوكل إليه مهمة الاشراف على شؤون التعليم في المناطق المحتلة فضلا عن مسؤولياته الاخرى في تنظيم الادارة والطابو والزراعة والري[3] .

([1]) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٧٠ .

([2]) احمد ، اوضاع التعليم في العراق ... ، ص٧٢ .

([3]) للتفاصيل ، انظر التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ، ص ص ٣٦١-٣٦٢ .

أما عن المدارس الموجودة عند دخول القوات البريطانية إلى البصرة . فقد كان هناك دار للمعلمين ، ومدرسة ثانوية في البصرة ، وثلاث مدارس ابتدائية واحدة في البصرة ، وواحدة في العشار ، واخرى في ابي الخصيب ، كما كان هناك مدرسة ابتدائية في الدعيجي كانت تتولى الانفاق عليها سابقاً دائرة الاملاك السنية فضلاً عن عدد من الكتاتيب[١] ، إلى جانب هذه المدارس وجدت بعض المدارس الاجنبية ذات الصفة التبشيرية ، يأتي في مقدمتها المدرسة الامريكية – التي تولى ادارتها جون فإن ايس ، ومدرسة البرت التي يديرها الاباء الكرمليون ، ومدرسة الكلدان ، ومدرسة الاليانس الاسرائيلية ، والمدارس المتحدة الكاثوليكية وهي مدارس اللاتين والارمن والكلدان[٢] .

وجدت سلطات الاحتلال أن حالة المدارس يرثي لها ، إذ كانت تعاني نقصاً شديداً في اللوازم والكتب والاثاث ويتطلب اصلاحها مبالغ كبيرة ، في الوقت الذي لم تكن فيه سلطات الاحتلال مستعدة للانفاق على هذه المدارس ، ذلك أن اتجاهات السياسة التعليمية اقتصرت في هذه المرحلة على اعطاء الاولوية لتطمين حاجاتها السياسية وترسيخ اقدام الانكليز بشكل عام وليس الرغبة في تقديم الخدمات التعليمية إلى المواطنين ويؤيد ذلك ما ذكره ويلسون نائب الحاكم البريطاني العام بأن هناك قراراً متخذاً بشأن التعليم يجب أن يؤجل إلى حين ادراك اهدافنا العسكرية" [٣] .

اوعزت سلطات الاحتلال البريطاني إلى هنري دوبس بضرورة الافادة من الخبرة التعليمية لجون فإن ايس مدير المدرسة الامريكية في وضع الخطوط الرئيسة لسياسة بريطانيا التعليمية في المناطق المحتلة[٤] . وبعد دراسته لواقع المدارس العثمانية في ولاية البصرة ، قدم دوبس ملاحظاته حول التعليم في مذكرة رفعها إلى الحاكم العسكري العام في ١٥ شباط ١٩١٥ انتقد فيها السياسة التعليمية العثمانية مشيراً إلى أن معظم المعلمين كانوا من الاتراك ، وهم اناس ذوو اخلاق سيئة تدفع لهم اجور عالية لا تتناسب مع مؤهلاتهم ، ومدة دوامهم لا تتجاوز الساعتين يومياً ، أما بالنسبة لبنايات تلك المدارس فوصفها بانها غير صحية وقذرة فكان ذلك أحد الاسباب الرئيسة في تردد الاهالي في ارسال ابنائهم إلى تلك المدارس[٥] ، كما اوصى دوبس

---

(١) مركز دراسات الموصل ، رقم الملفة E2/1 التعليم ١٩١٥–١٩٢٥ ،
Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13.2. 1915. (١) ص١ , رقم الوثيقة .

(٢) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

(٤) عبد المجيد زيدان "معارفنا في عهد الاحتلال" جريدة (الثورة) ، العدد ٣٧٩ ، في ٨ شباط ١٩٦٠ .

(٥) مركز دراسات الموصل ، رقم الملف E 2/1 ، التعليم ١٩١٥–١٩٢٥ ،
Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915.

بضرورة الحذر الشديد من تأسيس نظام جديد للمعارف خوفاً من الاخطاء التي ارتكبت في الهند وخاصة في المجالات الاتية :

١. وجود عدد كبير من المدارس الابتدائية ذات المستوى المتدني بمعلمين ليسوا مؤهلين .
٢. خلق جماعة من المتعلمين الذين يكتفون بتعليم نظري ، ليس لهم هدف في الحياة سوى الحصول على وظيفة حكومية .
٣. الاهتمام بالتعليم الجامعي دون اساس متين من التعليم يمكن أن يعتمد عليه[١] .

كما اقترح دوبس عدم فتح اية مدارس ابتدائية خلال السنة الأولى من الاحتلال غير أن سرعان ما عدل عن رأيه امام حاجة السلطات المتزايدة إلى الموظفين لتسيير الشؤون المدنية ، وتطميناً لرغبات الاهلين ، لذلك لم يوماً مانعاً من فتح مدرسة ابتدائية واحدة أو مدرستين[٢] .

أما بالنسبة للغة التدريس فقد اقترح دوبس أن يكون التدريس باللغة العربية في المدارس الابتدائية ، في حين يجري تدريس اللغة الانكليزية في المراحل الدراسية اللاحقة ، في حين اقترح فإن آيس أن يجري التدريس باللغة الانكليزية جنباً إلى جنب مع اللغة العربية ، لاسباب عدة يقف في مقدمتها قيام الكتاتيب بتدريس الطلاب اللغة العربية وبشكل جيد ، وثانيهما محاولة سلطات الاحتلال جذب التلاميذ للالتحاق بالمدارس الرسمية من خلال تدريس اللغة الانكليزية ولاسيما وأن بعض الاهالي أصبح يميل إلى تعلمها لاغراض تجارية[٣] .

واقترح فإن ايس على دوبس ، أن لا تتبع المدارس الرسمية نظام الصفوف ، وانما نظام الجماعة الذي كان معمولاً به في المدرسة الامريكية ولا سيما أن لهذا النظام فوائد تربوية حيث تقدم للطالب المادة التي تلائمه وطبقاً لقابليته فيجوز لطالب اللغة الانكليزية في الصف المتقدم أن يدرس الهندسة في صف ادنى[٤] .

لم يعط دوبس اية اهمية للتعليم للتعليم الثانوي ، إذ ترك امره إلى مدرسة الرجاء العالي الامريكية اذ كان يعتقد أن التفكير في مثل هذا النوع من التعليم سابق لاوانه ، مالم يتحقق نجاح المدارس الابتدائية وسيرها على الوجه الاكمل[٥] .

رقم الوثيقة ١ ، ص١ .

(١) الملف نفسه ، الوثيقة ١١ ، ص١ .

(٢) احمد ، تطور التعليم الوطني... ، ص٧٢ .

(٣) مركز دراسات الموصل رقم الملف E 2/1 ، للتعليم ١٩١٥-١٩٢٥ .
وثيقة ١ ، ص ص ١-٢ . Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915,

(٤) احمد ، تطور التعليم الوطني ...، ص٧٣ .

(٥) مركز دراسات الموصل رقم الملف E 2/1 ، التعليم ١٩١٥-١٩٢٥
وثيقة ١ ، ص١ . Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915,

أما بالنسبة للاجور الدراسية ، فاقترح دوبس فرض ضريبة شهرية مقدارها روبية[*] واحدة على كل تلميذ في المدارس الرسمية ، إلا أنه سمح باعفاء الطلبة الفقراء من دفع تلك الاجور بشرط موافقة الضابط السياسي في المنطقة على ذلك[١] .

شغلت المدارس الاهلية والاجنبية جانباً من المقترحات التي قدمها دوبس من خلال تأكيده ضرورة تقديم المساعدات المالية للمدارس الاهلية والاجنبية التي اصبحت لها ميزانيات مستقلة[٢] ومن هذه المدارس المدرسة الامريكية (الابتدائي والثانوي)[٣] والمدارس الكرملية وهي مدرسة البرت الاباء الكرمليين[٤] ومدرسة الراهبات الكرمليات والمدرسة الكلدانية[٥] فضلاً عن مدرستين لليهود الأولى للذكور[٦].

والثانية للاناث[٧]. وعدد اخر من المدارس بشرط ان تسمح هذه المدارس لسلطات الاحتلال بتفتيشها، وان تكون اللغة الانكليزية اللغة الرئيسية التي تدرس فيها كما أوصى أن تقوم دائرة الاوقاف بتقديم المنح الدراسية إلى الكتاتيب المنتشرة في مختلف مناطق الولاية[٨] .

الجدول ذو الرقم (٧)

ميزانية المدارس التبشيرية ومدارس الطوائف للسنوات ١٩١٦–١٩١٧ ، ١٩١٧–١٩١٨[٩]

اسم المدرسة	الميزانية للعام ١٩١٦–١٩١٧	الميزانية لعام ١٩١٧–١٩١٨

(*) الروبية : عملة هندية تساوي ٧٥ فلسا .

(١) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٧٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول ميزانيات هذه المدارس انظر الجدول ذو الرقم (٧) .

(٣) بلغ مجموع تلاميذ هذه المدرسة لسنة ١٩١٨ مئة تلميذ انظر ،
Reports of Administration, Op. Cit., P254.

(٤) بلغ مجموع التلاميذ المسجلين في هذه المدرسة ١٠٠ تلميذ ، فضلاً عن الصف المسائي الذي جرى افتتاحه حيث تلقى التلاميذ دروساً في اللغة الفرنسية والعربية والانكليزية ، ومسك الدفاتر والاختزال .
I bid.

(٥) لم يتجاوز عدد الطلبة المسجلين في هذه المدرسة الـ ٢٥ تلميذاً انظر :
I bid

(٦)لقيت هذه المدرسة اقبالاً متزايداً من الطلبة اذ وصل مجموع الطلبة المقبولين فيها الـ ٦٠٠ تلميذ
I bid

(7) I bid

(٨) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٧٣ .

(٩) مركز دراسات الموصل ، رقم الملفة E 2/1 ، التعليم ١٩١٥–١٩٢٥ ،
وثيقة ١ ، ص٩ . Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915,

١. المدرسة الامريكية للبنين	٥٠٠٠	٥٠٠٠
٢. المدرسة الامريكية للبنات	١٢٠٠	١٢٠٠
٣. مدرسة الكلدان	١٠٠٠	١٠٠٠
٤. المدرسة اليهودية	.	١٨٠٠
٥. المدرسة الكرملية	١٥٠٠	٢٠٠٠
٦. المدرسة المختلطة	١٥٠٠	٢٠٠٠

وبغية توفير الملاكات التدريسية الكافية للمدارس الابتدائية التي كانت سلطات الاحتلال تنوي افتتاحها ، تم الشروع في تهيئة العدد الكافي من المعلمين من خلال دورات تدريبية ، او كل إلى المدرسة الامريكية في البصرة مهمة تنظيمها نظير مساعدة مالية مقدارها (٥٠٠٠) روبية تم تقديمها إلى المدرسة المذكورة[١] .

---

(١) مركز دراسات الموصل ، رقم الملفة E 2/1 ، التعليم ١٩١٥–١٩٢٥ ،
وثيقة ١ ، ص١ . Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915,

وقد باشر فان ايس بافتتاح الدورة الاولى ، حيث تم اختيار بعض منتسبيها من بين طلاب الصف الثانوي في مدرسته ، فيما اقتصرت مناهج الدراسة في هذه الدورات على تدريس اللغة العربية والانكليزية ، فضلاً عن طرائق التدريس[1] .

لم يكن عدد المعلمين الذين التحقوا بالدورة المذكورة كافياً ، ولمعالجة الموقف لجأ ايس إلى الاستعانة ببعض الاسرى الذين جمعتهم القوات البريطانية من جميع المناطق المحتلة[2] ، كما تمت الاستعانة بعدد من الشباب المتعلمين الذين اخرجهم من وظائف مختلفة ، والذين تعاونوا معه في فتح المدارس الرسمية في البصرة[3] .

وفي اعقاب تخرج عدد من المعلمين في الدورة التدريبية وبناء على التوصيات التي كان قد تقدم بها دوبس ، بادرت السلطات المحتلة إلى افتتاح مدرستين ابتدائيتين احداهما في البصرة ، والثانية في ابي الخصيب ، في تشرين الاول سنة ١٩١٥ ، حيث بلغ عدد التلاميذ المسجلين فيها (٦١) تلميذاً في المدرسة الاولى و (٥٧) تلميذاً في المدرسة الثانية[4] . اما ملاكها التعليمي فتألف من (٤) معلمين لكل مدرسة[5] .

استعانت سلطات الاحتلال بخريجي الدورات التدريبية في افتتاح العديد من المدارس الابتدائية ففي حزيران ١٩١٦ جرى افتتاح مدرسة ابتدائية في الزبير بلغ مجموع تلاميذها (٣٥) تلميذاً اما ملاكها التعليمي فتألف من ثلاثة معلمين[6] . اثنين منهم لتدريس اللغة العربية والثالث لتدريس اللغة الانكليزية وخصص لهذه المدرسة مبلغاً قدره (٤٠٦٠) روبية [7] .

ثم توالى افتتاح العديد من المدارس الابتدائية ففي تشرين الاول ١٩١٦ جرى افتتاح مدرسة ابتدائية في الناصرية وبجهود شخصية من الاهالي ، حيث رفضت سلطات الاحتلال الانفاق على مثل هذه المدارس ما لم يعين فيها معلم للغة الانكليزية ثم مالبثت ان تحولت إلى

---

(1) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٧٤ .

(2) المصدر نفسه ... ، ص٧٤ .

(3) المصدر نفسه .

(4) بيل، المصدر السابق ، ص ٣٦ ؛ التميمي ؛ البصرة في عهد الاحتلال ...، ص٣٦٦ .

(5) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص٤٥ .

(6) المصدر نفسه .

(7) احمد ، تطور التعليم الوطني ، ص٧٦ فيما اشارت جريدة (الاوقاف البصرية) إلى افتتاح مدرسة اهلية في الزبير ، اشتملت هيئتها التعليمية على عدد من المعلمين كان من ضمنهم سليمان فيضي ، في حين بلغ مجموع الطلبة الملتحقين بالدراسة فيها ٢٥ تلميذاً ، انظر جريدة الاوقاف البصرية، العدد ٥٨ ، ٢٩ كانون الثاني ١٩١٨ .

مدرسة رسمية بعد ان عين لها معلم للغة الانكليزية[١] . في حين بلغ مجموع تلاميذها عند افتتاحها(٤٨) تلميذاً ، ثم ارتفع العدد ليصل إلى (١٢٦) تلميذاً في السنة التالية[٢] .

وفي حزيران ١٩١٧ جرى افتتاح مدرسة رسمية في قلعة صالح[٣] . ومدرسة اخرى في القرنة بلغ مجموع تلاميذها (٢٠)تلميذاً[٤] . في حين شهدت سنة ١٩١٨ افتتاح عدد من المدارس الرسمية في كل من الشطرة والمدينة[٥] ، وسوق الشيوخ ، وعلي الغربي[٦] .

وسعياً من سلطات الاحتلال إلى رفع كفاءة الملاكات التدريسية في المدارس الابتدائية، فقد جرى افتتاح مدرسة عالية سميت بمدرسة "دار المعلمين العليا الصيفية" .في تموز ١٩١٨ تلقى فيها الطلاب دروساً في اللغة العربية والانكليزية والصحة والتربية والاخلاق[٧] .

---

(١) جريدة الاوقاف البصرية، العدد ٥٨ ، ٢٩ كانون الثاني ١٩١٨.

(2)Reports of Administration, Op, Cit., P. 327.

I bid. P. 404.

(3) I bid. P. 327.

(٤) احتوت هذه المدرسة على صف للبنات التحقت به ثماني تلميذات ، اوكل إلى احداهن وهي تجيد القراءة والكتابة مهمة تعليم زميلاتها ، كما فتح في الدمرسة ذاتها صف مسائي لتعليم الكبار ، يقوم بالتدريس فيه احد معلمي المنطقة ويدعى خليل امين . I bid. P. 307.

(٥)تبرع احد شيوخ المنطقة ويدعى شيخ احمد بأحد البيوت محلاً لاقامة المدرسة . I bid

(٦) لمزيد من التفاصيل حول اعداد تلاميذ هذه المدارس انظر الجدول ذو ال رقم (٨) .

(٧) جريدة الاوقات البصرية ، العدد ١٠٠ ، ٨ تموز ١٩١٨ .

الجدول ذو الرقم (٨)

اعداد طلبة المدارس الابتدائية في البصرة سنة ١٩١٨[١] .

اسم المدرسة	عدد طلابها	سنة التأسيس
البصرة	٦١	١٩١٥
ابي الخصيب	٥٧	١٩١٥
الزبير	٣٥	١٩١٦
الناصرية	٤٨	١٩١٦
سوق الشيوخ	٥٦	١٩١٦
قلعة صالح	٩٠	١٩١٧
القرنة	٢٠	١٩١٧
المدينة	١٢	١٩١٨
الشطرة	٦٠	١٩١٨
العشار	٩٠	١٩١٨
علي الغربي	٩٢	١٩١٨

أما بالنسبة للتعليم الثانوي فلم تبد سلطات الاحتلال أي اهتمام به[٢] . وبالتالي بقي التعليم الثانوي محصوراً ببعض المدارس الاهلية والتبشيرية ، منها مدارس الاليانس الاسرائيلية والمدرسة الامريكية في البصرة[٣] . وفي الصف الثانوي الذي تم افتتاحه في بعض المدارس الابتدائية ومنها مدرسة ابي الخصيب[٤] .

كذلك الحال بالنسبة للتعليم السنوي ، اذ لم تعط سلطات الاحتلال الاهتمام الكافي له ، واقتصر تعليم الفتيات على بعض المدارس الاهلية والاجنبية منها المدرسة الامريكية (مدرسة الرجاء العالي) ، التي تولت دوروثي زوجه فان ايس إدراتها حيث قدمت لها سلطات الاحتلال منحة مالية قدرها (١.٢٠٠) روبية سنوياً ، فيما أُسست مدرسة اخرى للبنات باشراف الراهبات الكرمليات[٥] .

---

(1) Reports of Administration, Op. Cit., P30, 6, 307, 327.

(2)Sluglett, Op. Cit., P. 2.

(٣) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ص٨٦-٨٧ .

(٤) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٣٦٧ .

(٥) تم قبول ٣٠٠ طالب للدراسة في هذه المدرسة بالاضافة إلى الاطفال الصغار انظر ،
Reports of Administration, Op. Cit., P. 254.

وسمح للصبيان الصغار بالدوام فيها[١] . في حين نظمت الدراسة في المدرسة الابتدائية في القرنة بشكل يسمح بدوام البنات في المدرسة ، اذ فتح صف لدوام البنات والصغار ، اما الاولاد الكبار فيسمح لهم بالدوام بعد الظهر[٢] . كما انشأت الطائفة اليهودية مدرسة ابتدائية في البصرة[٣] .

تولت دائرة الاوقاف الاشرأف على المدارس الدينية والبالغ عدداها (٤) مدارس الاولى في البصرة ، والثانية في العشار ، والثالثة في ناحية (السيبة) التابعة لقضاء ابي الخصيب ، اعقبها افتتاح مدرسة مماثلة في محلة المشراق سنة ١٩١٨ ، بلغ عدد الطلبة المسجلين فيها في السنة الاولى من افتتاحها (٢١)طالباً[٤] .

وفي سنة ١٩١٧ تم تشكيل اول دائرة تربوية في حدود لواء البصرة ، عرفت بـ (دائرة معارف البصرة) تكونت من مجلس يدعى (مجلس المعارف) ، اوكل اليه مهمة الاشراف على شؤون المعارف في المنطقة[٥] ، حيث وقع الاختيار على جون فان ايس لرئاسة المجلس نظراً لمعرفته باحوال السكان في البصرة وخبرته في حقل التعليم[٦] .فضلاً عن كونه مبشراً امريكياً تعاون مع سلطات الاحتلال ، وقد استمر في ادارة شؤون هذه الدائرة حتى الاحتلال البريطاني لبغداد في اذار ١٩١٧ ، عندما الحقت دائرة معارف البصرة بنظارة معارف بغداد في اب ١٩١٨[٧] .

كان وضع التعليم في بغداد نهاية الحكم العثماني ، افضل مما كان عليه في البصرة اذ كانت هناك (٧١) مدرسة ابتدائية في بغداد ، والمناطق التابعة لها ، ومدرسة ثانوية ، واخرى للصناعة ودار للمعلمين ، وكلية للحقوق ، التي بادرت سلطات الاحتلال إلى اغلاقها[٨] .

وبعد الاحتلال البريطاني لبغداد اسست دائرة للمعارف ، حيث أُسندت ادراتها إلى

---

(١) جريدة العرب ، العدد ١٣٠ ، ٣١ كانون الاول ١٩١٧ .

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٣٦٧ .

(٣) بلغ مجموع الطالبات المسجلات في المدرسة ٢٢٠ طالبة انظر ،
Reports of Administration, Op. Cit., P. 254.

(٤) عباس ، تاريخ التربية والتعليم ... ، ص٣٩ .

(٥)ضم هذا المجلس في عضويته ممثلاً عن اهالي البصرة ، وآخر عن دائرة الواردات ، وثالث عن المدرسة الامريكية . المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه ، ص ص٣٠-٣٢ ؛ Bergman, Op. Cit., P. 26

(٧) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٦٠ ؛ زيدان ، المصدر السابق .

(٨) بيل المصدر السابق ، ص ٣٨ ؛ نديم ، المصدر السابق ، ص ص٢٦٣-٢٦٤ .

حسن عبد الهادي[١] ، اذ كانت هذه الدائرة في البداية مندمجة مع دائرة المالية[٢] . حيث تم ايداع شؤون المعارف إلى (المستر بولارد) [٣] الذي منح صلاحية الافادة من الانظمة التعليمية العثمانية والنظر في امكانية فتح بعض المدارس على ان يكون التدريس فيها باللغة العربية[٤] .

دفعت الحاجة المتزايدة إلى الملاكات التعليمية المؤهلة إلى اعادة افتتاح دار المعلمين ، التي نظمت الدورات تربوية قصيرة لاعداد المعلمين حيث كانت مدة الدورة الواحدة ثلاثة اشهر [٥] اشهر [٥] ، وقد اختير (حسن وفقي الدمشقي) مديراً للدار ، ولم يكن من السهولة تأمين العدد الكافي من المدرسين ، اذا امكن ايجاد اربعة مدرسين ، ثلاثة سوريين وواحد بغدادي ، كما استعيرت خدمات مدرس اخر من المدرسة الامريكية لتدريس مادة طرائق التدريس[٦] .

اما ابرز الموضوعات التي تلقاها الطلبة في هذه الدورات فاشتملت على التاريخ الاسلامي ، وتاريخ اوربا ، واللغة الانكليزية ، والرياضيات ، والطبيعيات[٧] .

التحقت الدورة الاولى للدراسة في دار المعلمين في حزيران ١٩١٧ وهي تضم (٦٨) طالبا تخرج منهم (٢٩) طالبا ، وبهؤلاء المتخرجين امكن افتتاح عدد من المدارس الابتدائية وهي المدرسة الحيدرية ، والمدرسة البارودية ، ومدرسة الكرخ ، ومدرسة الفضل ، ومدرسة الاعظمية[٨] .

ولما تخرجت الدورة الثانية من دار المعلمين قررت نظارة المعارف فتح مدارس اخرى منها المدرسة الابتدائية في رأس القرية ، حيث بلغ عدد معلميها (٥) معلمين ، ومدرسة ثانية في منطقة باب الشيخ تألف ملاكها التدريسي من (هاشم الالوسي) مديرا واربعة معلمين[٩] .

---

(١) احدى الشخصيات الفلسطينية كان له جهوده المتميزة في حقول التعليم للتفاصيل انظر : محمد عبد الحسين ، المعارف في العراق على عهد الاحتلال ، المكتبة ، المكتبة العصرية (بغداد ، ١٩٢٢) ، ص١١ .

(٢) استمر ذلك حتى ايلول ١٩١٨ عندما اصبحت دائرة المعارف نظارة مستقلة عن دائرة الواردات ، واصبح الرائد ايج . أي بومان Major. H.E. Boman مسؤولاً امام ارنولد ويلسون (وكيل الحاكم الملكي البريطاني العام) في كل ما يتعلق بالشؤون التعليمية في العراق انظر احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٨٣ .

(٣)بقي مسؤولاً عن شؤون المعارف حتى آيار ١٩١٨ حيث عين مساعداً للضابط السياسي في كفري اذ حل محله في المعارف اللفتانت في.تي.بي وليامس ، المصدر نفسه ، ص٩٠ .

(٤) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ... ، ص ص٦٠-٦٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ص٦٣-٦٤ ؛ بيل المصدر السابق ص ٤٢.

(٦) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ص٨١-٨٢ .

(٧) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٦٧ .

(٨) جريدة العرب ، العدد ١١١ ، ٨ كانون الاول ١٩١٧ .

(٩) المصدر نفسه ، العدد ٦١ في ١٣ آذار ١٩١٨ .

وفي محاولة من الدار لتشجيع الطلاب على الالتحاق بهذه الدار قدمت الاخيرة مخصصات شهرية قدرها (٣٠) روبية ، وبمرور الوقت ازدادت اعداد المتخرجين من دار المعلمين حتى وصل العدد إلى (١٢٥) معلما في كانون الاول ١٩١٨[١] .

كما شهدت هذه المرحلة افتتاح العديد من المدارس المحلية في كل من الراشدية والديوانية وكربلاء والمحمودية وديلتاوة (الخالص) وطويريج والهندية وكثيرا ما كانت هذه المدارس تتحول إلى مدارس رسمية بعد ان يجري تعيين معلميها من جهة سلطات الاحتلال[٢] .

في الوقت نفسه جرى افتتاح مدرسة ابتدائية رسمية في بعقوبة كان مجموع تلاميذها (٤٠) تلميذا ، فيما تألفت هيئتها التعليمية من معلمين اثنين[٣] . وفي ٢٤ تشرين الاول ١٩١٧ جرى افتتاح مدرسة محلية في الكاظمية ، اذ كانت في بداية تأسيسها تابعة للبلدية ، وبغية تأمين مصاريف هذه المدرسة قدمت بلدية بغداد منحة مالية مقدارها (٢٠٠) روبية اليها . ولتأمين ادارتها بانتظام اوعز الضابط السياسي بتشكيل لجنة للاشراف على المدرسة ، اسندت رئاستها إلى اغا علي وهاب وعضوية عدد من وجهاء المنطقة ، اما عن ابرز المشاكل التي واجهتها المدرسة فتمثلت في صعوبة توفير العدد الكافي من المعلمين الاكفاء ومن خريجي دار المعلمين[٤] . وبعد التغلب على هذه المشكلة قامت سلطات الاحتلال بتحويل المدرسة إلى مدرسة رسمية سنة ١٩١٨[٥] .

اما عن طبيعة النظام الذي تطبيقه في المدارس الرسمية في بغداد فتمثل بـ (نظام الصفوف) ، الذي نص على عدم ارتقاء الطالب من صف إلى اعلى ما لم ينجح في نهاية السنة ، ولما ادمجت ولايتا البصرة وبغداد جرى تطبيق هذا النظام على الولايتين[٦] .

اما بالنسبة إلى الدروس التي كان يجري تدريسها في هذه المدارس فاشتملت على تدريس اللغة العربية ، والانكليزية ، والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والهندسة ، والدين والقرآن الكريم[٧] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر : احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ... ، ص ص ٨١-٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ١١١ ، ٨ كانون الاول ١٩١٧ .

(٤) مركز دراسات الموصل ، رقم الملفة E2/1 ، التعليم ١٩١٥-١٩٢٥ ،
Confidential, Notes on Education by H. Dobbs 13. 2. 1915 ، رقم الوثيقة٤، ص ص ١٣-١٤

(٥) جريدة العرب ، العدد ١٢٠ ، ١٩ كانون الاول ١٩١٧ .

(٦) محمد حسين الزبيدي ، التربية والتعليم ، حضارة العراق ، ج١٢ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٣٠٨ .

(٧) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٩١ .

جدول ذو الرقم (٩)

اعداد المدارس الابتدائية (الرسمية) في بغداد في نهاية ١٩١٧[١]

اسم المدرسة	عدد الطلاب	عدد المعلمين
الكرخ	٦٩	٥
الحيدرية	١٦٥	٧
الفضل	٨٨	٥
الاعظمية	٧١	٤
البارودية	١٠٨	٧
الراشدية	٢٠	١
المحمودية	٤٥	٢
بعقوبة	٤٠	٢
الكاظمية	٨٥	٢

وفـي ١٥ نيسـان ١٩١٨ جـرى افتتـاح مدرسـة ابتدائيـة (رسمية) فـي كـربلاء حيـث يبلـغ مجموع الطلبـة المسجلين فيها (٧٠) تلميذا ، وتـألف ملاكها التدريسي من مدير و(٦) معلمين[٢] . كما جرى افتتاح مدرسة ابتدائية للبنات في حزيران ١٩١٨ ، حيث التحقت للدراسة فيها (٢٠)

---

(١) جريدة العرب ، الاعداد ٥٥ ، ٤ تشرين الاول ١٩١٧ ؛ العدد ١١١ ، ٨ كانون الاول ١٩١٧ ؛ العدد ١٢٠ ، ١٩ كانون الاول ١٩١٧ .

(2) Reports of Administration, op. cit., p. 190.

تلميذة في حين تألف ملاكها التدريسي من مديرة ومعلمة واحد فقط ، اما عن طبيعة الدروس التي كانت تدرس في هذه المدرسة فاشتملت على القراءة والكتابة والقرآن الكريم والخياطة والتطريز(١) فضلاً عن ذلك ، تم افتتاح مدرستين في الديوانية الاولى للذكور حيث عين لها (٤) من المعلمين المتخرجين من دار المعلمين . في حين تجاوز عدد تلاميذها الـ (٢٠٠) تلميذ ، اما المدرسة الثانية فكانت للاناث(٢) .

اما بالنسبة للتعليم النسوي في بغداد فباستثناء مدرستي كربلاء والديوانية لم تذكر المصادر وجود مدارس اخرى . وفي سنة ١٩١٨ جرى افتتاح اول مدرسة ابتدائية للبنات عرفت باسم مدرسة (زهرة خضر) الاهلية للبنات ، التحقت للدراسة فيها (٦٠) تلميذة ، انتظمن في ثلاث صفوف(٣) .

كما اضطلعت المدارس الاجنبية ومدارس الطوائف بدور في مجال التعليم النسوي ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مدرسة البنات اليهوديات التي افتتحتها الطائفة اليهودية في بغداد سنة ١٩١٧(٤) .

استمر التوسع التدريجي في اعداد المدارس الابتدائية حتى وصل عددها في شهر كانون الثاني ١٩١٨ (٤٢) مدرسة ، بلغ المجموع الكلي لتلاميذها (٢٦١٧) تلميذا ، في حين وصل عدد معلميها إلى (١٤٤) معلما(٥) .

وكما هو الحال بالنسبة إلى ولاية البصرة لم تبد سلطات الاحتلال أي اهتمام بافتتاح اية مدرسة ثانوية في بغداد لذلك بقي التعليم الثانوي ابان هذه المرحلة محصورا ببعض المدارس الاهلية ، ومنها مدارس الاليانس الاسرائيلية التي تم افتتاحها في عدد من الولايات العراقية ومنها مدرسة بغداد ، ومدرسة اللاتين والكلدان في بغداد(٦) . وفي الصف الثانوي الذي تم افتتاحه في بعض المدارس الابتدائية في بغداد(٧) .

وامام الاهمال الشديد الذي عاناه التعليم الثانوي من لدن سلطات الاحتلال ، فقد تنامت المطالبة الشعبية بالتعليم الثانوي ، حيث اشارت المس بيل الى هذه المطالبة قائلةً :"من المحتمل

---

(1) Ibid.

(2) Ibid., p. 205.

(٣) العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق ... ، ص ٦٧ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٤٤ ، ١٢ ايلول ١٩١٧ .

(٥) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ٦٠ ؛ نديم ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٦) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ص ٨٦ .

(٧) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ١٤٥ .

ان تكون المطالبة بالتعليم الثانوي والعالي اكثر الحاحا من المطالبة بالتعليم الصناعي، فان المثقفين الوطنيين يقدرون التعليم حق قدره ... لانهم يعتقدون انه وحده يمكن ان يعد طبقة من الرجال يمكنهم ملء الوظائف الحكومية في الدوائر المسؤولة"(١) . لذلك واستجابة لهذه المطالب ، اعلنت سلطات الاحتلال عن نيتها فتح مدرسة ثانوية باسم "المدرسة التجهيزية" بغية استقبال الطلاب المتخرجين من المدارس الابتدائية ، غير ان المدرسة لم تفتتح الا في سنة ١٩١٩ ،حيث بدأت سلطات الاحتلال بافتتاح مدارس مماثلة في عدد من المدن العراقية(٢).

بادرت سلطات الاحتلال وامام الحاجة المتزايدة الى الموظفين والمستخدمين الى افتتاح عدد من المدارس المهنية ومنها مدرسة المساحة (School of Survey)(٣) التي سميت فيما بعد بمدرسة الهندسة ، وعين لادارتها داؤد السعدي مدرس الهندسة بدار المعلمين(٤) ، وقد بلغ عدد الطلبة المقبولين في الدورة الاولى (٦١) طالبا تخرج منهم في الدفعة الاولى (٣٩) طالبا، استعانت بهم سلطات الاحتلال في مشاريع الري التي تم انشاؤها لاحقاً (٥) .

وفي ايار ١٩١٨ جرى افتتاح مدرسة مأموري المالية(٦) حيث ابتدأت التدريسات فيها في في مطلع تموز ١٩١٨ ، وكان عدد طلبة الدورة الاولى (٥٠) طالبا تلقوا دروسا في اللغة الانكليزية والرياضيات والجغرافية والتاريخ والاحصاء ومسك الدفاتر ، واصول المالية ، لكن الدراسة في هذه المدرسة لم تستمر طويلا اذ سرعان ما اغلقت في ١٥ نيسان ١٩١٩(٧) .

ومن المدارس الاخرى التي جرى افتتاحها (مدرسة التجارة المسائية) التي افتتحت في ١٠ تموز ١٩١٨ ، حيث بلغ عدد الطلبة المسجلين فيها (٧٠) طالبا معظمهم من ابناء التجار اليهود(٨) ، وكانت الدراسة تجري بمعدل ساعتين في اليوم ولمدة اربعة ايام في الاسبوع ، يتلقى

---

(١) بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

(٢) ولمزيد من التفاصيل حول ظروف انشاء هذه المدرسة انظر الجبوري ، مشكلات ادارة المدارس الثانوية، ص ص ٩٥-٩٦ .

(3) Edmund Candler, The Long Road to Baghdad, Vol. 2, Gassel and Company, (Lonodn, 1919), p. 184.

(٤) جريدة العرب ، العدد ٣٦ ، ١٥ شباط ١٩١٩ .

(٥) المصدر نفسه ، العدد ١٠٩ ، ٦ كانون الاول ١٩١٧ ؛ جريدة الاوقات البصرية ، العدد ١٤ ، ٢٤ تموز ١٩١٨ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ١٢٧ ، ٢٩ ايار ١٩١٨ .

(٧) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ص ٩٠-٩١ .

(٨) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ... ، ص ٨٣ .

الطلاب خلالها دروسا في اللغة الانكليزية ومسك الدفاتر والاختزال والضرب على الالة الكاتبة[١]
.

كما طرحت فكرة افتتاح مدرسة داخلية لابناء الشيوخ واقربائهم ، وعلى الرغم من الطلبات المتكررة لافتتاح هذه المدرسة الا ان الفكرة لم تدخل حيز التنفيذ ابان هذه المرحلة[٢] .

اما بالنسبة الى المدارس الاهلي الاسلامية فكانت هناك مدرستان الاولى (المدرسة الجعفرية الاهلية) التي كانت تسمى قبل الاحتلال البريطاني بـ (مكتب الترقي الجعفري العثماني) ، اما المدرسة الثانية فكانت (مدرسة الكاظمية الاهلية) التي اسست في نهاية سنة ١٩١٧[٣] .

قامت سلطات الاحتلال في بغداد بتقديم المساعدات المالية الى المدارس الخاصة والاجنبية ، حيث ازدادت اعدادها بفضل الدعم الذي حظيت به من سلطات الاحتلال ، فكان لكل طائفة من الطوائف مدرسة خاصة بها حتى ان عددها اصبح مقاربا للمدارس الحكومية ومن هذه المدارس مدرسة الكلدان ، والمدرسة السريانية ، ومدرسة الارمن (للبنين والبنات) ، وعدد اخر من المدارس[٤] .

كان للطائفة اليهودية مدارسها الخاصة بها ،التي جرى افتتاحها في بغداد سنة ١٩١٧، واشرفت على بعضها (جمعية الاتحاد الفرنسي الاليانس) ، فيما اشرفت على بعضها الاخر الاقلية اليهودية[٥] ، فضلا عن المدارس الموجودة سابقا ومنها مدرسة هارون صالح المختلطة ومدرسة الوطن[٦] ومدرسة رفقة رفائيل ومدرسة الفان ومدرسة المدراش ومدرسة لورا خضوري خضوري للبنات[٧] . هذا وقد ازدهرت المدارس اليهودية خلال هذه الفترة حتى بلغ عدد الطلاب فيها أواخر عهد الاحتلال (٥٥١١) طالباً كان من ضمنهم (٤٠٣٠) من البنين[٨].

وخلال الاشهر القليلة التي اعقبت احتلال بغداد شكلت سلطات الاحتلال مجلساً للمعارف ضم عددا من الشخصيات المعروفة منهم علي الآلوسي ومهدي بابان وانستاس

---

(١) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٩١ .

(٢) مركز دراسات الموصل ،رقم الملفة E2/1 ، التعليم ١٩١-١٩٢٥ ؛
Confdenital Notes on Education, by H. Dobbs, 13. 2.1915.

(٣) الزبيدي ، التربية والتعليم ، ص ٣٢٠ .

(٤) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٩٣-٩٤ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٤٤ ، ٢١ ايلول ١٩١٧ .

(٦) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ... ، ص ٩٤ .

(٧) المصدر نفسه ، في الوقت الذي جرى فيه افتتاح مدارس مماثلة في كل من البصرة والعمارة وخانقين والحي وكركوك .

(٨) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٨٧ .

ماري الكرملي ومحمود شكري الآلوسي وجميل صدقي الزهاوي وكان لهذا المجلس صفة استشارية فقط اذ لم يحق له رسم السياسة التعليمية(١) .

لم تبدأ سلطات الاحتلال البريطانية في تأسيس الجهاز التعليمي في العراق بصورة جدية الا بعد تعيين همفري بومان (Humphery E. Bowman) مديرا عاما للمعارف باسم "ناظر المعارف العمومية"(٢) الذي تسلم ادارة المعارف في ٢٢ آب ١٩١٨(٣) .

اما فيما يخص ادارة التعليم في الموصل التي احتلتها القوات البريطانية في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، فقد انيطت بالكابتن بيس (E.H. Base) (*) الذي باشر اعماله وكيلاً لناظر المعارف فيها(٤) .

وجد الكابتن بيس في الموصل ست مدارس ابتدائية رسمية للبنين وهي : الوطن ، دار العرفان ، جامع خزام، شمس المعارف ، دار الادب ، رهبر الترقي ، كما وجد ثلاث مدارس للبنات هي : مكتب الاناث المركزي ، مكتب تدريس نمونة ، مكتب هداية العرفان ، ومدرسة اعدادية للبنين ومدرسة للصنائع ودار للمعلمين ومدرسة تطبيقات ملحقة بها وبضعة مدارس طائفية تعود الى الكلدان والسريان واليعاقبة واليهود . كما كان هناك مدارس ابتدائية في بعض القرى المحيطة بمدينة الموصل(٥) .

استهل الكابتن بيس اعماله باغلاق كل المدارس الابتدائية باستثناء مدرسة الوطن ، كما قرر الغاء المدرسة الاعدادية وتوزيع طلابها على بنايتي مدرسة الوطن ، ومدرسة ابتدائية اخرى تم افتتاحها باسم "المدرسة الخضرية"، في الوقت نفسه تم الاستغناء عن عدد كبير من المعلمين الذي رفضوا التعاون مع سلطات الاحتلال بحجة انهم غير مؤهلين للتعليم ، وعين الباقين معلمين في مدرستي الوطن والخضرية(٦) .

---

(١) النصيري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(٢) كانت السلطة المحتلة قد اجرت اتصالات سنة ١٩١٨ مع وزارة التعليم المصرية للافادة من خدمات الميجر بومان ،وبعد تبادل البرقيات بين الجانبين وافقت المعارف في مصر على انتداب الميجر بومان للعمل في العراق P. R.O, F. O. 371/604/3042, Xno. 78033, pp. 26, 94 .

(٣) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ص ٩٤-٩٥ .

(*) عمل الكابتن بيس في وزارة المعارف المصرية قبل الحرب العالمية الاولى، وقد وصفه الميجر بومان " بأنه متخصص بالرياضيات وله ولع شديد بالادب" . أنظر أحمد تطور التعليم الوطني ... هامش ص ١٠٢

(٤) جريدة العرب ، العدد ٥٤٣ ، ١٣ ايار ١٩١٩ .

(٥) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ١٠٣ .

(٦) الزبيدي ، التربية والتعليم ، ص ٣٠٩ .

قسمت السلطات البريطانية العراق بعد احتلال الموصل الى ثلاث مناطق تعليمية في كل واحدة منها مديرية للمعارف هي [١]:

١. المنطقة الشمالية ومركزها مدينة الموصل .

٢. المنطقة الوسطى ومركزها مدينة بغداد .

٣. المنطقة الجنوبية ومركزها مدينة البصرة .

اما فيما يخص التفصيلات الخاصة بنظم التعليم فقد طبقت على مدارس الموصل معظم التعليمات الصادرة من قيادة سلطات الاحتلال البريطاني في بغداد ، كما خضعت سياسة التعليم للمبادئ الرئيسية للسياسة التعليمية التي صاغها بومان[٢] .

من خلال ما تقدم تبين ان حالة التعليم في العراق لم يطرأ عليها أي تحسن خلال مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ، حيث انحصر جهد البريطانيين في تثبيت دعائم احتلالهم العسكري للبلاد ، واقتصر اهتمامهم بالدرجة الاساس على تقديم المساعدات المالية لمدارس الارساليات التبشيرية والطوائف الدينية[٣] .

تقويم الخدمات التعليمية ابان الاحتلال البريطاني للعراق:-

عانت الخدمات التعليمية في عهد الاحتلال البريطاني من سلبيات عديدة كان بعضها مماثلا لتلك الني كانت موجودة في عهد السيطرة العثمانية ، فضلاً عن سلبيات اخرى نتجت عن سياسة سلطات الاحتلال في مجال التعليم.

استمرت الخدمات التعليمية في مواجهة مشكلة قلة التخصيصات المالية لها ، فقد كانت التخصيصات محددة لا تكفي الا لتأسيس عدد قليل جدا من المدارس ، ففي سنة ١٩١٥-١٩١٦ لم ينفق على المعارف سوى ٦٥٠٠ روبية اي ما يعادل ٠.٤% من مجموع مصروفات

---

(١) اسندت ادارة كل منطقة من المناطق الثلاث الى ضابط سياسي ، شغل في الوقت نفسه منصب وكيل ناظر المعارف يساعده في هذه المهمة بضعة موظفين عراقيين ، احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ١٠٣ .

(٢) الزبيدي ، التربية والتعليم ، ص ٣٠٩ .

(٣) العبيدي ، التعليم الاهلي ... ، ص ٧٢ .

الدوائر المدنية الاخرى البالغة ١.٦٢٢.٣٤٤ روبية[١] ، في حين بلغت نفقات المعارف في السنوات ١٩١٦-١٩١٧مبلغ ٢٣.٥٣٠روبية وفي ١٩١٧-١٩١٧مبلغ ٣٥.٥٠٠روبية[٢].

وانعكست قلة التخصيصات المالية على ميزانيات الولايات ، فعلى سبيل المثال صرفت على التعليم في ولاية البصرة في سنة ١٩١٦ (٢٣.٣٥٠) روبية او ما يقابل ٠.٧٤% من مجموع مصروفات باقي الدوائر ، ولم يتحسن الحال بعد احتلال بغداد ، حيث كان جهد السلطات المحتلة منحصرا بالدرجة الاساس في تثبيت دعائم الوضع السياسي فبلغت مصروفات المعارف في ١٩١٧-١٩١٨ نسبة ٠.٣٥% من مجموع مصروفات باقي الدوائر [٣].علاوة على قلة التخصيصات المالية ، فان الجانب الاكبر من هذه التخصيصات جرى تقديمه الى المدارس التبشيرية ومدارس الطوائف الدينية بصيغة منح .

وفي محاولة من دوائر المعارف لرفع مستوى اداء الملاك التعليمي ، فقد تم تنظيم دورات صيفية لمديري مدارس بغداد ومعلميها ، حيث بدأت تلك الدورات في صيف ١٩١٨ ، واستمرت الى صيف ١٩٢١[٤].كما قامت سلطات الاحتلال بزيادة رواتب المعلمين[٥] وتحديد ضوابط لاختيارهم تعتمد على الكفاءة والمقدرة ، وفي هذا المجال اصبح راتب المعلم المتخرج من دار المعلمين (١٠٠) روبية عند تعيينه خارج البلدة التي يسكن فيها([٦]).

اما فيما يخص المناهج الدراسية في المدارس الرسمية فقد افتقرت هذه المدارس ومنذ بداية الاحتلال الى المناهج الدراسية المقررة ، حيث سارت التدريسيات اول الامر على تقديرات ادارات المدارس اذ لم يكن لدى المعلمين منهج معين يسيرون بموجبه او كتب معينة وانما كان المدرسون يجتمعون لوضع مناهج دراسية تلائم الظروف والاحوال وتوافق مستوى الطلاب العلمي [٧] .فعلى سبيل المثال يلاحظ ان المنهج التعليمي الذي طبق في البصرة كان غريباً عن البيئة

([١]) العبيدي ، التعليم الاهلي ... ، ص٦٠ ، الجبوري ، المصدر السابق ، ص٩٠.

([٢]) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٩٠؛ Sluglett ,op.cit p. 278P uf ؛ عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص٢٢.

([3])P. R. O, F.O.371/3042/228554/ Office white hall ,November , 1917.

([٤]) الزبيدي ، التربية والتعليم .. ، ص٣٠٧.

([٥]) كان المعلمون في المدارس الحكومية يتقاضون رواتبهم في بداية الاحتلال من دائرة الاوقاف ، الا انهم وابتداءا من تشرين الاول ١٩١٨ اصبحوا موظفين على ملاك المدارس الحكومية واخذوا يتقاضون رواتبهم من المعارف ، الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٥٦-٥٧.

([٦]) احمد ، تطور التعليم الوطني . ص١٠٠ وما بعدها ، في حين كان المعلمون في بداية الاحتلال يتقاضون راتبا قدره (٧٠) روبية ، فيما يتقاضى مديرو المدارس (٨٠) روبية شهريا ، وكانت تدفع لهم مخصصات اضافية قدرها (٢٥) روبية شهريا لمن يقبل التعيين خارج البلدة التي يسكن فيها ، زيدان ، المصدر السابق .

([٧]) المصدر نفسه ، ص٣٠٨.

المحلية ولم يكن يتناسب مع مدارك الطلاب قياساً لاعمارهم ، أضافة الى كثرة المواضيع التي يدرسها التلاميذ وإزدحامها بالمفردات، فعند أستعراض محتويات المنهج المقرر للسنتين الاوليتين من الدراسة الابتدائية مثلاً يلاحظ ان تلاميذ هذين الصفين مكلفون بمعرفة قواعد اللغة العربية وحفظ قطع من النظم والنثر وفهم غريب الفاظها وحفظ المصطلحات الجغرافية وبعض الوقائع التاريخية وغيرها مما لا يتناسب مع مداركهم العقلية ومع هذا بقي الوضع التعليمي يعاني من ازدحام المواد الدراسية حتى صيف عام ١٩١٨[١].

وقد انتقد محمد عبد الحسين مؤلف كتاب "المعارف في العراق على عهد الاحتلال البريطاني" ، الصادر في بغداد سنة ١٩٢٢، الاستمرار في تدريس المناهج المصرية دون الانتقاص منها " فكتب القراءة جاءت حكايات عن الاهرام وابو الهول والنيل والفراعنة وغير ذلك ، ولا شك انها الفت لابناء مصر ، اما ابناء العراق فانهم وقفوا على حالة مصر والمصريين اكثر من تعرفهم على بلادهم" [٢].

علاوة على ذلك كان على سلطات الاحتلال ان تجد حلا لمشكلة التعليم الديني في المدارس الرسمية وقد ادعت انها تحاول تجنب الاخطاء التي وقعت فيها السلطات العثمانية في هذا الشأن ، وحينما فتحت المدارس الابتدائية الاولى في البصرة تقرر مؤقتاً دراسة الامر ملياً ، كما قالت المس بيل السكرتيرة الشرقية للحاكم العام ، وان لا تدرس الدروس الدينية رسميا في المدارس ، ومعنى هذا ان يترك التعليم الديني الى اولياء امورالتلاميذ ، الا ان السلطات التعليمية في بغداد ، واجهت رغبة عارمة عند المسلمين بادخال التعليم الديني في المدارس الرسمية ، وكانت هذا الرغبى قوية جدا ، بحيث ادى الى اهمال هذه المسألة الى استعداد الناس الى سحب اولادهم من المدارس الرسمية وارسالهم الى الكتاتيب ، على الرغم من كفاءتها التعليمية. [٣].

وامام هذه الضغوط اضطرت دائرة المعارف الى جعل مادة الدين جزءا من المنهج الدراسي ، حيث تقرر تعيين معلم خاص لدرس الدين من لدن الحكومة ، واذ كانت هذه النسبة اقل من ذلك فان بامكان هؤلاء الطلاب دراسة دينهم الخاص اما في بيوتهم ، واما في المدرسة نفسها من قبل معلم خاص يتحمل اباؤهم دفع راتبه[٤].

([١]) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال .. ، ص٣٦٩.

([٢]) عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ص ٤٩-٥٠.

([٣]) احمد ، تطور التعليم الوطني ، ... ، ص ص ٨٧-٨٨.

([٤]) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص١٤٨.

عانت المدارس الرسمية من نقص حاد في الاثاث ، واستمرت هذه المشكلة قائمة حتى ايلول ١٩١٨[١] . حيث تم التغلب على مشكلة الاثاث كالرحلات والسبورات باستيراد الاولى من بومباي ، فيما شجعت عملية صنع السبورات محليا ، وفضلا عن ذلك فقد تغلبت ادارة المعارف على مشكلة نقص الكتب ، عندما بدأت السلطة المحتلة بجلب الكتب المدرسية العربية من مصر [٢] ، واستوردت من الهند الكتب الخاصة باللغة الانكليزية وقد وصلت هذه الكميات من الكتب في شهر كانون الثاني ١٩١٨[٣] .

وللغاية نفسها قامت دائرة معارف بغداد بتأسيس مجلس علمي في دائرة المعارف ضم في عضويته كل من حسن عبد الهادي ، وداؤود السعدي وعدد اخر من الاعضاء ، حيث اسندت الى هذا المجلس ترجمة الكتب المفيدة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية [٤] ، فيما لم يقم احد من المثقفين بتأليف او ترجمة الكتب المدرسية في الموضوعات المختلفة في هذه الفترة باستثناء موردايك[٥] Moerdyk والاديب العراقي المعروف انستاس ماري الكرمي (١٨٦٦-١٩٤٦) [٦].

كما عانى التعليم الرسمي في العراق من النقص الحاد في أعداد الابنية التي يمكن استخدامها كبنايات مدرسية ، اما اسباب ذلك فتعود الى اشغال قوات الاحتلال البريطاني لغالبية بنايات المدارس القديمة كمكاتب ومقرات ادارية لها [٧] ، فضلاً عن عجز القوات المحتلة عن ايجاد البنايات المدرسية الصالحة لتلبية احتياجات الطلاب ، فضلاً عن ان الميزانية لم تخصص المبالغ اللازمة لذلك [٨].

ومن المشاكل الاخرى التي عانت منها المدارس الرسمية ، ولا سيما المدارس الابتدائية ، قلة الطلبة المسجلين فيها اذ لم يتجاوز عددهم في احسن الاحوال (١٥٠) تلميذ في كل مدرسة [٩] ، ولم يتوقف الامر على ذلك ، حيث شكلت تعليمات أدارة المعارف القاضية بجعل دوام الطلاب في هذه المدارس اختيارياً سببا في عدم انتظام دوام الطلبة في المدارس الرسمية ولا سيما

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٤٧.

(٢) جريدة العرب ، العدد ٣٧، ١٣ شباط ، ١٩١٨.

(٣) احمد ، تطور التعليم الوطني ، .. ، ص٩١.

(٤) جريدة العرب ، العدد ٧٦ ، ٣٠ اذار ١٩١٨،.

(٥) احد اعضاء البعثة التبشيرية الامريكية في البصرة.

(٦) للتفاصيل انظر : الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٧٢.

(٧) المصدر نفسه ، ص١٤٦.

(٨) عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص٤٢.

(9) Reports of Administration , op cit. , p. 389.

الفقراء منهم ، ولمواجهة هذه المشكلة لجأت سلطات الاحتلال الى تقديم منحة مالية لا تتجاوز (١٠) روبيات شهرياً لتشجيع الاهالي على ارسال ابنائهم الى المدارس[١].

اما بالنسبة للتعليم النسوي فقد تجاهلت سلطات الاحتلال فتح مدارس الاناث التي كانت موجودة في العهد العثماني اذ عللت ذلك بعدم الحاجة الى استخدام الاناث في دوائر الحكومة، وعدم توافر العدد الكافي من المعلمات [٢] ، وامام المطالب المتكررة بفتح مدارس البنات ، لجأت لجأت سلطات الاحتلال الى إفتتاح بعض المدارس الابتدائية الرسمية للبنات ، كما احتوت المدارس الابتدائية للبنين على صف للبنات ومنها المدرسة الابتدائية في القرنة.

واضطلعت المدارس الاجنبية ومدارس الطوائف بدورها في مجال التعليم النسوي ، ونخص منها بالذكر مدرسة الراهبات الكرمليات ، والمدرسة الامريكية للبنات في البصرة ، فضلاً عن مدرسة البنات اليهوديات التي انشأتها الطائفة اليهودية في بغداد سنة ١٩١٧ ، وغيرها من المدارس الاخرى [٣].

اما التعليم الثانوي فقد رأته سلطات الاحتلال شيئا ثانوياوسارت على هذا النهج حتى سنة ١٩١٩ عندما تم افتتاح اول المدارس الثانوية في بغداد على الرغم من الانتقادات التي واجهتها سلطات الاحتلال البريطاني من الاهالي ، وقد اعترفت المس بيل بهذا الامر قائلة :"...انه لامر حسن جدا ان نقول لا نفتح مدارس ثانوية قبل ان تتوافر لدينا مادة من الطراز الاول من المعلمين والتلاميذ معا ، اننا لا نستطيع الانتظار حتى يتحقق ذلك ...فان الناس هنا حريصون على التزود بالتعليم العالي بحيث اننا اذا توقفنا فسيعتقدون بأننا نفعل ذلك عمداً قصد تأخرهم..." [٤].

وسعياً من بريطانيا لتقريب شيوخ العشائر ظهرت في البصرة محاولة لفتح مدرسة داخلية لا بناء شيوخ العشائر واقربائهم ، حيث اختيرت الْمّدَيَنْةُ لتكون محلاً لتأسيس هذه المدرسة ، ومما يلاحظ ان اقتراحات مماثلة وردت من الضباط السياسيين في المناطق المحتلة ومنهم بومان الذي اقترح فكرة فتح مدرسة خاصة ، على اساس ان ابناء الشيوخ ينبغي ان لا يرسلوا إلى المدارس الرسمية في المدن لان ذلك يعرضهم لمفاسد المدن ، كما ان شيوخ العشائر لا يوافقون على اختلاط ابنائهم بابناء الرجال الذين هم في نظرهم اقل منزلة . كما ظهرت فكرة اخرة لتأسيس

---

(١) وفي هذا المجال قدمت مساعدات مالية لطلاب دار المعلمين ايضا ، الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) صبيحة الشيخ داود ، اول الطريق الى النهضة النسوية ، ط١، مطابع الرابط (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص٤٨.

(٣) احمد ، تطور التعليم الوطني ، ص٨٦، عباس ؛ تاريخ التربية والتعليم في البصرة ، ص٤٢.

(٤) وميض جمال عمر ، الجذور الفكرية والسياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ص٢٢٧.

مدرسة خاصة بابناء الشيوخ تحت اسم (كلية الشيوخ) [١] على غرار مدرسة العشيرة في الباب العالي ، غير ان هذه المشاريع لم تر النور في تلك المرحلة المبكرة من الاحتلال البريطاني [٢].

مما تقدم يتضح ان واقع الخدمات التعليمية في العراق ابان الاحتلال البريطاني عانى من جملة من السلبيات منها الضعف والجمود وعدم القدرة على استيعاب الحاجات الرئيسية لسكان البلاد ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لسياسة بريطانيا الاستعمارية ، والقائمة على توظيف الخدمات التعليمية المقدمة بما يخدم الوجود البريطاني في البلاد ويعززه .

---

(١) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص٩٣.

(٢) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني .. ، ص٢٠٥

الفصل الثاني : البلديات

مدخل

المبحث الأول :

الهيكل التنظيمي للبلديات في الولايات العراقية خلال العهد العثماني :

المجلس البلدي .

الجمعية البلدية .

دائرية البلدية .

دائرة النافعة (الاشغال العامة) .

التشكيلات البلدية في الولايات العراقية .

المبحث الثاني :

مهام الجهاز البلدي في العراق

مشاكل الخدمات البلدية

المبحث الثالث :

الاحتلال البريطاني والخدمات البلدية في العراق .

التشكيلات البلدية .

المبحث الرابع :

طبيعة الخدمات البلدية في العراق ١٩١٤-١٩١٨ .

تقويم لواقع الخدمات البلدية ابان الاحتلال البريطاني للعراق .

تعرف دائرة البلدية بأنها مؤسسة اوكل اليها مهمة ادارة الشؤون العائدة للبلدة ، وبالتالي الشؤون العائدة لاهاليها الذين تجمعهم دواعي المنافع المشتركة والاحتياجات المتقابلة ضمن الحدود والصلاحيات التي تمنحها القوة التشريعية بواسطة ممثليهم المنتخبين(١) .

ترجع البدايات الاولى لتشكيل الادارة البلدية الحديثة في الدولة العثمانية إلى السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩ م) عندما اوعز بتشكيل مفتشية الاحتساب "احتساب نظارتي" في سنة ١٨٤٣م التي أوكل اليها مهام تفتيش الاسواق والأشراف على المكاييل والموازين وغير ذلك من المهام(٢) اعقبها جهود السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) ، وفي هذه المرحلة تم تشكيل لجنة خاصة وبجهود من (المجلس الاعلى للاصلاح) لدراسة امكانية استحداث دوائر بلدية في مدن الدولة العثمانية ، حيث قدمت اللجنة المذكورة تقريرها إلى المجلس الاعلى للاصلاح ، وقد تضمن عدة توصيات يأتي في مقدمتها الدعوة إلى تشكيل دوائر بلدية في مدن الدولة العثمانية على ان يكون لها سلطة مالية مستقلة(٣)

وتطبيقا لتلك التوصيات فقد تم تأسيس اول بلدية في المنطقة السادسة للعاصمة استانبول سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م ، ويبدو ان تلك التجربة لاقت النجاح اتبعها اصدار الدولة لقانون سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م الذي اوعزت فيه بتشكيل بلدية كبرى في العاصمة استانبول(٤). وفي العام نفسه صدرت مجموعة من القوانين والانظمة البلدية "بلدية نظامنامة سي" تضمنت مجموعة من التعليمات الخاصة بالبلديات : واجباتها ، ومجالسها، ووظائفها ، وادارتها ، وغير ذلك من التعليمات(٥) .

اثر ذلك بوشر بتأسيس عدد من البلديات في عدد من الولايات العثمانية ومنها الولايات العراقية حيث اسست اول بلدية في ولاية بغداد سنة١٢٨٦هـ /١٨٦٩م(٦).وفي العام ذاته شرع

---

(١) الهلالي ، معجم العراق ، ج١ ، ص١٨٠ .

(2) The Encyclopaedia of Islami , New Edition , London , VOL 1 , Art "Baladiyya" , P.972 .

(3) Lewis , op , cit., P.389 .

(٤) النجار ، الادارية العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٢٩ .

(5) The Encyclopaedia of Islam , op.cit. , p.942 .

(٦) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، (بغداد ، ١٩٥٨) ص٢٣٣ ، ارخت مصادر اخرى ذلك بسنة١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٨ م : انظر : عبد المنعم كاظم ، (تأسيس بلدية بغداد وتطورها إلى امانة العاصمة) ، مجلة امانة العاصمة ، العدد (١٥) آذار ١٩٧٨ ، ص٨ ؛ النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، ص٢٢٩ .

مدحت باشا بإنشاء دوائر بلدية في المدن الرئيسية ولاسيما الموصل[١]، والبصرة[٢] . كما شيدت بناية خاصة لدائرة بلدية بغداد[٣] .

واصلت الدولة العثمانية في العقد السابع من القرن التاسع عشر اهتمامها بتطوير خدماتها البلدية ، فقد اكد نظام ادارة الولايات العمومية سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م على تشكيل المجالس البلدية في كل مدينة أو قصبة من بيان تفرعات تلك المجالس والوظائف المتعلقة بها، ووظائف وواجبات موظفي الدوائر البلدية وواردانها ومصروفاتها ، وغير ذلك من امور[٤].

وفي سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م صدر قانون جديد للبلديات ، تألف من عشرة فصول تضمن (٦٧) مادة وبموجبه اتخذت البلديات شكلها القانوني ، اذ جرى تنظيم الجهاز البلدي الذي على ما يظهر اصبح جاهزا متكاملا . ويرى بعض الباحثين ان الدولة العثمانية لم تأخذ مسألة نشر البلديات في مدن ولاياتها على محمل الجد إلا بعد صدور القانون الاخير[٥] .

المبحث الاول :

الهيكل التنظيمي للبلديات في الولايات العراقية خلال العهد العثماني

تألفت البلدية بموجب قانون البلديات سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م من المجلس البلدي والجمعية البلدية ودائرة البلدية ، ونظرا للدور الذي اضطلع به كل قسم من هذه الاقسام ارتأينا الحديث بشيء من التفصيل عن كل منها على حدة .

أ. المجلس البلدي :

اكد قانون البلديات انشاء بلديات ومجلس بلدي في مدن ولايات الدولة كافة([٦]) . في حين نصت المادة الثانية من القانون المذكور على تقسيم البلديات في المدن الكبرى إلى دوائر تختص كل منها بقسم من اقسامها على ان لا يقل عدد سكان كل قسم على (٤٠) الف نسمة([٧]).

([١]) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص٢٢ .

([٢]) رجب بركات ، بلدية البصرة (١٨٦٩-١٩٨٣) ، ج١ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، (البصرة ، ١٩٨٤) ، ص٣٨ .

([٣]) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٣٠ .

([٤]) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص ٤٠٩-٤٢١ .

([5]) Lewis , op , cit. , p.392 .

([٦]) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص٤٠٦ ؛ Lewis , op .cit ., p.392

([٧]) كاظم، المصدر السابق ، ص٢ .

اما عن عضوية المجلس البلدي فتألف من ٦ إلى ١٢ عضوا ، يقوم الوالي بتعيين احد هؤلاء الاعضاء رئيسا للبلدية والاخر للمجلس البلدي ، في حين اوكلت مهمة اختيار رئيس بلدية السنجق إلى متصرف السنجق نفسه[١] .

وتتلخص مهام رئيس البلدية برئاسة جلسات المجلس البلدي ، والتي كانت تنعقد مرتين كل اسبوع ، واعداد الميزانية السنوية تمهيدا لعرضها على المجلس البلدي ، وتنفيذ قرارات المجلس البلدي ، واستحصال مصادقة مجلس ادارة الولاية على مقررات المجلس البلدي ، وتعيين موظفي البلدية والمراقبين[٢] والجواويش[*] .

إلى جانب هؤلاء الاعضاء ، كان هناك عدد من الاعضاء الفنيين ، منهم مهندس البلدية ، وطبيبها ، فضلا عن الكاتب وامين الصندوق وعدد اخر من الموظفين[٣] .كما اشترط ان يكون يكون جميع اعضاء المجلس البلدي وبضمنهم الرئيس من الوجهاء المعروفين ، وحدد ان يتسلم رئيس البلدية راتبه من واردات البلدية ، اما الاعضاء فلا يستلمون راتبا[٤]. ومن الجدير بالذكر ان عضوية المجلس كانت فخرية ، اذ يتم استبدال نصف الاعضاء كل سنتين[٥] ، ويتولى الوالي الوالي مهمة التصديق على انتخاب الاعضاء[٦] .

وكانت مدة رئاسة رئيس البلدية قد حددت بأربعة سنوات ، واجاز القانون اعادة تعيينه مرة ثانية ، في حالة حصوله على اكثرية الاصوات في الانتخابات اللاحقة[٧] . ويقوم اكبر الاعضاء سناً في المجلس البلدي بمهام رئاسة المجلس عند غيابه[٨] .

كما اشترط في المرشح لعضوية المجلس البلدي ، ان يكون من ملاك الاراضي ، ومن يدفعون ضريبة إلى الحكومة لا تقل عن ١٠٠ (قرش) سنويا ، وان لا يقل عمره عن (٣٠) عاماً ، وليس له ارتباط بالدول الأجنبية ، عن طريق قناصلهم ، وأن لا يكون من العاملين في سلك

---

(١) العمري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

(٢) ابراهيم خليل احمد ، اوراق تاريخية موصلية ، المجلس البلدي في الموصل ، جريدة الحدباء العدد (١٨٧) ، ١ كانون الثاني ١٩٨٥ ، بركات ، المصدر السابق ، ص ص٤٣-٤٤ .

(*) الجواويش : مفردها (جاويش) : وهم مراقبو البلدية الذين يتابعون تنفيذ تعليماتها في الشوارع والاحياء .

(٣) احمد ، ولاية الموصل ، ص٢٥ .

(٤) احمد ، المجلس البلدي في الموصل .

(٥) شكري ، المصدر السابق ، ص١٩ .

(6) Cuinet , op.cit., p.98 .

(٧) الصوفي ، تاريخ بلدية الموصل ، ج١ ، ص٢٣ .

(٨) بركات ، المصدر السابق ، ص٤١ .

الجيش وقوات الامن والضبطة ، والجهاز القضائي[١] . كما وضع قانون البلديات مجموعة من الشروط التي اوجب توافرها في الناخبين منها التمتع بالجنسية العثمانية ، وان لا يقل عمره عن (٢٥) سنة ، وان يكون من الملاكين بحيث لا يقل مقدار الضريبة السنوية التي يدفعها عن الأراضي التي بحوزته عن (٥٠) قرشا ، وان لا يكون محكوما بجناية ، ويتمتع بحقوقه المدنية والشخصية كاملة[٢] .

اما وقت اجراء الانتخابات البلدية ، فقد حدد بالفترة الواقعة بين شهري كانون الاول وشباط وهي اقرب إلى التعيين منها إلى الانتخابات ، التي كانت تجري على النحو الاتي :

يختار الناخب في الانتخابات البلدية عددا من المرشحين مساويا لعدد الاعضاء المقرر انتخابهم لعضوية المجلس ، ونصف ذلك العدد في الانتخابات التي تليها[٣] ، وكما اشرنا كان المجلس البلدي ينعقد مرتين اسبوعيا ، بإستثناء بعض الاجتماعات الاستثنائية التي تعقد وبطلب من رئيس المجلس ، واشترط لعقد اجتماعات المجلس حضور اكثر من نصف اعضاء المجلس ، فيما عد العضو المتخلف عن حضور جلسات المجلس ولثلاث مرات متوالية في عداد المستقيلين[٤] .

كانت المجالس البلدية تابعة لمجالس الولاية ومجالس السناجق ، ولهذا فلم يكن بإمكان رؤساء المجالس البلدية تنفيذ أي قرار من قرارات المجلس البلدي من دون الرجوع إلى تلك المجالس للمصادقة عليها ، فكان ذلك أحد أسباب تحديد صلاحيات رؤساء البلديات[٥] . اما عن عن واجبات المجلس البلدي فكانت :

اولا : توسيع الشوارع والقيام باصلاحها فضلاً عن مسؤولياتها عن إنشاء الجسور في المدن ومن ثم اجراء الصيانة عليها .

ثانيا : مراقبة الاسواق والاوزان والمكاييل المستعملة فيها .

ثالثا : تنوير الطرق والازقة ، وايصال المياه إلى البيوت .

رابعا : جباية الايرادات ورسوم البلدية وانفاقها على المنافع العامة .

خامسا : انشاء المستشفيات والملاجئ ودور الايتام .

---

(١) يونان عبو اليونان ، حرية التصويت في انتخابات المجلس البلدي ، جريدة الموصل ، العدد ٤٥٧ في كانون الاول ١٩٢١ ؛ حسن ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ .

(٢) اليونان المصدر السابق ، .

(٣) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

(٤) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٣٤ .

(٥) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ .

سادسا : وضع الرسوم على اجور المركبات والنقل ضمن حدود البلدية[١] .
سابعا : العناية بالنظافة خاصة في الاماكن العامة ، ومراقبة الحالة الصحية والاشراف على المستشفيات .
ثامنا : تسجيل المواليد والوفيات .
تاسعا : تعيين الحراس الليلين لحراسة احياء المدينة واسواقها .
عاشرا : مناقشة ما تحتاجه المدينة من ساحات ومشاريع عامة اخرى .
احدى عشر : يتولى المجلس تسوية واردات البلدية ومصاريفها ، وتنظيم جداول شهرية ليصادق عليها المتصرف والوالي ويكلف المجلس بإعداد جداول سنوية بميزانية البلدية حيث يتم ارسالها إلى نظارة الداخلية في استانبول .
اثنى عشر : يكون المجلس مسؤولا عن اطفاء الحرائق من خلال تهيئة وسائل اطفاء الحرائق وحفظها في اماكن خاصة[٢] .

ب. الجمعية البلدية :

تألفت الجمعية من اتحاد مجلس ادارة الولاية والمجلس البلدي ، التي اوكل اليها عدد من المهمات منها فحص الحالة العامة للبلدية ، وارسال تقرير إلى الوالي تمهيدا لمناقشته امام مجلس أدارة الولاية ، ولا سيما فيما يتعلق بالميزانية والحسابات العامة والتغييرات المقترحة في الانظمة وشراء الاملاك غير المنقولة التي يمكن الحصول عليها بمقتضى المصلحة العامة[٣].

تعقد الجمعية اجتماعاتها مرتين في السنة وبدعوة من السلطة المحلية ، ويكون الاجتماع الاول في شهر نيسان من كل سنة ولا تزيد مدة الاجتماع على (١٥) يوما[٤] . يتم في هذا الاجتماع تدقيق الحساب العام وتصديقه لنفقات المجلس البلدي للسنة السابقة والشؤون المتعلقة بذلك . اما الاجتماع الثاني فيعقد في شهر تشرين الثاني يجري فيه تدقيق جدول موازنة السنة اللاحقة وتصديقه ، فضلا عن الانشاءات والاعمال المخطط القيام بها . وللجمعية البلدية ان تدقق في الاحوال العامة للمجلس البلدي وابداء مطالعتها بشأن الاصلاحات، وتعديل الانظمة بمضبطة إلى والي الولاية بغية المذاكرة حولها في مجلس الولاية العام ، ولم يعط للجمعية صلاحية اتخاذ أي قرار بشأن أية مادة ما لم يحظ القرار بأكثرية نصف أصوات الأعضاء، وفي

---

(١) احمد ، التشكيلات الادارية والعسكرية ... ، ص١٥٤

(٢) النجار ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٣٤ . ولمزيد من التفاصيل انظر : الدستور، المصدر السابق، م، ٢ ص ص ٤٣٤ –٤٣٥.

(٣) احمد ، "المجلس البلدي في الموصل" ...

(٤) احمد ، "التشكيلات الادارية والعسكرية ..." ، ص١٥٤ .

حالة عدم حصول النصاب المطلوب ولمرتين متواليتين يدعى المجلس للاجتماع مرة ثالثة حيث يكون قرار الاعضاء معتبرا على ان يؤخذ برأي الاكثرية ، وعند تساوي الآراء يرجح الذي يؤيده الرئيس[١] .

ج. دائرة البلدية :

كان يدير هذه الدائرة عدد من الموظفين فمنهم من يقوم بالاعمال الكتابية ، وهناك كاتب اسرار البلدية الذي يقوم بالمراسلات والحسابات والمحافظة على جميع اوراق المجلس البلدي وسجلاته وترتيبها[٢] ، فضلا عن امين الصندوق الذي اوكل اليه مهمة استلام ايرادات البلدية وتسليمها إلى الرئيس مع تقديم خلاصة بالايرادات والمصروفات[٣] .

اما واجبات مهندسي البلدية فتمثلت بالقيام بما يعهد إليهم من إنجاز تنفيذ الشوارع والاعمال المتعلقة بالطرق والمباني والاشراف عليها[٤] . كما ضمت دائرة البلدية عددا من المراقبين والمفتشين الذين كلفوا بمراقبة تنفيذ القوانين والانظمة التي تضعها البلدية ، ومن المفيد الاشارة إلى ان دوائر البلدية ضمت في عضويتها عضوين استشاريين هما : (الطبيب البشري والطبيب البيطري)[٥] .

ووفقا لما جاء بقانون البلديات لسنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ، فقد قسمت الدوائر البلدية إلى بضعة شعب منها :

١. **شعبة الهندسة** : ويديرها مهندس مختص ويعاونه معمار مختص وعدد من الموظفين ، وواجب هذه الشعبة تطبيق قانون الابنية داخل المدينة وضواحيها ، ومنح اجازات البناء ، ومراقبة الابنية الآيلة للانهدام وتنظيم الخرائط والمخططات للشوارع المنوي فتحها والابنية العامة التي تقوم البلدية بإنشائها بغية تجميل المدينة وغير ذلك من الامور الفنية التي تتعلق بتجميل المدينة .

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص٤١٤ ؛ حسين الرحال وعبد المجيد كمونة ، الادارة المركزية والادارة المحلية في العراق ، (بغداد ، ١٩٥٣) ، ص ص ٢٥٧-٢٧٦ .

(٢) بركات ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(٣) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٣٥ .

(٤) بركات ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(٥) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٣٥ . ومن الجدير بالذكر ان بعض البلديات افتقدت إلى الاطباء البيطريين في الوقت الذي التحق بالملاك الطبي لبعض البلديات ملاك صيدلي "اجزاجي" ، فضلا عن مجموعة من الموظفين الصحيين والبيطريين . بركات ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

٢. **طبابة البلدية** : يديرها طبيب مختص من جراح وصيدلي وملقح للجدري ومولدة ، وتنحصر واجبات هذه الشعبة في الاشراف على الصحة العامة للمدينة .
٣. **شعبة المحاسبة** : ويديرها محاسب مع عدد من الكتبة ، وواجباتها تتعلق بالامور المالية العائدة للبلدية من ايرادات ومصروفات وتنظيم الميزانية .
٤. **شعبة التفتيش** : تتألف من رئيس مفتشين وعدد من الموظفين ، وتعد واجباتها مهمة ومكملة لواجبات الشعب الاخرى ، من حيث متابعتها لسير اعمال وانتظام الاعمال داخل المدينة ، كمراقبة النظافة العامة للطرق والباعة ومراقبة من يتجاوز على الطرق العامة والارصفة بأشغالها من أصحاب الحوانيت ومراقبة الابنية الآيلة للسقوط ، فضلا عن مراقبة ثبات الاسعار ومحاسبة المتلاعبين فيها وغيرها .
٥. **شعبة التحرير** : يرأسها باش كاتب (رئيس الكتاب) مع عدد محدد من الموظفين ومسؤولين عن حفظ السجلات وكل ما يتعلق بالصادر والوارد من الكتب الرسمية وتدوين محضر جلسات المجلس البلدي وامور المتابعة الرسمية(١) .

من خلال ماتقدم يبدو أن الإدارة قد تم تنظيمها من الناحية النظرية تنظيماً دقيقاً وكانت قائمة إلى حد كبير على المؤسسات التمثيلية(٢) ، وعلى الرغم من ذلك فان هذه الحالة هي من الحالات القائمة التي قلما يوجد فيها آية علاقة بين المظهر الخارجي والحقيقة القائمة .

اعتمدت البلديات في تدبير أمورها المالية على عدد من الموارد التي تمثلت بـ :
١. الضرائب المختلفة كتلك التي خصصتها السلطات الحكومية للبلدية أو تلك التي كانت تفرض وبموجب ارادة سلطانية ، كضريبتي الاحتساب والتمغا .
٢. مبيعات البلدية من فضلات الاراضي المتبقية عقب اصلاح الطرق أو بعد اعادة تخطيطها، فضلا عن رسوم الشرفة التي كانت البلدية تأخذها من اصحاب الاملاك الذين ينتفعون من اصلاح الطرق .
٣. الغرامات المالية التي تجبيها السلطات البلدية من المخالفين لتعليماتها .
٤. الرسوم المختلفة التي تجبيها السلطات البلدية ، كرسوم القبانية ، ورسوم الكيل ، ورسوم العقود والقونطرات (المقاولات) ، ورسوم ذبح الحيوانات أو بيعها .
٥. الاكتتابات والهبات التي يكتتب بها للبلدية أو توهب لها(٣) .

---

(١) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص ص٢٤-٢٥ .

(٢) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص١٠٤٣ .

(٣) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص٤٣٤ ؛ حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥١ ؛ احمد ، التشكيلات الادارية والعسكرية ...، ص١٥٤ .

هـ. دائرة النافعة (الاشغال العامة) :

اوجب قانون الولايات الصادر سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م ، تعيين مأمور للامور النافعة (الاشغال العامة) في مركز كل ولاية من ولايات الدولة[١] . وقد حدد القانون المذكور واجبات مدير النافعة بوصفه المسؤول عن الابنية والطرقات يساعده في ذلك مجموعة من المهندسين المختصين فضلا عن تهيئة العمال للعمل ، وتقديم خلاصة بالاعمال المنجزة في نهاية كل سنة إلى الوالي الذي يرفعها بدوره إلى نظارة النافعة[٢](وزارة الاشغال العامة) .

وضمن الجهود التي بذلها مدحت باشا في وضع قانون الولايات موضع التطبيق ، فقد اوعز بتشكيل مديرية النافعة في مدينة بغداد ، التي اسند اليها القيام ببعض الاعمال ، منها مسح بعض الاجزاء من نهر الفرات وتطهيرها لجعله صالحا لملاحة البواخر النهرية ، واصلاح المعمل العائد لادارة البواخر الحكومية وتشغيله ، وتعهد مشروع انشاء ترامواي الكاظمية وتمهيد طريقه ومد سكته الحديدية[٣] . ولم تتأسس مثل هذه الدوائر في ولايتي الموصل والبصرة حتى العقد التاسع من القرن التاسع عشر .

اما عن تشكيلة الجهاز الاداري لهذه الدائرة ، فبالاضافة إلى مدير النافعة ضمت عددا من الاعضاء ، فعلى سبيل المثال تألفت دائرة نافعة ولاية البصرة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م من رئيس مهندسين (سر مهندس) وكاتب واحد[٤] . اما في ولاية الموصل فقد ضمت دائرة النافعة فيها سنة ١٣١٠هـ-١٨٩٢م رئيسا للمهندسين وطبيبين بيطريين[٥] . فيما افتقدت ولاية بغداد وطوال السنوات الواقعة بين (١٨٧٢-١٩٠٦) إلى آية ادارة متخصصة يوكل اليها مهمة تنفيذ المشاريع العامة والاشراف عليها[٦] .

لقد عرفت الولايات العراقية وجود لجنة خاصة ملحقة بهذه الدائرة ولكنها تتبع الادارة المحلية للولاية بإسم (هيئة الاشغال العامة) – نافعة قومسيوني – التي اسندت رئاستها إلى والي الولاية . اما عن عضوية هذه اللجان ، فعلى سبيل المثال تكونت لجنة النافعة في ولاية

([١]) الدستور ، المصدر السابق ، م١ ، ص٣٨٣ .

([٢]) المصدر نفسه ، ص ص٤٠٣-٤٠٤ .

([٣]) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٤٠٦ .

([٤]) ب . و . س ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص٢٣٥ .

([٥]) س . و . م ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢ ، ص٨٦ .

([٦]) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٤٠٦ ، ومن المفيد الاشارة إلى ان ولاية بغداد كانت بحاجة لمثل هذه المشاريع ، احيل تنفيذها إلى عدد من الدوائر ومنها البلديات ، وادارة الاراضي السنية والجيش ، انظر المصدر نفسه .

الموصل لسنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م من ستة أعضاء وهم كل من : رئيس المهندسين ، وممثل عن البلدية ، وناظر النفوس ، ومدير البنك وكاتب وعضوين آخرين[١] . في حين تشكلت اللجنة نفسها في ولاية بغداد سنة١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م من الوالي ودفتر دار الولاية وناظر النفوس وكاتب ادارة الولاية ورؤساء بلديات بغداد ومهندس النافعة ونقيب الاشراف وعضوين من وجهاء اهالي مدينة بغداد[٢] .

اما ولاية البصرة فقد تأخر تشكيل مثل هذه اللجنة فيها حتى سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م لكنها لم تستمر في عملها سوى اربعة اشهر ، اذ سرعان ما اعلن عن انتهاء اعمالها حال تغيير والي الولاية آنذاك (محرم أفندي)[٣] .

ويبدو ان دوائر النافعة عانت من مشاكل ومعوقات عديدة اثرت وبشكل كبير على نشاطها ، حيث عدت قلة التخصيصات المالية أو انعدامها في بعض السنوات[*]احدى اهم تلك المشاكل ، ولمواجهة هذه المشاكل لجأت بعض الولايات إلى اقتطاع قسم من مصروفاتها لحساب هذه الدائرة ، كما حدث سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م في ولاية الموصل عندما خصصت الولاية مبلغا قدره (٥٦٠٣) قرشا للصرف على امور النافعة ، وتكرر ذلك سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م عندما خصصت مبلغا قدره (٢٠٩٨٨) قرشا[٤] .

كان على دائرة النافعة استحصال موافقة العامة نظارة النافعة على تنفيذ المشاريع التي تزمع الدائرة تنفيذها التي لم تكن ايجابية دائما . ويلحظ ان دائرة النافعة لم تباشر في ولاية الموصل مثلا بإعمال الجسر الكبير سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، إلا بعد حصول الموافقات الرسمية على ذلك ، وقد قدرت تكاليف اعماره بـ (٨٥٦٧٩) قرشا و (٣٠) بارة[٥] . فيما لم تنل العديد من من مشاريع هذه الدوائر موافقة (نظارة النافعة) ومنها على سبيل المثال لا الحصر المشروع الذي تقدم به احد تجار البصرة (عبد المحسن المنديل) سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، والقاضي بإيصال الماء من شط

([١]) س . و . م ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص٨٦ .

([٢]) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٤٠٦ .

([٣]) بركات ، المصدر السابق ، ص ص١٠٩ ، ١١٢-١١٤ .

([*]) ومن الجدير بالذكر انه في سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م لم تخصص آية اعتمادات مالية لدوائر النافعة في السليمانية وقضاء شهرزور ، س . و . م . سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص١٥٥ .

([٤]) الحاج علاوي ، المصدر السابق ، ص١٥٩ .

([٥]) الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية ، ص٢١٩ . والبارة عملة فضية تعادل (٣) اقجات. خليل علي مراد، مراد، النظام المالي، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد (٤) ، (موصل، ١٩٩٢) ص ٢٤٩.

العرب إلى البصرة بأنابيب معدنية[١] ، كما رفضت (نظارة النافعة) في نفس السنة المصادقة على تنفيذ مشروع الترامواي بين منطقتي البصرة والعشار[٢] . وقد اثر ذلك في نشاط دائرة النافعة في عموم العراق . الذي وصف في احد المصادر بأنه قليل الفعالية[٣] .

و. التشكيلات البلدية في الولايات العراقية :

خطت الدولة خطوات واسعة ي تنظيم ادارة المدن ، عندما انشأت مجالس بلدية منتخبة في اكثر الولايات والاقضية والنواحي العراقية ، واما الهياكل الادارية لهذه المجالس فسنورد بعض الامثلة عليها في ولاية بغداد – كما سبقت الاشارة إلى ذلك – أسست اول بلدية في العراق سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م بجانب الرصافة ، وتألفت من رئيس وخمسة اعضاء مع مهندس ومفتش صحي وطبيب ، وارتبط بالدائرة قلم خاص ، تألف من عدد من الكتاب وامين الصندوق ومأمور المحلات ومفتشين ، وضبطية البلدية ، فضلا عن الحراس الليليين وعمال التنظيف، كما ارتبطت بهذه البلدية ادارة مستشفى الغرباء بالكرخ، وادارة مدرسة الصنائع[٤] .

ونظرا لسعة المدينة وعدم امكانية البلدية تأمين الخدمات والمهام اللازمة ، اسست دائرة بلدية ثانية سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م[٥] وكان موقعها في رأس القرية[٦] ، حيث تألف ملاكها الاداري من رئيس وستة اعضاء فضلا عن طبيب واحد وقلم البلدية الذي تألف من عدد من الكتاب وامين الصندوق ومحاسب ، فضلاً عن عدد من الموظفين والعاملين من الحراس الليليين وعمال التنظيف ، اعقبها وفي السنة نفسها تشكيل دائرة بلدية ثالثة في جانب الكرخ ، تألفت من رئيس وخمسة اعضاء وقلم البلدية المتألف من رئيس الكتاب ومعاونه والمحاسب وأمين الصندوق وعدد من المراقبين وعمال التنظيف[٧] . وقد وصفت دائرة البلدية الاخيرة بأنها اكثر البلديات نشاطا ، فقد أنجزت اضاءة شوارع الكرخ سنة ١٢٩٥ه/١٨٧٨م[٨] .

افتقرت بلديات بغداد ، باستثناء البلدية الاولى إلى بناية خاصة بها ، حيث استأجرت كل منها دارا لتكون مقرا لها[٩] . وكان لكل بلدية من البلديات الثلاث ميزانية خاصة بها ، إلا

---

(١) بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦–٥٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٨٠ .

(٤) شكري ، المصدر السابق ، ص٨١ .

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٥٥ .

(٦) (رأس القرية) : احدى المناطق الواقعة على شارع الرشيد ، الشيخلي ، المعجم الجغرافي ... ص٣٥ .

(٧) شكري ، المصدر السابق ، ص٨١ .

(٨) عبد الكريم غرايبة ، مقدمة في تاريخ العراق الحديث (١٥٠٠–١٩١٨) ، ج١ ، مطبعة جامعة دمشق (دمشق ، ١٩٦٠) ، ص٢١٠ .

(٩) الشيخلي ، المعجم الجغرافي ... ، ص٣٥ .

انها سرعان ما واجهت ضائقة مالية سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، اضطرتها في النهاية إلى دمج البلديات الثلاث في بلدية واحدة اقتصاداً في النفقات ، إلا ان ذلك الدمج لم يستمر طويلا اذ سرعان ما اعيد تشكيل البلديات الثلاث مرة ثانية[١] .

اما بالنسبة للسناجق والاقضية ، فقد اقتصر تأسيس دوائر البلدية فيها على مراكز الاقضية والسناجق . واما في بغداد ، فقد تشكلت العديد من الدوائر البلدية في عدد من السناجق ومنها كربلاء ، التي تألفت بلديتها سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م من رئيس البلدية (رئيسا للمجلس البلدي) ، وعدد من الاعضاء الذين تراوحت اعاددهم بين ٢ إلى ٥ اعضاء ، وهم كل من طبيب البلدية وكاتب وامين الصندوق وملقح الجدري[٢] .

في حين تألفت بلدية مدينة الديوانية مركز سنجق الديوانية سنة١٣١١ هـ/ ١٨٩٣م ، من رئيس وعدد من الاعضاء الذين تراوح عددهم بين ٣ إلى ٦ اعضاء وكاتب واحد فقط[٣] . اما الاقضية التابعة لولاية بغداد ، فقد تشكلت فيها العديد من الدوائر البلدية ومنها الكاظمية والكوت[٤] ومندلي وعانة وخانقين[٥] ، فضلا عن خراسان والعزيزية وسامراء[٦] . اما الاقضية الاقضية التي وجدت فيها اقليات غير مسلمة ، فقد ضمت مجالسها البلدية في عضويتها ممثلا عن هذه الاقليات ، ومن هذه الاقضية قضاءي الحلة وعانة[٧] .

اما بلدية البصرة فقد بقيت منذ تأسيسها سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وحتى نفاذ قانون بلدية الولايات عبارة عن مؤسسة صغيرة ملحقة بالادارة العامة لسنجق ، وكانت حدود عملها تشمل احياء السمر والسيف والقبلة والمشراق في مدينة البصرة . وقد تألفت تلك الدائرة سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م من رئيس كتاب الدائرة وامين الصندوق وكاتب ومهندس بلدي وطبيب البلدية وصيدلي[٨] . في حين تألفت البلدية المذكورة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م من رئيس البلدية ومجلس بلدي مؤلف من (١٦) عضوا واربعة كتاب وامين صندوق وطبيب ومفتش و(١٤) مراقبا بلديا[٩] .

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ العدد ٢١٣٤ ، جمادى الأولى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٢) س . و . ب . سنة ٢٩٢هـ/١٨٧٥م ، ص ص ١١١-١١٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ومن المفيد الاشارة إلى ان المجلس البلدي لهذا القضاء تكون من : رئيس البلدية و ٤ اعضاء بضمنهم كاتب كاتب ، المصدر نفسه لسنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م ، ص١٢٧ .

(٥) تكون المجلس البلدي لهذا القضاء من : رئيس و ٤ اعضاء وكاتب ، المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

(٦) تكون المجلس البلدي لبلدية سامراء من : رئيس البلدية وثلاثة اعضاء وكاتب ، المصدر نفسه ، ص١٣٠

(٧) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٤٨ .

(٨) بركات ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

(٩) ب . و . س . سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .

وامام التوسع العمراني الذي شهدته البصرة وامتدادها إلى منطقة العشار وخاصة بعد تمركز عدد من الدوائر الحكومية في المنطقة الاخيرة ، ولاسيما الكمارك والبريد والكرنتينة (المحجر الصحي) ومباني القنصليات الاجنبية(١) . اتخذ القرار سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م بتشكيل دائرة بلدية ثانية في منطقة العشار(٢) ، وعلى الرغم من عدم استيفاء المنطقة للشروط التي نص عليها قانون بلدية الولايات الذي منع بموجبه تشكيل دائرة بلدية في آية منطقة اذ لم يتجاوز عدد نفوس تلك المنطقة (٤٠) الف نسمة(*) ، فضلاً عن الدعم الذي حظيت به هذه البلدية من ادارة الولاية ، إلا انها فشلت في النهوض باعباء المسؤولية التي اوكلت اليها ، اما عن اسباب ذلك الفشل فقد عزته احد المصادر إلى كون غالبية ساكني هذه المنطقة من الغرباء وبالتالي فان هذه البلدة لم تكن تعنيهم إلا بالقدر الذي يتعلق بانجاز مصالحهم وعند انتهاء المدة المحددة لانتخاب المجلس لم تجر انتخابات ثانية وبالتالي تم إلغاء هذه البلدية سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م(٣) .

اما بلديات السناجق التابعة لولاية البصرة ، تألفت بلدية سنجق المنتفك سنة١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م ، من رئيس البلدية ومجلس بلدي مؤلف من رئيس و(٦) اعضاء بضمنهم طبيب وكاتب البلدية(٤) . فيما تألفت بلدية سنجق العمارة سنة١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠م من رئيس البلدية ومجلس بلدي مؤلف من (٥) خمسة اعضاء علاوة على كاتب وامين الصندوق وطبيب(٥) .

وبالنسبة لبلديات الاقضية فعلى سبيل المثال تألفت بلدية القرنة التابع لسنجق البصرة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، من رئيس البلدية وكاتب واحد و (٦) اعضاء(٦) ، في حين تألفت بلدية قضاء سوق الشيوخ التابع لسنجق المنتفك سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، من رئيس للبلدية و (٤) اعضاء وكاتب واحد(٧) . في حين تألفت بلدية قضاء الحي التابع لسنجق المنتفك من رئيس وعضوين وكاتب(٨) .

اما بلدية الموصل فتألفت عند تأسيسها من رئيس ومعاونه ومجلس مؤلف من ستة اعضاء ثلاثة منهم من المسلمين وثلاثة من غير المسلمين(٩) . فيما ضمت سنة

---

(١) اليوسف ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(٢) بركات ، المصدر السابق ، ص٧٠ ، ص١٠١ .

(*) كانت العشار آنذاك احدى محال البصرة .

(٣) بركات المصدر السابق ، ص ص ١٠١-١٠٣ ، ص١٢٢-١٢٣ .

(٤) ب . و . س . ، سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، ص٢١٨ .

(٥) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(٦) ب . و . س ، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص٢٤٠ .

(٧) ب . و . س . سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، ص٢١٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٢٦٨ .

(٩) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٢٣ .

١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، الرئيس ومجلس بلدي مؤلف من (٧) اعضاء عدا الرئيس ، كما ضمت البلدية عددا من الموظفين منهم رئيس الكتاب ومأمور البناء وامين الصندوق والمفتش و (١١) مراقبا[١] . في حين اصبحت تشكيلة البلدية سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م مؤلفة من رئيس البلدية ومجلس بلدي ضم (٤) اعضاء عدا الرئيس ، وعدد من الكتبة وامين الصندوق وطبيب ومفتش و(١٥) مراقبا فضلا عن عدد من الموظفين والملاك الخدمي[٢] .

اما بالنسبة للسناجق والاقضية التابعة لولاية الموصل ، فعلى سبيل المثال تكونت بلدية سنجق كركوك سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، من رئيس البلدية ومجلس بلدي ضم ثمانية اعضاء زيادة على امين الصندوق وكاتبين[٣] . وتألف المجلس البلدي للسنجق نفسه سنة ١٣٢٩هـ/١٩١٢م ، من رئيس و(٩) اعضاء فضلا عن قلم البلدية الذي كان يضم رئيس الكتاب وكاتبا وامين صندوق وكاتب مستشفى الغرباء ، فضلا عن فنيين وطبيب البلدية وجراح وصيدلي وطبيب بيطري وقابلة مأذونة فضلا عن المهندس[٤] .

واما بالنسبة للدوائر البلدية في الاقضية التابعة لولاية الموصل ، فاحتوت بعض الاقضية ومنها على سبيل المثال عقرة التي تكونت دائرتها البلدية سنة١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢م من رئيس وثلاثة اعضاء [٥] . اما بلدية قضاء اربيل فقد تألفت من رئيس وكاتب وامين صندوق[٦] . ومما ومما يلحظ في الوقت ذاته ان اقضية اخرى افتقرت الى دوائر بلدية مثل دهوك وسنجار وراوندوز ، كما تأخر تشكيل الدوائر البلدية في بعض المناطق ، فمثلا افتقدت ناحية تلعفر وجود دائرة بلدية حتى سنة١٣٣٤ هـ/ ١٩١٥م[٧]

([١]) س . و . م ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص٨٧ .

([٢]) المصدر نفسه ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص١٥٦-١٥٧ .

([٣]) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .

([٤]) المصدر نفسه ، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، ص ص ٢٣٨-٢٣٩ .

([٥]) س . و . م . سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١- ١٩١٢ م ، ص١٩١ .

([٦]) المصدر نفسه ، ص٢٧٥ ، ومن المفيد الاشارة إلى ان احد المصادر ارخت لتأسيس هذه البلدية سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، انظر : زبير بلال اسماعيل ، اربيل في ادوارها التاريخية ، دراسة تاريخية عامة لاربيل وانحائها منذ اقدم العصور حتى الحرب العالمية الاولى ، (النجف ، ١٩٧٠) ، ص٣٦٩ .

([٧]) العبيدي ، الإدارة العثمانية... ، ص٤٩ .

من خلال ما تقدم يتبين لنا ان معظم البلديات قد اقتصر وجودها على مراكز الاقضية والسناجق ، إلا ان ذلك لم يمنع من تأسيس بعض البلديات في النواحي والقرى الكبيرة ، ولكن احد المصادر قد بالغ عندما اكد وجود هيئات بلدية في جميع القرى المهمة في العراق[١] .

المبحث الثاني : الخدمات البلدية في العراق :

اسندت الى البلديات في العراق الكثير من الاعمال ، وسنركز في عرضنا هذا على الاعمال الرئيسية التي اضطلعت بها بلديات الولايات الرئيسية (بغداد ، والبصرة ، والموصل) مع تأكيد مسالة مهمة ، وهي ان بعض البلديات لقيت دعماً كبيراً من بعض الولاة الامر الذي انعكس ايجابياً على واقع الخدمات التي قدمتها هذه المؤسسات الخدمية ابان مدة ولاية اولئك الولاة .

لقد تمثلت اولى الخدمات التي اضطلع بها الجهاز البلدي بافتتاح الطرق والشوارع التي ابتدأها مدحت باشا اذ لقيت البلدية في عهده دعماً واسع النطاق فقد وجه اهتمامه الى الشوارع الداخلية للمدن الرئيسية وعلى وجه الخصوص بغداد التي كانت شوارعها غير مبلطة علاوة على كونها مركزاً لتجمع المياه والبرك في فصل الشتاء ، فبدأ باستخدام مادة (الزفت) في اكساء الشوارع بهدف تسهيل عملية النقل[٢] . ومنذ سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م قامت بلدية بغداد بحملة واسعة هدفت منها اصلاح شوارع بغداد وازقتها[٣] . ففي منطقة الكرخ تم افتتاح الشارع الواصل بين جسر الشهداء (حالياً) والكاظمية (شارع المامون) ، الذي استخدم من قبل الترامواي[٤] .

كما افتتح في عهد والي بغداد ناظم باشا الشارع المعروف حالياً بشارع النهر[٥] . وفي سنة ١٩١٦ وتحديداً ابان ولاية خليل باشا (١٩١٦ . ١٩١٧) ابتدأ العمل بانشاء ما عرف (بجادة

---

(١) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٨ .

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ٣ ، ١٩ ربيع الأول ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٨٥٣ ، ٢٢ شوال ١٣١٧هـ/١٨٩٩م .

(٤) فخري الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٧ ج١ ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص١٧٠ .

(٥) P.R.O., F . O . 195 / 2339 / 2339 / 27430 / Summary of Event in Turkish Iraq during the Month of April and May 1910 .

ومن الجدير بالذكر ان العمل في انجاز هذا الشارع كان يتطلب هدم قسم من القنصلية البريطانية في بغداد الامر الذي كاد ان يؤدي الى ازمة سياسية بين والي بغداد والقنصلية البريطانية، انظر. العزاوي ، المصدر السابق ، ح٨ ، ص١٧٩ .

خليل باشا) ، وعند الاحتلال البريطاني اكمل انجاز هذا الشارع الذي عرف فيما بعد بشارع الرشيد[1] .

اما بالنسبة الى البصرة التي كانت تتمتع باهمية نظرا الى موقعها الجغرافي ، فقد أولت بلديتها اهتماماً متزايداً بافتتاح عدد من الشوارع وترميمها ومنها الشارع الذي يسير بمحاذاة نهر العشار[2] . فيما انجزت البلدية ذاتها سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م انشاء ما عرف بـ جادة (أي شارع) ، الرشادية التي تربط ما بين منطقتي البصرة والعشار وتنويرها[3] .

فيما قامت بلدية الموصل بافتتاح عدد من الشوارع منها شارع (الصوافة) الذي تم انجازه ابان رئاسة يونس بك ال جليلي للبلدية (١٨٧٨ . ١٨٨٣) ، في الوقت نفسه قامت البلدية بفتح البالوعات (القساطل) في الاماكن المنخفضة من المدينة لتقيها من اخطار الغرق الذي تتعرض له نتيجة لتساقط الامطار الغزيرة ابان فصل الربيع[4] ، ومن ضمن الاعمال التي اسندت الى رئيس البلدية حسن افندي العمري (١٨٨٧ . ١٨٩١) قيامه بافتتاح احد الشوارع الممتدة من باب البيض الى دائرة الحكومة[5] . فيما قامت بلدية الموصل ابان فترة رئاسة محمود بك ال شريف بك (١٩٠٤. ١٩٠٨) بافتتاح شارع القشلة (شارع العدالة الان) فضلاً عن انشاء عدد من الشوارع العرضانية التي تتفرع من هذا الشارع والمؤدية الى جامع الاحمر (جامع مجاهد الدين)[6] .

وقبيل الحرب العالمية الاولى جرى افتتاح عدد من الشوارع منها شارع النجفي ، وشارع نينوى الذي تم افتتاح المرحلة الاولى منه١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م [7] . بالإضافة الى توسيع شارع النبي جرجيس حيث نسبت هذه الاعمال الى الوالي سليمان نظيف (١٩١٣ . ١٩١٤ م) الذي كان يشرف بنفسه على هذه الاعمال باسم بلدية الموصل ، التي كان يرأسها آنذاك أمين افندي[8]

---

(1) للاستزادة انظر يعقوب سركيس، (ولاة بغداد من سنة ١٣٣٢هـ الى الاحتلال البريطاني) ، مجلة المجمع العلمي ، المجلد(٤) ، الجزء(١) ، ١٩٥٦ ، ص ص١٦٢ . ١٦٤ ؛ (محمد بهجت الاثري يحدد ملامح بغداد اواخر حكم العثمانيين) ،مجلة أمانة العاصمة ، العدد ١٦٦ ، ١٩٧٨ ، ص٤١ .

(2) للتفاصيل انظر بركات ، المصدر السابق، ص١٦٠ .

(3) المصدر نفسه ، ص ص١٢٦ . ١٣١ .

(4) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٢٦ .

(5) المصدر نفسه ، ص٢٩ .

(6) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ، ص٣٢ .

(7) سعيد الديوه جي ، جسر الموصل في مختلف العصور ، مستل من مجلة سومر المجلد ١٢ ، مطبعة الرابطة ، (بغداد ، ١٩٥٦) ، ص٧ .

افندي[1] ، ونتيجة لنقل الوالي المذكور الى بغداد توقف العمل باكمال شارعي (النجفي ونينوى) لتكمل القوات البريطانية انجازهما فيما بعد[2] .

وفي هذا المجال كان لبلديات الاقضية بعض الانجازات فعلى سبيل المثال لا الحصر قامت بلدية اربيل التابعة لسنجق كركوك بافتتاح شارع السراي الذي عد اول شارع يتم افتتاحه ابان تلك المرحلة[3] .

ومن المهام الاخرى التي اوكل الى جهاز البلدية القيام بها انشاء عدد من الجسور في مراكز الولايات وفي الاقضية والنواحي[4] . ففي سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م . ابدت بلدية بغداد بغداد استعدادها لاكمال احد الجسور في الفلوجة[5] . فضلاً عن انشائها لعدد من الجسور في عانة[6] ،والكوت[7]

والفلوجة[8] . كما اعلنت البلدية خلال ولاية ناظم باشا (١٩١١.١٩١٠) عن مناقصة تشييد جسر جسر حديدي في ولاية بغداد[1] . الا ان المشروع لم ينفذ[2] . ويرجح بعض الدارسين سبب عدم عدم تنفيذ هذا المشروع الى نقل الوالي المذكور[3] .

---

(1) العمري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٨ .

(2) سعيد الديو هـ جي ، تاريخ الموصل ، ج٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ٢٠٠١) ، ص٢٨٦ .

(3) اسماعيل ، اربيل في ادوارها التاريخية ....، ص٣٦٩ .

(4) المصدر نفسه ، ص٣٦٩ .

(5) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(6)جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٤ ، ٢ شعبان سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(7) المصدر نفسه ، العدد ١٨٩٦ ، ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(8) المصدر نفسه ، العدد ١٨٦٣ ١ محرم سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م ؛ العدد ١٨٦٤ ، ١٧ محرم سنة ١٣١٨هـ ١٣١٨هـ . ومن الجدير بالذكر ان هناك عددا من الجسور التي اوعزالسلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ . ١٣٢٦)هـ / (١٨٧٦ . ١٩٠٨)م بتشييدها من واردات الأراضي السنية ، ومنها جسرين في مقاطعة الجعارة ، وجسر على صدر نهر المسيب ، واخر على صدر نهر الناصرية ، وجسر في داخل البغيلة باسم جسر ابو جاموس ، وجسر نهر المحمودية ، وجسر بالقرب من مرقد سيد عبد الله في مقاطعة المحمودية ، وجسر في مقاطعة الطارمية ، وجسر على قناة الحميدية في مقاطعة الجمارة لعبور الحجاج وعامة الناس انظر س.و.ب ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ص١٣٩ . ١٤٠ .

كما اسند الى البلديات تعمير عدد من الجسور الخشبية التي كانت تتعرض للانقطاع المستمر في اثناء مواسم الفيضان(*) ، ومنها الجسر الخشبي الذي يربط جانبي بغداد(**)

الكرخ والرصافة ، اذ قامت بلدية بغداد بتعمير هذا الجسر ولاكثر من مرة(٤) وامام الانقطاعات المستمرة التي تعرض لها الجسر ناشدت جريدة (صدى بابل) بلدية بغداد بضرورة تفقد أحوال الجسر وإجراء الإدامة المستمرة عليه(٥) .

ونظراً لطبيعة البصرة المتصلة بشبكة واسعة من الانهر الرئيسية والقنوات ، كان إنشاء المعابر والجسور والقناطر احد ابواب الصرف الرئيسية لميزانية البصرة ، وعلى هذا الاساس تم انجاز عدد من الجسور ، ففي سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م انشئ جسر للسابلة على نهر الخندق ، اعقبه انشاء جسور اخرى ومنها(الدروبي ، والبيرج ، والبدعة) ، كما اقيم عدد من الجسور على

---

(١)ومن الجدير بالذكر أن بغداد عرفت عدداً من الجسور الحديدية ومنها الجسر الحديدي الذي أوعز والي بغداد مدحت باشا بانشائه وجرى افتتاحه في تشرين الثاني ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ، وبلغ طوله ٢٤٦م ، إلا ان ها الجسر سرعان ما تعرض للإهمال بعد عزل مدحت باشا ، سليمان ، المصدر السابق ، ص ص١١٦ .١١٧ ، ياسين ، المصدر السابق ، ص١١٤ ، فيما جرى افتتاح جسر حديد ثان وهو جسر الخر على نهر عيسى سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ابان ولاية عطا الله باشا (١٨٩٦ . ١٨٨٩ م) محمود شكري الالوسي ، أخبار بغداد وماجا ورهامن البلاد ، مخطوط في د.م.ب ، تحت الرقم ٣٠٣٦٤ ، ص١٠٣ .

(٢) I . O . R . L / P + S / 10 / 212 . Summary of Events , For the months , January and February 1912 . P . 16 .

ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، نقله الى العربية د.مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ج٢ ، ط١ ، مطبعة شفيق (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص٨٣ .

(٣) نديم، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(*) كانت البلديات تحيل مهمة تعمير الجسور الخشبية واصلاحها الى متعهد يقوم بهذا العمل مقابل استيفاء اجور معينة عن عبور المشاة والعربات على هذا الجسر انظر دبليو واد يكارتي ويكرام .تي. أي ، ويكرام مهد البشرية او الحياة في شرق كردستان ، ترجمة جرجيس فتح الله ، مطبعة الزمان ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص٨٣ .

(**) من المفيد الاشارة الى ان هذا الجسر يتكون من (٣٤)قارباً ، يزداد عددها تبعاً لارتفاع منسوب المياه وقد ربطت هذه القوارب بسلاسل حديدية انظر طارق نافع الحمداني ،(بعض جوانب الحياة في مدينة بغداد ومصادرها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر) في ندوة بغداد في التاريخ ،(بغداد ١٩٩٠)، ص٥٤٢

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٩٣٩ ، ١٧ صفر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ؛ العدد ١٨٨٩ ، ٢٨ رمضان سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، العدد ١٩١٠ ، ١١ ربيع الآخرة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(٥) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٥٠ ، ٣٠ تموز ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

بعض من الانهار ومنها ، نهر السراجي ، ونهر الحمدان ،ونهر الحرب ، ونهر الخورة ، فضلاً عن تعمير عدد من الجسور ومنها جسر الجلبية ، والفرسي ، والعباسي ، والصبخة ، وفي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م اعادت هذه البلدية تعمير الجسر الذي يقع على طريق البصرة . الزبير[١] .

اما الخدمة الاخرى التي انيطت بالدوائر البلدية فقد تمثلت بانارة الطرق والشوارع ، في حين لم تملك البلديات اي مشروع لانارة الدور سوى الفوانيس المضاءة بالنفط التي ابتدأ العمل بها في بغداد سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م[٢] ، الا انها لم تشمل بغداد كلها ، فعلى سبيل المثال قامت بلدية بغداد الاولى سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م بتنوير معظم المناطق التي تقع ضمن حدودها بالفوانيس[٣] . كما قامت البلدية بتعليق مئتي فانوس في المناطق التابعة له[٤] . واسندت وظيفة الاضاءة الى (اللمبجية) ، الذين كانوا يطوفون الشوارع لايقاد الفوانيس[٥] . كما عرفت بعض الاقضية خدمات الانارة ومنها قضاء الدليم[٦] . وقضاء الصويرة[٧] .

اما بالنسبة لولاية البصرة ، وكما هو الحال بالنسبة لباقي الولايات فقد اقتصرت الانارة فيها على بعض الشوارع ومنها (جادة البلدية) و(البوزخانة) و(التلغراف) و(الحميدية) وجادة الرشادية) ، وفي سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، قامت بلدية البصرة بنصب عدد من الفوانيس في عدد من الاماكن[٨] .

واما ولاية الموصل ، فأرخت بعض المصادر البلديات الاولى لهذه الخدمات برئاسة سعيد ال قاسم انما السعرتي للبلدية (١٨٩٨ . ١٩٠٤م) حيث تمت إنارة طرق المدينة بالمصابيح الزجاجية التي توضع داخلها الفوانيس وتضاء بالنفط الابيض[٩].

كما اهتمت البلديات بموضوع اسالة المياه ، اذ افتقر العراق الى هذه المشاريع باستثناء المحاولة الوحيدة التي قام بها والي بغداد (داؤد باشا) (١٨١٦ . ١٨٣١م) ، عندما قام بنصب

---

(١) بركات ، المصدر السابق ، ص ص٥٢ . ٥٣ .

(٢) "فوائد الفنر والفرن" ، مجلة لغة العرب ، م١ ، ج٧ ، كانون الثاني ١٩١٢ ، ص٢٦٨ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٨٣٩ ، ٢ رجب ١٢٩٦هـ /١٨٧٨ م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٨٤١ ، ٨١ رجب ١٢٩٦هـ /١٨٧٨ م .

(٥) محمود صبحي الدفتري ، شاهد من القرن (١٩) يتذكر حوادث بغداد ، مجلة امانة العاصمة ، السنة (٤) ، العدد ١٨ ، ١٩٧٨ ، ص٤٣ .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٩٧ ، ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠ .

(٧) عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، دار عويدان ، (بيروت ، ١٩٦٢) ، ص ص٨٧ . ٨٨ .

(٨) بركات ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

(٩) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١، ص٣١ .

احدى المضخات على نهر دجلة التي قامت بتزويد الناس بالمياه ، الا ان الاهمال سرعان مالحق بالمشروع بعد مدة قصيرة من أقامته[١] ، وبالتالي استمر الناس في تلبية احتياجاتهم من مياه الانهر التي تولى السقاءون مهمة نقلها في قرب مصنوعة من جلود الحيوانات[٢] .

كما نالت شؤون السقايات (اي محلات شرب الماء) في الولايات العراقية ، اهتمام عدد كبير من الولاة والمسؤولين في الدولة والاعيان واهل الخير الذين دأبوا على اقامة مثل

هذه لمشاريع التي اطلق عليها اسم (السقايات) او (السبيلخانات)[٣] ، واوقفوا لها الحجج والوقفيات الشرعية والرسمية ، كما ثبت بعضهم عدد العاملين في خدمة (السقاية) ، وحددت رواتبهم بدقة[٤] .

([١]) للاستزادة حول هذا المشروع انظر عماد عبد السلام رؤوف ، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ٢٠٠٢)، ص ص١٤٣ . ١٤٤ ، رسول حاوي الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة كرم ، (بيروت ، د . ت) ، ص٢٩٤ .

([٢]) لمزيد من التفاصيل عن مهنة السقاية وما يتصل بها ، انظر :جريدة الزوراء ، العدد ٢١٤٢ ، ١٥ ، رجب سنة ١٣٢٥هـ ، سعيد الديوه جي ، (السقا في الموصل) ، مجلة التراث الشعبي ، المجلد الاول ، ج٣ ، تشرين الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ص٢٥ . ٣٤ .

([٣]) من المفيد الاشارة الى ان الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ، اورد ذكر عدد من هذه المشاريع في ولاية بغداد بغداد ومنها سقاية (قناة) الشيخ عبد القادر الكيلاني ، سقاية الشيخ عمر السهروردي ، سقاية الشيخ فتحي . للتفاصيل ، انظر : عماد عبد السلام رؤوف ، تاريخ مياه الشرب القديمة ، مجلة المورد ، المجلد ٨ ، العددين (٣ و ٤) ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ص١٨٠ . ١٩٤ ، في حين اورد نيقولا سيوفي احصائية بعدد هذه السقايات في ولاية الموصل ، فذكر ان هناك (١٠) سقايات في الجوامع و(٣) في المساجد و(٧) في المدارس ، وواحدة في القيصريات ، ومنها : سبيلخانة جامع باب الطوب ، وسبيلخانة مدرسة حسن باشا الجليلي ، ووسبيلخانة القيصرية العبدالية ، للتفاصيل ، انظر :نيقولا سيوفي ، مجموعة الكتابات المحررة في مدينة الموصل عني بتحقيقها ونشرها سعيد الديوه جي ، مطبعة شفيق ، (بغداد ، ١٩٥٦) ، ص ص١٥ . ٢٣ ، ص ٤٤ ، ص ١٣٩ .

([٤]) ابراهيم خليل العلاف ،(سبيلخانة الموصل ومجانية مياه الشرب)، جريدة الثورة ، العدد ١٠٣١٩ في ٢٠٠١/٧/١٣ .

بدأ التفكير الجدي لانشاء اول مشروع لاسالة الماء في عهد الوالي مدحت باشا من خلال ربط دور بغداد وسقايتها العامة بانابيب تضخ اليها المياه من خلال مكائن حديثة يتم نصبها في اماكن مختلفة على شواطئ دجلة ، على ان يعهد الى بلدية بغداد مهمة ادارتها ، وبغية وضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، اوعز مدحت باشا باستيراد خمسة مكائن من لندن ، قوة كل واحدة منها (١٢) حصان ، وتم نصب احداها في مشروعه الميدان[*] على سبيل التجربة[١] . الا ان العمل في هذا المشروع تأخر الى ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م ، ولم يغط سوى حاجة حي واحد من احياء بغداد[٢] .

وفي محاولة لتوسيع هذا المشروع قامت بلدية بغداد سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ باستيراد المكائن الخاصة لهذا الغرض[٣] . حيث تم نصبها في نفس مكان المشروع القديم ، وجرى تزويد محلات الميدان وبعض الحيدرخانة والصابونجية وجديد حسن باشا والطوب (الطوبخانة) بالماء ، وبلغ مجموع الدور التي استفادت من هذا المشروع (٣٠٠) دار[٤] . وقد عد هذا المشروع من وجهة نظر بعض الدارسين أول مشروع لإسالة الماء في العراق[٥] . وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠ تم نصب ماكنة مشابهة عند دولاب الشيخ عبد القادر الكيلاني ، إذ الغي العمل بالدولاب ومدت الانابيب المعدنية تحت الارض وبخط مستقيم الى جامع الشيخ عبد القادر[٦] .

مع نهاية سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م قامت بلدية بغداد الثانية بتشغيل مضخة ماء اخرى لتزويد الاحياء الجنوبية في جانب الرصافة[٧] . اما عن اجور ايصال الماء للدور فكانت زهيدة اذ كانت البلدية تستوفي اجور ماء مقطوعة قدرها ١٠ قروش عن كل دار[١] .

(*) تقع مشرعة الميدان مقابل مؤسسة (بيت الحكمة) حالياً في منطقة الميدان ببغداد .

(١) رؤوف ، تاريخ مشاريع مياه الشرب ، ص١٤٥ .

(٢) مجلة المقتطف، السنة الخامسة الجزء(٦) ، تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ ، ص١٤٩ ، في الوقت الذي استبعدت مصادر اخرى تنفيذ هذا المشروع انظر رؤوف ، تاريخ مياه الشرب ... ، ص١٤٥-١٤٦ . فيما ذكر مصدر اخر عن قيام داؤد بك محمد فاضل الداغستاني بالتبرع بماكنة ماء تولت البلدية نصبها في الجانب الغربي على رصيف المسناة القديمة المعروف بخضر الياس ، جريدة (الرقيب) ، العدد ١٥٩ ، في رمضان ١٣٢٨هـ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٣٤ ، ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ العدد ٢١٣٨ في ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٣٤ ، ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٥) حسن ، المصدر السابق ، ص٣٥٤ .

(٦) رؤوف ، تاريخ مشاريع مياه الشرب ... ، ص ص١٤٦-١٤٧ .

(٧) الالوسي ، المصدر السابق ، ص١١٥ .

اما فيما يتعلق بإدارة المضخات ، فكان هناك قسم خاص تابع لدائرة البلدية الاولى في بغداد ، تألف من مشغل المضخة وعامل واحد ، ليزداد هذا العدد ١٣١٠هـ/١٨٩٢م الى أربعة عمال عدا المشغل ، كما عين عامل اخر بعنوان محصل ، اوكلت اليه مهمة استيفاء اجور الماء من اصحاب الدور التي تصلها مياه الاسالة[٢] .

فيما شرعت بلدية النجف سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م بمحاولة ايصال الماء إلى هذا القضاء من نهر الفرات باستخدام المضخات ، إذ احيل تنفيذ المشروع إلى شركة جون جاكسون لاجراء المسوحات اللازمة ، وقامت الشركة المذكورة بالاتفاق على استيراد (٢٥٠٠) انبوب قطر الانبوب الواحد ١٤ انج ، ويبدو ان ظروف الحرب العالمية الاولى هي التي عطلت تنفيذ هذا المشروع[٣] .

---

(١) لونكريك ، العراق الحديث ... ، ج١ ، ص٤٤ .

(٢) للتفاصيل انظر النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ... ، ص٢٤٢ .

I. O. R. L/ P+S/ 10 / 212 / Summary of Events for the Months January and February 1912.

(٣) اشار احدى التقارير البريطانية الى قيام سلطات الاحتلال بمصادرة هذه الانابيب عند احتلالها للبصرة ، حيث كانت هذه الانابيب قد وصلت الى منطقة العشار ، . Reports of Administration , OP. cit ., P . 91 .

حاولت بلدية البصرة تنفيذ هذه المشاريع[١] . لكن صعوبات عديدة حالت دون تنفيذها حيث أرخت المصادر احدى هذه المحاولات بسنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، عندما قررت بلدية البصرة ، تزويد المدينة بالمياه من شط العرب الا ان المشروع تعرض للتوقف ولا كثر من مرة بسبب تغيير الولاة[٢] . فكان ذلك مدعاة لشكاوى الاهالي ، فقد ذكرت جريدة (بصرة) في احد اعدادها بان معظم الناس ياخذون ما يحتاجون من مياه نهر العشار ، الذي اصبحت مياهه غير صالحة للشرب ، لان اكثر السفن والوسائط النهرية تمر فيه كما ان المجاري في المدينة اخذت تصب في نهر العشار فتلقي الاوساخ والقاذورات فيه[٣] .

واستجابة لهذه الطلبات وبالنظر لاهمية نهر العشار أسهمت بلدية البصرة وبالاشتراك مع دوائر اخرى في تطهير هذا النهر في السنوات ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م[٤] .

ولم تكن في ولاية الموصل وحتى العقد الاول من القرن العشرين مثل هذه المشاريع[٥]. مما جعل مواطنيها يعتمدون على السقائين او مياه الآبار في سد احتياجاتهم من الماء[٦] .

اما في الحقل الصحي فاوكل الى البلديات مهمة الاشراف على المستشفيات الموجودة في الولايات العراقية وهي مستشفى الغرباء في بغداد (غربه خسته خانة سي) . حيث تولت الدائرتان البلديتان الاولى والثالثة أمر الانفاق عليها[٧] . ومستشفى الغرباء في البصرة الذي تم انشاؤه سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، حيث تولت بلدية البصرة ، إصدار نشرة أسبوعية تتضمن عدد المرضى الراقدين في المستشفى المذكور وعدد المرضى الذين تم علاجهم ، واعداد الوفيات[٨] . فيما قامت بلدية الموصل وتحديدا سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م بانشاء مستشفى الغرباء في الموصل[٩]
الموصل[٩] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تلك المشاريع انظر : حسين محمد القهواني ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، ١٨٦٩-١٩١٤ ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ص ٥١-٥٢ ؛ بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤-٥٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) اليوسف ، المصدر السابق ، ص١٨٨ .

(٤) للتفاصيل ، انظر : بركات ، المصدر السابق ، ص٩٧ ، ص ص ١٢٠-١٢١ ، ص ١٦١ .

(٥) جريدة النجاح ، العدد ١ ، ١٢ تشرين الثاني ، ١٩١٠ .

(٦) الديوه جي ، السقا في الموصل ، ص٢٥ .

(٧) هاشم الوتري ومعمر الشابندر ، تاريخ الطب في العراق (بغداد ، ١٩٣٩) ، ص٥٦ .

(٨) بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦-٦٩ .

(٩) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٣١ .

اوجب نظام (الادارة العمومية الطبية) الصادر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧٠م على البلديات الرئيسة والفرعية ، القيام بفتح صيدليات عامة لتزويد الفقراء بالادوية مجانا حيث عرفت هذه الصيدليات بـ أجزاخانة (صيدلية) البلدية(١) منها على سبيل المثال الصيدلية التي تولت بلدية بغداد افتتاحها في منطقة ألا عظمية(٢) . كما افتتحت صيدليات اخرى في عدد من الاقضية ومنها على سبيل المثال في قضائي الحلة(٣) ، وكربلاء(٤) .

كما الحق ببعض البلديات ومنها بلدية البصرة ، مستوصف تالف من بضعة شعب للخدمات الصحية والوقائية(٥) . واوكل الى احد الاطباء ادارة هذا المستوصف اذ كان من ضمن واجباته تفتيش المرافق الصحية ومجاري المياه والاشراف التام على محلات بيع الخضار والفاكهة والمطاعم والخانات(٦) . فضلا عن المدابغ والمجازر ، حيث نشرت جريدة (بصرة) التماسا الى طبيب المدينة طالبت فيه (بضرورة فحص الأغنام التي يذبحها الجزارون .. بسبب حدوث حالات ذبح اغنام ضعيفة وغير صالحة للأكل) (٧) .

وحفاظا على الصحة العامة ، قلمت بلدية الموصل ابان مدة رئاسة سعيد بن قاسم اغا السعرتي (١٨٩٨-١٩٠٤م) بنقل معمل الدباغة الاهلي والمجزرة من داخل المدينة الى خارجها(٨) .

كما دأبت البلديات ، وفي محاولة منها للحد من انتشار الامراض السارية ، على اصدار سلسلة من التدابير الصحية ، فعلى سبيل المثال الزمت الدوائر البلدية في ولاية بغداد اصحاب المقاهي بتنفيذ عدد من التعليمات الخاصة بالنظافة(٩) .

---

(١) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص ٧١٣-٧١٥ ؛ بركات المصدر السابق ، ص ص ٦٥-٦٦ ، وفضلا عن هذه الصيدليات عرف عن بعض الولاة افتتاح عدد اخر من الصيدليات ، منها الصيدلية التي افتتحها والي بغداد ناظم باشا ، الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٧٥ .

(٢) مجلة لغة العرب ، م٢ ، ج١٢ ، حزيران١٩١٣ ، ص٥٨٧ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٥ ، ٩ شعبان ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٢٥٥٠٩ ، ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

(٥) ضمت هذه الشعبة عددا من المفتشين ، الذين كلفوا بالقيام بجولات ميدانية الى القرى والنواحي التابعة للولايات بهدف الكشف عن الحيوانات والتاكد من سلامتها من الامراض السارية ، المصدر نفسه ، العدد ٢١٠٩ في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٦) المصدر نفسه ، العدد ١٤٠٢هـ ،١٨ جمادى الاخرة سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٧م .

(٧) اليوسف ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٨) الصوفي ، تاريخ بلدية الموصل ، ج١ ، ص ص ٣٠-٣١ .

(٩) جريدة الرقيب ، العدد ١٦٧ ، ٢٣ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

وأوجبت بلدية الموصل عام ١٣٢٩هـ/١٩١١ على ارباب الحرف وصناع الحلويات وبائعي الحليب بإستحصال اجازة قبل ممارسة العمل مشروطة بتفتيش الطبيب لمحلاتهم ، كما طالبت أصحاب المطاعم والمشروبات الكحولية باستحصال مثل هذه الاجازة[١] .

وكانت احدى الواجبات الاساسية التي اضطلعت بها الدوائر البلدية العناية بالنظافة العامة لما لذلك من علاقة بالصحة العامة ، اذ شرعت الدوائر البلدية بتعيين ملاك وظيفي للقيام بهذه المهمة تألف من عدد من المأمورين والمراقبين وعمال التنظيف ، كما جرى توزيع عدد من المأمورين على المحلات لمراقبة عمال التنظيف فيها وتخويلهم صلاحية إنزال العقوبات بالمقصرين في اداء واجباتهم[٢] . كما الزمت البلدية الناس واصحاب المحلات بالمحافظة على النظافة[٣] . وفي هذا المجال اعدت البلديات عربات خشبية لجمع القمامة من الدور[٤].

واسندت الى البلديات مهمة اطفاء الحرائق اذ اناط قانون الولايات مهمة مراقبة الحرائق والأخبار عنها وإطفائها الى البلدية ، واوكل القانون المذكور الى مراقبي البلدية مهمة الاتصال باقرب نقطة والمشاركة في عملية الاطفاء ، ومراقبة السقائين من خلال جلب المياه الى مواقع الحريق لاخمادها وفي سنة١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨ م صدر (نظام منع الحريق) الذي حدد بموجبه واجبات البلدية تجاه مراكز الحريق من خلال تزويدها بالادوات الخاصة بالاطفاء

كما حدد القانون مسؤولية البلدية بالاشراف على عمليات الاطفاء[٥] . وكاجراء وقائي لجأت بلدية

---

(١) نمير طه ياسين ، بدايات حركة التحديث ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد (٤) ، (الموصل، ١٩٩٢) ، ص١٨٩ .

(٢) تراوحت تلك العقوبات بين الاستقطاع التدريجي للراتب ، وبين الطرد النهائي من الخدمة ، انظر : جريدة الزوراء ، العدد ١٧٧٤ ، ٣ صفر سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٤٢٨ ، ٢٠ شعبان ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ؛ بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٦١-٦١-٦٢ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ٨٧٧ ، ٣ ذي القعدة سنة ١٣٩٦هـ/١٨٧٨م ؛ بركات ، المصدر السابق ، ص١٢٣ ؛ العلاف ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

(٥) للتفاصيل ، انظر بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٧٣-٧٤ .

بلدية بغداد الى اتخاذ عدة اجراءات للحد من ظاهرة الحرائق في اسواق بغداد عندما قامت بتغيير المادة التي كانت تسقف بها هذه الاسواق من الحصران والقصب الى مادة الزنك(١) .

وشجعت البلدية الاهالي على اقامة المطاحن ومعامل الثلج(٢) . فعلى سبيل المثال قام احد التجار ويدعى محمد الشابندر باستيراد ماكنة صنع الثلج ووضعها تحت تصرف البلدية(٣) حيث تولت البلدية بيعه بمقدار (١٠) بارات للكلغم الواحد(٤) . كما انتشرت معامل الثلج في الموصل (٥) ، والبصرة ، فضلا عن عدد من المعامل الصغيرة في كل من العمارة والقرنة والناصرية(٦) .

وكان للدوائر البلدية إسهاماتها في تحديد اسعار المواد الغذائية ومنع احتكارها(٧) ولاسيما اللحوم والرز والنفط والدهن والصابون(٨) وتوحيد الاوزان والمكاييل الا ان هذه المحاولات لم يكتب يكتب لها النجاح(٩) .

وكان من ضمن واجبات البلديات الاخرى مراقبة كل ما يمكن ان يخل بالآداب العامة والأخلاق والقانون ، فعلى سبيل المثال دعت جريدة (الزوراء) رؤساء البلديات الى منع دخول الاشخاص عراة الاجسام الى الماء لان ذلك يتنافى مع الذوق العام لذلك اتخذت البلديات الاجراء اللازم لمنع ذلك(١٠) .دعت الجريدة نفسها إلى فرض الجزاء النقدي على السقائين الذين يحملون

---

(١) مجلة لغة العرب ، المجلد (٢) ، الجزء (١) ، آب ١٩١٢ ص٧٥ .

(٢) ياسين ، بدايات التحديث ، ص١٦٣ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٣٤ ، ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ٥٩ ، ٥ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٥) ويكرام ، المصدر السابق ، ص ص ٧٣-٧٤ ؛ الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٣١ .

(٦) كاثلين ام لانلكي ، تصنيع العراق ، ترجمة محمد حامد الطائي ، د. خطاب صكار العاني ، مكتبة دار المتنبي (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص٢١٣ ؛ غرايبة ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ؛ الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٣١ .

(٧) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٥ ، ٣ ربيع الاول ١٢٨٩هـ/١٨٧٢ م ؛ جريدة صدى بابل ، العدد ٨٥ ، ٩ نيسان١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م ؛ العدد ١٨ في ٦ نيسان١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م .

(٩) جريدة الرقيب، العدد ١١ ، ١٤ ربيع الاول ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م ؛ غرايبة ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ؛ حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(١٠) جريدة الزوراء ، العدد ١٠٢٩ ، ١٠ شعبان ١٢٩٩هـ/١٨٨١م .

الماء على الحيوانات ويعاملونها بقسوة[١] . واشرفت بلديات بغداد على سير حيوانات النقل[٢] . كما قامت البلديات نفسها بجمع الحيوانات المؤذية وابعادها عن المدينة[٣]

وتشجيعا من والي بغداد ناظم باشا (١٩١٠-١٩١١م) للنقل النهري ، فقد امر بجلب اربعة مراكب صغيرة على نفقة البلدية[٤] . جرى الاتفاق على تسيير اثنين منها في الفرات واثنين في دجلة[٥] .

وقد بوشر بهذا المشروع بالفعل[٦] . إلا انه لم تتوافر في المصادر تفاصيل كافية عن الرحلات النهرية للمشروع ، ويبدو ان هذا المشروع لاقى بعض النجاح نتيجة للدعم الذي قدمه هذا الوالي ، إلا ان هذا المشروع تعرض للإهمال بعد عزل هذا الوالي إلى الحد الذي اضطرت الهيئة المشرفة على المشروع إلى بيع هذه المراكب بالمزايدة[٧] .

واوكل إلى البلدية ايضا انشاء مستودعات لحفظ المواد القابلة للاشتعال حيث وضعت شروط وضوابط لانشائها[٨] .وبجهود من البلدية تم تأسيس مشاريع للنقل بالعربات التي تجرها الخيول ومن ذلك ما حصل في بغداد سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، والموصل سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م[٩] ، والبصرة سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م[١٠] .

كما قامت البلديات بانشاء بعض الابنية العامة حيث قامت بلدية البصرة سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م بانشاء بناية للجندرمة ودائرة البلدية[١١] . فضلا عن العديد من الدور لسكان الصرائف[١٢] .

---

(١) المصدر نفسه ، العدد ٨٧٠ ، ٨ ذي القعدة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ١٢٣ ، ٢٥ شباط ١٣٣١هـ/١٩١٢م .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٣٧ ، ٣١ ايار ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ .

(4) P.R.O, F. O 195/2339 /27430 , Summary of Events in Iraq during the month of April and May 1910 1910 .

(٥) وامام عدم صلاحية نهر الفرات للملاحة النهرية كانت جريدة (الرقيب) قد افترحت استخدام غطاسين (دالقة جي) لتامين سير هذه البواخر في نهر الفرات ، انظر جريدة الرقيب ، العدد ١٧٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٦) جريدة صدى بابل ، العدد ٧٠ ، ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٧) المصدر نفسه ، العدد ٤١٤ ، ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٣ .

(٨) المصدر نفسه ، العدد ١٣٥ ، ١٧ مايس ١٣٣١هـ/١٩١٢م .

(٩) الصوفي ، تاريخ بلدية الموصل ، الجزء الاول ص٢٩ .

(١٠) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٧ .

(١١) جريدة الزوراء ، العدد ٨٤١ ، ١٨ رجب سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

(١٢) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

في حين شرعت بلدية بغداد الثانية بانشاء محلين احدهما خاص ببيع الخضروات والثاني لبيع الوقود وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م شيدت الدائرة البلدية الثالثة مسرحا عاما(١) استمر في العمل حتى قيام الحرب العالمية الاولى(٢) .

وقامت بلدية الموصل بانشاء عدد من الدوائر الحكومية ومنها دار البلدية ودائرة المحكمة الشرعية ودائرة للجندرمة كما قامت بافتتاح معرض ، وتأسيس قاعة للمطالعة ، وانشاء دار للضيافة ومدرسة اعدادية(٣) . وتعمير جامع النبي شيت(٤) . وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م انجزت البلدية اول خريطة لبلدة الموصل(٥) . كما قام بعض الولاة ورؤساء البلديات بردم الخنادق المحيطة بالمدن ومنها الموصل(*) ، وبغداد ، التي اصبحت موطنا للامراض والاوبئة(٦) .

وكان من ضمن الواجبات التي كلفت بها البلدية الاشراف على ادارة مدرسة الصنائع، بوصفها احدى المؤسسات الخيرية التي اوكل اليها تعليم الاطفال وتدريبهم على اتقان المهن(٧) . وفي هذا المجال قامت بلدية الموصل ، ابان رئاسة سعيد بن قاسم اغا ال سعرتي بإنشاء مدرسة الصنائع في الموصل(٨) .

كما اضطلع المجلس البلدي في كل لواء بعدد من المهمات في اثناء الانتخابات النيابية لمجلس المبعوثان منها :

---

(١) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٢٤٠ .

(٢) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٥٤ .

(٣) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص ص ٢٨-٢٩ ؛ حسن ، المصدر السابق ، ص٢٥٧ .

(٤) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٣٠ .

(٥) العمري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(*) يمتد هذا الخندق من ساحل نهر دجلة إلى باب الطوب وشمال منطقة باب الجديد ، ياسين ، بدايات حركة التحديث ، ص١٨٩ .

(٦) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٧٥ ؛ الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٢٨ .

(٧) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢٢ ، ١٤ رجب سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م .

(٨) الصوفي، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ج١ ، ص٣١ .

١. تنظيم دفاتر نفوس الاهالي وتوقيعها تمهيدا لاجراء الانتخابات[١] .
٢. عهد إلى مدراء النواحي والقساوسة والمختارين ان يجتمعوا برئيس بلدية اللواء والقضاء ليبلغهم أصول مسك الدفاتر الخاصة بالانتخاب .
٣. تعهد البلدية بطبع قوائم بأسماء المرشحين تمهيدا لتعليقها في المحلات والساحات العامة[٢].
٤. دعوة المنتخبين الثانويين لانتخاب اعضاء مجلس المبعوثان[٣] .

مشاكل الخدمات البلدية

بالرغم مما قامت به الدوار البلدية من مهام ، إلا أنها عانت من سلبيات كثيرة لعل ابرزها قلة التخصيصات المالية المخصصة للبلديات ضمن الميزانية العامة لذلك اعتمدت البلديات على الايرادات الضريبية في تغطية مصاريفها[*] ، بدون ان تقوم الادارة المحلية آية تخصيصات مضافة من ميزانيتها العامة للبلديات .

وكان القسط الاكبر من الايرادات البلدية تصرف رواتبا لموظفي البلدية[٤] . وكمثال على على ذلك وصلت ايرادات بلديات بغداد سنة١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م ما يقارب (٢.٥) مليون قرش[٥] قرش[٥] . خصص القسم الاكبر منها رواتباً لموظفي البلدية ومستخدميها مما دفع الحكومة المحلية في بغداد في تلك السنة إلى توحيد البلديات الثلاث في بلدية واحدة[٦] . وقد ترتب على هذا الاجراء توفير شيء من الاموال للسلطات البلدية ، فاستخدمها في تقديم المزيد من الخدمات للناس كان منها زيادة عدد اطباء البلدية من طبيب إلى ثلاثة اطباء[٧] . إلا ان هذا الاجراء لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما اعيد في سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بانشاء الدوائر البلدية الثلاث ثانية لتستمر في العمل مستقلة عن بعضها حتى نهاية العهد العثماني[٨] . وبالتالي استمرت مشكلة

---

(١) جريدة صدى بابل ، العدد ١٥٢ ، ١٦ أيلول ١٣٣١هـ/١٩١٢م .
(٢) المصدر نفسه ، العدد ١٥٩ ، ٢٥ تشرين الأول سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م .
(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٤٨ ، ١٦ آب سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م .
(*) فعلى سبيل المثال بلغ مجموع الايرادات الضريبية لبلدية بغداد وحدها سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م ، ١.٣٧٢.٨٣٦ قرشا ارتفعت إلى ١.٤٠٤.٢٠٢ قرشا سنة١٣١٩ هـ/ ١٩٠١م ، لتصل الى١.٤٢٥.٦٤٤ قرشاً و ٣٠ بارة سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م . للتفاصيل أنظر س.و.ب للسنوات ١٣١٥ هـ ، ص٣١٥ ؛ سنة ١٣١٩هـ ، ص٥٠٣ ؛ سنة ١٣٢٩ هـ ، ص ص٣٢٦-٣٢٧ .
(٤) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٢ .
(٥) س، و ، ب ، سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧ م ، ص٣٤٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٠٣ .
(٧) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٣٤ ، ١٨ جمادى الأول ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .
(٨) جريدة الرقيب ، العدد ٤٨ ، ١ رمضان ١٣٢٧هـ ؛ لونكريك ، العراق الحديث ... ، ص٢٤ .

العجز المالي احدى اهم المشكلات الرئيسية التي عانت منها البلديات مما كان سببا في الحد من قيامها بالكثير من مهامها[١] . وقد انتقدت جريدة (الزوراء) هذا الوضع بقولها "ان واردات البلدية لو صرفت على استكمال حوائج مدينتنا المادية والمعنوية فلاشبهة في أننا كنا نحصل على طرق وحدائق منتظمة ومستشفيات ... ولكن هيهات لما مضى وفات ..."[٢] .

ولمعالجة هذه المشكلة لجأت بعض البلديات إلى طلب القروض المالية من الادارات المحلية للولايات ،ولم تكن تلك الطلبات تلقى اذانا صاغية من السلطات المحلية دائماً [٣] .

وعلاوة على ذلك عانى الاهالي من الشدة التي ينتهجها المتعهدون (الملتزمون) بجباية الضرائب والرسوم البلدية وبمساعدة ضبطية البلدية ونتيجة للظلم الكبير الذي تعرض له الناس على يد الملتزمين ، فقد صدرت إرادة سنية في ١٣ صفر ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م اكدت على ضرورة جباية الضرائب والرسوم من المناطق المختلفة عن طريق مجالس البلدية بصورة مباشرة[٤] .

لم تخل الانتخابات للمجالس البلدية والترشيح لها من السلبيات فعلاوة على عدم نزاهة هذه الانتخابات[٥] . وحصر حق الانتخاب والترشيح بالملاكين، وبالتالي حرمان الشريحة الكبرى من حق الاشتراك والتمثيل في هذه المجالس . فانه غالبا ما تتكر قسم من رؤساء البلديات ،واعضاء المجالس البلدية لوعودهم التي قطعوها للمواطنين[٦] . لذلك طالبت جريدة (الرقيب) الناخبين بلزوم انتخاب من يعلمون فيه الكفاءة والهمة من المرشحين لعضوية المجالس البلدية للقيام بمهام البلدية ، المتوقف اصلاح الولاية واعمارها ونظافتها عليه ..."[٧] كما كان للمحسوبية للمحسوبية ودورها في تعيين موظفي البلدية[٨] .

قادت قلة رواتب الموظفين[*] وعدم دفعها بانتظام ، إلى تفشي ظاهرة الرشوة والاختلاس[١] . كما وقفت سرعة تبدل حكام الولايات والسناجق[٢] . وعدم موافقة الباب العالي

([١]) جريدة الرقيب ، العدد ٣ ، ٢٠ محرم ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

([٢]) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢٢ ، ١٤ رجب سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

([3]) I . O . R L/P + S/10/212 , Summary of Events for months January and February 1912 , P . 15 .

([٤]) شكري ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

([٥]) جريدة صدى بابل ، العدد ٥٣ ، ١٥ أيلول سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م .

([٦]) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

([٧]) جريدة الرقيب ،العدد ١٣١ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

([٨]) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٢ .

([*]) قدمت احدى المصادر كشفا بالرواتب التي يتقاضاها العاملون في البلدية ، فمثلا كان رئيس بلدية البصرة يتقاضى راتبا شهريا قدره ١٧٥٠ قرشا ، اما الطبيب فيتقاضى ٢٢٠٠ قرش ، والصيدلي ١٢٠٠ قرش ، وهناك رواتب تدفع بهذا القدر أو اقل إلى كل من المعمار ة والباشكاتب وغيرهم من الموظفين ، بركات ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

على بعض المشاريع المرفوعة من الادارة المحلية حائلاً دون إتمام كثير من المشاريع الخدمية وتطرقت جريدة (الزوراء) في أحد أعدادها إلى هذه المعضلة عندما اشارت إلى ان "الصلة في أعمار الولايات تقع على مسؤول الولاية الاول وهو الوالي ، فكم من الولاة المصلحين والمشهود لهم بالنزاهة والقابلية لم يمكثوا في مسؤولياتهم سوى اشهر معدودة لا تتخطى المسؤولية السنة أو السنتين ، وهذه المدة لا تيسر للوالي الذي له رغبة في الاصلاح ان يقوم بما يريد ، كما ان الذي رأيناه ان هناك مشاريع قدمت لتحصيل الموافقات ... ونجدها دون جواب ..."(٣) .

ووجهت انتقادات كثيرة إلى البلديات والاعمال التي قامت بها فعلى الرغم من اقدام البلدية على فتح الشوارع ، إلا ان انجاز مثل هذه الخدمات واصلاحها عانى من سلبيات كثيرة ياتي في مقدمتها ، عدم استقامة هذه الشوارع ، كما ان تبليطها لم يكن متقنا اذ اكتفي برصف بعض منها بالحجارة(٤) . في حين استخدمت بلديات اخرى مادة القير لتبليط الشوارع لكن بطريقة بدائية ، اذ اكتفي بصب مادة القير على الأرض ، ومن ثم تسويتها باستخدام الة خشبية (شوبك) ، الامر الذي تطلب استخدام ايدي عاملة كثيرة ،ولمواجهة هذه المعضلة لجأت السلطات المحلية إلى استخدام السجناء في انجازها(٥) .وكذلك الحال بالنسبة إلى الخدمات التي قدمتها البلديات في مجال تعمير الجسور وأدامتها فكثيرا ما اوردت الصحف شكاوى الاهالي المستمرة من الوضع المتردي الذي امست عليه هذه الجسور(٦) .

اما بالنسبة إلى مشاريع اسالة المياه التي قدمتها البلدية – فعلى الرغم من محدوديتها ، فان المياه التي كانت تصل إلى هذه البيوت كانت محملة بالطمى ، ناهيك عن عدم صلاحيتها للشرب(٧). علاوة على اقتصار الافادة منها على الاحياء المهمة(٨) . كما ان جريان هذه المياه لم يكن مستمرا اذ كان يجري يوما ويتوقف يوم آخر(٩) . وكثيرا ما نشرت الصحيفة شكاوى الاهالي

---

(١) جريدة صدى بابل ، العد ٢٢٧ ، ٢٢ شباط ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

(٢) منتشاشفيلي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٠٩ ، ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٤) ياسين ، بدايات التحديث ، ص١٦٣ .

(٥) سجى قحطان محمد علي ، الادارة العثمانية في الموصل ١٨٣٤-١٨٧٩ ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٢) ، ص١٣٣ .

(٦) جريدة الرقيب ، العدد ٥ ، ٤ صفر ١٣٢٧ هـ؛ العدد ١٩ ، ٨ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٧) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج١ ، ص٥٠ ؛ ياسين ، بدايات التحديث ، ص١٦٣ .

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ ربيع الاول ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٩) جريدة الرقيب ، العدد ١٥٩ ، ٢ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

المستمرة من قلة المياه[١] . وبالتالي ظلت غالبية المدن العراقية معتمدة في سد حاجة اهاليها من المياه على السقايات والسبيلخانات ، ولتسهيل عمل السقائين بادرت بلدية بغداد الاولى إلى اتخاذ سلسلة من الاجراءات منها بناء مسناة ذات ادراج لنقل الماء للسقائين[٢] . وتعمير حوض الماء في الميدان ، وبناء حوض جديد في محله الفضل[٣] . فضلا عن انشائها للعديد من الخزانات الحديدية في بعض منعطفات الطرق لياخذ السقاؤون حاجاتهم من المياه[٤] في الوقت نفسه تبرع تبرع الاهالي بنصب عدد من خزانات المياه اذ ذكرت جريدة (الرقيب) عن قيام عيسى غياث الدين افندي ال جميل في محلة (قنبر علي) بالتبرع بخزان ماء تم نصبه في المنطقة[٥] .

وعلى الرغم من محاولة بعض الاهالي تأسيس شركات اهلية لمد انابيب المياه في مناطق اخرى من المدينة . إلا ان تلك المشاريع لم تنفذ لاسباب غير معروفة ومنها المشروع الذي تقدم له كل من كاظم باشا وصالح جلبي الاسترابادي ، ويعقوب باشا عيسائي ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م لتأسيس (شركة ماء بغداد) بالرغم من حصولها على الموافقات الرسمية[٦] .

كما تنطبق الحالة نفسها على معامل الثلج فعلى الرغم من ان انتاجية بعض هذه المعامل وصلت إلى (١٠٠٠) كلغم يوميا من مادة الثلج ، إلا ان هذه الكمية لم تستطع تلبية حاجات السكان من هذه المادة[٧] . وكان معظم انتاجها يذهب إلى بيوت الوجهاء وكبار الموظفين[٨] .

ولم تفلح البلديات في المحافظة على نظافة الازقة والشوارع بشكل مناسب ، مما دفع جريدة (الزوراء) إلى ان تصف حالة تلك الازقة "بأنها تستوجب الشكوى"[٩] . لان "النظافة المطلوبة غير حاصلة واغلب الطرق غير مكنوسة"[١٠] . "إذ ان الأزقة مملوءة بالازبال ..."[١١] فيما ذكرت جريدة (صدى بابل) ان "الاوساخ متراكمة في ساحات كربلاء والاقذار متكدسة في جاداتها وشوارعها"[١٢] . وينطبق الحال على بلديتي الموصل والبصرة اللتين وصفت شوارعهما

---

(١) المصدر نفسه ، العدد ١٧٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ٨٧٧ ، ١٨ ذي القعدة ١٢٩٦هـ/١٨٧٥م .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ٨٧٣ ، ٣ ذي القعدة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ١٥٩ ، ٢ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه ، العدد ١٦٥ ، ١٨ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٧) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٨) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٤٤ .

(٩) جريدة الزوراء ، العدد ٨٦٨ ، ٢ ذي القعدة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

(١٠) المصدر نفسه ، العدد ١٣٠ ، ٧ محرم ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠ م .

(١١) المصدر نفسه ، العدد ٤٣٥ ، ٢٧ صفر سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م .

(١٢) جريدة صدى بابل ، العدد ١٦١ ، ٨ تشرين الثاني سنة١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ م .

بالقذارة[1]. كما اتصف عمال النظافة التابعون للبلدية بالإهمال وعدم الإخلاص[2] ولمعالجة المشكلة لجأت بلديات بغداد ابان ولاية مدحت باشا وبعض الولاة الآخرين[3] إلى احالة عملية التنظيف إلى متعهد خاص يتولى انجاز هذه الوظيفة بدلا من خدمات عمال النظافة ، لكن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح لان الصحافة ظلت تكرر شكواها من تقصير البلديات في عدم العناية بتنظيف الازقة والشوارع[4] .

ولم يكن مراقبو البلديات يقومون باداء وظائفهم بشكل مرضي[5] اذ لم يمنعوا بعض التجاوزات التي يقوم بها اصحاب الدور والمحلات العامة والاسواق[6] . وقد أشارت جريدة (الرقيب) إلى ذلك بقولها "ان البلدية قد اهملت اعمالها اذ ان تجاوزات اصحاب المحلات في الاسواق وعلى الطريق العام كثيرة ، اذ يخرج هؤلاء بضائعهم وحاجاتهم ويضعونها خارج محلاتهم على قارعة الطريق ، حتى ظن نتيجة للاهمال ان البلدية لا وجود لها ، لولا وجود جملة من المأمورين والحراس يتقاضون رواتبهم الشهرية في كل شهر ، ويلحق بهم من خصصت لهم الدائرة معاشات اوفر باسم مفتشين ، فهذه الابنية تبنى والطرق تغتصب ... ولا يخبرون الدائرة النائمة ..."[7] .

علاوة على ذلك اهمل المفتشون والمراقبون متابعة الابنية القديمة وملاحظاتها بين حين واخر واخبار دوائرهم بحالتها الآيلة للسقوط مما ادى إلى انهيار الكثير منها ووقوع خسائر في الارواح من جرائها[8] ، وكمثال على ذلك تطرقت مجلة (لغة العرب) إلى الاهمال الذي يعانيه قضاء سوق الشيوخ بقولها "ان البلدية في غاية الانحطاط وبيوت المدينة امام الناظر لان البلدية لا تسعى في هدم ما يجب هدمه وترميم ما يجب ترميمه ..." [9] . وطالبت جريدة (الزوراء) في احد اعدادها (بارسال البلدية للمأمورين والمعماريين لاجراء الكشف على خارج الدور ومعاينتها ... فاذا رؤيت ابنية مماثلة للإنهدام ويلزم هدمها من طرف البلدية بناءا على الاخبار والمعومات ... هدمت ... وان لا يجري التسامح والتأني في ذلك قطعا) [10] وامام اهمال البلديات متابعة هذه المسألة بادرت سلطات ولاية بغداد

---

(1) حسن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(2) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٤٧ ، ٨ تموز ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤ م .

(3) المصدر نفسه ، العدد ٢٤٠ ، ٢٤ أيار ١٩١٤ ، سلمان ، المصدر السابق ، ص٩٤ .

(4) جريدة الرقيب ، العدد ٢ ، ١٣ محرم ١٣٢٧ /١٩٠٩ م .

(5) المصدر نفسه ، العدد ٦٦٧ ، ٢٣ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(6) جريدة صدى بابل ، العدد ٨٢ ، ١٩ اذار/١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م ؛ جريدة الرقيب ، العدد ١٩ ، ٨ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/١٩٠٩ م .

(7) جريدة الرقيب ، العدد ٥٥ ، في ٢٥ رمضان ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ م .

(8) المصدر نفسه ، العدد ١١ ، ١٤ ربيع الاول ١٣٢٧هـ/١٩٠٩ .

(٩) مجلة لغة العرب ، المجلد (٢) ، الجزء (٧) ، كانون الثاني ١٩١٣ ، ص ٢٩٥ .

(١٠) جريدة الزوراء ، العدد ١٢٤٢ ، ٤ صفر سنة ١٣٠٣ هـ .

إلى توجيه انذار إلى رؤساء بلديات بغداد سنة١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥م ، تضمن إنزال عقوبات شديدة بحقهم في حالة اهمالهم مراقبة الدور القديمة ، وعدم هدمهم الآيلة منها إلى الانهيار[١] .

ولم تسلم الخدمات الطبية التي تقدمها البلدية هي الاخرى من الانتقاد فعلى الرغم من ان نظام الادارة العمومية الصادر سنة١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م أوجب على كل بلدية من بلديات ولايات الدولة العثمانية ، ان تعين طبيبا ومعاونا له ، إلا ان هذا القرار لم يدخل حيز التطبيق في جميع الدوائر البلدية ، فعلى سبيل المثال افتقرت بلدية الديوانية إلى وجود طبيب بلدي[٢] .

ولم تسلم صيدلية البلدية هي الاخرى من الانتقاد ، فعلاوة على عدم تفريق القائمين بين دواء واخر ، عانى المستفيدون من خدمات هذه الصيدليات من ارتفاع اسعار الادوية(٣) إلى الحد الذي دفع احد مؤرخي تلك الحقبة إلى القول ان "هذه الصيدليات كانت مفتوحة للاغنياء لا للفقراء" كما حاول لفت انظار "مفتشي الصحة إلى التحري عن الادوية البائدة أو المخالفة للصحة ومنع بيعها"(٤) .

ومما زاد الامور سوءا عدم اعطاء البلديات الصلاحيات الكاملة لتنفيذ قراراتها ، فعلاوة على القيود التي فرضت على الاعمال التي تعتزم دوائر البلدية القيام بها ، لم يكن بامكان الأخيرة البت في أي من القضايا إلا بعد الرجوع إلى الدوائر المختصة ، ومجلس إدارة الولاية(٥) الولاية(٥) .

---

(١) حسن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ٢٥٣٥ ، ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤ م .

(٤) فيضي ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(٥) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ... ، ص٣٤٤ .

المبحث الثالث

الاحتلال البريطاني والخدمات البلدية في العراق

التشكيلات البلدية :

استمرت البلديات العثمانية في العراق اعمالها حتى الاحتلال البريطاني للعراق . وقد الغيت التشكيلات البلدية العثمانية تباعا مع الاحتلال البريطاني للمدن والقصبات العراقية . وعلى الرغم من الغاء بلدية البصرة بوصفها مؤسسة محلية في يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، إلا انها ظلت تمارس خدماتها[١] ، اذ مارس الحاكم العسكري معظم صلاحيات البلدية ، التي اشتملت على صيانة الصحة العامة ومنع تفشي الامراض بين افراد القوات البريطانية من خلال الاهتمام بالصحة العامة ونظافة المدينة ، وإنشاء المرافق الحيوية كالطرق والجسور وغيرها ، وتامين افضل السبل لجمع الايرادات من السكان[٢] .

وعلى هذا الاساس تالف ملاك هذه الدائرة المرتبطة بالحاكم العسكري البريطاني ، وابتداء من شهر كانون الاول ١٩١٤ من جراح مدني وطبيب ، ونتيجة لتزايد الحاجة تم استبدالهما بضابطين مسؤولين عن شؤون الصحة ، عمل احدهما مع وكيل الحاكم العسكري في العشار ، أما الثاني فكان يعمل مع الحاكم العسكري في البصرة[٣] .

واما المناطق الريفية فقد اسندت السلطة البلدية فيها إلى الحاكم السياسي في المنطقة يساعده في ذلك سلطة محلية مؤلفة من بضعة اشخاص من كبار الملاكين والتجار المتنفذين ، وبقيت الإدارة البلدية تسير على هذا المنوال حتى مطلع سنة ١٩١٧، عندما اقتضت الضرورة نتيجة لتعدد مهمات الحاكم العسكري ، وتزايد واجبات ضابط الصحة ، تعيين موظف للشؤون البلدية ، فكان ان عين لهذا المنصب موظف هندي ، ثم حل محله في تموز سنة ١٩١٨ موظف بريطاني[٤] .

---

(١) كانت اخر مهمة اضطلع بها رئيس بلدية البصرة في العهد العثماني (صالح بك العبدالله) التفاوض مع قيادة قوات الاحتلال ، وتأمين من سلامة المواطنين العزل .لمزيد من التفاصيل حول تشكيلة الوفد والمهمة التي اسندت اليه انظر : بركات ، المصدر السابق ، ص ص١٨٢–١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٨٤–١٨٥ ؛ التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٢٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٥ .

(٤) بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٤–٢١٧ .

وفي ٣٠ تموز ١٩١٨ تشكل اول مجلس بلدي في البصرة ، تالف من رئيس المجلس (انكليزي) ، ونائب رئيس عربي ومشاورين فنيين بريطانيين وعرب وعشرين عضوا اخرين(١) . في حين تأخر تشكيل المجالس البلدية لعموم اقضية ونواحي العراق حتى سنة ١٩١٩(٢) .

كما تشكلت عدد من الدوائر البلدية في الاقضية والنواحي ، فعلى سبيل المثال تالف الجهاز الاداري لبلدية العمارة من رئيس للبلدية ، وهو غالبا ما يكون من العراقيين ، واثنين من المختارين ، ومحاسب ، ومفتش للصحة وعدد من المستخدمين(٣) . ومن هذه الدوائر تفرع عدد من الدوائر في علي الغربي وقلعة صالح . وكانت الدوائر البلدية تحت اشراف الحاكم السياسي ، الذي كان يتابع الشؤون الصحية والضرائب المفروضة من البلدية(٤) . اما في الناصرية فقد تالف الهيكل الاداري لدائرة البلدية من رئيس للبلدية وكاتب وعريف شرطة وعدد من المستخدمين(٥) .

ومع بداية دخول القوات البريطانية بغداد في آذار ١٩١٧ جرى تشكيل (اللجنة البلدية الاستشارية) التي عقدت اجتماعا لانتخاب مجلس بلدي تالف من ممثلين لمختلف الطوائف والجماعات(٦) .

في حين تشكلت دوائر بلدية فرعية خاصة بالاقضية ففي ديالى مثلا كانت هناك خمس بلديات وهي (بعقوبة ، ديلتاوة (الخالص) ، شهربان (المقدادية) ، وبلدروز ، ودلي عباس (المنصورية)(٧) .

واما الدوائر البلدية في منطقة بعقوبة فقد افتقر بعضها منها إلى الملاك والامكانات المادية لذك وصفت بأنها لم تقدم آية خدمات تذكر ، ومثال على ذلك بلديتا بلدروز ، ودلّي عباس (المنصورية)(٨) .

---

(١) بيل ، المصدر السابق ، ص٣٩٦ ؛ حسين الدوري واخرون ، الإدارة العامة في العراق ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص٦٨ . ولمزيد من التفاصيل حول عضوية المجلس المذكور أنظر : بركات المصدر السابق، ص ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٢) بيل ، المصدر السابق ، ص٣٩٦ .

(٣) حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، ص١٠٤ .

(4) Reports of Administration .. , OP . Cit ., P . 39 .

(5) Ibid . P . 411 .

(6) Administration Reports of The Baghdad Wilayat , 1917 . P . 172 .

وقد ضم هذا المجلس في عضويته رئيس البلدية الميجر كوردن وتسعة اعضاء ، خمسة منهم من المسلمين وهم حمدي بابان ، وجعفر جلبي الحاج داؤد ، وعبد اللطيف اثنيان ، وعبد المجيد الشاوي ، والحاج محمود اوطرقجي ، واثنين من المسيحيين ، وهما اسكندر عزيز عيسائي ، وكيورك اسكندر ، واثنين من اليهود وهما مناحيم صالح دانييل ، ويهودا زلوف .انظر جريدة العرب ، العدد ٩ ،١١ كانون الثاني ١٩١٨ .

(7) Reports of Administration … , OP . Cit., . P . 23 .

(8) Ibid . P . 23 .

اما في قضاء الشامية فقد شكلت القوات المحتلة خمس دوائر بلدية توزعت على النجف ، الكوفة ، والشامية ، وغماس (الحيرة) حيث عهد بادارة هذه الدوائر إلى عدد من الشخصيات المتنفذة التي ارتبطت بدائرة الحاكم العسكري(١) .فيما ضمت بلدية كربلاء في عضويتها رئيس البلدية ،وستة اعضاء آخرين(٢).

وفي أعقاب الاحتلال البريطاني للموصل ، اصدر الحاكم السياسي للموصل تعليماته بحل المجلس البلدي السابق ، وتشكيل مجلس بلدي جديد اسندت رئاسته إلى الحاكم يساعده في ذلك معاونان احدهما عراقي والاخر هندي وكاتبان . ثم اعلن عن اجراء انتخابات لهيئة جديدة للبلدية تكونت من عشرة اعضاء خمسة مسلمين ، واربعة مسيحيين وواحد من اليهود ، في حين اسند إلى الحاكم السياسي صلاحية رئاسة المجلس البلدي(٣) .استمر العمل بقانون البلديات العثماني حتى سنة ١٩٢١(٤) .

أما بالنسبة للموارد البلدية ، فقد اعتمدت السلطة في بادئ الامر على اقراض البلديات من الخزينة العامة بغية القيام ببعض المشاريع(٥) . ثم اصبحت تؤمن حاجاتها بنفسها(٦) . من خلال الموارد التي تأتيها من الضرائب التي استحصلتها سلطات الاحتلال ، اذ استقصى الحاكم العسكري المعلومات الخاصة بالضرائب البلدية العثمانية من المختارين والمستشارين المدنيين ، وقد بذلت السلطات المحتلة جهودا كبيرة للابقاء على النظام المالي مع اجراء بعض التعديلات ، وبما يتناسب مع ظروف الاحتلال ومن هذه الضرائب ، ضريبة الحراسة ، وضريبة المنازل(٧)والدكاكين والجسور ... حيث اتصفت تلك الضرائب بالشمول وعدم الثبات(٨) .

---

(1) Reports of Administration … , OP . Cit., P. 84 .

(2) Ibid . P . 189 .

(٣) ذنون يونس الطائي ، الأوضاع الإدارية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب (جامعة الموصل ، ١٩٩٨) ، ص٥١ .

(٤) اجري على القانون العثماني بعض التعديل ليلائم ظروف ومصالح قوات الاحتلال البريطاني ، فوستر ، تكوين العراق ، ج١٢ ، ص٢٩٧ .

(٥) بيل ، المصدر السابق ، ص٣٩٤ .

(6) Reports of Administration … , OP . Cit., P .188 .

(٧) قامت بلدية المسيب وحدها باستيفاء ما مقداره (١.٦٨٤.٠٠٣) روبية من اقيام هذه الضرائب للمدة المحصورة من كانون الثاني إلى اذار ١٩١٨ ، انظر . Ibid . P . 168 .

(٨) لمزيد من التفاصيل حول تلك الضرائب ، انظر . بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٢-٢١٠ .

وبغية ضمان جمع هذه الضرائب فانها لجات إلى طريقة الالتزام حيث بلغت أقيام هذه الضرائب في السنة الثانية للاحتلال البريطاني للبصرة (١٠٠٠٠٠٠)روبية[١] . فيما بلغت ايرادات دائرة بلدية بعقوبة لسنة ١٩١٨ (٣٥٠٠٠٠) روبية[٢] .

وكدليل على السياسة الاستغلالية التي انتهجتها قوات الاحتلال البريطاني للعراق الزمت الكثير من القرى على دفع الضرائب البلدية ، على الرغم من انه لا توجد دوائر بلدية فيها أو حتى خدمات ومن هذه القرى بهرز ، وهويدر ، وخرنابات ، والزهيرية ، ونهر الشيخ ، والمنصورية التابعة إلى مقاطعة دلي عباس (المنصورية حاليا)[٣] .

اوكل تنفيذ بعض المشاريع البلدية ومنها الطرق والجسور إلى – دائرة الاشغال العامة – التي تم تشكيلها بعد الاحتلال البريطاني للبصرة[٤]، كما تم افتتاح عدد من الدوائر الفرعية في عدد من المناطق[٥] .

وسعيا من سلطات لتوفير الملاكات العاملة فقد تمت الاستعانة بالملاك البلدي القديم للقيام بالخدمات البلدية ، وامام النقص الشديد في الايدي العاملة ، فضلاً عن عزوف كثير من الاهالي عن الاشتغال في بعض الاعمال كالتنظيف مثلا[٦] ، فقد استعانت قوات الاحتلال ببعض السجناء ، كما طالب الحاكم العسكري في البصرة جلب عمال خدمات من الهند[٧] .

وانطلاقا من الاهمية الاقتصادية لميناء البصرة[*] ، اولت سلطات الاحتلال البريطاني مسالة تطوير مدينة البصرة وميناءها الافضلية من خلال الاهتمام بانشاء عدد من المرافق

---

(١) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٤٢٢ .

(2) Reports of Administration … , OP . Cit . P . 23 .

(3) Ibid

(٤) كان من ضمن المهمات التي اوكلت إلى هذه الدوائر الاشراف على ادارة ميناء البصرة وتطويره ، فتح العديد العديد من الطرق البرية والنهرية ، فضلا عن مشاريع السكك الحديدية التي تم انشاؤها سنة ١٩١٦ ، وكانت مشاريع هذه الدائرة مكرسة بالدرجة الاساس لدعم قوات الاحتلال البريطاني في معاركها ضد القوات العثمانية، وتوفير مستلزمات الاستقرار للموظفين البريطانيين .ولمزيد من التفاصيل حول الدور الذي اضطلعت به دوائر الاشغال العامة انظر : حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤–١٩١٨ ، ص ص ٥٢٨– ٥٣٠ .

(٥) ومن ضمن هذه الدوائر دائرة اشغال الناصرية وبعقوبة انظر :
Reports of Administration … , OP . Cit ., P .27 .

(6) Ibid . P . 189 .

(٧) للتفاصيل انظر : ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٢٤٥–٢٤٨ .

(*) تم تشكيل دائرة خاصة بالميناء سنة ١٩١٥ اسندت ادارتها إلى ضابط النقل البحري الاقدم القائد هاملتون (Hammiton) ولمزيد من التفاصيل حول المهمات التي اضطلعت بها هذه الدائرة انظر :التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٤٨٤–٤٩٠ .

الحيوية من طرق وجسور ، فضلا عن اهتمامها بالصحة العامة وبنظافة المدينة وغيرها من الخدمات التي تتصل بديمومة الاحتلال البريطاني ؛ ولتحقيق هذا الهدف لجأت سلطات الاحتلال إلى تشكيل لجنتين رئيسيتين في١٨ حزيران ١٩١٥ ، و٢٥ تشرين الاول ١٩١٧ ، ضمتا في عضويتهما مسؤولين بريطانيين وبعض المتنفذين اقتصاديا واجتماعيا من السكان المتعاونين مع السلطة المحتلة ،واوكل إلى هاتين اللجنتين تنفيذ جملة من المشاريع الخدمية ، إلا انهما سرعان ما جابهتها مجموعة من المشاكل كان في مقدمتها الصعوبات المالية وفقدان الانسجام بين اعضائها ، فضلا عن عدد أخر من المشاكل كان لها تأثيرها في أعمالهما والتي لم تتجاوز في احسن الاحوال ترميم مجاري المياه القذرة أو بناؤها ، وفتح عدد من الطرق منها طريق (البصرة – الفاو) – و(البصرة – العشار) ، وتعميق نهر العشار ، ونصب بعض الجسور مثل جسر الخورة – الكزارة ، إلا ان تلك الصعوبات سرعان ما طغت على عمال اللجنتين فلم تستطيعا الاستمرار في اعمالهما[١] .

اما بالنسبة لبغداد فبعد تنظيم الشؤون الادارية فيها ، تم تشكيل "هيئة استشارية" باسم ، (لجنة شؤون بغداد الصحية والاعمارية ، كانت جميع الدوائر المدينة ممثلة فيها[٢] .

وعلى أية حال فان اللجان سالفة الذكر ، اصبحت في حكم المنتهية بعد ان تم دمج الادارة البلدية في بغداد والبصرة سنة ١٩١٧ ، حيث خضعت الخدمات البلدية في كلتا الولايتين للتخطيط العام[٣] .

---

(١) حميد احمد حمدان ، (نظرة على واقع الخدمات العامة في البصرة خلال فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٤–١٩٢١) ، مجلة الخليج العربي ، العدد (٦) ، ١٩٧٦ ، ص ص ٧١–٧٨ .

(٢) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

(٣) حمدان ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

المبحث الرابع

طبيعة الخدمات البلدية في العراق ١٩١٤-١٩١٨

اعطت سلطات الاحتلال البريطاني الجانب العسكري الاولوية في إطار الخدمات البلدية التي نفذتها في العراق ، ولا سيما تلك التي تتعلق بمسالة المحافظة على سلامة افرادها وتأمين الحاجات الرئيسية لها .

فعلى صعيد خدمات الانارة حرصت سلطات الاحتلال على انارة الشوارع والمحلات تسهيلا لعمل دوريات الحراسة معتمدة في ذلك على العمال العاملين سابقا في مجال انارة المحلات والشوارع ، في حين كانت الفوانيس الوسيلة الوحيدة للاضاءة سابقا[١] .

لم تقتصر الانارة على البلديات الرئيسية اذ بادرت طائفة من البلديات الفرعية باضاءة شوارعها الواقعة ضمن مناطقها فعلى سبيل المثال قامت بلدية سامراء بتنوير الشارع الرئيس في القضاء بعدد من المصابيح الزيتية[٢]. ثم ما لبثت ان ادخلت المصابيح الكهربائية ، وكانت البصرة أولى المناطق التي افادت من هذه الخدمات اعقبتها المناطق الاخرى ومنها منطقة العشار[٣] . كما تم وضع الخطط لأعمام هذه الخدمة على مناطق اخرى من العراق[٤] .

وبغية تأمين حاجات السلطات المحتلة من الطاقة الكهربائية فقد تم انشاء عدد من محطات توليد الطاقة الكهربائية ، ففي سنة ١٩١٧ أنجز أول مشروع للكهرباء في بغداد[٥]. حيث تم تجهيز بعض مناطق بغداد بالطاقة الكهربائية من خلال نصب اعمدة كهربائية ضخمة[٦] . فضلا عن انشاء محطات صغيرة لتوليد الطاقة الكهربائية في كل من العمارة ، والقرنة ، والناصرية[٧] . وعلى آية حال كانت الافادة من هذه الخدمات محدودة ، وعلى نطاق ضيق كما تم وضع شروط لمن يريد الافادة من خدمات الانارة[٨] .

---

(١) بركات ، المصدر السابق ، ص١٨٥ .

(2) Reports of Administration … , OP . Cit ., P .7 .

(3) Ibid . P . 249 .

(٤) جامعة البصرة ، مركز وثائق البصرة ، رقم الملفة 32053/021 عنوان الملفة "انارة طرق " ، وثيقة ٥٢ ، ص١ .

(٥) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٣ ؛ الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤ ، ص١٢٥ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٥١ ، ٣٠ ايلول ١٩١٧ .

(٧) لانكلي ، المصدر السابق ، ص٢١٣ .

(٨) الزبيدي ، بغداد من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤ ، ص١٣٥ .

وبدت سلطات الاحتلال اهتماماً فائقاً بصيانة الطرق والجسور وافتتاحها لما لذلك من أهمية كبيرة للمصالح البريطانية بقسميها العسكري والمدني[١] . ولا سيما بعد ان تزامن دخول القوات البريطانية البصرة مع حلول الشتاء وسقوط الامطار ، وامام افتقار الولايات العراقية للطرق المعبدة ، تم تسخير الموارد البلدية لاغراض الاستملاكات لفتح الشوارع وتوسيعها وتبليطها وصيانة المعابر والجسور[٢] . فعلى سبيل المثال بلغت نفقات بلدية البصرة على انشاء الطرق والجسور ، ولمنطقة البصرة وحدها(٥٠.٠٠٠) لك سنة ١٩١٧-١٩١٨ ليرتفع المبلغ إلى(١.٠٠٠.٠٠٠) لك سنة ١٩١٨-١٩١٩[٣] .

اما بالنسبة لبلدية العشار فقد بلغت نفقاتها ولهذا الجانب الخدمي (٣٥.٠٠٠) الف روبية في السنة الاولى من الاحتلال ليصل المبلغ إلى (١.٠٠٠.٠٠٠) روبية في السنة التالية[٤] .

استقدمت سلطات الاحتلال عدداً من المراقبين الهنود للاشراف على انجاز هذه الأعمال[٥] كما استعانت بعدد من السجناء لإنجاز أعمال تسوية الطرق ورشها بالماء ، وفي هذا هذا المجال تم توسيع الشارع المعروف بـ شارع السراي في البصرة[٦] . فيما تم اكمال احد الشوارع في بغداد – جادة خليل باشا [٧] وفي الوقت نفسه قدمت اقتراحات لفتح طرق جديدة[٨] . اما في الموصل فاستكملت قوات الاحتلال انجاز شارعي النجفي ونينوى[٩] . فيما اضطلعت البلدية وفي العديد من المناطق بمهمة ترقيم الشوارع والبيوت[١٠] .

---

(١) بركات ، المصدر السابق ، ص٢٣٦ .

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٢٨٤ ؛
Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 231 .

(3) P.O.R, F . O 371 / 34071 - 707739 , Basrah Municipality . P . 231 .

(4) Ibid .

(٥) بركات ، المصدر السابق ، ص٢٣٦ .

(٦) Reports of The Administration … , OP . Cit ,. P. 274 ؛ ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٦٦ .

(٧) ستين لويد ، الرافدان موجز تاريخ العراق منذ اقدم العصور حتى الان نقله إلى العربية . طه باقر وبشير فرنسيس ، (بغداد ، ١٩٤٣) ، ص٢٦٥ .

(٨) د. ك . و ، وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 1/2423 ، ص ص ١-٣ .

(٩) الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، ص ٣٤ ؛ سعيد الديوه جي ، بحث في تراث الموصل دراسة المصادر التاريخية لتراث وخطط مدينة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل ، ١٩٨٢) ، ص٦٦ .

(١٠) د.ك.و ، وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2/49 تسمية الشوارع والساحات والطرق في بغداد، صفحات متفرقة. Reports of Administration … , OP . Cit . P 232 . .

اما بالنسبة للجسور فقد تم نصب عدد من الجسور منها جسر الخورة – الكزارة في البصرة[١] .؟ وفي الوقت نفسه فتح باب التبرع لإنشاء بعض الجسور[٢] . فيما تم افتتاح جسر جديد في العمارة[٣]. اما في بغداد فقد ظهرت الحاجة لبناء جسر جديد يحل محل جسر القوارب القديم [٤] . وبالفعل افتتح جسر حديدي في نهاية ١٩١٨ اطلق عليه اسم (جسر مود) ، تخليدا للجنرال مود[٥] . كما تم إفتتاح جسرين أخرين أحدهما جنوب الجسر الاول ، اما الثالث فيقع في منطقة ألاعظمية[٦] .

واما إسالة الماء فقد افتقدت غالبية المدن العراقية إلى مثل هذه المشاريع باستثناء بعض المشاريع التي كانت الافادة منها محدودة جدا ، لذلك كان اعتماد الاهالي وتحديدا في المدن الواقعة بين كركوك واربيل على مصادر المياه الطبيعية كالأنهار والعيون والينابيع أو الكهاريز[*] ، بل حتى على مياه الامطار ، وبالتالي استمر السقاؤون في اداء مهمتهم السابقة بحمل مياه الشرب الى الدور لتجري عليها عملية التصفية من خلال ترشيحها بالاكواز .

اما بالنسبة إلى القطعات العسكرية فكانت جنائب النقل تتوسط شط العرب[٧] ، حيث ينقل الماء منها إلى الساحل ومنه إلى العربات المخصصة لنقل المياه إلى الدور ، حيث استخدمت في عملية التوزيع مجاميع السجناء[٨] .

وفي سنة ١٩١٦ بوشر بالاستملاكات لانشاء مشروع لاسالة المياه لمنطقة البصرة والعشار[٩] . حيث جرى تأمين المياه من المياه المعقمة وبطاقة استيعابية قدرها ١٥.٠٠٠ غالون

---

(١) بيل ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(٢) بركات ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .

(٣) طه الهاشمي ، مفصل جغرافية العراق ، ج١ ، مطبعة دار السلام ، (بغداد ، ١٩٣٠) ، ص١٣٨ .

(٤) جريدة الموصل ، العدد ٩ ، ٣ كانون الأول ١٩١٨ . ويقع هذا الجسر قرب سوق السراي في نهاية شارع المأمون.

(٥) جريدة العرب ، العدد ١٦١ ، ١٠ كانون الاول ١٩١٨ ؛ Reports of Administration … , OP . Cit ., P . 247 .

(٦) كوك ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٠٣ .

(*) الكهاريز عبارة عن قناة اصطناعية تحت الأرض تتصل بعدد من العيون أو الآبار وتنحدر مع مستوى سطح الأرض لتزود المناطق المحتاجة بالمياه . أنظر عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق (١٩١٤–١٩٣٢)، (بغداد،١٩٧٨)، ص ٤٧٩.

(٧) ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٧ .

(٨) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٣٢٥ .

(٩) د.ك.و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، مشاريع تكاليف نصب انابيب لتجهيز المياه للبصرة والعشار ،و ١٩ ، ص٣٢ .

غالون يوميا لتصل فيما بعد إلى ٣٠٠.٠٠٠ غالون[١] . مع اعطاء الافضلية للدور التي تشغلها تشغلها القطعات العسكرية[٢]. واعقب ذلك افتتاح مشروع مماثل في بغداد[٣] . حيث جرى انتقاء انتقاء بعض الاماكن في جانبي الكرخ والرصافة لتكون مراكز لاعطاء الماء النقي للجنود والاهالي[٤] . كما اصدرت سلطات الاحتلال مجموعة من التعليمات منعت بموجبها تلويث مصادر المياه بكل ما هو مضر بالصحة[٥] .

اما فيما يتعلق بالتنظيف ، وبالنظر لاهمية هذا القطاع الخدمي فقد اتخذت سلطات الاحتلال سلسلة من الاجراءات التي هدفت من خلالها تأمين افضل السبل للتخلص من نفايات الدور والشوارع من خلال تأمين العربات الكافية لنقل النفايات إلى خارج المدن وتوفير المحارق الكافية للتخلص من النفايات[٦] لما لذلك من علاقة بسلامة القوات البريطانية

الموجودة في العراق[٧] .

ولمواجهة النقص الحاد في اعداد العمال العاملين في التنظيف ، اقدمت طائفة من البلديات على تعيين اعداد كبيرة من العمال العرب وبرواتب مجزية[٨] . وامام عدم كفاية عمال التنظيف في عدد من المدن ومنها البصرة وبغداد قامت سلطات الاحتلال باستقدام اعداد من المساجين من الهند في اطار جهود سلطات الاحتلال لتأمين الوقاية الصحية لمنتسبيها[٩]. وعلى

---

(1) Reports of Administration … , OP . Cit . , P 262 ..

(٢) ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٧ ، ص٢٤٣ .

(٣) د.ك.و ، وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2/389 ، تجهيز الماء صفحات متفرقة.

(٤) اشتملت هذه المناطق على مستشفى اليهود ، الة التصفية ، المستشفى العسكري في المجيدية ، ومعامل ادوات النقل العسكرية ، والمصبغة ، وجامع السيد علي ، وبيت النقيب ، والقنصلية الانكليزية ، والقيادة العامة للباب الشرقي في جانب الرصافة ومنطقة خضر الياس في جانب الكرخ . الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤ ، ص ١٤٠ .

(٥) المصدر نفسه .

(6) Reports of Administration … , OP . Cit ., P 261 ..

(٧) د.ك، و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الإدارة المركزية ، رقم الملفة 2/13 . ، ١١ ، ص١٣ ؛
Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 188 ..

(٨) د.ك.و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2/287 ميزانية بلدية هيت ، و ٨ ، ص١٠ .

(٩) بركات ، المصدر السابق ، ص١١٩ ؛ الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤ ، ص١٣٧ .

وعلى الرغم من تقصير بعض البلديات في مجال التنظيف ، إلا ان بلديات اخرى تميزت في هذا المجال ومنها بلدية سامراء التي وصفت شوارعها بكونها نظيفة(١) .

اما فيما يتعلق بالخدمات الصحية ، فقد اوكل إلى الطبابة البلدية مسؤولية اضافية لما كانت تقوم به في العهد العثماني والمتمثلة في متابعة اعمال التنظيف وملاحظتها والكشف الطبي على المحلات العامة مثل الدكاكين والاسواق فضلا عن المقاهي والحمامات ، والاخبار عن الولادات والوفيات ، ومنع تركيب الادوية وبيع الادوية السامة بدون رخصة وما إلى ذلك من الخدمات المتصلة بالصحة(٢) . حيث انتهجت القيادة العسكرية البريطانية سياسة قائمة على جعل المناطق المأهولة بقواتها متميزة من الناحية الصحية ، حتى ولو كان ذلك على حساب الناحية الصحية للغالبية العظمى من السكان(٣) .

كما اضطلعت طبابة البلدية وبسبب اعتماد قوات الاحتلال على النقل الحيواني في حركاتها البرية ، بمهمة المحافظة على سلامة الحيوانات واجراء الكشف الطبي والدوري عليها ، فضلا عن الاشراف الصحي على المجازر وفي هذا المجال اقيم مستوصف بيطري مجاني في البصرة(٤) . فيما قامت بلدية بغداد بافتتاح مستشفى بيطري في بغداد الحق به مستشفى عزل(٥) .

أسندت إلى الجهاز البلدي ابان هذه المرحلة مهمة اطفاء الحرائق ، ولا سيما تلك التي كانت تنشب في اثناء القصف(٦) . وبالنظر إلى عدم كفاءة جهاز الاطفاء الموجود للقيام بهذه المهمة(٧). قامت بلدية البصرة باستيراد العديد من سيارات الاطفاء علاوة على المضخات

---

(1) Reports of Administration … , OP . Cit ., P 8 ..

(٢) بركات ، المصدر السابق ، ص ص ١٩٠-١٩١ .

(٣) المنصور ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤-٥٥ .

(٤) ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٥ .

(٥). Reports of Administration … , OP . Cit . P 398 ، فيما بلغت تكاليف إنشاء هذا المستشفى بـ ٣ آلاف روبية ،كما قامت سلطات الاحتلال بتزويد المستشفى المذكور بالادوية ، فضلاً عن تزويده بمحارق عديدة يتم فيها التخلص من الاوساخ والقاذورات ، جريدة العرب ، العدد ٩٢ ، ١٦ تشرين الثاني ؛ العد ١٠٥ ، ٨ كانون الاول ١٩١٧ .

(٦) عادل البكري ، تاريخ الكوت ، مطبعة العاني (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ١٠٤ .

(٧) اسندت إلى الجندرمة والضابطة والعساكر النظامية مهمة اخماد الحرائق في العهد العثماني ، بركات ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .

والسلالم العالية[١] . في حين واجهت بلدية بغداد في بادئ الامر صعوبة في الحصول على مثل هذه المكائن ما قادها في النهاية إلى شرائها من بلدية البصرة ، وفي السنة الاولى من الاحتلال قامت البلدية ذاتها بشراء (١٢) ماكنة اطفاء تشتغل بالبخار تم توزيعها على ثلاثة مواقع في بغداد وهي (المركز ، الجادة العظمى (شارع الرشيد حاليا) ، والكرخ[٢] ، وامام إفتقاد غالبية الولايات لمثل هذه الخدمات فقد حذت عدد من بلديات الاقضية حذو بلدية بغداد عندما استوردت بعض المكائن الخاصة باطفاء الحرائق التي تم دفع نفقاتها من خارج ميزانية البلديات[٣] .

اما بالنسبة للملاك العامل في هذه الدوائر فقد تألفت دائرة إطفاء بغداد في السنة الاولى من الاحتلال من مدير انكليزي وملاك وظيفي مؤلف من (٣٢) شخص بين عامل اطفاء وجندي[٤] . كما جرى انتقاء بعض العناصر العراقية المدربة لادارة مكائن الاطفاء ، حيث خصصت لهم الاجور المغرية[٥] .

شهد العرق ابان هذه المرحلة ظروفاً اقتصادية للغاية تمثلت بقلة الإنتاج الزراعي ، وغلاء الأسعار ، كما ظهرت المجاعة في المناطق التي ما تزال تحت السيطرة العثمانية ، عانى فيها المجتمع الامرين بعد ان دمرت القطعات العسكرية للجيش البريطاني والعثماني الحقول والاراضي الزراعية ، التي شكلت المصدر الرئيس لمعيشة السكان ،وقد استمرت هذه الحالة حتى نهاية سنة ١٩١٨[٦] .

وكمحاولة من البلدية للتخفيف من حدة هذه الاوضاع الاقتصادية المتدهورة ، بادرت طائفة من البلديات إلى اتخاذ سلسلة من الاجراءات للحد من احتكار المواد الغذائية ، فعلى سبيل المثال قامت بلدية بغداد بشراء كميات كبيرة من المواد الغذائية ، خاصة الحبوب كالحنطة والشعير وتوزيعها على المواطنين ، ولا سيما الفقراء والمحتاجين[٧] . فضلا عن قيامها بتحديد كميات الدقيق الموزع على الخبازين وبمعدل طن واحد لكل ٣٠ خبازا[٨] . وفي الوقت نفسه

---

(١) د.ك.و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2157 ، و ١٦ ، ص١٨ .

(٢) الزبيدي ، بغداد من سنة ١٩٠٠ وحتى سنة ١٩٣٤ ... ، ص ١٣٠ .

(٣) د.ك.و ، وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2/57 و ٣٦ ص١٨ .

(٤) توزعت رواتب العاملين في هذه الدوائر على الشكل التالي :

٦٥ روبية راتب (جاويش الاطفائية) ، ٤٥ روبية لجندي الاطفائية ، ١٥٠ روبية لمشغل الة الاطفائية ، انظر جريدة العرب ، العدد ١١٧ ، ١٥ كانون الاول ١٩١٧ .

(٥) د.ك.و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملفة 2157 ، و ١٦ ، ص١٨ .

(٦) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، (وبغداد ، ١٩٢٥) ، ص١٣٨ .

(٧) جريدة العرب ، العدد ٩٧ ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ؛ العدد ٢٥ ، ٢٥ كانون الاول ١٩١٧ .

(٨) المصدر نفسه ، العدد ١١٤ ، ١٢ كانون الاول ١٩١٧ .

قامت البلدية ذاتها بتوزيع المواد الغذائية والاطعمة المطبوخة على المواطنين مجانا ، حيث اشرف رئيس البلدية بنفسه على عملية التوزيع ، التي كانت تجري في (١٠) علاوٍ (مخازن) موزعة على انحاء بغداد ، ست منها محلة الشورجة ، وواحدة في العوينة ، وواحدة في الصدرية ، واخرى في الكرخ[١] . وفضلاً عن ذلك كان للبلديات اسهاماتها الواضحة في تحديد اسعار بعض المواد الغذائية واللحوم والوقود[٢] .

اما في الميدان الصحي فقد شهد العراق ابان هذه المرحلة انتشار عدد من الامراض الوبائية نخص منها بالذكر الجدري والكوليرا والتيفوئيد ، ولمعالجة ذلك قامت العديد من البلديات ، خاصة بلدية الاقضية الحدودية ومنها بلدية خانقين باقامة ما عرف بـ (بيوت الفقراء) ، لايواء الاعداد الكبيرة من الجياع والمشردين ، فضلاً عن تقديم الخدمات الصحية ، حيث تجاوز مجموع الداخلين إلى هذا البيت الالف شخص[٣] . كما قامت طائفة من البلديات ومنها على سبيل المثال لا الحصر بلديتا كركوك[٤] ، وخانقين[٥] وتحديدا سنة ١٩١٨ بافتتاح دور للاطفال الايتام الايتام الذين فقدوا اهاليهم ابان هذه المرحلة .

تقويم لواقع الخدمات البلدية ابان الاحتلال البريطاني للعراق

من خلال استعراض واقع الخدمات البلدية خلال مرحلة الاحتلال البريطاني يمكننا ملاحظة عدد من السلبيات في الاجهزة البلدية والخدمات التي اضطلعت بتقديمها ابان هذه المرحلة ، ياتي في مقدمتها ان سلطات الاحتلال ومنذ اليوم الاول لاحتلالها البصرة وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، انتهجت سياسة قائمة على توظيف هذا الجهاز لخدمة مصالحها العليا ، شانها في ذلك شان كل محتل ، من دون ان تولي اي اهمية لمصالح السكان الاصليين . وحتى ان وجد بعض من تلك الخدمات فان هناك تميزاً واضحاً في طبيعة الخدمات المقدمة إلى السكان من جهة ، والقوات البريطانية ومراتبها العسكرية من جهة اخرى، حيث تبلور هذا التميز – كما سبقت الاشارة في جوانب متعددة ، منها قضية تجهيز الماء النقي ، اذ وفرت السلطات

---

(١) المصدر نفسه ، العدد ٩٧ ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ؛ العدد ١٢٥ ، ٢٥ كانون الاول ١٩١٧ ، العدد ١٣٠ ، ٣١ كانون الاول ١٩١٧

(٢) جريدة الاوقاف البصرية ، العدد ٨ ، ٢٠ اذار ١٩١٨ ؛ العدد ٥٢ ، ١١ ايار ١٩١٨ ؛ جريدة العرب ، العدد ١٢٩ ، ٢٩ كانون الاول ١٩١٧ .

(3) Reports of Administration … , OP . Cit . , P. 42 .

(4) I .O .R .L /P + S/ 10/620 , Progress report , No .3 ., For Period ending December 29 th ,1918 , P. 555 .

(5) Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 42 .

المحتلة وتحديدا في منطقة البصرة المياه النقية إلى البيوت المشغولة من افرادها عن طريق توزيعها بعربات صغيرة ، ثم أفادت هذه المناطق من مشروع إسالة المياه الذي تم إنشاؤه سنة ١٩١٦ يقابلها في الوقت نفسه قلة بل وندرة مثل هذه خدمات للأهالي(١) .

لذلك اضطر السكان إلى الاعتماد على مصادر المياه الطبيعية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر بقي سكان البصرة يحصلون على حاجتهم من المياه من شط العرب أو نهر الخندق أو العشار ، أو كانوا يشترونه من رجال متخصصين غالبا ما كانوا من الايرانيين(٢) . وما ينطبق على التمييز في خدمات اسالة المياه ينطبق على الخدمات الاخرى ، كخدمات التنظيف والانارة والخدمات الصحية وغيرها من الخدمات الاخرى .

فضلاً عن ذلك كان هناك تفاوت في الخدمات البلدية داخل المدينة الواحدة فعلى سبيل المثال تفاوتت خدمات الانارة بين منطقتي البصرة والعشار ، فقد امتازت الانارة في المنطقة الاولى بكونها جيدة ، كما وصفت المصابيح المستخدمة في الاضاءة بأنها من النوع الجيد ، في حين اتسمت الاضاءة في شوارع العشار بكونها خافتة نتيجة لاستخدام عدد قليل من المصابيح ذات النوعية الرديئة(٣) .

وفي الوقت الذي عانت فيه بعض المناطق من عدم استمرارية الخدمات التي يقدمها الجهاز البلدي ، فعلى سبيل المثال تحددت الاضاءة الكهربائية في شارع الجسر – في البصرة – بساعات قليلة من الليل(٤) .

لم يقف الامر عند هذا الحد بل وصل الامر إلى انعدام الخدمات التي يقدمها الجهاز البلدي ، حيث تجلى ذلك باوسع صورة في البلديات الفرعية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر بلديتا ديلتاوة (الخالص) ، ودلي عباس (المنصورية)(٥) .

واعتمدت سلطات الاحتلال في تغطية تكاليف الخدمات البلدية على الايرادات البلدية (الضرائب البلدية) ، التي طالت مختلف جوانب الحياة ونشاطاتها (٦) . حيث أوكلت إلى الحاكم

---

(١) حمدان ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٢) جهاد صالح العمر ، (البصرة بين الحربين العالميتين ١٩١٨–١٩٣٩) ، موسوعة البصرة الحضارية ، الموسوعة التاريخية ،(البصرة، ١٩٨٩) ص ٣٨٨ .

(3) Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 249 .

(٤) جامعة البصرة ، مركز وثائق البصرة ، عنوان الملفة ، ، رقم الملفة 32053/021 إنارة طرق و ٥٢ والمؤرخة في ١٦ حزيران ١٩١٦ .

(5) Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 23 .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول تلك الضرائب واقيامها . انظر الجدول ذو الرقم (١٠) .

العسكري مهمة الاشراف على جمع ايرادات الضرائب البلدية[١] . ومع استيفاء وجباية مبالغ كبيرة من الضرائب والرسوم نلاحظ في الوقت نفسه ضالة الخدمات المقدمة .فعلى سبيل المثال استوفت بلدية البصرة وللاعوام (١٩١٧-١٩١٨) ما مقداره (٣٨.١٠٠) روبية رسوما للمصابيح و (٣٣.٠٠٠) روبية رسوما للانارة ، ثم انفاق (٣.٨٠٠٠) روبية فقط لتغطية نفقات الانارة[٢] .

ناهيك عن الشدة التي استخدمتها قوات الاحتلال في جباية هذه الضرائب ، والتي طالت حتى المقاطعات الفقيرة ، إذ كان على سكان مقاطعة دلي عباس (المنصورية) تقديم الضرائب المتعلقة بخدمات الشؤون البلدية على الرغم من انعدام تلك الخدمات ، وضعف الإمكانات المادية لسكان هذه المقاطعة[٣] .

كما عانى قطاع البلدية ابان هذه المرحلة من ضالة التخصيصات المالية الحكومية للبلدية ، وانعدامها احيانا أخرى ، فعلى سبيل المثال قدرت دائرة الحاكم العسكري في البصرة الكلفة الاجمالية لاعادة بناء الطرق في البصرة بـ (٣٠٠.٠٠٠) روبية ، في حين لم توافق حكومة الهند إلا على صرف مبلغ(٣٠.٠٠٠) روبية لاصلاح الطرق الرئيسية ، وأمام عدم

الجدول ذو الرقم (١٠)

يوضح مجموع الضرائب البلدية لبلدية البصرة بـ (الك) [٤]

للاعوام ١٩١٧ – ١٩١٨ ، ١٩١٨-١٩١٩

ت	الضريبة	المبلغ بـ (الروبية) لسنة (١٩١٧-١٩١٨)	المبلغ بـ (الروبية) لسنة (١٩١٨-١٩١٩)
١.	السكن	٧٣.٢٥٠	١.٠١٠.٠٠٠
٢.	المصابيح	٣٨.٠٠٠	٣٩.٠٠٠
٣.	ترخيص الصيادين	٢١.٠٠٠	٢٢.٠٠٠
٤.	دور السينما	١٣.٣٥٠	١٤.٠٠٠

(١) كانت هذه الضرائب في زيادة مستمرة ، فعلى سبيل المثال ، ارتفعت الضرائب في منطقة الناصرية من ٣٣.٥٥٧ روبية سنة ١٩١٥-١٩١٦ ، إلى ٥٢.٤٦٤ روبية سنة ١٩١٦-١٩١٧ ، وهكذا بالنسبة إلى بقية المناطق الاخرى ، العطية ، المصدر السابق ، ص٣١٨ .

(2) P. R. O, F. O 371 / 707739 , Basrah Municipality ., Summary for 1917-1918 , 29 رقم الوثيقة P. 374

(3) Reports of Administration … , OP . Cit ., P. 23 .

(4) P.R.O,F . O. 371 , 3407 , 107739 , Basrah Municipality , Summary for 1917-1918 and 1918-1919 ,
,
رقم الوثيقة29 , P. 374.

٥.	تراخيص المركبات	٩٠٠٠	١٠.٠٠٠
٦.	املاك البلدية	١٣.٤٠	١٣.٥٠٠
٧.	المجاري الصحية	٢٠.٠٠٠	٥٠.٠٠٠
٨.	ضرائب اضافية على المساكن	٦.٢٥٠	١٥.٠٠٠
٩.	غرامات	١٥.٠٠٠	١٠.٠٠٠
١٠.	عوائد الايرادات	٥.٧٠٠	١٠.٠٠٠
١١.	متنوعة	١٣.٠٠٠	١٠.٠٠٠
١٢.	فائدة مصرفية على الودائع الثابتة	١.٥٠٠	٣.٠٠٠
	المجموع الكلي	**٢٧٢.٥٥٠**	**٣٤٩.٥٠٠**

كفاية هذا المبلغ لاصلاح الطرق، فقد تم تخصيصه لأغراض أخرى كتقوية مجاري المياه القذرة وغيرها[1] . وكان لهذا العامل تأثيره السلبي في واقع الخدمات البلدية المقدمة وعلى وجه الخصوص البلديات الفرعية مثل بلديات علي الغربي ،وقلعة صالح ، وبعقوبة ، التي كانت الخدمات البلدية فيها محدودة جدا ان لم نقل معدومة[2] . علما بان البلديات ، حققت في حالات عديدة فائضاً مالياً [3] . ولكن سلطات الاحتلال لم تستغل الفائض لخدمة الجهاز البلدي ، وبالتالي يمكن ملاحظة الكسب المادي الذي حققته سلطات الاحتلال[4] .

من خلال ما تقدم ، وبعد هذا الاستعراض لواقع الخدمات البلدية ، ابان مرحلة الاحتلال البريطاني ، يمكن القول ان الهدف الرئيس من هذا الجهاز الخدمي هو خدمة المصالح

---

(١) بركات ، المصدر السابق ، ص٢٣٦ .

(٢) حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، ص١٠٥ ، ص١٩٧ .

(٣) انظر الجدولين رقم (١١) و (١٢) .

(٤) على العكس من ذلك عانت العديد من البلديات من العجز المالي فعلى سبيل المثال لا الحصر ، وصل العجز المالي لبلدية خانقين سنة ١٩١٨ إلى (٢٠٠٠) روبية شهريا انظر :
Reports of Administration … , OP ., Cit ., P. 23 .

البريطانية ، وتأمين افضل السبل لديمومة الوجود البريطاني في البلاد ، حتى ولو كان ذلك على حساب الغالبية العظمى من السكان .

الجدول ذو الرقم (١١)

إيرادات بلديات لواء البصرة ونفقاتها بـ (الك) لسنة ١٩١٧–١٩١٨[1] .

اسم البلدية	الايرادات	النفقات
بلدية البصرة	٢٧٢.٥٥٠	١.٨٩٠.٠٤٠
بلدية العشار	٢٨٥.٤٢٠	١٢٠.٦٥٠
بلدية العمارة	١١٢.٤٥٠	٥٦.٦٠٠
بلدية الناصرية	٦٥.٠٠	٣٢.٢٥٠
بلديات ثانوية	٢٩.١٠٠	٢١.٤٠٠
المجموع	**٧٦٥.٣٢٠**	**٤١٩.٩٤٠**

(1) Ibid رقم الوثيقة , 30 , P . 37 .

الجدول ذو الرقم (١٢)

إيرادات الدوائر للبلدية والتابعة لبلدية الكوت ونفقاتها بـ (الك)

للاعوام ١٩١٧-١٩١٨[١] .

اسم البلدية	الايرادات	النفقات
الكوت	٢٠.٠٠٠	١٩.٧١٠
الحي	١٤.٢٩٥	١٧.١٣٥
بلدية البغيلة (العزيزية)	١١.٢٤٤	٣.٩١١
الصويرة	٥.٥٠٠	٤.٥٠٠
سلمان باك	١.٢٦٠	١.٢٢٥
جصات	٢.١٧٢	٢.١٦٠
بدرة	٨.١٢٦	٧.٤٥١
زرباطية	١.٤٥٢	١.٤٤٠
المجموع	٦٤.٠٤٩	٥٧.٥٣٢

(1) Ibid رقم الوثيقة, 30 , P . 37 .

الفصل الثالث:

خدمات البريد والبرق

المبحث الأول:

الخدمات البريدية

المبحث الثاني:

موقف الدولة العثمانية من مكاتب البريد البريطانية

المبحث الثالث:

الخدمات البرقية

المبحث الرابع :

تقويم الخدمات البريدية والبرقية في العهد العثماني

المبحث الخامس:

الخدمات البريدية والبرقية إبان الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨

الفصل الثالث

خدمات البرق والبريد

المبحث الاول

الخدمات البريدية :

لم تظهر في العراق آية مؤسسة بريدية عثمانية منتظمة حتى العقد السادس من القرن التاسع عشر ، وقبل هذا التاريخ كان نقل البريد يتم بطرائق عديدة منها بوساطة المسافرين الذين كانوا ينزلون إلى خانات المدن فيلتقي بهم الناس الذين يريدون ارسال رسائلهم ومكتباتهم(١) . وبريد السعاة المعروفين (بالتتارية) الذي يقوم بنقل البريد إرسال بين بغداد واستانبول ، وكان يستغرق مدة تتراوح بين ١٢-١٣يوماً مؤمناً خدمة بريدية لـ ٤٢ مدينة بين بغداد واستانبول(٢) ، وكان هناك خطاً بريدي أخر اطلق عليه بريد الخيل يبدأ من بغداد إلى الموصل – ماردين – ديار بكر – سيواس – كينارجي – ازمير ثم استانبول(٣) ، وبريد الهجن (الجمال) إلى حلب الذي يمر بمدن الدليم (الرمادي) ، وعنه ، ودير الزور قاطعاً الرحلة بـ (١٥)يوماً(٤) .

وتكفلت شركة الهند الشرقية – الانكليزية بنقل البريد الخاص بها باستخدام طريق بصرة – حلب الصحراوي(٥) . اذ عد هذا الطريق من اقدم الطريق واكثرها نشاطاً ، وكانت الرسائل تحمل من بومباي إلى البصرة بسفن شركة الهند الشرقية الانكليزية واحياناً بسفن عربية وهندية وفي البصرة تسلم الرسائل إلى السعاة (التتار) وهم عادة الفرسان الذين يحملونها من مركز محطة الزبير عبر الصحراء إلى حلب ثم استانبول ومن هناك إلى فينا ولندن(٦) ، وقد اطلق على هذا البريد (بريد الصحراء Desert Mail) حيث كانت عملية نقل الرسائل عبر هذا الطريق من بين

---

(١) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٣١ .

(٢) سعاد هادي العمري ، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة ، مطبعة المعرفة، (بغداد ١٩٥٤) ص٤٥ .

(٣) سعدي علي غالب ، (الخدمات العامة في الموصل) ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد ٥ ، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل ،١٩٩٢) ص٢٢ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٤٥ ، ٦ شعبان ١٣٢٥هـ /١٩٠٧ م .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول الدور الذي اضطلع به هذا الطريق في مجال النقل البريدي انظر فلاح عبد الحسين و مصطفى عباس جعفر، اطريق بصرة حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد(٥٨)، نيسان، ١٩٨٩، ص٥٥ .

(٦) علي حمزة سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١-١٩٤٥ ، "دراسة تاريخية" ، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد ، ١٩٩٠) ، ص٩ .

المهام الرئيسية للمقيم البريطاني في البصرة الذي حرص على اقامة علاقات ودية مع رؤساء العشائر للحيلولة دون تعرض البريد عبر هذا الطريق لهجمات هذه العشائر[1] .

فيما تولت بواخر شركة لنج[2] بموجب الاتفاقية التي تم التوقيع عليها مع الحكومة العثمانية سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م نقل البريد الذي يأتي من الهند إلى البصرة وبغداد ومن هاتين المدينتين إلى اوربا[3] .

عزت العديد من المصادر سبب عدم اهتمام السلطة العثمانية بانشاء مكاتب رسمية عثمانية إلى افادتها من خدمات البريد التي انشأتها المقيمة البريطانية في العراق[4] ففي سنة ١٢٨٥ هـ/١٨٦٨ أفتتحت بريطانيا مكتبين بريدين الاول في البصرة والثاني في بغداد[5] اما الذي الذي سهل افتتاح هذه المكاتب فيعود الى عدم وجد مكاتب عامة للبريد العثماني ، وعدم وجود معارضة سياسية من جانب العثمانيين[6] . وكثيراً ما كانت المراسلات العامة لبعض دوائر الحكومة التركية وموظفيها تحمل مجاناً بوساطة البريد البريطاني بن بغداد والبصرة وحتى بومباي بشرط ان يختم الغلاف الرسمي بختم الدائرة المرسلة والا يحتوي على خطابات خاصة ، في حين كانت طوابع البريد تباع على ظهر سفن شركة لنج ، فيما جرى انشاء عدد من الوكالات والخطوط البريدية التابعة لمكتب البريد الهندي البريطاني في العراق[7] . وكانت اجور المراسلات المراسلات البريدية في هذه المكاتب مرتفعة اذ وصلت إلى (٥٠) روبية للرزمة البريدية التي تنقل من بومباي إلى البصرة ثم ازدادت إلى (٧٥) روبية وباقتراح من القنصل

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر سير وليس بدج ، رحلات الى العراق، ترجمة فؤاد جميل، ج٢ ،مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٦٨) ، ص٤٦ ؛ فواز مطرالدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ رسالة ماجستير، كلية الاداب (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) ص١١٧.

(٢) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشركة انظر الفصل الرابع .

(٣)يوسف رزق اله غنيمة ، تجارة العراق قديماً وحديثاُ، الطبعة الاولى، مطبعة الرابطة ، (بغداد، ١٩٩٢) ، ص٨٤ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج١ ، ص٣٧٧ .

(٤) فيما اشار احد المصادر إلى قيام والي بغداد نامق باشا سنة١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م بإنشاء خدمات بريدية من من خلال سعاة من العرب ينقلون البريد مرتين في الاسبوع بين البصرة والديوانية ، ومن المحتمل ان يكون هذا البريد قد انشئ للاغراض الرسمية فقط ، ليكون وسيلة مؤقتة لنقل الاخبار بسرعة في اثناء العمليات الحربية التي حدثت في تلك السنة ، اذ كانت الديوانية مكاناً للطوابير والجيوش التي ارسلت إلى البصرة ، انظر لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢١٣٥ .

(٥) للتفاصيل ، انظر المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٥٣٢ ؛ اليوسف، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٦) سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق ... ، ص١٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ص١٨-١٩ .

البريطاني في بغداد [١] .

اما الحكومة العثمانية فلم تهتم بأمر البريد كخدمة من الخدمات الضرورية إلا في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م حينما اصدرت نظام ادارة البريد "بوسته اداره سي نظامنامة س" واردفته بنظام اخر اكثر تفصيلاً هو نظام البريد (بوسته نظامنا مه سي)[٢] ، الذي تزامن اصداره مع تولي مدحت باشا ولاية بغداد ، وفي عهده انتظمت الخدمات البريدية في الولايات العراقية ، اذ تولت السفن العثمانية أو سفن شركة لنج نقل البريد من البصرة إلى بغداد والمدن الواقعة على شاطئ دجلة ، اما البريد البحري فتولت نقله سفن البريد الانكليزية ، كما نقل البريد براً بواسطة الجمال إلى نجد ، واستخدم المشحوف في نقل البريد الداخلي خاصة في منطقة المنتفك[٣] .

وسرعان ما انتشرت المكاتب البريدية في معظم المدن العثمانية ومنها مدن العراق حيث كانت هذه المكاتب ومنذ سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م مرتبطة بالادارة العامة للبرق والبريد التابعة لوزارة الداخلية[٤] . ومن ثم ارتبطت كل دوائر البريد والبرق المنتشرة في الولايات العراقية الأخرى بالإدارة المركزية لبريد والبرق في بغداد[٥] . فكانت هناك ادارة موحدة للخدمات البرقية والبريدية ، ، اطلق عليها في سبعينات القرن التاسع عشر (مفتشية البرق والبريد) ، واضطلع بمهمة ادارتها ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م (مفتش) تبعتها دائرة مركز الولاية التي كان يقوم بادارة شؤونها (مدير) ،أسندت اليه في الوقت نفسه وظيفة (معاون المفتش) ، وضمت الادارة عشرين مفتشاً ، وللمفتشية دوائر صغيرة للبرق في مدن : بعقوبة وخانقين والحلة وشهربان والديوانية ، وهي من المدن التي كان قد وصلها الخط البرقي انذاك[٦] . ثم ما لبث ان تغير اسم هذه الدائرة في اواخر سبعينات القرن التاسع عشر حيث صارت تعرف (بوسته وتلغرا ف إدارة سي) رئاسة مديرية البرق والبريد يديرها رئيس مديرين (باش مدير) ، يعمل تحت امرته مفتشان تنفيذيان أحدهما للبريد والأخر للبرق ، وعدد اخر من الموظفين[٧] ومع التوسع في نشر دوائر البرق والبريد في ولاية بغداد ، اصبحت هذه الادارة تتألف في السنوات الاولى من القرن العشرين من :

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣١٠ .

(٢) الدستور ، المصدر السابق ، م١ ، ص ص٣٦٨-٣٨٠ .

(٣) ميرزا حسن خان ،دراسة في الاحوال الاجتكاعية والسياسية ولاقتصادية ، ترجمه بتصرف محمد وصفي ابو مغلي، مركز دراسات الخليج العربي، (البصرة ، ١٩٨٠) ، ص٩٢ .

(٤) ابراهيم خليل العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية في العراق ابان العهد العثماني ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد(٢١)، ط١ ، ايلول ، ٢٠٠٠ ، ص١٧٣ .

(5)Cuinet, OP. Cit., P. 10.

(٦) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص ص٣٩٦-٣٩٧ .

(٧) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص١٠٥٦ .

- دائرة مدير البرق والبريد ، التي يشرف عليها باش مدير (رئيس المديرين) ، وتتولى الاشراف على دوائر البرق والبريد في ولايات العراق الثلاث بغداد ، البصرة ، الموصل(١).
- دائرة التفتيش وفيها مفتشان واحد للموصل والاخر للبصرة .
- قلم باش مدير (رئيس المديرين) ، ويديره رئيس كتاب (باش كاتب) ، وفيه كاتبان للتحريرات والمحاسبة وعدد من الموظفين .
- مديرية برق مركز الولاية ، ويقوم بادارتها (مدير) ، ويعمل فيها عدد من الموظفين .
- مديرية للبريد والبرق في مركزي سنجق كربلاء والديوانية ، وجميع اقضية الولاية تقريباً (٢) . وفي عدد من النواحي(٣) .

وأمام افتقار الدولة العثمانية إلى الملاكات المؤهلة ، استعانت الدولة في بداية الامر بالموظفين الاجانب ، ثم اقدمت الدولة العثمانية على افتتاح مدارس خاصة لتدريب الافراد العثمانيين(٤) . ومنها مكتب ملازمية موظفي البرق والبريد(٥) ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م وتم الاستغناء عن الموظفين الاجانب العاملين في الدوائر الحكومية(٦) .

اما بالنسبة لاجور نقل البريد فقد حددت بقرش واحد عن كل رسالة لا يتجاوز وزنها ١٥غم ، فيما اضيف لها قرش واحد عن كل (١٥) غرام زائد(٧) .

شهد العراق في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر توسعاً في الخدمات البريدية حتى شملت في مطلع القرن المنصرم ، معظم المدن والاقضية من خلال تأسيس دوائر وشعب

---

(١) العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية ... ، ص١٧٣ .

(٢) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(4)Shaw, OP. Cit., P. 228-229.

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٩٤ ، ٢٩ محرم سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤ م ؛ العدد ٢٥٢٠ ، ٤ شعبان سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤ م .

(6)Shaw, Op. Cit., P. 229.

(7)Cuinet, OP. Cit., P10.

بريدية عديدة ، تخصص قسم منها بنقل الامانات ، وقسم اخر بنقل الرسائل ، ومنها الخط البريدي الذي يمتد من البصرة إلى القرنة ثم الكوت والعمارة وبغداد ، اما الخط الثاني فيمتد بين البصرة والمنتفك ومنها إلى نجد واستخدام لنقل الرسائل فقط(١).

وفي اطار جهود الحكومة العثمانية لتطوير خدماتها البريدية ، قررت شركة عمان العثماني سنة١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥م ، التي كانت تعمل في النقل النهري في دجلة بين بغداد والبصرة ، استخدام اثنين من بواخرها وهما (الموصل) و (مسكنة) لنقل البريد حيث جرى تحديد ايام الاربعاء من كل اسبوع موعد لمغادرة باخرة البريد لبغداد ، ويوم الاثنين موعداً لعودتها من البصرة ، إلا ان هذه الخدمات لم يكتب لها النجاح ولاسيما بعد تعطل الباخرة الاولى في اول رحلة لها إلى البصرة(٢) .

وفي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م طرح مشروع فرنسي لنقل البريد بالسيارات بين بغداد وحلب وتطلب تنفيذ هذا المشروع اجراء تحسينات كبيرة على هذا الطريق(٣) ، إضافة الى يقتضي صرف موارد مالية وخبرات فنية لم يكن بامكان الدولة العثمانية توفيرها انذاك ، فكان ذلك احد الاسباب الرئيسية لعدم تنفيذ المشروع المذكور .

قدم عبد الكريم العلاف وصفاً لاوضاع البريد في بغداد اواخر العهد العثماني قائلاً "كان صاحب البريد يدخل من باب المعظم ممتطياً جواده وبيده سوط يلوح به في الهواء ، وامامه عدد من الخيل تحمل البريد راكضة وهو ينادي بصوت عالي (بوسته كالدي) أي جاء البريد ، فيسرع الناس بالذهاب إلى دائرة البريد الواقعة في محلة الميدان فيجتمعون في ساحتها ، وهناك يقف الموظف المختص فيقرأ على الناس الاسماء المكتوبة على الرسائل ويسلمها إلى من كان حاضراً منهم ، اما الذين لم يستطيعوا الحضور ، فيذهب اليهم الموزع ويأخذ منهم عشر بارات عن كل رسالة بمثابة بخشيش"(٤) .

---

(١) ب.و.س. سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م ص١١٣ ؛ جريدة الزوراء ، العدد ١٩٠٣ ، ٣ محرم سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ١٢٣٣ ، ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤ م ؛ القهواتي المصدر السابق ص ص ٣١٣-٣١٤.

(3) I.O. R. L/ P+S/ 10 / 212, Summary of Events in Turkish, Iraq During February and March 1914, No. 2097, P. 3.

(٤) العلاف ، بغداد القديمة ، ص ص١٥٨-١٥٩ .

اما بالنسبة للخدمات الهاتفية فقد دخلت العراق في اواخر العهد العثماني فعلى سبيل المثال ، ارتبطت بغداد في اوائل سنة١٣٣١هـ/ ١٩١٢م عن طريق (الهاتف) بقصبة الكاظمية[١]
.

ثم مدت خطوط الهاتف لخمسة مواقع اخرى لامور تخص الامن والاستقرار داخل المدينة[٢] .

المبحث الثاني :

موقف الدولة العثمانية من مكاتب البريد البريطانية :

بقيت مكاتب البريد تمارس اعمالها في العراق من غير اعتراض رسمي عليها حتى سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م[٣] عندما اعلنت الدولة العثمانية عن عزمها الغاء جميع مكاتب البريد الاجنبية ، وفي هذا الصدد يقول لونكريك "منذ هذا الحين فصاعداً كان موقف الدولة العثمانية ازاء دوائر البريد البريطانية معروفاً بالوقائع الدبلوماسية في استانبول ، وبحملة محلية لايقاف اعمالها في العراق ، وقد فتحت دوائر البريد العثمانية فظهرت للوجود مصلحة غير كاملة فكانت بالرغم من عدم الاعتماد عليها ومن سوء الاستعمال فيها غير كافية بوجه عام لحاجات العراق اليسيرة وكانت زوارق البريد وصناديقه في الشوارع ، وموزعو الدوائر البريدية الهندية ، عرضة للعراقيل بين حين وأخر "[٤] .

واتخذ هذا الاعتراض صوراً واشكالاً شتى ، فعلى سبيل المثال طالبت الحكومة العثمانية على لسان وزير خارجيتها الغاء مكاتب البريد البريطانية في كل من بغداد والبصرة ذلك ان تأسيس مثل هذه المراكز يشكل اهانة للسيادة العثمانية ، لذلك لابد من الغائها ولاسيما ان بريطانيا لم تحصل من الباب العالي على امر يخولها القيام بنقل البريد في الأراضي العثمانية[٥]
.

وفي سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م قامت السلطات العثمانية في اطار اجراءاتها ضد مكاتب البريد البريطانية بإنشاء بريد بوساطة الجمال بين بغداد ودمشق ، وكان الخط يسير جنباً إلى

---

(١) مجلة لغة العرب ، المجلد(١) ، الجزء(٨) ، شباط ١٩١٢ ، ص٣٢٠ .

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ، ٢١٨ ، كانون الأول سنة ١٩١٣ .

(٣) عقد في هذه السنة مؤتمر البريد الدولي .

(٤) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٨٢ .

(٥) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .

جنب مع بريد الهجن البريطاني "Camel Post"[١] وينقل الخطابات وباسعار تقل عن اسعار اتحاد البريد العالمي[٢] .

كما طالب والي بغداد تقي الدين باشا (١٨٨١– ١٨٨٧ م) بالغاء مكتب بريد بغداد وصندوق الرسائل الخاصة بمكتب البريد الهندي في البصرة ، وامر بتوزيع اعلان حظر في استعمال آية خدمة اجنبية ، مع تأكيد استعمال طوابع البريد العثمانية[٣] . وفي الوقت نفسه أوعزت الحكومة العثمانية لموظفيها بعرقلة اعمال مكاتب البريد البريطانية ومضايفتها فكانت صناديق تلك الرسائل عرضة للبحث[٤] .

وفي السنوات (١٨٨٥–١٨٨٧) قامت الدولة العثمانية بمحاولات جديدة لإلغاء مكاتب البريد البريطانية في العراق إلا ان هذه المحاولات لم تسفر عن ايقاف نشاطات البريد البريطاني التي استمرت في عملها حتى اعلان الحرب العالمية الاولى[٥] . حيث استطاع البريد البريطاني ان يكسب ثقة التجار الذين ظلوا يفضلون التعامل مع البريد البريطاني لانتظام مواعيده ومثال على انتظام البريد البريطاني بين بغداد وبومباي كانت احدى بواخر شركة لنج تغادر وهي تحمل البريد في الساعة السادسة والنصف صباحاً من كل اسبوع وتصل البصرة في الساعة السادسة من صباح اليوم الخامس من رحلتها لتجد امامها باخرة شركة الهند الشرقية البريطانية وهي على استعداد لمغادرة الميناء في اليوم الثاني إلى بومباي وفي حالة تأخرها عن موعدها في نقل البريد كان عليها ان تتحمل دفع غرامة تأخيرية ، ونظراً للاقبال المتزايد من لدن التجار على مكاتب البريد البريطانية فان حكومة الهند استمرت في تجديد عقدها المبرم مع شركة لنج بشأن الخدمات البريدية حتى الحرب العالمية الاولى[٦].

---

(١) تم تخصيصه لنقل البريد البريطاني ، بين بغداد ودمشق ، ويرقى تاريخ انشائه ، إلى اربعينات القرن التاسع عشر ، الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني ... ، ص١١٧ .

(٢) سلمان ، تطور الخدمات البريدية ، ص٢٣ .

(٣) العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

(٤) بشير ابراهيم الطيف ، خدمات البريد في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، قسم الجغرافية ، (جامعة بغداد ، ١٩٩١) ، ص٢١ .

(٥) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٥ .

(٦) للتفاصيل انظر القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص٣١٤–٣١٥ ؛ الدليمي ،تغلغل النفوذ البريطاني... البريطاني... ، ص ص١٢٠–١٢٢ .

المبحث الثالث :

الاتصالات البرقية (التلغراف)

تعود بداية الاتصالات البرقية في الدولة إلى العقد السادس من القرن التاسع عشر ، ولم يكن ادخالها نابعاً من مجرد الرغبة في استخدام وسائل الاتصالات الحديثة التي عرفتها اوربا آنذاك ، وجعلها متاحة لاغراض الخدمة ، بل جاء استعمالها نتيجة الحاجة اليه ابان حرب القرم[١] . حيث قام البريطانيون والفرنسيون ، حلفاء الدولة في حربها تلك مع روسيا، بمد اول خط برقي لايصال اخبار المعارك إلى العاصمة . وبالفعل وصلت اول رسالة برقية من ادرنه إلى استانبول في ايلول ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م ، وفضلاً عن ذلك ادركت الدولة العثمانية ضرورة ربط الولايات بالعاصمة استانبول من خلال التلغراف ، لان ذلك يؤدي إلى دعم الادارة المحلية ، وتحسين كفاءتها ، وتأمين الامن والاستقرار فيها[٢] :

من جهة اخرى ، وبعد الثورة التي اندلعت ضد الاستعمار البريطاني في الهند سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م شعرت بريطانيا بأهمية إقامة خطوط اتصالات برقية سريعة مع مستعمراتها في الهند عبر اسيا الصغرى والعراق وفارس والخليج العربي[٣] .

كما هدفت من وراء ذلك ايضاً تعزيز موقعها في المنافسة الاقتصادية والسياسية مع القوى الاوربية الاخرى في المنطقة ولاسيما بعد المباشرة بتنفيذ قناة السويس من قبل المهندسين الفرنسيين ، وتزايد التغلغل الروسي في بلاد فارس وحصول الروس على امتيازات تجارية فيها وخشية بريطانيا من امتداد ذلك النفوذ إلى الخليج العربي[٤] .

صدر نظام البرق والتلغراف في الدولة العثمانية سنة ١٢٧٦ه/١٨٥٩م ، وكان مؤلفاً من ١٢ فصلاً و ٧٩ مادة وخاتمة ، تم من خلالها إعطاء الأولوية لمراسلات الدولة ، ثم لشؤون القناصل الاجنبية ثم التجار كما اكد ضرورة المحافظة على سرية الاتصالات ، وصيانة الاسلاك والمحافظة عليها[٥] .

نجحت الدبلوماسية البريطانية سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م في اقناع الدولة العثمانية بمد الخطوط البرقية عبر اراضيها ، وبالفعل فقد جرى افتتاح الخط البرقي الممتد بين بغداد واستانبول

---

(١) نشبت الحرب بين الدولتين العثمانية وروسيا ثم انضمت بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية ، حيث الحقت الهزيمة بروسيا في النهاية .

(٢) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٣ .

(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج٦ ، ص ص٣٤٤٦-٣٤٤٧ .

(٤) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣١٦ .

(٥) عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤ ، دار المعارف بمصر ، (القاهرة ، ١٩٦٩) ، ص٢٨٦ .

فـي حزيـران سـنة ١٢٧٨هــ/١٨٦١م[١] . ثـم توصـلت الحكومتـان العثمانيـة البريطانيـة سـنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م إلى اتفاق تعهدت الحكومة البريطانية بموجبه مد خطين للبرق فوق الاراضي العراقية وعلى نفقتها الخاصة الخط الاول بين بغداد وخانقين ومنها إلى كرمنشاه ، وطهران ثم إلى ميناء بوشهر على الخليج العربي حيث ترتبط بخطوط الاتصال البرقي مع الهند[٢] . وجرى افتتاحه سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م[٣] ، أما الخط الثاني فيمتد بين البصرة والفاو ثم فيما بعد إلى القرنة ليتفرع منها إلى فرعين يمتد الاول من القرنة إلى بغداد حيث يرتبط بخط البرق عبر كركوك واربيل ونصيبين وماردين وديار بكر ثم إلى استانبول[٤] . فيما يمتد الخط الاخر من القرنة إلى بغداد عبر مدن الفرات ماراً بسوق الشيوخ والسماوة والديوانية والحلة ومنها إلى بغداد[٥] بغداد[٥] .

وفي سنة ١٢٨١هـ/١٨٦١م تم عقد اتفاقية اخرى بين الحكومتين العثمانية والبريطانية حلت محل اتفاقية ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م وقد نصت الاتفاقية الجديدة على ان تقوم الحكومتان بانشاء الاسلاك البرقية وصيانتها على نفقة كل منها[٦] ، وبموجب هذه الاتفاقية تم انشاء مكتب برق عثماني – بريطاني مشترك عند منطقة الفاو يعمل طيلة الـ (٢٤) ساعة وكانت هناك هيئتان لادارة الاتصالات البرقية (التلغراف) احداهما انكليزية والاخرى عثمانية، وكانت الدولة العثمانية تعتمد على الموظفين الاجانب في ادارة الهيئة العثمانية[٧] ، حتى تم تأسيس مدارس لاعداد ملاك عثماني وتم الاستغناء عن الأجانب بعد سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م[٨] كما تقرر انشاء مكتب في استانبول لارسال البرقيات الهندية يديره موظفون عثمانيون حيث يتم إرسال البرقيات إلى الهند اما عن طريق الفاو أو عن طريق خانقين ، كما حددت الاتفاقية المذكورة تعريفه ارسال البرقيات ، فيما خولت الحكومة العثمانية حق تعيين ممثل لها في مكتب البرق الرئيس في الهند ،

---

(١) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٥٦ .

(٢) العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية ... ، ص١٦٧ .

(٣) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣١٦ .

(4) Great Britain, Admiralty intelligence Department A hand book of Mesopotamia Vol. 1, (Novmber.1919) P. 63.

(٥) ب.و.س. سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، ص١٤٤ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص ص١٠٣٤-١٠٣٥ .

(٦) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ص٣٤٥٢-٣٤٥٣ .

(7) Geary, Op. Cit., Vol (1), P. 85.

(8) Shaw, Op. Cit., Vol (2) , PP. 228-229.

وتعهدت الحكومة البريطانية بتعيين مبعوث يقيم في استانبول[١] . وفي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م اكتمل الخط بين الهند واوربا وارسلت بنجاح اول برقية من منطقة الاتصال النهائية بالقرب من القرنة إلى الهند[٢] . كما شهدت السنة نفسها تأسيس دائرة للبرق في بغداد [٣].

ادرك مدحت باشا بعد تسلمه مهام عمله اهمية الاتصالات البرقية في الحياة السياسية والاقتصادية ، لذلك فقد بذل جهودا حثيثة للتوسع في هذه الخدمة وجعل بغداد مقرا للخدمة البرقية التي تربطها بالعاصمة استانبول من جهة والمدن العراقية من جهة أخرى ، كما استمرت عملية مد الاسلاك البرقية بين بغداد وباقي المدن والقصبات العراقية مثل بعقوبة وكربلاء والنجف والديوانية والكوت ومندلي وبدرة وشهربان (المقدادية) والدليم وهيت وعنة[٤]. ومع حلول سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م كان مجموع خطوط البرق في ولاية بغداد فقط ١٢٤٠كلم[٥].

اما في ولاية الموصل فقد كانت هناك خطوط اتصالات برقية عديدة شملت العديد من النواحي والاقضية فقد كان هناك خطان من أربيل يمتد الأول نحو حدود فارس عبر راوندوز إلى رانية ثم قلعة دزة ، كما كانت هناك خطوط بين الموصل وسنجار ، والموصل والعمادية والموصل وعقرة[٦].

اقتصرت الخدمات البرقية في بادئ الامر على الدوائر الا ان الاهالي سرعان ما ادركوا اهميتها فصاروا يستخدمونها في رفع الشكاوى إلى الجهات العليا في استانبول[٧].

افادت الشركات التجارية والتجار العراقيون من الخدمات البرقية على نطاق واسع في المعاملات التجارية في الداخل والخارج وساهمت تلك الخدمات الى حدٍ كبير في تطوير تجارة

---

(١) ولمزيد من التفاصيل حول بنود الاتفاقية المذكورة انظر ، ارادة خارجية رقم ٩٧٦٦ ، لف١ ، الرقم العام ٥٤٨ ص ص٦-١٠ ؛ العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية ... ، ص١٧١ .

(٢) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣١٨ .

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧، ص١٥٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل ، انظر جريدة الزوراء ، العدد ١٧٨٧، ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ /١٨٩٨م؛ العدد ١٧٩٠ ٤ جمادى الأخرة سنة ١٣١٦هـ /١٨٩٨م ؛ الدجيلي ، المصدر السابق ص١٠ ؛ النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٤ ؛ ناجي وداعة ، لمحات من تاريخ النجف ، مطبعة النجف، (النجف، ١٩٧٣) ، ص٢٢٤.

(٥) س.و.ب. سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص٤٠٥.

(٦)الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية ، ص٢٥٦؛
I.O.R.L/p+s/10/212 Summary of Events in Turkish Iraq During February and March 1914.No2097.p.69.

(٧) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣، ص٢٣٥.

القطر وتوسيع وتسهيل عمليات الصفقات التجارية الداخلية منها والخارجية[١] من جهة أخرى للاتصالات البرقية دور في تدعيم السيطرة الحكومية وفي تغلغلها في المناطق النائية في العراق ، فصار في وسع الحكومة حشد القوات العسكرية وتوجيهها إلى أي منطقة بسهولة ووقت اقصر ، لهذا كانت العشائر تنظر إلى اسلاك البرق نظرة عداء وريبة ، فلا يكادون يعلنون عداءهم للحكومة حتى يسارعون إلى قطع اسلاك البرق[٢].

اما فيما يتعلق بالاجور الخاصة بالاتصالات البرقية بين الولايات فقد جرى تحديدها حسب المسافة إذ كانت الاجرة بين ولاية بغداد وولاية الموصل وديار بكر وحلب ودمشق واطنة وارضروم (١٥) قرشا عن كل عشرين كلمة ، وقد تصل إلى (٧٠) قرشا عن كل عشرين كلمة للولايات البعيدة كولاية البوسنة[٣] في حين كانت اجرة البرقية المؤلفة من (١٥) كلمة والمرسلة من البصرة إلى استانبول (٢٥) قرشا[٤] ويبدو ان هذه الاجور كانت مرتفعة بالقياس للظروف المعاشية التي عاشها السكان ابان هذه المرحلة ، وفي الوقت نفسه لم ترق هذه التسعيرة للشركات الاجنبية العاملة في منطقة الخليج العربي ، إذ انها طالبت باجراء تغيير عليها ، وقد لقي هذا الطلب تأييد من (اللجنة العليا للتلغراف الاوربي) التي وافقت على اجراء تخفيض في اجور الاتصالات البرقية سنة١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م ، أعقبه تخفيض أخر سنة١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م تبعه أخر سنة١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م وبنسبة ٥٠%[٥].

جرت محاولات عديدة لتنظيم شؤون البرق ، نخص منها بالذكر قانون تنظيم نظارة البريد والتلغراف سنة ١٩١٦ ، حيث عنيت مواد هذا القانون بتحديد أصناف المأمورين ومرتباتهم واصول تعيينهم وتقاعدهم ، وكيفية قيامهم باعمالهم[٦].

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣٢٠.

(٢) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ص ٢٣٥ –٢٣٦.

(٣) س.و.ب. سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م ، ص١٢٧.

(٤) البازي ، المصدر السابق ، ص٦١.

(٥) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص٣٢٣-؛ العلاف، الخدمات البرقية والبريدية ٠٠٠ ص١٦٩

(٦) لمزيد من التفاصيل العلاف، الخدمات البرقية والبريدية ٠٠٠ ص ١٦٩.

المبحث الرابع

تقويم الخدمات البريدية والبرقية في العهد العثماني

لا يخفى الاثر الكبير الذي تركه افتتاح مكاتب البريد والبرق في الولايات العراقية ، ولا سيما تسهيل الاتصالات بالاسواق التجارية العالمية ، وترويج الاعمال التجارية ، فضلا عن بث النشاط والسرعة في المراسلات ، وتسهيل اتصال التجار مع بعضهم ، وما تمخض من ذلك من نتائج تمثلت بوصول البضائع بسرعة اكبر وبالتالي تحقيق الارباح بنسبة اكبر(١).

كما كان للاتصالات البرقية الاثر الكبير في تدعيم السيطرة الحكومية وفي تغلغلها في المناطق النائية من العراق ، فصار في وسع الحكومة حشد القوات العسكرية وتوجيهها إلى مناطق الاضطراب بسهولة ووقت اقصر(٢).

ومع هذا كانت هناك سلبيات ومشاكل عديدة اثرت بشكل او بآخر في عمل دوائر البريد والبرق ، وتعد المشكلة المالية في مقدمة هذه المشاكل ، فعلى الرغم من ضخامة ايرادات هذه الدوائر ، فانها لم تحظ بالعناية الكافية من الدولة ، إذ لم يخصص الا الجزء اليسير من هذه الايرادات للانفاق على هذه الدوائر ، اما الفائض فكان يبعث به إلى العاصمة العثمانية وكمثال على ذلك بلغت إيرادات دائرة البرق والبريد (٣٨.٥٠٧) ليرة عثمانية سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م في حين لم تتجاوز مصروفات هذه الدائرة للسنة نفسها(٢٣.٧٧) ليرة عثمانية(٣) وبالتالي اثرت هذه المشكلة في واقع الخدمات التي تقدمها هذه الدوائر حيث اهملت ولمدة طويلة اصلاح خطوط البرق التي عانت هي الاخرى من العطل المستمر(٤).

ومن جهة اخرى تعرضت هذه الخطوط إلى الانقطاع المستمر بسبب هجمات العشائر ولاسيما في أوقات تدهور علاقتها مع السلطة العثمانية وكمثال على ذلك امتناع الشيخ شياع ، احد شيوخ البو محمد سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م عن دفع ضرائب التزام اراض الكحلاء الذي كان بيده وهرب الى الجانب الفارسي من الحدود واخذ يشن الغارات على الطريق بين العمارة والبصرة وفضلا عن قيامه بقطع خطوط البرق ، ولم تتمكن السلطات من اخضاعه الا في العام التالي عندما ارسلت اليه قوة عسكرية، فعرض الشيخ شياع على أثرها دخالته وعهد بالطاعة والانصراف الى الزراعة ، وتسليم الضرائب وتأمين الطريق ، وتعمير خطوط البرق(٥) وقد أشار

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣٢٠، النحاس ، المصدر السابق ، ص٣٠.

(٢) النحاس المصدر السابق .

(٣) Cuinet, op. Cit. , p.10

(٤) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، الجزء ٣ ، ص١٠٣٥.

(٥) محمد احمد محمود ، أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٨-١٩١٨ ، رسالة ماجستير، كلية الآداب (جامعة بغداد،١٩٨٠)، ص١١٢.

– الرحالة Geay الذي زار العراق سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م الى قيام العشائر بقطع أسلاك التلغراف بين بغداد والبصرة[١].

وتكرر الشيء نفسه عندما تمرد الشيخ غضبان شيخ عشيرة بني لام وعبد الكريم وفالح شيخا عشيرة البو محمد سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م حيث اقدموا على قطع خطوط البرق بين القرنة والعمارة ، وبين العمارة وعلي الغربي ولم ينته ذلك الا بعد استخدام السلطة المحلية للقوة العسكرية [٢]. كما تعرضت خطوط البرق في منطقة السماوة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م الى القطع على اثر انتفاضة عشائر المنتفك[٣].

لجأت الحكومة العثمانية وفي محاولة منها لوضع حد للتخريب المستمر الذي كانت تتعرض له خطوط البرق الى فرض الغرامات المالية على الاشخاص الذين يقومون بتخريب الخطوط البرقية ، وتراوحت تلك الغرامات بين ٥ و ٥٠ ليرة ذهبية ، فاذا كان التخريب عن قصد يعاقب الافراد بغرامة السجن لمدة تتراوح بين ٣ اشهر الى سنتين ، اما الذين يقومون بتخريب خطوط البرق قصد التمرد والعصيان فيعاقبون بغرامة بين ٥٠ الى ٢٠٠ ليرة ، فضلا عن وضعهم في الكورة (السجن) بشكل مؤقت علما ان تلك الاجراءات لم تكن لتمنع وقوع اعمال القطع والتلف [٤].

كما اسهمت الظروف المناخية في قطع بعض الخطوط البرقية ، فعلى سبيل المثال سبب تساقط الامطار الغزيرة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م الى قطع كل انواع الاتصالات البرقية مع بغداد[٥].

ومن جهة اخرى واجهت الخدمات البريدية مشاكل عديدة منها تأخير وصول البريد في موعده المحدد[٦] فقد يتأخر اسبوعين عن موعده [٧]، وكثيرا ما كانت الرسائل تبقى ولمدة طويلة في صناديق البريد من دون ان يتم ارسالها
بالرغم من استلام اجورها [٨].

---

(1) Geary , op., cit . ,Vol.2, p. 119.

(٢) محمود ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٧–١٣٨.

(3) I.O.R,L /p+s-101/212/ summary of Event in Turkish - Iraq During September , 1913,No., 4091.p.8.

(٤) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣، ص٣٤٢.

(5) P.R.O ,F.O /. 22037/ The Baghdad against to the Euphrates and Tigris steam Navigation Company, . 13, May .1907 , p. 66.

(٦) جريدة الرقيب ، العدد ١٧٢ ،٧ شوال ١٣٢٨هـ/١٩١٠ م ؛ جريدة صدى بابل ، العدد ٢١١، ٢تشرين الثاني١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣.

(٧)الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية ... ، ص٦٩.

(٨) جريدة العرب ، العدد ١٠٤ ، ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٧.

فضلاً عن قلة رواتب موظفي البريد ، وتأخر صرفها لعدة اشهر لذلك تفشت الرشوة بين العاملين حتى ان رزم البريد كانت لا تسلم الى اصحابها الا بعد اخذ مقدار من المال كهدية (بخشيش)(١)، .

فضلاً عن ذلك كان سعاة البريد يتعرضون الى السلب والمضايقات من العشائر ولا سيما في اثناء امتناع الحكومة عن دفع الاتاوات الخاصة بحماية القوافل ورزم البريد الى زعماء العشائر القاطنة على امتداد طرق نقل البريد ، والامثلة كثيرة على ذلك ففي قضاء الدليم تعرضت عشائر الدليم للطرق وسلبت البريد(٢)، كما تعرضت مصلحة البريد (٣)التي يقوم بها عدد من افراد عشيرة العنزه للسلب مرتين سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م من قبل عشيرة الدليم (٤) كما تعرضت محفظة البريد بين الموصل وبغداد الى السرقة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م(٥) .

هذا وقد اقتضت حوادث سرقة البريد ارسال الرسالة الواحدة مرتين او ارسالها عن طريقين مختلفين لتأمين وصولها الى الجهة المرسل اليها(٦).

وفي محاولة من السلطات العثمانية لحماية طرق المواصلات من هجمات العشائر وقطاع الطرق ، ولضمان وصول البريد ، فقد اتخذت عدة إجراءات منها دفع مشاهرات ، رواتب شهرية وافيه الى العشائر الموزعة في العراق ، وكمثال على ذلك قيام السلطات العثمانية بدفع (٤٥) ليرة الى حميدي شيخ عشيرة شمر لاجل حفظ طريق موصل حلب وتأمينه ، وتحقيقاً لغرض نفسه قامت السلطات العثمانية بدفع مبلغ(٢٠ ليرة) الى أخو الشيخ حميدي وهو الشيخ مجول(٧) فيما خصصت راتب شهري مقداره(١٥ ليره) الى الشيخ علي السلمان شيخ عشيرة الدليم لاجل حفظ طريق بلاد الشام ، و(٥ ليرات) الى هزاع بن محيمد شيخ عشيرة المعامرة مقابل تعهده بحفظ طريق المسيب (٨). كما أقيمت العديد من المخافر على امتداد طرق نقل البريد،(*) حيث خصصت الدولة مالايقل عن(١٥٠٠)من الجنود والخيالة لهذا الغرض وقد

---

(١) العلاف ، الخدمات البرقية والبريدية ، ص١٧٥ ؛ العبيدي ، الإدارة العثمانية .. ، ص١٢٨.

(٢)محمود ، المصدر السابق ، ص١٤٦.

(٤) مصلحة البريد ويقصد بها بريد (التتار)

(٥)لونكريك ، العراق الحديث ، ص٩١.

(٥) I.O.R,L /p+s/10/212/ summary of Event in Turkish - Iraq for janiuary 1913p.97

(٧) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٨٤ ، ١٠ ذي القعدة ١٣٣٢هـ/١٩١٣ م

..

(٧) مجلة لغة العرب / المجلد(٣)، الجزء(٥)، تشرين الثاني ، ١٩١٣ ، ص٢٨٠.

(٨) مجلة لغة العرب ، المجلد (٣)، الجزء (٥) ، تشرين الثاني ، ١٩١٣ ، ص٢٨٠.

(*) جريدة الزوراء، العدد ٢٥٠٨ ، ٩ جمادى الاولى ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م.

كلفت الخزينة مبالغ غير قليلة تدفع لهم كرواتب ، فضلا عن الخسائر التي تتكبدها الدولة جراء الأضرار التي تتعرض لها خطوط البرق والبريد[١].

لم يسلم البريد النهري هو الاخر من المشاكل حيث شكل انخفاض مستوى المياه في نهر دجلة في موسم الصيهود ، عائقا امام مواصلة البواخر المسير عبر هذا النهر مما كان سببا رئيسا في تأخر وصول البريد عن موعده ، وكمثال على ذلك وصل منسوب المياه في نهر دجلة الى اوطأ مستوى له سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م وبالتالي واجهت البواخر صعوبة في مواصلة رحلاتها ، ونتيجة لذلك اضطربت خدمات البريد البريطانية ابان تلك الحقبة ، حيث امسى البريد الداخلي القادم الى بغداد يعاني من التأخر الشديد[٢].

واجهت خدمات البريد والبرق مشكلة اخرى تمثلت بجهل الكثير من موظفي هذه الدوائر اللغة العربية ، فكان يصعب على الناس في كثير من الاحيان قراءة البرقيات التي ترسل اليهم [٣] وقد انتقدت جريدة (الزوراء) في أحد أعدادها استخدام هذه الدوائر لموزعين أميين، حيث كانوا كانوا يعتمدون على من يقرأ لهم العناوين ليقوموا بتفريقها على الامكنة والمحلات[٤] علاوة على قيام الموظفين العاملين في هذه الدوائر خاصة بعد انقلاب الاتحاديين في تموز ١٩٠٨بفتح الرسائل والاطلاع على اسرار الناس [٥].

امام هذه الاسباب كان إقبال الناس كبيرا على البريد الاجنبي على الرغم من ارتفاع كلفته وذلك بسبب إنتظامه[٦].

المبحث الخامس :-

الخدمات البريدية والبرقية في العراق في اثناء الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨.

وجدت بريطانيا نفسها عندما بدأت باحتلال العراق انها الى حاجة ماسة الى الاتصالات البريدية والبرقية [١] ، ولتحقيق هذه الهدف بادرت ادارة الاحتلال الى إتخاذ مجموعة من

---

(١) سليمان فائق ، تاريخ بغداد ، نقلة الى العربية ، موسى كاظم نورس ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٦٢) ، ص٧٨.

(2)I.O.R,L /p+s/212/ summary of Event in Turkish Iraq During September 1913.

(٣) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٩.

(٤) جريدة الزوراء العدد ٢٢٩٩، ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

(٥)النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٣٩٩.

(٦)جريدة الزوراء العدد١٤٣٤، ١٩ شوال سنة ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩ م ؛ جريدة الرقيب ، العدد ٤٢، ٩ شعبان ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م

الاجراءات ، يأتي في مقدمتها الغاء جميع دوائر البريد والبرق العثمانية[٢] ، كما اصبحت جميع دوائر البريد جزءا من المؤسسات العسكرية ، وقد اسست في بغداد دائرة مركزية (نظارة البريد الملكية) (ومديرية البرق العامة) تولى إدارتها عدد من العسكريين البريطانيين[٣] ، فيما استمرت المكاتب البريطانية القديمة في ممارسة اعمالها ، علاوة على عدد من الدوائر البريدية الجديدة التي جرى افتتاحها منها دائرة بريد وبرق الشطرة[٤].

وفضلا عن هذه الاجراءات بادرت سلطات الاحتلال الى وضع عدد من صناديق البريد في عدد من المدن الرئيسية ، ومنها بغداد التي كانت حصتها (١٥) صدوقاً بريدياً جرى توزيعها في اماكن مختلفة [٥] ، وكان يتم فتح هذه الصناديق وغلقها في اوقات معينة[٦] فضلا عن تنظيم عملية ارسال الرسائل في عدد من المناطق المحتلة وكمثال على ذلك الخدمة البريدية بين الناصرية والشطرة وبين الشطرة وقلعة سكر وبمعدل ٣ مرات في الاسبوع [٧].

فيما تولت مطبعة الحكومة اصدار مجموعة من الطوابع هي في الاصل طوابع عثمانية طبع عليها عبارة (بغداد تحت الاحتلال) ، ثم صدرت مجموعات اخرى طبع عليها عبارة (العراق تحت الاحتلال البريطاني) وقد استمر استخدام هذه الطوابع حتى تأسيس الحكومة العراقية[٨].

أما بالنسبة لخدمات البرق والهاتف ، فكانت أولى إجراءات سلطات الاحتلال هي نصب (محطات لا سلكية) وبما يتناسب واغراضها العسكرية[٩] فعلى سبيل المثال قامت سلطات الاحتلال سنة ١٩١٧ بانشاء عدد من المحطات اللاسلكية في منطقتي البصرة والعمارة[١٠] ،

---

(١) سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق .. ص ٣١.

(٢) الطيف ، المصدر السابق ، ص٢١.

(٣)المصدر نفسه .

(4) Report of Administration op, cit. , p. 376.

(٥) تم وضع هذه الصناديق في سوق حنون والشورجة والدهانة ، وباب الشيخ ، وشارع النهر ، والحيدر خانة ، وسوق الصفافير ، وجانب الكرخ ، والكاظمية ، والفضل ، والسوق العريضة ، وكنيسة اللاتين ، وخان فيضي ، والاعظمية ، وعلى جدار احدى جمعيات النصارى ، انظر جريدة العرب العدد ١٠٤ ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٧.

(٦) المصدر نفسه .

(7)Report of Administration op, cit , p. 86.

(٨) سلمان ، تطور الخدمات البريدية .. ص٣٢.

(٩) الهلالي ، معجم العراق ، ج ١ ، ص١٤٦.

(10) Hand book of Mesopotamia Vol., 1 .1 , op. cit . , p. 293.

فضلا عن قيامها بمد خطوط البرقية الحديثة وبمحاذاة السكك الحديدية[1] ناهيك عن الخطوط البرقية الفرعية فعلى سبيل المثال لا الحصر كان هناك خط برقي بين الشطره والناصرية [2].

وخدمة للاغراض العسكرية لجأت سلطات الاحتلال الى ربط عدد من المناطق بالخطوط الهاتفية ، اذ تم اقامة خط هاتفي بين الشطرة والكوت ، وربطت قلعة سكر بخط هاتفي ، مع الحي والكوت[3].

لكن مما يؤخذ على خدمات البريد والبرق ابان هذه المرحلة ان هذه الخدمة كانت موجهه لخدمة حاجات سلطات الاحتلال البريطاني في المقام الاول ، كما انها ظلت تخضع وطوال الوقت للمراقبة الصارمة مما ادى الى النتائج سلبية خاصة في المدة الاولى من الاحتلال الذي ادى الى تأخر وصول الرسائل الى وجهتها[4].

ونتيجة لاعطاء الافضلية للاغراض العسكرية ، واجهت دوائر البريد ضغوطا شديدة نتيجة تكدس الرسائل الموجهة من الوحدات العسكرية الجديدة ونظرا لافتقار الى وسائل النقل السريعة ، فكان ذلك احد اسباب تأخر وصول حقائب البريد[5].

استمرت مشكلة تعرض العشائر للخطوط البرقية في عهد الاحتلال البريطاني للعراق ، فعلى سبيل المثال تعرضت بعض العشائر لخطوط البرق التي تربط الشطرة بالناصرية ، في اب سنة ١٩١٨[6] وبغية مواجهة هذه الهجمات استخدمت السلطات الحاكمة عدداً من (الشبانة) وكان من ضمن المهمات التي اسندت اليها نقل البريد ، وحماية طرق المواصلات النهرية والبرية ، وحماية سكك الحديد وغيرها من المهمات الاخرى[7].

---

(١) الطيف ، المصدر السابق ، ص٢١.

(2)Report of Administration op, cit Ibed p. 294.

(3)Ibid ,p.397.

(٤) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال .. ص ٤٨١.

(٥) ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٩٤.

(٦) مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨– ١٩٢٠ ترجمة عبد الهادي فنجان ، مطبعة العاني (بغداد، ١٩٨٦) ، ص١١.

(٧) العمر ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤–٢٥.

الفصل الرابع
خدمات النقل
المبحث الاول
النقل البري ١٨٦٩–١٩١٨

على مدى قرون طويلة كان انتقال الاشخاص والسلع التجارية والمنتجات الزراعية يتم عبر طرق برية عديدة ، حيث كانت الجمال والخيول والبغال وسائط النقل الرئيسة على تلك الطرق ، ولم يكن النقل عبر تلك الطرق سهلا وامينا ، بسبب مشاق السفر وتعذر السير في بعضها في موسم الشتاء بسبب الامطار والوحول ، ناهيك عن تعرض القوافل التجارية والاشخاص لعمليات النهب والسلب ، وعلى الرغم من كل تلك السلبيات فانها كانت الوسيلة الرئيسة المعتمدة في النقل[١] . ويمكن تقسيم تلك الطرق إلى :

أ. طرق داخلية : تربط بين مدن العراق الرئيسة ، وتمر بالعديد من القصبات ، كما تتفرع عنها طرق جانبية تصل إلى المدن والقصبات التي قد لا تقع على الطرق الرئيسية مباشرة . فضلا عن ان الطرق البرية التي تربط المدن بالقصبات والقرى القريبة منها أو التابعة لها ، اما اهم طرق النقل البري في العراق في تلك المرحلة فهي :

١. طريق الموصل – بغداد (شرقي دجلة) :

وهو من اهم الطرق التجارية ، حيث يبدأ بالموصل ويمر بعدد من المواقع منها قرة قوش (الحمدانية) ، والكلك واربيل والتون كوبري وكركوك وداقوق (طاووق) وطوز خرماتو وكفري ودلي علباس والمنصورية ثم بغداد[٢] .

ويتفرع من هذا الطريق طريق فرعي من اربيل إلى كويسنجق[٣] ، كما يتفرع من كركوك طريق فرعي إلى قرة هنجير (ناحية الربيع حاليا) ، وجمجمال وحلبجة وهمدان[٤] .

---

(١) سعدي علي غالب ، جغرافية النقل البري في العراق ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، (جامعة القاهرة ، ١٩٧٨) ، ص ١٦ .

(٢) هشام سوادي هاشم السوداني ، المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١–١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) ، ص ٢٢ .

(٣) مراد ، تاريخ العراق الاداري ، ص ٣٧٢ .

(٤) علي ولاية الموصل في القرن السادس عشر ، ص ٣٨١ .

٢. طريق الموصل – بغداد (غربي دجلة)(*) :

يبدأ هذا الطريق من الموصل ، ويمر بمواقع عديدة اهمها حمام العليل ، والقيارة ، والشرقاط وبيجي وتكريت والدجيل والكاظمية ثم بغداد[١] . وهذا الطريق قليل الاستخدام من القوافل التجارية بسبب مروره بمناطق خالية من السكان ولمسافات طويلة ، علاوة على عدم توفر الامن ومصادر المياه ، مما جعل تلك القوافل تفضل سلوك الطريق الاول[٢] .

فضلا عن هذين الطريقين كانت هناك طرق فرعية ترتادها القوافل التجارية ، ويأتي في مقدمتها :

١. طريق بغداد – كربلاء عبر المحمودية والمسيب حيث يسير هذا الطريق على امتداد صحراء الشامية مرورا بخان نخيلة وخان حمد وخان مرزا ومنها إلى النجف[٣] .
٢. الطرق الذي يربط بغداد باقضية خراسان وخانقين ومندلي ومنها إلى الحدود الفارسية .
٣. الطريق الذي يربط بغداد – السلمانية وهو ذو مسلكين الاول هو مسلك بغداد – دلي عباس – قرة تبة – كفري – طوز خورماتو – داقوق – ليلان – جمجمال – دركزين – السليمانية . اما المسلك فهو بغداد – الهزوان – دلتاوة (الخالص) ثم عبور تلال حمرين إلى الطوز خورماتو ثم داقوق وكركوك وجمجمال والسليمانية[٤] .

ب. الطرق الخارجية :

وهي في معظمها امتدادات للطرق الداخلية ، إذ كانت تربط العراق بالبلدان المجاورة عبر عدد من طرق القوافل التجارية منها[٥] :

(*) اطلق على هذا الطريق تسمية طريق شهرزور القديم . سيار الجميل ، حصار الموصل ، الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه ، صفحة لامعة في تكوين العراق الحديث (الموصل ، ١٩٩٠) ، ص ص ٢٥٠–٢٥١ .

(١) السوادني ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢) مراد ، تاريخ العراق الاداري ، ص ٣٧٣ ؛ رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ... ، ص ٢٩٧ ؛ كارستن نيبور ، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمد حسين الامين (بغداد ، ١٩٦٥) ، ص ١٠٣ .

(٣) للتفاصيل انظر لوريمر ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص ص ١٠٠١–١٠٢٨ .

(٤) السوداني ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٥) احمد بن السيد احمد المنشئ البغدادي ، رحلة المنشئ البغدادي نقلها إلى العربية عن الفارسية عباس القراري ، ص ٦٣ ، ٧٥ ؛ رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، ص ص٢٩٧–٢٩٨ ؛ الجميل ، تكوين العرب الحديث ، ص ٢٨٤ .

١. طريق بصرة – حلب الصحراوي ، الذي يبلغ طوله (١٢٠٠) كلم ، حيث يسير محاذيا للضفة الغربية لنهر الفرات ، ومنها إلى حلب ، وكان هذا الطريق حلقة وصل مهمة في التجارة بين اوربا والشرق الاقصى حتى افتتاح قناة السويس[١] .

٢. طريق بغداد – دمشق[٢] .

٣. طريق الموصل – حلب عبر طريقين للقوافل التجارية ، يبدأ الاول من الموصل إلى العوينات ثم نصيبين ، وماردين ، وبيره جك ثم حلب . اما الطريق الثاني فيصل ما بين الموصل وحلب ، ويبدأ من الموصل إلى تلعفر ثم عين الغزال والبادية ويعبر الخابور ومنها إلى دير الزور ثم حلب[٣] .

اما الطرق التي تربط العراق مع نجد والكويت فنذكر منها :

١. طريق البصرة – نجد[٤] .

٢. طريق البصرة – الكويت عبر طريق بري يربط الكويت بالبصرة عبر الزبير[٥] . اما الطريق الثاني فهو البصرة – الزبير – الدريهمية ، جبل سنان – الحفار – الفينز ثم يتجه الطريق غربا إلى سكة والمدينة (طريق الحج البري) .

٣. طريق البصرة – القطين[٦] .

٤. وارتبط العراق بعدة طرق مع بلاد فارس منها طريق بغداد – كرمنشاه . ويبدأ ببغداد ومرورا بخان بني سعد – بعقوبة – خسرو أباد – خانقين – قصر شيرين – كومنشاه[٧] وطريق بغداد – اصفهان عبر بلدروز ، وسومار ، وعيلام وخرم آباد ، في حين اتصلت الموصل ببلاد فارس عن طريقين احداهما الموصل – راوندوز – السليمانية – همدان – كومنشاه .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الطريق انظر عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون ، البصرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر دراسة في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز دراسات الخليج العربي (البصرة ، ١٩٨٩) ، ص ٧٣ ؛ سارا سيريت ، رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة فؤاد قزانجي ، مجلة المورد ، المجلد ١٨ ، العدد ٤ ، سنة ١٩٨٩ ، ص ص ٢٤٦–٢٤٩ ؛ فلاح عبد الحسين ، مصطفى عباس جعفر ، طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٥٨ ، ١٩٨٩ ، ص ٥٥ .

(٢) سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي (النجف ، ١٩٧٣) ، ص ص ٥٥–٥٨ .

(٣) السوادني ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٤) القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ، ص ص ٨٠–٨٨ .

(٥) اليوسف ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٦) القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٨٨ .

(٧) حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

اما الطريق الاخر فكان طريق اربيل – كويسنجق – رانية – قلعة دزه – ساقز – قزوين ثم طهران[١] .

٥. ارتبط العرق مع الاناضول (آسيا الصغرى) بطريقين الاول هو طريق بغداد – استانبول مرورا بخان بني سعد – كفري – كركوك – الموصل – ديار بكر – استانبول ، اما الطريق الثاني فهو الموصل – زاخو – جزيرة بن عمر – تبليس – طرابزون[٢] .

وبغض النظر عن التكلفة المالية وبطء الخدمات[٣] فان النقل البري كان غير آمن إذ عانت القوافل التجارية من التهديد المستمر قطاع الطرق ومن العشائر وكثيرا ما تركت السلطات العثمانية مهمة حفظ امن تلك القوافل إلى العشائر القاطنة على جانبي الطرق[٤] . حيث كانت هذه العشائر تفرض هذه الاتاوة (الخاوة) على القوافل التجارية المارة ضمن منطقتها ، لقاء قيام العشيرة بتأمين الارشاد والحماية الكافية لها ضمن منطقتها[٥] . وكمثال على ذلك قيام (شمر الجربا) بفرض الاتاوة على الطريق بين بغداد والموصل وبين تكريت والموصل ، وبين الموصل وحلب[٦] . فيما فرضت عشيرة عنزة[٧] الاتاوة بين بغداد وبلاد الشام[٨] . وكثيرا ما لجأت هذه العشائر إلى الاغارة على القوافل التجارية ، ولاسيما في اوقات تدهور علاقاتها مع السلطة

---

(١) السوداني ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٢) القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٨٨ .

(٣) ذكر Cuniet سنة ١٨٩٠ في معرض حديثه عن هذا الجانب ان الرحلة من بغداد كانت تستغرق من اسبوع إلى اسبوعين ، وان معدل اجرة شجنات النقل لحمل جمل من ١٥٠ إلى ٢٠٠ كغم كان حوالي (١١) قرشا باليوم . انظر Cuinet, op. cit., pp. 62-63 .

(٤) فوصيل ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(5) S. Haidar, Land Problems of Iraq, Ph.D. Thesis, (University of London, 1942), p. 256;
حنا بطاطو ، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية بين العهد العثماني وحتى قيام الجمهورية ، الكتاب الاول ، ترجمة عفيف الرزاز ، مؤسسة الابحاث العربية ، ص ٢٦٥ .

(6) Arab Tribes of the Baghdad Wilayat, July 1918, Issued by the Arab Bureau Baghdad (Calcutta, 1919), p. 194; جاسم محمد العدول ، الموصل في العهد الحميدي (١٢٩٣–١٣٢٧هـ) (١٨٧٦–١٩٠٩) ، موسوعة الموصل الحضارية ، م٤ ، (الموصل ، ١٩٩٢) ، ص ٩٩ .

(٧) فرضت عشيرة عنزة سيطرتها على الجهات العليا من نهر الفرات بما في ذلك حلب والشام ، ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ٢١١ ، الوثيقة (غير مؤرخة) ، ص ٢٦٩٨ .

(٨) محمد الهاشمي ، رحلة متنكر من دمشق إلى بغداد سنة ١٩٢١ ، مجلة المقتطف ، ج٢ ، ١٩٢١ ، ص ٢٥٤ .

العثمانية في العراق[١] ، وتحفل المصادر التاريخية بالعديد من الامثلة التي تدل على فداحة ما كان يتعرض له تجار العهد العثماني من خسائر جسيمة فعلى طريق الموصل – ديار بكر – حلب كان اليزيدية وبعض عشائر قبيل طي العربية يمارسون عملية فرض الضرائب بالاكراه على القوافل ونهبها اذا ما امتنعت عن الدفع ومما زاد في خطورتها "ان كثيرا من سلابيها اندفعوا بغاراتهم إلى البلاد المتاخمة لمواضعهم لارتكاب سرقات فيها وقتول ايضا"[٢] .

اما في اقليم الجزيرة فقد فرضت عشيرة شمر الجربا سيطرتها على هذا الاقليم معتبرة اياه ملكا لها ، ففي سنة ١٣١٧هـ/١٩٨٨م اغارت هذه العشيرة على قافلتين تجاريتين كانت الاولى قادمة من بلاد فارس إلى الموصل ، والثانية من بلاد الشام[٣] . اما رد السلطات الرسمية على مثل هذه الغارات ، فعلى اثر الشكوى التي رفعها تجار بغداد نتيجة الغارات الاخيرة ، استدعى والي بغداد آنذاك الحاج حسن باشا (١٣٠٧-١٣١٢هـ/١٨٨٩-١٨٩٤م) ، الشيخ مجول شيخ شمر إلى مركز ولاية بغداد سنة (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) حيث فرض عليه دفع التفويضات عن الاموال المنهوبة وقدرها ١٣.٠٠٠ قرش[٤] وهدد بانزال اشد العقوبات في حالة قيام رجاله بغارات بغارات اخرى على القوافل التجارية ، كما حثه على طلب المساعدة منه عد شعوره بالعجز عن ردع اولئك الذين يواصلون سلب القوافل التجارية ، وتعهد له في هذه

الحالة بان يرسل اليه بقوات من الجندرمة[٥] ، وعلى جناح السرعة ، الا ان هذه العشيرة سرعان

---

(١) كانت هناك اسباب كثيرة لتمرد العشائر ، لعل ابرزها رفض الاخيرة الاذعان للسلطة من خلال عدم دفعها الضرائب للسلطات العثمانية ، ومشاكل الاراضي ، وسياسة الولاة العثمانيين لاضعاف بعض العشائر من خلال ضرب شيخ باخر او عشيرة باخرى وقد تستغل هذه العشائر ضعف السلطة المركزية فلتجأ إلى التمرد بطاطو ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) خان ، المصدر السابق ، ص ٢١ . فعلى سبيل المثال بلغت خسائر احدى القوافل التجارية على طريق الموصل – حلب سنة ١٨١٠ ما قيمته (١٠٠٠٠) قرش عثماني عدا الجمال والخيل والدواب . انظر : خليل علي مراد ، تجارة الموصل ، موسوعة الموصل الحضارية ، م٤ (الموصل ، ١٩٩٢) ، ص ٢٧ .

(٣) محمد واحمد محمود ، احوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب (جامعة بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ص ٨٧-٨٨ .

(٤) القرش : عملة نقدية تعادل (٤٠) بارة أي (١٢٠) اقجة أي ما يعادل (٩) فلسا . القهواتي ، المصدر السابق السابق ، ص ٤٨٢ ؛ خليل علي مراد ، "النظام المالي" ، موسوعة الموصل الحضارية ، م٤ ، ص ٢٤٩ .

(٥) وهيو قوات الضبطية او الدرك التي اعتمدت عليها السلطات العثمانية في المحافظة على الامن والنظام ومطاردة المجرمين وقطاع الطرق ،وحراسة السجون ، وتوفير الامن والراحة للناس في الطرق والمعابر ، واطفاء

ما استأنفت نشاطها في مهاجمة القوافل وتحديدا في ولاية الموصل ، وامام عجز السلطات المحلية في الموصل عن وضع حد لهذه التجاوزات ارسلت السلطات المركزية الفريق عمر وهبي(١) باشا إلى العراق في سنة ١٨٩٢م للقيام باخضاع عشيرة شمر وتوطينها فضلا عن مهام اخرى(*) ، حيث نجح في تجريد العشيرة من اسلحتها ، ومع هذا لم تحد الحملة الاخيرة من تعرضات هذه العشيرة إذ سرعان ما استأنفت هجماتها خاصة على طريق موصل – حلب التي قادت السلطات المركزية إلى تجريد حملة عسكرية ضدها سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، اسندت قيادتها إلى العميد رضا بك رئيس الاركان ، كانت لها نتائجها الايجابية في الحد من تعرضات هذه العشيرة للقوافل التجارية ولبعض الوقت(٢) المتجهة من بغداد إلى بلاد فارس(٣) .

وفضلا عن الحملات العسكرية التي جردتها السلطات العثمانية ضد العشائر الثائرة ، لجأت الحكومة العثمانية إلى وسيلة ثانية للحد من تعرضات العشائر واللصوص وقطاع الطرق

للقوافل التجارية ، عندما اناطت مسؤولية حماية الطرق إلى بعض شيوخ العشائر لقاء دفع رواتب شهرية حيث عهدت إلى حميدي ومجول شيخي شمر بمهمة حفظ طريق موصل – حلب ، وعهدت إلى الشيخ علي السليمان شيخ عشيرة الدليم حفظ طريق بلاد الشام، كما عهدت إلى

الحرائق ، وجمع انفار القرعة الاحتياطي انظر الدستور ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص٦٥٩ –٦٦٠ ؛ وقد اشارت احدى الوثائق العثمانية إلى وجود (٣) فرق من الدرك ما بين مشاة وفرسان موزعة على الولايات العراقية الثلاث (الموصل ، بغداد ، البصرة) ، ارشيف رئاسة الوزراء في استانبول ، رقم البحث ٣٩٣٦ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الاوراق ١٢٥٦ ، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ١١ ، الويثقة (غير مؤرخة) ، ص ٢١٨٨ .

(١) الفريق عمر وهبي ، وهو مفتش احوال بغداد والبصرة والموصل ارسلته السلطات المركزية في استانبول ضمن خطة مركزية هدفت إلى اصلاح الاحوال العامة في العراق . انظر : علي شاكر علي ونمير طه ياسين "الفريق عمر وهبي قائد القوة الاصلاحية في ولاية الموصل ١٨٩٢–١٨٩٣" ، مجلة التربية والعلم، العدد ١١ ، ١٩٩٨ .

(*) ومن هذه المهام :

١. تحسين احوال الجند وتحصيل ما بقي من الخراج في ذمة الاهالي .

٢. تهذيب القبائل اليزيدية واقناعهم بالنصح والارشاد إلى اعتناق الاسلام .

انظر : الصائغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ث ٣١٠ ، ٣١٥ ؛ الحاج علاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول تلك الكلمة انظر جون فردريك ويلسون ،قبلية شمر العربية وتاريخها السياسي، ترجمة جون فردريك مير بصري ، ط١ ، دار الحكمة (لندن ، ١٩٩٩) ، ص ٢٠٠ .

(3) F.O. 195/2339/27439/Summary of Events in Turkish Iraq During the Months of April and May 1910, p. 2.

هزاع محيميد الفيحال شيخ عشيرة المعامرة حفظ طريق المسيب[١] ، كما انشأت وعلى امتداد الطرق التجارية عددا من المحطات "الخانات"[٢] التي ادت دورا مهما في مجمل الحياة العامة فضلا عن كونها مؤسسات تجارية اسهمت بشكل أو بآخر ف يتهسيل عمليات التبادل التجاري ، كما كان لبعض الخانات دور في نشوء الكثير من المدن والقصبات ونحص بالذكر منها خان الاسكندرية[٣] ، وخان المحمودية[٤] ، وخان بني سعد[٥] ... وغيرها من الخانات الاخرى ، وازدادت اهمية هذه الخانات نظرا لفقدان الامن على الطرق التجارية من ناحية ، ولاستمرار حركة التجارة والحج عبر المدن العراقية من ناحية اخرى ، فكانت هذه الخانات المكان الامين لاستراحة ومبيت القوافل والمسافرين[٦] .

اقتصر الاهتمام بالمواصلات البرية وتأمين حمايتها على جهود فردية نخص منها بالذكر الوالي مدحت باشا الذي امر ببناء نقاط الحراسة في الرمادي وعانة والقائم وعلى طول الطريق البري بين الساحل السوري ونهر الفرات[٧] لمنع العشائر من التعرض للقوافل ، حيث جهزت تلك النقاط باعداد من قوات الضبطية لتوفير الامن والراحة للناس ولحماية طرق المواصلات من هجمات العشائر[٨] .

---

(١) مجلة لغة العرب ، المجلد (٣) ، الجزء (٥) ، تشرين الثاني ١٩١٣ ، ص ٢٨٠ .

(٢) الخان : كلمة فارسية مشتقة من خان أو خانقان "قاغان" بمعنى الحاكم الاعلى واستعملت مقرونة باسماء الحكام والسلاطين والزهد والتفخيم واحيانا اشارة إلى المتجر والمكان الخاص بالتجار ومحل اقامتهم واستخدمت كذلك للدلالة على مالك الخان ، كما اختلفت الاغراض التي انشئت إذ انشئ قسم منها لحماية القوافل التجارية ولاستراحة المسافرين ، فيما شيد القسم الاخر اناس غايتهم الربح والكسب ، لمزيد من التفاصيل انظر كاظم محمد كاطع الزبيدي ، العمارة الخدمية في الموصل في العصر العثماني "الخانات والحمامات" ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب ، قسم الاثار ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ص ٥٣-٥٤ ؛ زهير علي احمد النحاس ، تاريخ النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩ ، اطروجة دكتوراه ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٥) ، ص ص ٨٠-٨١ .

(٣) خان اسكندرية يقع في متصف الطريق بين مدينتي الحلة وبغداد .

H. Valentine Geere, By Nile and Euphrates , (London, 1904), p. 127.

(٤) خان المحمودية : تم تشييده سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م على الطريق بين بغداد وكربلاء والنجف وقد وصفه الرحالة Geere الذي زار المنطقة بالبضائع والزوار . الزبيدي ، العمارة الخدمية ... ، ص ٥٠ .

(٥) خان بني سعد : انشأه والي بغداد وعمر باشا سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م من اجل ان يتوسط الطريق بين بغداد وبعقوبة ، السوداني ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٦) الحمداني ، ملامح سياسية وحضارية ، ص ١٦٤ .

(٧) سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ، ص ١١٦ ؛ احمد ، ولاية الموصل ... ، ص ٣٣ .

(٨) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العرب المعاصر : مصر والعراق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٤٢٣ .

حاول مدحت باشا تحسين حالة الطرق الداخلية التي تربط الولايات العراقية ، عندما ارسل سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م فرقة عمل إلى السليمانية للعمل على تسوية الطرق التي تربط السليمانية بكركوك ، وكركوك بالموصل ، وكركوك ببغداد[١] ، علاوة على ذلك سعى مدحت باشا إلى ربط بغداد بواسطة طرق مريحة بالعتبات في كربلاء والنجف وسامراء كما حاول الوالي نفسه تحديث وسائط النقل داخل مدينة بغداد . فعلى سبيل المثال شرع في استخدام العربات للنقل داخل مدينة بغداد[٢] ، كما حاول تصنيع هذه العربات محليا باستخدام الخشب المتوافر في منطقة السليمانية ، واستورد عربتين جديدتين من ذوات الماكينات شرع في تجربتهما في بغداد سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م . وقد عملت العربة الاولى في جانب الكرخ ، اما الثانية ففي جانب الرصافة ومنها إلى بعقوبة والخالص[٣] .

وفي هذه المدة نفسها طرحت فكرة اقامة عدد من المشاريع ، التي حالت دون تحقيقها عدة اسباب ومنها مشروع سكة حديد إلى كربلاء لنقل الزوار[٤] . كما اقترح مدحت باشا على شاه الفارسي ناصر الدين القاهازي (١٨٤٨-١٨٦٩) ابان زيارته للعراق سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) اقامة خط حديد بين النجف وبلاد فارس ، على ان يتم دفع نفقات هذا الخط من اقيام بيع الكنوز والتحف في مرقد الامام علي (رض) في النجف الا ان هذا الاقتراح لم يلق قبولا[٥] .

كما طرح مشروع انشاء خط حديدي من بغداد إلى استانبول ، وتعود فكرة هذا المشروع إلى ما قبل تقلد مدحت باشا لمنصب الولاية واستمر التفكير به بعد عزله وتعينه صدرا اعظم[٦] ، ، الا ان افتقار الدولة إلى الامكانيات المادية والفنية حال دون تنفيذ هذا المشروع الضخم .

فيما عرف بعض الولاة العثمانيين بانشاء الطرق ، وتعمير اخرى وتأمين سلامتها ، ونخص بالذكر منهم والي بغداد نامق باشا الصغير (١٣١٧-١٣٢٠هـ/١٨٩٩-١٩٠٢م) الذي

---

(١) جاسم محمد العدول ، تاريخ شركة تراموای بغداد – الكاظمية ، مجلة التربية والعلم ، العدد ١٧ ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٣ .

(٢) ترقى اولى المحاولات لتسيير العربات إلى سنة ١٨٦٥م عندما قدم الكونت الفرنسي دي بيرثري طلبا إلى والي بغداد نامق باشا (١٢٧٨-١٢٨٤هـ/١٨٦١-١٨٦٧م) لتسيير خط العربات بين بغداد ودمشق الا ان هذا المشروع سرعان ما اهمل امام رفض والي بغداد الموافقة على مثل هذه المشاريع التي من شأنها ان تزيد النفوذ الاجنبي في العراق . لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص ٣١٩ ؛ كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

(٣) العدول ، تاريخ شركة ترامواي ... ، ص ١٦٢ .

(4) Geary, op. cit., vol. 1, p. 153-154; Cuinetm op. cit., p. 67.

(٥) حناتة ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ؛ احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة النهضة المصرية (بيروت ، د.ت) ، ص ٥٨ .

(٦) الدملوجي ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

اسند اليه عدد من الاعمال منها تعمير بغداد – دير الزور[١] وطريق بغداد – حلب[٢] كما اهتم بانشاء عدد من نقاط الحراسة على امتداد الطريق التجارية منها طريق بغداد – الفلوجة[٣]، وعرف عن والي بغداد ناظم باشا (١٣١٨-١٣٢٩هـ/١٩١٠-١٩١١م) مثل هذا الاهتمام حيث جرى تخصيص مبلغ (٤) الف ليرة سنويا لانشاء الطرق وتمهيد المعابر والمسالك ولا سيما طريق بغداد – دير الزور ، في حين تم تخصيص مبلغ (٢٠٠٠) لاجل تسوية بعض اجزاء طريق بغداد – الموصل – حلب[٤] . ورافق ذلك انشاء عدد من المخافر على طريق موصل – حلب[٥] حلب[٥] ، فضلا عن اجراء التحسينات على طريق موصل – كركوك وموصل – راوندوز[٦] .

الا ان اهم انجاز تم تحقيقه في هذا المجال ، وعده بعضهم مفخرة العصر في المشرق العربي حينئذ[٧] ، هو انشاء مدحت باشا لترامواي بغداد – الكاظمية[٨] .

كانت هناك مجموعة من الاسباب دفعت هذا الوالي لانشاء هذا المشروع يقف في مقدمتها الاهمية الدينية لوجود مرقد الامام موسى الكازم وما ترتب على ذلك من كثرة الزوار إلى الكاظمية[٩] يقابلها شيوع وسائط النقل البدائية التي لا تكاد تسد حاجة الراغبين في زيارة هذه المنطقة الامر الذي ادى إلى نتيجة طبيعة الا وهي حدوث الاختناقات في حركة[١٠] النقل بين بغداد والكاظمية فكان لا بد من ايجاد وسائل نقل جديدة تحل محل الوسائل التقليدية[١١].

علاوة على ارتفاع الكثافة السكانية لمنطقة الكاظمية ، بحيث اضطرت الغالبية العظمى من سكانها ولا سيما العاملين في قطاع التجارة والصاناعة إلى الذهاب إلى اماكن عملهم في

---

(١) وهو احد الطرق التي تربط بغداد بالعاصمة استانبول ، جريدة الزوراء ، العدد ١٩٢٤ ، في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٠م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٨٨٦ ، في ١٦ شعبان سنة ١٣٣٨هـ/١٩٠٠م .

(٤) جريدة صدى ببال ، العدد ٢٤٠ في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٢م .

(5) I.O.R. L/pts/10/213, Summary of Events in Turkish Iraq for the Month of November, 1911, p.1.

(6) Ibid., p. 8.

(٧) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٠ .

(٨) الارشيف العثماني باستانبول ، رقم البحث ٢ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٦٣ ، رقم الوثيقة ٢٣ ٢٣ ، رجب سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧٣ ، ص ١٢ .

(٩) العدول ، تاريخ شركة ترامواي الكاظمية ... ، ص ١٦٤ .

(١٠) العلاف ، بغداد القديمة ... ، ص ١٨ .

(١١) صادق الجميلي ، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية ، مجلة امانة العاصمة ،العدد ١٩ ،١٩٧٩،ص٢٠.

بغداد والعودة منها يوميا دون ان تتهيأ لهم وسائل سريعة للنقل باستثناء الحيوانات ، ناهيك عما يرافق هذه الرحلة اليومية من المصاعب فكان لا بد من ايجاد حل لهذه المعاناة[١] .

وبعد استحصال الموافقات الاصولية تم تأسيس شركة مساهمة في ايار ١٢٧٨هـ/١٨٧٠م برأسمال قدره مليون وخمسمائة الف قرش وقد بوشر بطرح اسهم الشركة البالغ (٦٠٠٠) سهم للبيع في الاسواق ، بقيمة ليرتين ونصف الليرة للسهم الواحد ، وهو ما يساوي (٢٥٠) قرشا[٢] .

ويبدو ان اسهم الشركة لقيت اقبالا شديدا في البداية من الاثرياء بتشجيع من مدحت باشا[٣] حيث احصي ما بيع منها في العشرة ايام الاولى فبلغ (٧٨٤) سهما واستمر بيع الاسهم حتى وصل إلى خمسة الاف سهم[٤] . وقيل ان مدحت باشا اجبر بعضهم على اقتنائها[٥] . الا الا ان حملة بيع الاسهم ما لبثت ان فترت بعد مدة قصيرة ، إذ تعذر بيع الاسهم المتبقية وعددها (١٠٠٠) سهم وبالتالي كانت الاسهم المباعة رأسمال ثابت للشركة[٦] . وقيل ان الشركة منحت مدحت باشا ريع اسهمها تقديرا منها لجهوده في دعم الشركة ، وبادر مدحت باشا إلى تقديمها كهدية لمدرسة صنائع بغداد[٧] .

اما عن ادارة الشركة فقد اوكلت إلى ادارة الامور النافعة في الولاية ، حيث بلغت الاخيرة بمهمة جمع الايرادات والمصروفات الخاصة بالشركة ، والتي كانت تدون في دفتر خاص[٨] . كما تقرر تأسيس مجلس لادارة الشركة ، واشترط على الراغبين في عضوية المجلس امتلاكهم ما لا يقل عن (١٠) اسهم من اسهم الشركة[٩] .

وعندما تجمع لدى الشركة المال الكافي من بيع الاسهم[١٠] ، تم استيراد الادوات والمعدات اللازمة من لندن حيث سار العمل في المشروع وفقا لما هو مرسوم له عندما قام عمال

---

(١) للتفاصيل انظر العدول ، تاريخ شركة ترامواي الكاظمية ، ص ١٦٤ .

(٢) آل ياسين ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ؛ عيساوي ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ ؛ حتاتة ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .

(٤) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٥) علي ظريف الاعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات (بغداد ، ١٩٢٦) ، ص ٢٤٠ .

(٦) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٧) السوداني ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ٢٣٣ في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

(٩) السوداني ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(١٠) نوار ، العراق الحديث ، ص ٣٨١ .

عراقيون بمد السكة لمسافة ٧كم ، كما امتلكت الشركة ورشة عمل تم تكليفها بصنع اجزاء العربات محليا[(١)] .

اما عن شكل العربات ، فكانت تشبه عربات الترام في لندن ، التي كانت تسير على سكة ويجر كل عربة حصانين ، ووصلت اعداد عربات الترام إلى (٤٠) عربة ، ولم تكن جميع العربات صالحة للاستعمال ، اما عن مصدر الخيول المستخدمة في جر العربات فانها كانت تشترى من سماسرة الخيول ، أو تجلب من فرق الخيالة التابعة للجيش[(٢)] .

حددت الطاقة الاستيعابية لكل عربة من عربات الترامواي بـ (٤٠-٥٠) راكبا . الا ان احد المساوئ التي سجلت على الترامواي هو عدم الالتزام بالعدد المقرر الذي كان يصل في ايام الزيارة إلى ٧٠ أو ٨٠ راكبا واحيانا يصل إلى ١٠٠ راكب[(٣)] ، فيما جرى تحديد موعد انطلاق عربات الترامواي بدءا من السادسة صباحا ، اما اخر عربة فكانت تذهب إلى الكاظمية الساعة ١٠ مساءا وكان الفاصل الزمني بن تحرك عربة واخرى ربع ساعة ، اما عن مدة رحلة الترامواي فكانت تستغرق نصف ساعة يتوقف خلالها الترامواي بضع دقائق لاستراحة الخيل في عدد من المراحل[(٤)] .

اتسمت اجرة ركوب الترامواي بعدم الثبات ، فبينما تراوحت هذه الاجرة في بداية تأسيس هذا المشروع بين (٢٠-٤٠)[(*)] بارة ، ارتفعت بعد ذلك إلى مبلغ يتراوح بين قرش واحد إلى قرشين[(٥)] ، فيما جرى استخدام بطاقات مطبوعة ابان الاحتلال البريطاني وبشكل درجتين ، اولا بـ بـ (٤) قروش ، و(٣) قروش للدرجة الثانية[(٦)] ، لكن الشركة سرعان ما عادت وغيرت هذه التسعيرة[(٧)] .

عانت شركة ترامواي بغداد الكاظمية من عدد من الصعوبات والمشاكل منها سرعة قيادة العربات التي اثرت كثيرا على راحة المسافرين وكانت سببا في كثير من الحوادث[(٨)] . كما عانت

---

(١) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢١ ؛ آل ياسين ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ص ٢١ ، ٢٣ .

(٣) السوداني ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٤) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(*) كانت كل (٤) بارة تساوي قرش واحد . القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

(٥) العدول ، تاريخ شركة ترامواي الكاظمية ... ، ص ١٦٩ .

(٦) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٧) ولمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر العدول ، شركة ترامواي ... ، ص ١٦٩ .

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٨٩ ، قي ٢٣ ذي الحجة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م ، ولمزيد من التفاصيل انظر ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ص ٩٧-٩٩ .

عانت حافلات الترامواي من النقص الشديد في وسائل الانارة حيث اقتصرت على فانوس واحد(١) ، علاوة على قلة انارة الطريق الذي يسلكه الترامواي(٢) وكثرة تعرجاته وضيقه في بعض المناطق المناطق ، فاذا ما حدث وسقطت عربة أو تعطلت توقف العمل بالخط لمدة طويلة(٣) فضلا عن انعدام النظافة في عربات الترامواي(٤) .

بالرغم من السلبيات والمشاكل التي اعترضت سيرة هذا المشروع ، حقق المشروع نجاحا منقطع النظير ومن مظاهر هذا النجاح ، انه ظل طيلة مدة عمله بعيدا عن متناول اية جهة اجنبية ، علاوة على كونه اول مشروع يتم تأسيسه في بغداد برؤوس اموال مشتركة ، كما انه قدم خدمات كبيرة لقطاعات مختلفة من الناس ولا سيما الزوار وابناء الكاظمية(٥) فضلا عن الارباح الكبيرة التي حققها هذا المشروع التي وصلت إلى ٢٠% من راس المال في السنة الاولى وزع قسم منها على أرباب الحصص ، في حين خصص القسم الاخر لاطفاء ديون الشركة(٦) ، واستمر الارتفاع التدريجي لارباح الشركة حتى وصلت سنة ١٨٧٨م إلى ١٠٠% من راس مال الشركة الاساس(٧) . وبذلك اثبت تراماواي الكاظمية اهميته الكبيرة بالرغم من كونه مشروعا صغيرا(٨) .

لكن المشروع سرعان ما تعرض للاهمال والتدهور ، واقتصر الاهتمام بالترامواي على بعض المحاولات لاعادة بناء السكك وبناء نهايات الخط(٩) . فيما لم يبد أي من ولاة بغداد

---

(١) العدول ، تاريخ شركة تراماواي الكاظمية ، ص ١٦٩ .

(٢) شكري ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) علاء موسى كاظم نورس ، بغداد في رحلات الاجانب في العهد العثماني ، مجلة المورد ، المجلد ٥ ، العدد العدد ٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول تلك المشاكل والمعوقات انظر ديلافوا ، المصدر السابق ، ص ص ٩٠-٩١ < العدول ، تاريخ شركة تراماواي الكاظمية ، ص ص ١٦٧-١٦٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٦) الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٤١ . اما مصدر ديون الشركة فقد ذكر احد المصادر ان الكفلة الاجمالية للترامواي بلغت (٢٤) الف ليرة تركية دفع منها (١٨) الف ليرة من رأسمال الشركة اما المبلغ المتبقي فتم تسديده من ارباح الشركة . انظر العدول ، تاريخ شركة تراماواي الكاظمية ... ، ص ١٧٧ .

(٧) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ٢٢٧٢ ؛ لانكلي ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٨) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ٢١٢٥ .

(٩) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٠ .

محاولة لتطوير هذه الشركة باستثناء محاولة ناظم باشا (١٣٢٨-١٣٢٩هـ/١٩١٠-١٩١١م) لاستخدام الطاقة الكهربائية في تشغيل الترامواي تلك المحاولة التي لم يكتب لها النجاح[(١)] .

وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م اسس التاجر البغدادي محمود الشابندر في لندن شركة تنوير بغداد ، حيث اوكل اليها مهمة توليد الطاقة الكهربائية في بغداد ، واستخدام هذه الطاقة في تشغيل عدد من المشاريع منها مشروع ترامواي الكاظمية[(٢)] .

وسعيا من سلطات الاحتلال البريطاني لديمومة العمل في هذا المشروع الحيوي فقد اصدرت سنة ١٩١٨ سلسلة من التعليمات جرى بموجبها تحديد الحد الاعلى لركاب كل من عربات الترامواي بـ (٤٨) راكبا ، فضلا عن اعطاء المفتشين صلاحية انزال ما يزيد على هذا العدد كما صدرت في السنة نفسها تعليمات اخرى عالجت من خلالها مشكلة الازدحام الشديد وخصوصا ابان موسم الزيارات الدينية ، إذ جرى تمديد ساعات عمل العربات مع التأكيد على ضرورة الاهتمام بنظافتها وتعقيمها ، وكذلك اجراء الفحص اليومي لعربات الترامواي من مهندس يتم تنسيبه من الحاكم العسكري البريطاني[(٣)] .

ظلت الشركة مستمرة في اعمالها بالرغم من السلبيات التي اكتنفت مسيرتها الطويلة حيث استطاعت ان تحظى بمدراء اكفاء استطاعوا ان ينظموا ادارتها وتأمين سير عرباتها ، حتى انتقلت ملكية الشركة المذكورة إلى الدولة وبهذا انتهى المشروع كشركة مساهمة حيث ظلت تدار من الحكومة لحين الغائها في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٤٦[(٤)] .

كان النجاح الذي حققه المشروع حافزا للكثير على تاسيس مشاريع مماثلة . اما ولاية البصرة شهدت سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م تشكيل شركة مساهمة لتشغيل الترامواي بين البصرة

---

(١) لونكريك ، العراق الحديث ... ، ج١ ، ص ٦٤ .

(٢) جريدة الرقيب ، العدد ١٧١ في ٥ شوال ١٣٢٨ . لمزيد من التفاصيل حول هذه الشركة انظر :
I.O.R. L/tops/10/212, Summary of Events in Turkish Iraq for January, pp. 95-96.
فيما يعتقد احد الباحثين ان هذه الشركة ربما تكون هي نفس الشركة التي كانت تعمل خلال عشرينات القرن المنصرم باسم (الشركة العثمانية المساهمة للترامواي والتنوير والقوة الكهربائية لمدينة بغداد) انظر : العدول، تاريخ شركة ترامواي الكاظمية ... ، ص ١٧٠ .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذه التعليمات انظر المصدر نفسه ، ص ص ١٦٧-١٦٨ .

(٤) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢١ ؛ تضاربت الاراء حول تحديد تاريخ ثابت لتوقف العمل بالترامواي في في الوقت الذي حدد البعض ذلك التاريخ بسنة ١٩٣٦ ، حدد بعض اخر ذلك التاريخ بسنة ١٩٤١ ، فيما اشار مصدر اخر إلى استمراره بالعمل حتى سنة ١٩٤٧ ، انظر لونكريك ، العراق الحديث ، ص ٦٤ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٤١ ؛ ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عام ١٨٩٤-١٩١٨ ، ج١ (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٢٤ .

والعشار حيث تم طرح اسهمها البالغ عددها (٢٥٠٠) سهم للبيع بسعر ليرتين للسهم الواحد لكن هذا المشروع لم ينفذ[١] .

وفي نهاية القرن التاسع عشر انشئت سكة حديد (تارم حص) ، بين النجف والكوفة ، إذ خصصت لها سكة الحديد الممتدة من النجف إلى الكوفة بخطين خط للذهاب واخر للاياب ، وتسير على هذا وتسير على هذا الخط (عربات للركاب) ، كما قدم كل من عبد الرحمن الباجة جي ومحمد صالح الشابندر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م طلبا إلى وزارة التجارة والاشغال (نظارة النامة) ، لتسيير تراموای بين النجف والكوفة ، وبعد استحصال الموافقات الرسمية ، تم تأسيس شركة عثمانية ، برسمال قدره (٢٤٠٠٠) ليرة عثمانية ، لانشاء المشروع المذكور الذي تم الانتهاء من تنفيذه سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م[٢] .

ومن الجدير بالاشارة ان هناك عددا من مشاريع الترامواي المقترحة لم تدخل حيز التنفيذ بسبب رفض وزارة التجارة والاشغال العامة (نظارة النافعة) المصادقة عليها ، على الرغم من موافقة السلطات المحلية على تنفيذها ، نخص منها بالذكر مشروع ترامواي البصرة العشار بين سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ومشروع الترامواي الكهربائي بين الاعظمية وبغداد[٣] .

كانت العربات التي تجرها الخيول احدى وسائط النقل الرئيسية في العراق ابان هذه المرحلة ، حيث ظهرت ولاول مرة سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م وتحديدا في ولاية بغداد واقتصر استخدامها في البداية على الوالي وبعض كبار الموظفين والوجهاء ، ثم شاع استخدامها بين الناس[٤] .

فيما شهدت ولاية الموصل تأسيس اول مشروع للنقل بالعربات داخل المدينة بدعم من بلديتها التي كان يراسها آنذاك حسن العمري (١٣٠٥-١٣١٠هـ/١٨٨٧-١٨٩٢م)[٥] .

اما بالنسبة لولاية البصرة فشهدت هي الاخرى مشاريع مماثلة ، ففي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م اقدم احد البصريين ويدعى (منكرديك) على تاسيس شركة للعربات التي تجرها الخيول للقيام باعمال النقل بين البصرة والعشار[٦] .

---

(١) العدول ، تاريخ شركة ترامواي الكاظمية ... ، ص ١٧٣ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذا المشروع انظر ناهدة حسين ويسين ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٨٣١-١٩١٧ ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية (ابن رشد) ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٩٩ .

(٣) للتفاصيل انظر بركات ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦-٥٧ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ٨٤ في ٢ نيسان ١٩١١ .

(٥) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٩ .

(٦) الصوفي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩ ؛ محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني ، البصرة التحفة التحفة البنهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ط٢ ، ١٣٤٢هـ ، ص ٦٤ .

وفي مستهل القرن العشرين اسس عدد من تجار بغداد شركات عربات تجرها الخيول عرفت باسم الكومباينة[*] تم تخصيصها لنقل المسافرين بين بغداد وبعض المدن القريبة كبعقوبة والحلة وسامراء حيث اسهمت هذه الشركة في تذليل صعوبات السفر ولا سيما عامل الوقت ، إذ اصبح من السهولة على المسافر على متنها قطع المسافة بين بغداد والحلة بـ (١٦) ساعة[١] . كما ان الاقبال عليها كان كبيرا حتى ان الحجوزات كانت تسبق السفر[٢]. كما ذكر احد الرحالة الذي زاروا العراق سنة ١٩٠٤ عن وجود خدمات منتظمة للعربات بين الحلة وكربلاء والنجف[٣] .

وفي سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ابتدأ العمل سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بتسيير خط عربات لنقل المسافرين بين حلب وبغداد[*] وبمعدل رحلتين في الاسبوع وتراوحت اجرة السفر للشخص الواحد ما بين ٢.٥ و ٤ ليرات عثمانية[٤][٥] .

ووفقا لارقام تعود إلى سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م فان مجموع العربات التي تسير بين بغداد والمسيب بلغت (١٢٦) عربة ، وبين المسيب وكربلاء (١٢) عربة وبين كربلاء والنجف (١٩) عربة ، وبين بغداد والحلة (١٢٦) عربة[٦] .

واستخدمت العربات بين بغداد واستانبول سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م الا ان السفر بين هاتين المدينتين كانت تعترضه الكثير من المخاطر والمشاق[٧] ، علاوة على طول مدة الرحلة التي كانت تستغرق بين الشهر والشهر ونصف[٨] .

بقيت العربات التي تجرها الخيول احدى وسائط النقل الرئيسية حتى نهاية الاحتلال العثماني للعراق ، بالرغم من ان هذه الخدمات كانت بحاجة إلى المزيد من وسائل الراحة مع

(*) من كلمة (company) الانكليزية التي تعني الشركة .

(١) كامل الجادرجي ، من اوراق كامل الجادرجي ، دار الطليعة (بيروت ، ١٩١٧) ، ص ٤٠ .

(٢) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق .

(*) ذكرت جريدة الرقيب محاولة لمحمود افندي الشابندر وعبد الجبار افندي لتشكيل شركة لتسيير العربات بين بغداد وحلب ، الا ان هذا المشروع لم ينفذ بسبب رفض السلطات الموافقة عليه . انظر جريدة الرقيب ، العدد ١٦٥ في ١٨ رمضان ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(٤) الوردي ، المصدر السابق .

(5) Geere, op. cit., p. 6.

(٦) الليرة = ١٠٠ قرش .

(٧) مجلة لغة العرب ، م٣ ، ج٣ ، ايلول ١٩١٣ ، ص ١٥٦ .

(٨) الواعظ ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦-٢٦٠ .

زيادة سرعة العربات ، ناهيك عن صغر حجمها ، وعدم امكانية استخدامها في نقل بعض البضائع أو الصادرات كالحبوب أو الطابوق مثلا[١] .

اما السيارات فلم تدخل العراق حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م[٢] . وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م أسست شركة لنقل المسافرين بين بغداد وبعقوبة وبمعدل سيارتين في اليوم[٣] .

.

شغلت مسالة تحسين طرق المواصلات ووسائط النقل حيزا كبيرا من اهتمام سلطات الاحتلال البريطاني ، منذ الايام الاولى للاحتلال البريطاني للعراق ، خاصة بعد ادخالها لاعداد كبيرة من السيارات العسكرية لتحقيق اغراضها السوقية والستراتيجية[٤] مما اضطر الجيش البريطاني ، بدافع المقتضيات العسكرية إلى انشاء الطرق واقامة الجسور والعبارات المؤقتة لربط الطرق ذات الاهمية مع بعضها ، والتي اصبحت نواة لنظام انشاء الطرق في العراق في العشرينات والثلاثينات[٥] .

اما بالنسبة إلى وسائط النقل فقد حظيت هي الاخرى باهتمام سلطات الاحتلال بدافع المقتضيات العسكرية ، إذ شهدت هذه الوسائط ابان هذه المرحلة تطورا في انماطها[٦] وقد ادخلت بريطانيا انواعا جديدة من العربات ، خصص قسم منها لنقل المسافرين ، عرفت عليما باسم الربل في حين تم تخصيص القسم الاخر لنقل البضائع ، واتصف كلا النوعين بالسرعة

---

(١) نديم ، احوال العراق ... ، ص ٨٥ ؛ Chiha, op. cit., p. 203 .

(٢) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٠ .

(3) I.O.R. L./pts/212, Summary of Events in Turkish Iraq for January 1913, p. 78; Chiha, op. cit., p. 202.

وهناك اشارة إلى محاولة قام بها مجموعة من التجار في سنة ١٩٠٩ لتأسيس شركة مساهمة لتسيير السيارات بين بغداد وكربلاء والنجف ، الا ان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب الخلافات بين اعضائها ، مجلة لغة العرب ، م٣ ، ج١٢ ، حزيران ١٩١٤ ، ص ٦١٩ .

(٤) سعدي علي غالب ، النقل والمواصلات ١٩١٤–١٩١٨ ، حضارة العراق ، ج١٢ ، ص ٢٣٦ . وامام حاجة السلطات البريطانية إلى سواق للسيارات ، نشرت جريدة العرب وفي احدى اعدادها اعلانا بنيت فيه حاجتها إلى سواق للسيارات ، براتب يتراوح بين ٤٥ و ٥٠ روبية شهريا بعد اجتياز المتقدم لدورة تدريبية . انظر جريدة العرب ، العدد ٤٨ في ٢٦ شباط ١٩١٨ .

(٥) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق ، المطبعة الامريكانية (بيروت ، ١٩٣٨) ، ص ص ٣٠٢–٣٠٣ .

(٦) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص ٤٩٩ .

المنخفضة ، ولا سيما النوع الثاني لان عجلاتها كانت من الحديد ولم تغط بطبقة من المطاط لتسهيل حركتها[١] .

وفي حزيران ١٩١٨ بدأت تسير في بغداد وتحديدا بين باب المعظم والباب الشرقي مركبات كبيرة لنقل الركاب في ذلك الطريق ، حيث قسم هذا الطريق إلى اربع مراحل اجرة كل مرحلة آنة واحدة[٢] .

لجأت سلطات الاحتلال ، في محاولة منها للمحافظة على الامن ولمواجهة الهجمات العشائرية على الطرق البرية والنهرية ، إلى تشكيل قوات شرطة غير نظامية عرفت باسم الشبانة ، وبسبب ازدياد المسؤوليات المناطة بهذه القوات ، صدرت الاوامر إلى القائد العام للقوات البريطانية بزيادة اعداد المجندين حتى بلغ عددهم اواخر سنة ١٩١٧ ٥٠٠ مجند كانت حصة بغداد وحدها (١٠٠٠) مجند ، ثم ازداد هذا العدد في كانون الاول سنة ١٩١٨ إلى حوالي (٢٠٠٠) مجند[٣] .

ومع ان السكك الحديدية كانت قد دخلت حيز الاستخدام في النقل البري في الدولة العثمانية خلال المدة التي تغطيها هذه الدراسة ، الا ان ذلك تركز اساسا على اسيا الصغرى (الاناضول) ، وبعض انحاء بلاد الشام بما في ذلك (سكة حديد الحجاز) بين دمشق والمدينة المنورة .

واما العراق فان العديد من مشاريع السكك الحديدية فيه قد اقترحت منذ منتصف القرن التاسع عشر بدءا من مشروع سكة حديد الفرات[٤] ، الا ان معظم تلك المشاريع لم يدخل حيز التنفيذ لاعتبارات مختلفة مالية وفنية وسياسية ، ومع ان الالمان نجحوا في الحصول على امتياز من الدولة العثمانية لمد سكة حديد بغداد في سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م[٥] الا ان الامتياز واجهة

---

(١) علي ناصر حسين ، تاريخ السكك الحديد في العراق ١٩١٤–١٩٤٥ (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ١٩ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ١٣ في ١٧ حزيران ١٩١٨ .

(٣) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٤) تقوم فكرة هذا المشروع على انشاء سكة حديد تمتد من خليج الاسكندرونة حتى قلعة جابر في اعالي الفرات الفرات ، لمسافة تقرب من ٨٠ ميلا ، واريد لهذه السكة ان تكون حلقة وصل بين البحر المتوسط والطرق النهرية في الفرات . وامكانية مد هذه السكة إلى بغداد والبصرة . لمزيد من التفاصيل حول خلفيات هذا المشروع انظر لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، دراسة في تطور دبلوماسية قضية سكة حديد بغداد حتى عام ١٩١٤ (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ص ٩–١٠ ؛ لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ص ٢٠٧٢–٢٠٧٤ ؛ هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ج١ ، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٥٩ .

(٥) تعود البدايات الاولى لهذا الامتياز إلى سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م عندما نجحت الدبلوماسية الالمانية في ابرام اتفاق مع الدولة العثمانية حصلت بموجبه المانية على امتيازين تمثل الاول في استغلال خط حيدر باشا ازميت ، والثاني تنفيذ واستغلال خط ازميت انقرة ، اعقبه حصول الالمان على امتياز جديد يقضي بمد الخط من قونية

معارضة بريطانية في حينه[١] ولم تتم تسوية الخلافات الالمانية – البريطانية الا قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى[٢] . اما بالنسبة للمشروع نفسه فقد وضع الحجر الاساس له في ٢٧ تموز ١٩١٢م[٣] وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى كان الالمان قد انجزوا الجزء الممتد بين بغداد وسامراء فقط[٤] . وبذلك لم يتح للعراقيين الافادة من خدمات النقل بالسكك الحديد .

ومع ان البريطانيين ابدوا اهتماما كبيرا بالسكك الحديد في العراق ابان الحرب العالمية الاولى ١٩١٤–١٩١٨ وانشأوا ادارة مختصة لذلك (مديرية السكك الحديدية)[٥] ومدوا العديد من خطوط السكك الحديدية[٦] ، الان ان استخدام السكك الحديد اقتصر على الاغراض العسكرية لقوات الاحتلال البريطاني[٧] .

إلى الخليج العربي مرورا ببغداد حيث تم التوقيع على الاتفاق الاولي في سنة ١٨٩٩ ، ثم بشكله النهائي في ١٥ اذار ١٩٠٣ الذي تألف من (١٢) مادة ، وبموجبه حصلت شركة حديد بغداد على امتياز من الدولة العثمانية لمد سكة حديد وتشغيلها من قونية مرورا بالاراضي السورية ومنها إلى العراق ، ثم تمتد على طول نهر دجلة إلى بغداد مرورا بتكريت وسامراء ، وتتجه جنوبا نحو الخليج العربي فضلا عن مواد اخرى تضمنتها الاتفاقية . لمزيد من التفاصيل الارشيف العثماني باستانبول ، رقم البحث ١٣٩٤٢ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم القسم ١٤ ، رقم الاوراق ٣٤/٨٨ ، رقم الظرف ٨٨ ، رقم الكارتون ١٢ ، الوثيقة غير مؤرخة ؛ بحري ، المصدر السابق ، ص ٢٧ وما بعدها ؛

F.O. 371/148/2490, The Baghdad Railway Convention of March 1903, part I.

(1) F.O. 371/148/2490/ The Influence of the Railway on British Interest, part V Board of Trade, Memorandum, June, 1905; بحري ، المصدر السابق ، ص ١٣٨

(٢) نجم عن المعارضة البريطانية للمشروع التوقيع على مجموعة من الاتفاقيات بين الحكومات التركية والبريطانية والالمانية التي اعطت الضوء الاخضر للمباشرة بتنفيذ المشروع خاصة الجزء الممتد عبر العراق للتفاصيل انظر : بحري ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٧–١٦٤ ؛ الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني ... ، ص ١٥٧ وما بعدها .

(٣) لانلكي ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ ؛ لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٤) الدليمي ، تغلغل النفوذ البرطاني ، ص ٢٠٧ ؛ وشكل هذا الخط نسبة ٢.٠٦ من مجموع اطوال خطوط السكك الحديدية المنتشرة في الدولة العثمانية آنذاك التي وصلت إلى إلى ٣٨٨٢ ميل . Lewis, op. cit., p. 180

(٥) تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ ، مطبعة العراق (بغداد ، ١٩٢٢) ، ص ٢٢٦ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول خطوط السكك الحديدية التي اقامتها سلطات الاحتلال البريطاني في العراق انظر وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم الملفة أ ف أو ٣٧١ ، ٣٤٠٧ ، اكس/ام ٩٣٧٧٠ رقم الوثيقة ٥ ص ٢٧ ؛ حسين ، تاريخ السكك الحديد ... ، ص ص ٣٢–٦٢ .

(٧)

المبحث الثاني

- **النقل النهري في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ :**
- **مقدمة :**

يعد دجلة والفرات وشط العرب من طرق التجارة الرئيسية في العراق ومنذ القدم وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تفترض النقل في هذه الانهار ، ومنها التاثير السلبي لعوامل الطبيعة وانخفاض منسوب المياه وغيرها من العوائق ناهيك عن الهجمات التي كانت تقوم بها العشائر القاطنة على جانبي الانهار على المراكب التجارية كانت الطرق النهرية هي الوسائل الاكثر استخداما في النقل من السكان ويمكن تقسيم هذه الطرق إلى ثلاثة طرق رئيسية :

١. طريق الموصل – بغداد :

وهو ذو مسلك واحد ، أي ان الملاحة فيه تكون من الموصل إلى بغداد وليس العكس، وبالتالي كان على التجار الراغبين في السفر من بغداد إلى الموصل العودة مع القوافل التجارية عبر احدى الطرق البرية[١] . اما عن اهم محطاته ابتداء من الموصل فهي حمام العليل – السلامية –القيارة – الشرقاط – قلعة المكحول – الفتحة – تكريت – الدور – يامراء – الكاظمية ثم بغداد[٢] .

٢. طريق بغداد – البصرة :

وهو من الطرق التجارية المهمة فهو صلة الوصل بين بغداد والبصرة والخليج العربي ، ويمر هذا الطريق بمدن قصبات عديدة منها المدائن ، والصويرة ، والعزيزية ، وكوت الامارة (الكوت) ، وشيخ سعد ، وعلي الغربي ، وكميت ، والعمارة ، وقلعة صالح والغرير ، والقرنة ثم الدير فالبصرة[٣] .

٣. طريق البصرة – الحلة النهري :

ان هذا الطريق من الطريق النهرية المهمة التي تربط الفرات الاوسط بجنوب العراق، إذ اكتسب اهمية خاصة بالنسبة لتجارة ، بوصفه طريقا بديلا او اضافيا لطريق دجلة النهري ، حيث

---

(١) مراد ، تاريخ العراق ... ، ص٣٧٤ ؛ Henry Austen Layard Discoveries in the ruins of Niniveh and Babylon , John Murray , (London , 1853) . P . 469 .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول تلك المحطات انظر السير دليس برج ، رحلات إلى العراق ، ترجمة : فؤاد جميل ، ج٢ ، ط١ ، (بغداد ، ١٩٦) ، ص٤٣ ؛ السوداني ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣-٢٤ .

(٣) المصدر نفسه .

كانت البضائع ترد من البصرة إلى الحلة بواسطة المراكب العاملة في نهر الفرات ومن ثم تنقل برا بواسطة القوافل إلى بغداد[١] .

وبشكل عام لم تكن الرحلة في هذه الطرق محددة بمدة زمنية ، إذ ان ذلك تتوقف على سرعة تيار المياه وحسب الفصول[٢] ، واتجاه الريح وارتفاع مناسيب المياه وحمولة السفن[٣]. فعلى سبيل المثال كانت الرحلة من بغداد نزولا إلى البصرة تستغرق ما بين (٧–٨) ايام ، عندما ترد الرياح الشمالية وما بين (١٠–١٥) يوما في فترات السكون ، اما صعودا فكان قطع المسافة نفسها يحتاج ما بين ٣٠–٤٠ يوما نظرا لان القوارب كانت تسحب بالجبال على امتداد مسافات طويلة من الطريق[٤] .

وكانت هناك عدد من الوسائط النهرية التقليدية منها الكلك[٥] ، والنفقة[٦]، والقوارب (الشخاتير)[٧] ، والشاحيف[٨]، فضلا عن عدة انواع من المراكب الشراعية النهرية ، منها (البوم (البوم ، الشواي) التي كان يجري استخدامها في شط العرب ونهري دجلة والفرات حتى بغداد[٩] . . اما بالنسبة للسفن البخارية فتاخر استخدامها حتى ثلاثينات القرن التاسع عشر ، وتحديدا من بريطانيا التي كانت قد كشفت جهودها للسيطرة على الملاحة في دجلة والفرات .

---

(١) مراد ، تاريخ العراق ... ، ص ص ٣٧٥–٣٧٧ .

(2) Chiha , OP . Cit , P . 210 .

(٣) مراد ، تاريخ العراق ... ، ص٣٧٥ .

(٤) جيمس بكنفهام ، رحلتي إلى العراق ١٨١٦ ، م١ ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٢٠٥ ؛ بطاطر ، المصدر السابق ، الكتاب الاول ، ص٢٦٤ .

(٥) الكلك : كلمة تركيبية معناها بالعربية الرمث او الطوف ن ويصنع الكلك من اعمدة خشبية تشد إلى بعضها بواسطة حبال متينة على شكل مستطيل او مربع ، فيما تراوحت حمولتها بين (٥–٣٥) طن ، واقتصر استخدامها بين الموصل وبغداد انظر بطاطو ، المصدر السابق ، الكتاب الاول ، ص ص ٢٦٤–٢٦٥ ؛ سون ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ سهيل قاشا ، الكلك في مذكرات الرحالين الاجانب ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ٢ السنة ١١ ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ص ٧٥–٧٨ ؛ Layarard , OP . Cit . P . 468 .

(٦) القفة : سلة مستديرة مصنوعة من سعف النخيل المغطى بالقار ، بطاطو ، المصدر السابق ، الكتاب الاول ، ص٢٦٤ ؛ ويكرام ، المصدر السابق ، ص٣١٤ .

(٧) الشحاتير : عبارة عن زوارق مفلطحة الاسفل ، جرى استخدامها في نهر الفرات ، وتحديدا في المنطقة المحصورة بين دير الزور ، والفلوجة ، انظر : الهاشمي ، مفصل جغرافية العراق ...، ص٢٤٤ ؛

Hairer , OP . Cit . P . 255.

(٨) المشحوف : قارب صغير شبيه بالبلم يصنع من الواح رقيقة ويطلى ظهره بالقار .

(٩) لمزيد التفاصيل حول انواع السفن العاملة في انهار العراق انظر كاظم الدجيلي ، انواع السفن في العراق، مجلة لغة العرب ، م٢ ، ج٣ ، ايلول ، ١٩١٢ ، ص ص ٩٣–١٠٣ .

امام المشاكل العديدة التي عانى منها النقل البري في العراق ومنها رداءة طرق المواصلات ، وعدم ملاءمتها لمرور العجلات ناهيك عن ارتفاع اجور النقل البري ، وافتقار الامن على طرقه ... فضل الكثيرون استخدام المواصلات النهرية ، التي لم تخل هي الاخر من المشاكل والمعوقات ، وتاتي من مقدمتها تعرضها المستمر لهجمات العشائر الثائرة ، التي كثيرا ما كانت تلجأ إلى فرض الاتاوة على السفن المارة ضمن مناطق نفوذها رديرتها[١] . لقاء السماح السماح بها بالمرور في هذه الطرق ، وتأمين الحماية الكافية لها ، فعلى سبيل المثال فرضت عشيرة (زبيد) ، الاتاوة على الطريق النهري بين بغداد والبصرة[٢] .

وكثرا ما لجأت هذه العشائر إلى التعرض للسفن التجارية العثمانية منها البريطانية العاملة على هذه الطرق النهرية ، خاصة في اوقات تدهور علاقات هذه العشائر مع السلطات العثمانية ، ولعل ابرز هذه العشائر التي تعرضت للمواصلات النهرية عشائر البو محمد ، وبني لام ، والمنتفك ، وبني اسد ، والامثلة كثيرة على ذلك . إذ اسهمت المصادر التاريخية في وصف التعرضات ، وكمثال على ذلك كان افراد عشيرة البو محمد القاطنة على ضفاف دجلة اسفل مدينة العمارة يهاجمون البواخر والمراكب التجارية ، وقاموا بقطع طرق المواصلات سنة ١٨٥٥/١٢/٠٢م ، ولم تتمكن السلطات العثمانية من اخضاعهم والسيطرة عليهم[٣] .

وفي سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م امتنع الشيخ صيهود احد شيوخ البو محمد من دفع الضرائب إلى السلطات العثمانية ، وكان قد جمعها من افراد عشيرته وهرب إلى الاهوار ، ومن هناك بدا اتباعه يتعرضون للزوارق النهرية المحملة بالجنوب مما اضطر السلطات إلى اتخاذ اجراءات لضمان سلامة الملاحة في نهر دجلة من خلال تنظيم مسير الزوارق والسفن في وقت واحد ، ومن مكان إلى اخر ، وبعثت في الوقت نفسه بسفينة ضد العصاة من اتباع الشيخ صيهود[٤] .

وفي سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م تعرض عدد من اتباع الشيخ صيهود للباخرة البريطانية (خليفة)[٥] حيث قاموا بقتل عدد من الاشخاص على متنها ، ثم تكرر العمل نفسه سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م عندما قام بعض اعضاء العشيرة ، بالتعرض للسفن العاملة بين البصرة وبغداد وتحديدا في المنطقة المحصورة بين القرنة وقلعة صالح وكثيرا ما تعرضت السفن العثمانية للهجوم بالرصاص من رجال الشيخ صيهود ، ولم تتوقف تلك التعرضات الا بعد قمع الدولة لهذا

---

(١) الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٣٢ .

(٢) الهاشمي ، رحلة من دمشق إلى بغداد ، ص٢٥٤ .

(٣) لوريمير ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ٢٠١٩ .

(٤) السوداني ، المصدر السابق ، ص١٦ .

(٥) محمود ، المصدر السابق ، ص ص ١١٣-١١٤ .

التمرد ، الا ان ذلك لم يضع حدا لهذه التعرضات[١] . وفي سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م تمردت عشائر البو محمد على السلطات العثمانية واخذت تتعرض للسفن البخارية التابعة للشركة الحميدية وتطلق النار عليها لدرجة اصبح مرورها مستحيلا ، واضطرت إلى التوقف في العمارة تحت حراسة حكومية[٢] .

كما تكرر الشيء نفسه سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م عندما اعلن غضبان شيخ عشيرة بني لام وعبد الكريم وفالح شيخي عشيرة البو محمد تمردهم وسيطروا على مناطق نهر دجلة وقطعوا خطوط البرق بين الرقرنة والعمارة ، وبين العمارة وعلي الغربي ، واطلقوا نيران بنادقهم على السفن العثمانية ، "حميدية" "بصرة" ، "بغداد" في منطقتي المواوانية وابو سدرة وتسببوا في قتل وجرح عدد من الاشخاص من ضمنهم عدد من ركاب احدى السفن التابعة لشركة لبخ[٣] . ونتيجة لهذا العصيان قطعت حركة المرور في نهر دجلة بين البصرة وبغداد، ولمعالجة هذا الوضع المتازم قررت السلطات العثمانية في بغداد استخدام القوة العسكرية لاخماد هذا التمرد ، وهذا استخدام القوة العسكرية لاخماد هذا التمرد ، وهذا ما حصل بالفعل[٤] . الا ان ذلك لم يضع حدا لتعرضات هاتين العشيرتين التي استمرت حتى الحرب العالمية الاولى[٥] .

وفي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م قامت عشيرة بني اسد بالتعرض للطريق النهري بين القرنة والعمارة وتكرر ذلك سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م إذ قام الشيخ حسن الخيون رئيس هذه العشيرة واتباعه البالغ عددهم (٦٠٠) شخص بقطع هذا الطريق النهري[٦] .

وكانت الخسائر الناجمة عن هذه التعرضات كبيرة ، إذ توقف نقل الحبوب إلى البصرة تقريبا ، وللسنوات ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، ١٣٢٨هـ/١٩١٣م . بسبب مهاجمة العشائر للسفن النهرية[٧] .

شغلت مسالة الملاحة في نهري دجلة والفرات جانبا من اهتمام بريطانيا ، إذ بدات ثلاثينيات القرن التاسع عشر حركة واسعة من المسوحات والدراسات العلمية لاختبار صلاحية

---

(١) اليوسف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٠-٢٠٢ .

(٢) السوداني ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(٣) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨٤ ؛ محمود ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٧-١٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٣٨ .

(٥) العطية ، المصدر السابق ، ص٦٨ .

(٦) محمود ، المصدر السابق ، ص٦٨ ؛ اليوسف ، المصدر السابق ، ص٢٠١ .

(٧) الكسندر ، اداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ج٢ ، مركز دراسات الخليج العربي ، قسم الدراسات التاريخية والجغرافية ، (٩٦) ، (البصرة ، ١٩٨٩) ، ص٢٥٣ .

الملاحـــة فـــي انهـــار العـــراق ومنهـــا بعثـــة جســـني (Chesney)[١] . وهنـــري بلـــوص لبخ (H.B. Lynch) .

حيث اثمرت تلك الجهود سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م تاسيس شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية Euphrates and Tigrs steam Navigation Co والتي عرفت باسم (شركة لبخ)[٢] وبراسمال قدره (١٥٠٠٠٠) باون استرليني[٣] .

وعلى مدى السنوات اللاحقة استطاعت هذه الشركة وبدعم من الحكومة البريطانية منافسة الملاحة العثمانية واحتكار الملاحة في نهر دجلة حيث ذكرت احدى المصادر ان هذه الشركة حققت ارباحا طائلة بعد افتتاح قناة السويس قدرت بـ ١٠% ، ١٥% ، ٢٥% سنويا وللاعوام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ، ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م . على التوالي[٤] .

---

(١) اثبتت التحريات التي اجراها جسني عدم صلاحية نهر الفرات للملاحة البخارية التجارية . للتفاصيل انظر : عبد العزيز سليمان نوار ، المصالح البريطانية في انهار الفرات ١٦٠٠-١٩١٤ (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ص ٣٦-٤٧ ؛ يعقوب سركيس ، الملاحة التجارية في العراق ، مجلة التجارة ، الجزءان (٢ ، ٣) شباط، ١٩٥٥ ، ص١٤ .

(٢) افادت الشركة من الامتياز الذي سبق اللباب ان منحه لحكومة بريطانيا سنة ١٨٣٤ لبعثة جسني ، الذي اعطى حق الملاحة لباخرتين على نهر الفرات الا ان شركة لبخ استقلت ذلك الامتياز للعمل في نهر دجلة ، وبذلك افاد لبخ من الامتياز الذي لم يمنح له بل منح للحكومة البريطانية ، برد ، المصدر السابق ، ص ١٧٨.
J.A. Ssdanha , Precis of Turkish Arabia Affairs (1801-1905) Vol , Vi , P . 181 .

(٣) ازداد راسمال الشركة حتى وصل قبيل الحرب العالمية الاولى إلى (١٠٠٠٠٠٠) باون ، لانكلي ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .

(٤) فواز مطر الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٩٢ .

شركة العمان العثماني (١٨٦٩-١٩١٤) :

تعود البدايات الاولى لتشكيل خط الملاحة البخارية العثماني في نهر دجلة إلى والي بغداد رشيد باشا الكوزكلي (١٨٥٣-١٨٥٧م) ، عندما عرض سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م على جماعة من التجار تشكيل شركة ملاحة بخارية وطنية ، راسمال نصفه للحكومة والنصف الاخر يشترك فيه التجار والاعيان(١) . ويبدو ان هناك عددا من الاسباب دفعت هذا الوالي إلى التفكير بتاسيس مثل هذه الشركة لعل ابزها ادراك العثمانيين لخطورة النشاط الملاحي البريطاني في المياه العراقية(٢) .

فضلا عن تاخير المواصلات النهرية في العراق ، حيث ان السفن الشراعية العاملة بين البصرة وبغداد كثيرا ما كانت تتكأ في مسيرتها لدرجة تصح الحاجة بحرها بالحبل امرا ضروريا علاوة على طول مدة الرحلة لهذه السفن التي كانت تصل في بعض الاحيان إلى شهرين(٣) .

وامام هذه المصاعب اوصى الوالي المذكور على شراء باخرتين من بلجيكا(٤) . الا انهما وصلتا بعد وفاته . وفي سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م اصدر المرسوم السلطاني القاضي بانشاء شركة ملاحية للعمل في نهر دجلة وبراسمال قدره ١٠٠.٠٠٠ كيس(٥) وبامتياز لمدة ٣٠ سنة واطلق على هذه الشركة اسم ادارة عمان العثماني(٦) ، كان ميدان عملها في نهر دجلة بين بغداد والبصرة اساسا ، فضلا عن رحلات بحرية طويلة إلى سواحل الجزيرة العربية ، كما اوصى والي بغداد نامق باشا (١٨٦٢-١٨٦٧م) بشراء ثلاث سفن اضافية وهي كل من الموصل ، ،الرصافة ، والفرات(٧) . حيث باشر ولاول مرة باستخدام البواخر لاغراض ادارية من خلال نقل الجنود

---

(١) نوار ، العراق الحديث ، ص٢٧٦ ؛ الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٣١ ؛ القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ، ص٣١ .

(٢) نوار ، المصالح البريطانية ، ص ص ١٠٩ .

(٣) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

(٤) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٢٧٩ ، وقد عرفت هاتان الباخرتان فيما بعد باسم (بغداد ، والبصرة) ، نوار ، تاريخ العراق الحديث ...، ص٢٧٦ ؛ سركيس ، الملاحة التجارية في العراق ، ص٢٥ .ويبدو ان ادارك الدولة العثمانية لخطورة النشاط البريطاني كان وراء تفضيل والي بغداد شراء البواخر من بلجيكا ، بدلا من بريطانيا ، نوار ، المصالح البريطانية ، ص١٠٩ .

(٥) الكيس : ٥٠٠ قرش أي ما يعادل (٥٠.٠٠٠.٠٠٠) قرش .

(٦) سميت الشركة بهذا الاسم لان الدولة العثمانية اعتبرت بحر عمان جزءا من دولتها واخذت تسير بواخرها إلى الخليج العربي ، والبصرة ، السوداني ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٧) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ص ١٥٣-١٥٤ ؛ نوار تاريخ العراق الحديث ، ص٢٧٦ .

والموظفين[١] . رسميا من هذا الوالي ، إلى حماية الملاحة من هجمات القبائل القاطنة على ضمان نهر دجلة انشا مدينة العمارة سنة ١٨٦٣[٢].

استمرت المجهودات لتعزيز خط البواخر العثماني في مياه العراق ، حيث اتخذت لها شكلا بارزا وقويا على يد مدحت باشا ، عندما اقتنع بحاجة العراق الماسة للبواخر ، لتلبية احتياجات السكان الرئيسية في نقل البضائع والمسافرين ونقل الحجاج إلى الديار المقدسة على نحو خاص ، فضلا عن رغبته الشديدة في منافسة المصالح الاجنبية وخاصة البريطانية ، التي احتكرت النقل النهري في العراق[٣].

حاول مدحت باشا جعل نهر الفرات طريقا منافسا لطريق قناة السويس عندما اعز بدراسة احوال نهر الفرات لبيان مدى صلاحية هذا النهر لسيير البواخر التجارية ، وبناء على ذلك ، فقد عرفت ازالة ما في نهر الفرات من عوارض مانعة[٤] .

ونظرا لضيق بعض امكنة النهر وحدة جريان النهر في اماكن اخرى ، اوعز مدحت باشا بشراء بواخر ذات مواصفات خاصة تمهيدا لسييرها في نهر الفرات ، وقد اطلقت عليها جريدة (الزوراء) بتسمية ذات الجروح الاربعة[٥] . لعل ابرزها الباخرة مسكنة[٦] . كما اقام على طول هذا هذا الطريق نقاطا للحراسة لمنع العشائر القاطنة على جانبي النهر من تهديد السفن الملاحية[٧] . وعلى الرغم من تلك الجهود الا ان هذا المشروع واحة العديد من الصعوبات التي دقفت حائلا دون الاستمرار فيه ، إذ سرعان ما توقفت البواخر العاملة في نهر الفرات بعد عزل مدحت باشا[٨]. فيما اقتصرت الملاحة في هذا النهر على ارسال باخرة واحدة إلى اعالي الفرات وعلى مدار السنة[٩] .

---

(١) القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ... ، ص٣٢ .

(٢) اداموف ، المصدر السابق ، ص١٨٩ .

(٣) حتاتة ، المصدر السابق ، ص٩٥ .

(٤) الدملوجي ، المصدر السابق ، ص٣٩ . Haider , OP . Cit . P . 444 .

(٥) سميت بهذه التسمية لانها كانت تتحرك بواسطة اربعة دواليب تدور في المياه بقوة البخار ، المصدر نفسه.

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٢ في ٢٢ صفر سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٣م لمزيد من التفاصيل انظر الغرباوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٩٠ . من الجدير بالذكر ان الباخرة مسكنة ، البالغ حمولتها ٨٠ طنا ، وقدرتها ، ٤٠ حصانا ، التي اوصى مدحت باشا على شرائها لم تصل الا بعد عزل مدحت باشا ، وقد دقفت عن العمل ١٣١٢هـ/١٨٨٤م . انظر : لوريمير ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢١٣٣ .

(٧) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٣٩٠ .

(٨) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .؛ Hand book of Mesopotamia , OP. Cit . P . 291 .

(٩) عانت هذه الرحلة من سلبيات عديدة يقف في مقدمتها عدم انتظامها ، إذ لم يكن لها تاريخ محدد لانطلاقها لانطلاقها وعودتها ، وفضلا عن ذلك عدم امكانية تغطية مصاريف الرحلة بسبب طول مدتها انظر :

ولتحسين الملاحة بين دجلة والفرات[١] قام مدحت باشا باعادة فتح قناة الصقلاوية في اقصر مسافة بين النهرين وتحديدا في المنطقة المحصورة بغداد والفلوجة تمهيدا لتيسير البواخر النهرية . وبالفعل ابحر مدحت باشا بنفسه خلال تلك القناة من دجلة إلى الفرات على متن باخرة صغيرة[٢] . إلا ان القناة سرعان ما اخذت تسحب كميات كبيرة من المياه من نهر الفرات مما هدد المناطق المحيطة ببغداد بالغرق ، فلم يكن امام مدحت باشا إلا اللجوء إلى اغلاق هذه القناة بانشاء سد على صدرها .

وتم افتتاح خط ملاحي بين البصرة واستانبول وموانئ اوربية اخرى عبر قناة السويس كما قرر تعزيز الاسطول البحري ، وتطوير الملاحة الخارجية بازالة الرواسب عن شط العرب تمهيدا لاستقبال البواخر الكبيرة ، وذات الغاطس العميق ، فضلا عن انشائه حوضا

Geaary , OP . Cit . Vol 1,

فيما اوردت مصادر اخرى محاولة فاشلة قام بها والي بغداد ناظم باشا لتشغيل قوارب ذات محركات من اجل الخدمة المنتظمة على نهر الفرات ، اوعزت هذه المصادر بسبب فشل هذه المحاولة إلى الصعوبات الملاحية وعدم ملاءمة السفن المستخدمة للظروف الملاحية في نهر الفرات .

I.O.R , L/P + S/10//212 Sumary of Events in Turkish Iraq for the Month of Novembe 1911 , No, 211 ; Hand book of Mesopota mia , OP . Cit , P . 291 >

جريدة صدى بابل ، العدد ٩٠ في ٢ تموز ١٩١٨ .

(١) كا نهر الفرات منذ اقدم الازمنة متصلا بنهر دجلة بمجرى واسع كان يستخدم طريقا للمواصلات النهرية بين الفرات ودجلة حيث عرف باسماء مختلفة منها ترعة الصقلاوية ، وحتى سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م كانت هذه الترعة تؤدي مهمتها وقيل ان باخرة عبرت هذه الترعة في ذلك الحين من الفرات إلى دجلة ، ويبدو ان مدخل هذا النهر اخذ في الاتساع شيئا فشيئا ، وبالتالي توقفت السدود المقامة على جانبي المدخل عن التحكم في مياه النهر ، مما هدد مدينة بغداد بالغرق ، وبدلا من علاج هذه الحالة ، برفع مستوى السدود وتقريبها وانقاص اتساع مدخل الترعة إلى الحد الضروري ، كانت الفكرة هي سد هذه الترعة التي تولى الوالي محمد نجيب باشا بتنفيذها (١٨٤٢-١٨٤٩) ، وبالتالي لم يعد هناك أي اتصال بين وادي دجلة ووادي الفرات انرظ سوسة ، فيضانات بغداد ، ج٢ ، ص ص ٣٩٠-٣٩٨ ؛ عيساوي ، المصدر السابق ، ص٥١٨ .

(2) Haider , OP . Cit . P . 399 .

للسفن وورشة لتصليح وتراكيب البواخر ، إلا ان عزله عن ولاية بغداد حال دون تنفيذ هذه المشاريع[١] .

كما امر مدحت باشا بتوسيع ميناء البصرة وتحسينه لاعتقاده ان الميناء برصفه انذاك كان لا يتلائم ومشاريعه التي ينوي القيام بها في الخليج العربي ولتسهيل تفريغ البواخر في الميناء استورد مدحت باشا الة ضخمة لرفع وتفريغ البضائع عرفت بـ (الماجولة)[*] .

اما فيما يخص الادارة النهرية العثمانية فقد اتخذ مدحت باشا سلسلة من الاجراءات للارتقاء بواقعها المتدهور ، وقد ترافقت مع وصول الباخرتين اللتين كان نامق باشا قد اوصى بهما واللتين حصلتا سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وهما الفرات والرصافة[٢] . فضلا عن اصلاحه للبواخر العاطلة وضمها إلى الاسطول النهري[٣] . وتامين حاجات هذه السفن من الوقود في رحلاتها البحرية الطويلة من خلال انشائه لعدد من المحيطات في كل من عدن ومسقط وبندر عباس وبوشهر[٤] . وجرى تحديد الحدود الدنيا لكميات الوقود الموجودة في هذه المحطات بان لا تقل عن ٣ الاف طن من الفحم ، كما جرى تعيين عدد من العمال والموظفين في هذه المحطات تم تزويدهم بالمعدات اللازمة[٥] . فضلا عن تعيين مدير جديد لشركة وصف بانه كان اكثر اهلية من المدير السابق[٦] .

وازدادت اعداد اخر الشركة العاملة لتصل إلى عشرة بواخر[٧]وهي بابل[٨] ،

---

(1) Haider . OP. Cit., P . 458 اداموف ، المصدر السابق ، ج٢ ، ١٩ . .

(*) كان ارتفاع هذه الالة سبعين قدما ، اما حمولتها فتراوحت بين ٣٠-٣٥ طنا ، انظر : جريدة الزوراء ، العدد ٣٢٣ في ٢٠ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م .

(٢) لوريمير ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢١٣ .

(٣) سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ، ص١١٩ .

(٤) يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد ، القسم الثاني ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، (بغداد ، ١٩٥٥) ، ص٢٩٦ .

(٥) حتاتة ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .

(٦) لونكريك ، اربعة قرون ، ص٢٨٣ . Haider , OP . Cit ., P . 443 .

(٧) فيما حددت مصادر اخرى هذا العدد بـ (٨) بواخر ، العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨٩ ؛ العلاف ، بغداد القديمة ، ص١٩ .

(٨) بابل : تم شراء هذه الباخرة بطريقة المزايدة بمبلغ ٣٣ الف ليرة ، حيث كانت تقوم باربع رحلات إلى استانبول وعبدل رحلة واحدة كل ثلاثة اشهر ، فيما خصص الرحلة الثالثة لنقل المسافرين من استانبول إلى جدة ، اما الرحلة الرابعة فكانت بين البصرة ولندن ، العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٩٠ ؛ القهواتي، المصدر السابق ، ص٢٥٧ ؛ عيساوي ، المصدر السابق ، ص١٨٩ .

اشـور[١] نينـوى[٢] ، الطـراق[٣] ، ديـالى[٤] . وتلعفـر[٥] ، وتـاووس[٦] ، والـوس[٧] ، ونجـد[٨] ، والبصـرة[٩] . كمـا قـام بشـراء مركـب صـغير اطلـق عليـه اسـم (الحـدباء) تمـت الاسـتعانة بـه فـي تعميق مجرى النهر ، وفضـلا عن نقلـه لبريد اوقات انخفاض مستوى النهر[١٠] في الوقت الذي جرى فيه استخدام بواخر ، الفرات ، والبصرة ، والرصافة في نهر الفرات[١١] .

اشتهرت سفن ادارة عمان العثماني ابان ولاية مدحت باشا بانتظام اوقات سيرها[١٢] . اذ دابت هذه الادارة على الاعلان في جريدة (الزوراء) عن سفرات بواخرها ، وسعار نقل المسافرين والبضـائع التجاريـة إلـى مختلف المناطق[١٣] كما كانت البواخر النهريـة في دجلـة تحمل البضـائع أو الزوار من الايرانيين فضلا عن الجنائز من البصرة إلى بغداد حيث يجري

---

(١) اشور : بلغت قوتها (١٢٠) حصانا وكانت تنقل البضـائع كل ثلاثة اشهر بين البصرة واستنابول عبر قناة السويس ، سركيس ، المصدر السابق ، ص٢٩٥ .

(٢) نينوى : كامنة تعمل بين البصرة واستانبول ولندن ، بمعدل ثلاث رحلات سنويا تم تخصيص الرحلة الثانية لنقل الحجاج إلى حدة سواء من البصرة ام استانبول ، القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٥٧ .

(٣) الطراق : معناها الحفاد واستخدمت من كلري نهر دجلة ومصب شط العرب وقوتها (٢٥٠) حصانا ، كان نهر ميدانيا لعمل هذا المركب السوداني ، المصدر السابق ، ص٨٠ . في حين بلغت القيمة الشرائية لسفن بابل ، اشور ، نينوى ، الطراق ، ٦٤٦٦٥٣٥" قرشا ، سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ، ص١٢٢ .

(٤) ديالى وهـي سفينة حربيـة اشرتها الحكومـة مـن الهنـد ، وكانـت تسـمى كركـر ثـم اسمية ديـالى فيمـا بعـد ، السوداني ، المصدر السابق ، ص٧٩ .

(٥) تلعفر : احدى البواخر النهرية ، قوتها (٣٠) حصانا ، لم تستمر في الخدمة طويلا اذ ما لبثت ان احترقت فس شط العرب . البازي ، المصدر السابق ، ص٢٥٩ ؛ لوريمير ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢١٣٣ .

(٦) تاووس : احدى البواخر العاملة في نهر الفرات ، القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(٧) الرس : احدى البواخر العاملة في نهر الفرات بلغت حمولتها (١٠٥) طن ، المصدر نفسه .

(٨) نجد : تم شراؤها من متصرفية نجد بلغت قيمتها (١٩٧٥٠٠) قرش ، اما قوتها فكانت (٢٥٠) حصانا ، جريدة الزوراء ، العدد ٢٠٨ في ١٨ شوال ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

(٩) بصرة : بلغت حمولتها ١٠ طن ، اما حولها فكان ١٢٠ قدما . هيثم علوان مصطفى العربي ، ادارة بحرية العمان العثماني من خلال جريدة (الزوراء) ، ١٨٦٩–١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، (معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ١٩٩٥) ، ص١١٠ .

(١٠) العزاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ص ٢٢٦–٢٢٧ .

(١١) المصدر نفسه ، ص٢٢٨ .

(١٢) عيساوي ، المصدر السابق .

(١٣) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ... ، ص٣٩٠ .

نقلها برا إلى كربلاء والنجف[١] . وكانت الرحلة من بغداد إلى البصرة تستغرق بين ٣–٥ ايام معتمدة على تيار النهر[٢] . اما رحلة العودة ، حيث يكون السير بعكس مجرى الماء ، فكانت تستغرق ما بين ١٠–١٥ يوما[٣] .

وفضلا عن ذلك فقد نظمت ادارة الشركة رحلاتها إلى موانئ الخليج العربي وميناءي عدن والحديدة لتصل إلى جدة حاملة الحجيج في رحلة تستغرق (١٥) يوما ، وكانت تلك البواخر تمر بالموانئ المصرية السويس ، وبور سعيد والاسكندرية وبموانئ البحر المتوسط كمينائي يافا وبيروت وبميناء ازمير في طريقها إلى استانبول ، ومنها ما كان ينطلق إلى لندن مارا بموانئ الخليج العربي وبحر العرب والبحر الاحمر والموانئ الاوربية[٤].

كانت ادارة الشركة تابعة للبحرية العثمانية ، اذ لم يحق للولاة التدخل في شؤونها إلا بامر الباب العالي[٥] . فيما تولى ادارتها ضابط كبير برتبة ميرلوا بحري ، يساعده عدد من الموظفين الاداريين والمامورين[٦] . فعلى سبيل المثال تالفت ادارة الشركة سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م من رئيس الموظفين والفنيين فضلا عن موظفي الشركة في فروعها في كل من العمارة والكوت والبصرة[٧] .

وتتبع ادارة الشركة ادارة خاصة لمعمل اصلاح السفن المسمى (عمان فابريقه سي) الذي يعود الفضل في انشائه إلى والي بغداد نامق باشا[٨] ، حيث كانت تجري فيه الاصلاحات اللازمة لبواخر الشركة .

---

(١) سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ، ص١٢١ .

(2) Chiha , OP. Cit , P . 209 .

(٣) الهاشمي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٤) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص٩٨ .

(٥) لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٣٨٣ ؛ شكري ، المصدر السابق ، ص٣٨٣ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) س.و.ب ، سنة ١٢٩٤هـ ، ص٧٠ تالف فرع الشركة في ولاية البصرة من رئيس ومحاسب وكاتبين للواردات للواردات وكاتبين آخرين للمصارف ومفتش وكاتب تحريرات ومامور مخزن وامين صندوق ، انظر . ب.و.س سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، ص٣٣١ .

(٨) بلغت كلفة انشاء هذا المعمل ١٠.٠٠٠ ليرة عثمانية ، اما كلفة الالات والادوات فقد جمعت اقيامها عن طريق الاعانات النقدية من الاهالي فضلا عن ما قدمته خزانة الدولة من اموال فيما تولت نظارة النافعة مهمة الاشراف على ادارة المعمل ، وبعد الغاء هذه الدائرة تم الحاق المعمل بادارة الشركة ، جريدة الزوراء ، العدد ١٢٣٨ في ٦ محرم ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

وبالرغم من الدعم المقدم للشركة العثمانية إلا انها منيت بخسارة مقدارها ٣٦ لكا(*) من القروش حيث دققت حساباتها من لجنة تم تشكيلها من مجلس الولاية في سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٤م وربما للخسارة علاقة باستغلال سفن الشركة لنقل القوات العثمانية من والى الاحساء في اثناء حملة مدحت باشا سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م مما اخر حركة النقل التجاري ، كما ادى إلى خسارة الشركة[١] وعلاوة على انفاق الجزء الاكبر من ايرادات الشركة على اعمار بنايات الشركة ، وعلى تعمير البواخر وصيانتها واصلاح ما اصابها من جراء الاستخدام ، فضلا عن ابواب الصرف الاخرى .

عانت الشركة من الاهمال والتدهور حيث يقدم السائح جيري وصفا لاوضاع الشركة المالية والادارية سنة ١٢٩٥ه/١٨٧٨م قائلا " ... ان تلك الادارة كانت تبادلها الايدي عدة مرات وكانت في جميع الاحوال ادارة فاشلة يتم اختيارها كيفما اتفق ، امام عن طاقم البواخر فيقول انهم جميعا بريطانيون ، ويضيف بان الاسطول التجاري الذي اوجده مدحت باشا يحقق الان ربحا سنويا قدره ٨% ، حيث يذكر ان الشركة ترسل باخرة واحدة إلى اعالي الفرات مرة كل عام في موسم الفيضان ، لكن الرحلة لا تسد نفقاتها ابدا ..."[٢] . ويبدو ان اوضاع الشركة ساءت كثيرا إلى الحد الذي فكرت فيه ادارتها سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م بتاجير بواخرها الثلاثة من التجار وهم عبد الرحمن الباجه جي وشركة هوتسن وزون وروبين ابراهيم إلا ان هذا الاتفاق لم يتم[٣] .

كما كان لمنافسة التي مارستها شركة لبخ تاثيرها السلبي في التاثير في نشاطات الشركة العثمانية ، وعلى الرغم من محاولات الحكومة العثمانية الحد من نشاطات شركة

(*) اللك = ١٠٠.٠٠٠ قرش وهذا يعني ان المبلغ يساوي ٣.٦٠٠.٠٠٠ قرش .

(١) السوداني ، المصدر السابق ، ص٨١ .

(٢) القهواتي ، المصدر السبق ، ص٢٥٩ .

(٣) المصدر نفسه .

لنج[١] ، إلا ان الحصانة السياسية التي تمتعت بها الشركة الانكليزية حالت دون نجاح هكذا محاولات[٢] ، وفي الوقت نفسه جرت محاولات عديدة لاعادة نشاط شركة العمان العثماني نذكر منها محاولة ادارة علي رضا باشا سنة ١٣٠٣هـ/١٨٥م ، وامين باشا سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ففي اعقاب تولي الاخير مسؤولية ادارة الشركة تحسنت احوالها وازدادت ايراداتها إلى العاصمة العثمانية ، لشراء باخرتين جديدتين جرى الحاقها ببواخر الشركة[٣] . كما جرى تاحير احدى بواخر الشركة إلى احد التجار لقاء مبلغ قدره (١٧٠٠) روبية[٤] .

وزيادة في دعم الحكومة العثمانية لنشاط هذه الشركة فقد حصلت سنة ١٣١هـ/١٨٩٣م على امتياز جديد يجيز لبواخر الشركة استلام البضائع مباشرة في عرش شط العرب والتوجه بها إلى كمرك بغداد دون الحاجة إلى التوقف في دائرة الكمرك في البصرة ، إلا ان شركة لبخ وبدعم من الدبلوماسية البريطانية سرعان ما تمكنت من الحصول على امتياز متشابه[٥] .

استمرت شركة عمان العثماني في ممارسة نشاطها الملاحي ، اذ كانت تسير بواخرها بين بغداد والبصرة وبمعدل باخرة واحدة كل ثلاثة ايام[٦] .

---

(١) كانت شركة لبخ تجني ارباحا كبيرة من عمليات النقل التي تقوم بها بين البصرة وبغداد ، اذ كانت اجرة هذه الرحلة ٤٠ شلنا ، وكثيرا ما ارتفعت لتصل إلى (٨٠) شلنا عن الطن الواحد ، في حين تراوحت اجرة الشحن للرحلة التي كانت تستغرق شهر من لندن إلى البصرة بما فيها رسوم قناة السويس بين ٢٠-٣٧ شلنا ، وكانت تتدنى احيانا لتصل إلى (١٥٠) شلنا عن الطن الواحد بطاطور المصدر السابق ، الكتاب الاول ، ص٢٧٥ ، وانعكس ذلك بالتالي على صافي ارباح عمليات الشركة ، التي بلغت حوالي ٢٥% من مجموع راسمالها في كل سنة ، في حين بلغ صافي الايراد السنوي للبواخر التابعة للحكومة العثمانية حوالي ٨% من مجموع راسمالها ، الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني ، ص٩٣ .

(٢) اصدرت الحكومة العثمانية في سنة ١٨٨٣ قرارا يقضي بمنع شركة لبخ منممارسة نشاطها الملاحي في نهر دجلة ، إلا ان بريطانيا سرعان ما اجبرت الدولة العثمانية على التراجع عن هذا القرار ، انظر : نوار ، المصالح البريطانية ... ، ص١٥٣-١٥٦ ؛ Saldanha , OP . Cit . P . 2 ؛ محمود علي الداؤد ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ ، جامعة الدول العربية ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص ص ٤١-٤٢ .

(٣) منافع البواخر ، مجلة لغة الرب ، م٣ ، ج١٢ ، السنة الثالثة ، حزيران ١٩١٤ ، ص ٦١٧ .

(٤) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

(٦) السوداني ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

وفي سنة ١٩٠٥هـ قامت دائرة السنية بشراء ادار عمان العثماني مبلغ قدره (٩.٥٠٠٠) ليرة عثمانية[١] . حيث جرى تحويل المراكب الاربع والتي تملكها الشركة العثمانية وعدد من المنشات ومكاتبها في بغداد والكوت والعمارة والبصرة ، وحوض السفن الجاف في البصرة والممتلكات الادارية إلى الشركة الجديدة[٢]. التي اطلق عليها تسميات مختلفة منها ، ادارة البواخر الحميدية ، ومكتب الملاحة الحميدي ، لكن التسمية الشائعة كانت (الشركة الحميدية)[٣] .

---

(١) الداؤد ، المصدر السابق ، ص٤٨ ؛ فيما قدرت مصادر اخرى سعر الشراء بـ (٧٠٠٠) ليرة عثمانية ، منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص٦١٧ ؛ العزي ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٢) Haider OP . Cit , P . 451 ؛ وللمزيد من التفاصيل حول اقيام الموجودات التي تولت الدائرة السنية شراها ، انظر الجدول ذا الرقم (١٦) .

(٣) يوسف رزق الله غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا ، ط١ ، مطبعة الرابطة ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص٨٤ ؛ القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ .

جدول رقم (١٣)

البنود الرئيسية التي انتقلت من شركة عمان العثماني [١] إلى دائرة السنية مع اقيام شرائها

ت	الموجودات	ليرة عثمانية	جنيه استرليني
١.	ثلاث بواخر نهرية ومراكب نقل	٥.٠٥٠	٥.٥٤٥
٢.	باخرة نهرية واحدة	١.٥٠٠	١.٣٥٠
٣.	معمل في البصرة فيه بعض المكائن	١.٥٠٠	١.٣٥٠
٤.	حوض جاف على نهر الخندق في البصرة به بعض المكائن	١.٠٠٠	٠.٩٠٠
٣.	مكتب ومستودع للتخرين مبني من الطوب وفناء مربع للبضائع مساحته ٤.٠٠٠ ياردة مربعة في شط العرب	١.٥٠٠	١.٣٥٠
٤.	مكتب في مدينة العمارة	١٠٠	٩٠
٥.	مكتب في مدينة الكوت	١٠٠	٩٠
٦.	مكتب في مدينة بغداد	١٠٠	٩٠
	المجموع	**٩.٥٠٠**	**٨٥٥٠**

شرعت الشركة الجديدة بشراء باخرتين جديدتين هما (الحميدية) و (البرهانية) حمولة كل منها (٢٣٠) طن[٢] . فضلا عن اربعة صنادل جيبان يمكن سحب بواخر الشركة كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك[٣] . وفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م اضافت الشركة الجديدة مركبي نقل تم استيرادهما من بلجيكا[٤] .فضلاً عن بواخر الشركة ، وهكذا امتلكت الشركة ٤ بواخر جديدة ، وواحدة قديمة وهي (رصافة)[٥] . في الوقت الذي وصل فيه راسمال الشركة إلى ٦٠.٠٠٠ ليرة تركية[٦] .

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢٢٦٧ .

(2) Haider < OP . Cit . P . 451 .

(٣) القهواني ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

(٤) Consular R eport on the trad of Basr 9 for the Year 1970 . NO . 4024 , Annual series NO . 3865, p .7 .

(٥) اما عن مصير البوخر القديمة فقد تركت الباخرتان "موصل" و "الفرات" بسبب تقادمها في حين حولت الباخرة بغداد إلى سفينة صغيرة للدفاع عن السواحل ادامون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

(٦) السوداني ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

وسرعان ما ازدهرت اوضاع الشركة حيث صدرت الادارة السلطانية بالموافقة على تشكيل لجنة خيرية لتشغيل البواخر بين خليج البصرة (الخليج العربي) والسواحل المجاورة والمحيط الهندي[١] .

باشرت الشركة الجديدة باداء مهامها في مجال النقل بكفاءة عالية وبشكل جيد ، جعل بواخر تنافس بواخر شركة لنج خاصة في مجال نقل المسافرين وكمحاولة من الشركة للتخفيف من تراكم البضائع في ميناء البصرة ولمنافسة شركة لنج باشرت الشركة الحميدية بتيسير باخرتين اسبوعياً من البصرة إلى بغداد وبأجور اقل ، وارباح اكثر[٢] .

كما نجحت الشركة ، والى حد معين ، في تحويل زبائن شركة لنج اليها ، من خلال مناشدة اداريها التجار والركاب المحليين باستثارة مشاعرهم الدينية ليتعاملوا معهم بدلاً من الشركة الانكليزية على اعتبار انهم مسلمون وان اصحاب الشركة الانكليزية هم نصارى ، فضلاً عن انها استخدمت نفوذها الرسمي لتحويل الزيائن من شركة لنج اليها وتدل احدى الاحصائيات على ان الجزء الاكبر للشحنات المتوجه من بغداد الى لندن كان يتم نقلها بواسطة شركة لنج من بغداد إلى البصرة ، اما غالبية المسافرين المحليين فانهم اخذوا يستخدمون بواخر شركة الحميدية الحصول على ثقة التجار والممسافرين بكفاءة ملاحيها[٣] . فضلاً عن احتكارها كل النقل الحكومي مثل نقل القوات والمؤن العسكرية ، حيث كانت البواخر التابعة لها تحمل القوات العثمانية في حالة تعبئتها وارسالها للنجدة[٤] . كما تحمل البضائع إلى الحومة العثمانية ، وكل ذلك مقابل اسعار تجارية[٥] .

استمر نشاط الشركة في تزايد مستمر وهذا ما اكده القنصل البريطاني في البصرة عندما اشار إلى تزايد اعداد بواخر الشركة ، وان الباخرة "حميدية" قامت خلال المدة المحصورة من ١٢ أب ١٩٠٤ ، حتى ٧ نيسان ١٩٠٥ بـ (١٣) رحلة ، بينما قامت الباخرة (برهانية) ، وخلال المدة من ١٧ ايلول ١٩٠٤ وحتى نيسان ١٩٠٥ بـ (بعشر رحلات) ، تم خلالها شحن كميات كبيرة من البضائع ، باجور مخفضة بلغت (٣٥) قرشاً للطن المنقول من بغداد إلى البصرة[٦] حيث

---

(١) العربي ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

(2) Haider, op. cit., P. 451.

(٣) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٤٤ .

(٤) جريدة الرقيب ، العدد ١٢ في ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧هـ .

(٥) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٤٤ .

(٦) شكري ، المصدر السابق ، ص١٥٢ .

ترتب على هذا النشاط نتيجة طبيعة تمثلت في زيادة ارباح الشركة الحميدية التي وصلت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م إلى ١٠ الاف ليرة عثمانية[١] .

وهكذا صار لشركة النقل النهري العثمانية ، فضلاً عن شركة لنج البريطانية ، دور مهم في تسهيل عملية النقل النهري .

في نهر دجلة بحيث أصبحت البضائع تصل إلى بغداد اسرع بمرتين عما كانت عليه في السابق ، كما ادت المنافسة التي جابهتها شركة لنج من جانب الشركة الحميدية إلى تخفيض اجور الشحن بمقدار ١٠% بالمقارنة مع السنوات السابقة[٢] .

علاوة على اسهامها في تقليل تكدس الكميات الهائلة من البضائع في ميناء البصرة[٣]. وبالتالي كان للجهود المشتركة التي مارستها هاتان الشركتان في ميدان النقل النهري تاثيرها الايجابي في تنشيط التجارة في العراق .

وفي اعقاب انقلاب جمعية الاتحاد والترقي في ٢٣ تموز ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م تحولت ملكية الشركة الحميدية للملاحة من الخزينة الخاصة للسلطان إلى وزارة المالية العثمانية ، حيث صارت تعرف بـ "الادارة النهرية العثمانية" أما عن سفن الادارة النهرية ، فقد تم تخصيص (٥) سفن منها لنقل المسافرين والبضائع ، فيما خصص قسم اخر منها للاغراض العسكرية أو ارسال الحملات العسكرية ضد العشائر[٤] .

ويبدو أن وضع (الادارة النهرية العثمانية) لم يتحسن كثيراً بالرغم من الزيادة في الارباح التي حققتها الشركة ، إذ وصلت ارباح الشركة سنة ١٩٠٩ إلى (١٠.٠٠٠) ليرة عثمانية ، ارتفعت سنة ١٩١٠ إلى (٢٠.٠٠٠) ليرة عثمانية[٥] . وحاولت بريطانيا الهيمنة على نشاطات الشركة عندما قدم السفير البريطاني مقترحاً لدج (شركة لنج) بـ (الادارة النهرية العثمانية) ، حيث استمرت المفاوضات طيلة الاعوام (١٩٠٨ . ١٩٠٩) ، تم خلالها الاتفاق مبدئياً على صيغة المشروع الذي يقضي بتشكيل مؤسسة للملاحة العثمانية في نهري دجلة والفرات وشط العرب برأسمال بريطاني ، على أن تكون تابعة للحكومة العثمانية ، وتخضع للانظمة والقوانين العثمانية ، ولها حق احتكار الملاحة بين البصرة وبغداد على نهر دجلة وبين البصرة وبيليس على نهر

---

(١) منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص ص٦١٧ . ٦١٨ .

(٢) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٤٦ .

(٣). Consular Report on the trade of Basa for

(٤) منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص ص٦١٧ . ٦١٨ .

(٥) منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص٦١٨ .

الفرات على أن يرأسها مدير بريطاني يكون له صوت مرجح ، يعاونه مجلس مؤلف من اربعة بريطانيين واربعة عثمانيين في حين حددت مدة الاتفاقية بـ(٧٥) سنة[١] .

قدم رئيس الوزراء صيغة المشروع إلى السلطان العثماني حيث صدر فرمان خاص بالموافقة على الاتفاق المذكور ، غير أن مجلس الاعيان في البرلمان العثماني حذر الحكومة العثمانية من الموافقة على صيغة المشروع إلا بعد عرضه على مجلس المبعوثان (مجلس النواب) إلا أن الحكومة العثمانية تجاهلت ذلك اعتقاداً منها بان صدور الفرمان السلطاني المذكور انفاً سينهي الأمر لعدم امكانية سحبه والقائه ، وان من واجب الرعية احترام مايصدر عن خليفة المسلمين[٢] .

قابل السكان هذا المشروع بمعارضة قوية إذ اندلعت المظاهرات في مدينة الموصل ، والبصرة ، والعمارة[٣] . وبغداد والكاظمية[٤] . وعدد آخر من المدن الاخرى .

كما شكل النواب العراقيين جهة معارضة ضد سياسة الحكومة ، ونخص منهم بالذكر نائب البصرة طالب النقيب وعدداً من نواب بغداد[٥] .

إذ طالب النقيب بضرورة منع الحكومة من المضي في المشروع لانه "يضر اقتصاديات البلاد .... كما أنه يزيد من نفوذ إلانكليز في العراق"[٦] .

كما ارسل عدد من التجار برقيات احتجاج إلى العاصمة العثمانية ، بتحريض من والي بغداد ناظم باشا (١٣٣٨-١٣٢٩٠)هـ/(١٩١٠-١٩١١)م عبروا ومن خلالها عن استعدادهم لشراء بواخر الشركة العثمانية ، بالثمن الذي تدفعه الحكومة الاجنبية وانهم أحق بها من غيرهم[٧]

غيرهم[٧] . وبالرغم من موافقة الدولة العثمانية للملاحة النهرية سنة ١٩٠٩ ، إلا أن المفاوضات تاخرت طويلاً بسبب الاحتجاجات ضد هذا الانموذج من السيطرة الاجنبية ، ولم توضع موضع

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول بنود هذه الاتفاقية انظر نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ... ص٢٠٨ ،

(٢) نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ... ، ص ص٢٠٩ -٢١٠ .

(٣) جريدة صدى بابل ، العدد ١٩ ، في كانون الاول .

(٤). I . O . R .L / p.+ s / 10 / 88 , No , 1005 , N. Marling to E . crey , 3 January 1910

(٥). I . O . R .L / p.+ s / 19 / 88 , No , 39950 , Mr . Matling to sir E . crey , 31 October 1909

(٦)ولمزيد من التفاصيل حول موقف النواب العراقيين من ذلك المشروع انظر محمد هليل الجابري ، الحركة القومية في العراق ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، اطروحة دكتوراة كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٠) ، ص٣٣ ومابعدها .

(٧) منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص٦٣ ، عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ص١٣٦ – ١٣٧ .

التنفيذ إلا على يد البارون انشكاب[*] Baron Inchcape ، أما راسمالها فيكون مناصفة بين الحكومة العثمانية والممولين الانكليز بامتياز لمدة ستين عاما يمكن أن يمدد لعشر سنوات لكل تجديد[١] . وبموجب هذه الاتفاقية اعترفت الحكومة العثمانية بحقوق شركة لنج للملاحة البخارية في نهري دجلة والفرات فضلاً عن إلى بنود اخرى[٢] . ثم الحقت بهذه الاتفاقية اتفاقية اخرى تم التوصل اليها في اذار سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٤م بين بريطانيا والحكومة العثمانية ، سمح بموجبها لشركة لنج بان تشارك الشركة العثمانية بشان ميناء البصرة جنباً إلى جنب مع شركة اللورد انشكاب الملاحية ، وكذلك المصالح الهندية والبريطانية وشركة سكة حديد بغداد الالمانية[٣] .

وبعد توقيع الاتفاقية باشهر معدودة اندلعت الحرب العالمية الأولى مما حال دون وضعها موضع التنفيذ ، وفي سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م صدر قانون تدارك الوسائط النقلية البحرية[٤] . الذي تم بموجبه حل "الادارة النهرية العثمانية" أما عن مصير سفن الادارة النهرية العثمانية ، فقد قام الاتراك باغراق سفن والرصافة ، و"الفرارت" وعدد من القوارب البخارية ، لغرض سد منافذ المياه ، واعاقة حركات النقل البريطانية ، في حين ارسلت سفينة (بصرة) إلى اوربا لكنها لم تتعد مالطا وفي محاولة من السلطات العثمانية لضمان عدم وقوع سفن الادارة بيد الانكليز فإنها قامت بنسف الباخرتين (برهانية) و(حميدية) في حين وصلت الباخرة (بغدلد) إلى البصرة وهي اول باخرة تصل إلى هذه المدينة إذ استولى عليها الانكليز[٥].

(*) من اكبر رجال الاعمال الانكليز في مجال الشركات الملاحية فيما وراء البحار ، نوار المصالح البريطانية ص٢١٨ .

(١) فما ذكرت احدى الوثائق البريطانية التي تعود إلى تلك المرحلة بان الاتفاقية المذكورة نصت على أن يكون نصف راسمال الشركة بريطانيا ، أما النصف الثاني فاشتركت فيه الدولة العثمانية والمانيا وبخصص متساوية انظر I . O . R , L / P. +S /10 212 , NO 2097 ,. Summary of events in Turkish , Iraq during February And March 1914 . P. 7 .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول بنود الاتفاقية المذكورة انظر نوار ، المصالح البريطانية ، ص٢١٨ .

(٣) لونكريك ، العراق الحديث ... ص١١١ ، الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني ، ٢٠٠٠ ص١١٢ .

(٤) حول نصوص القانون المذكور لنظر جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٩٧ في ٢١ صفر سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م . .

(٥) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، ص١٨٣ .

المبحث الثالث :-

تقويم خدمات النقل النهري العثمانية :-

على الرغم من الدور الأيجابي الذي أضطلعت به الشركة العثمانية في النقل النهري بين بغداد والبصرة وتسهيل التجارة الداخلية والخارجية وتشجيعها فضلاً عن دورها في تطوير وأزدهار عدد من المدن النهرية ومنها الصويرة ، النعمانية ، الكوت ، العمارة لكونها نقاط تزويد بواخر الشركة(١) ألا أن الشركة عانت من مشاكل ومعوقات كثيرة تقف في مقدمتها توفير الفحم الحجري كوقود لبواخرها ، حيث شكل توفير هذه المادة الأساسية أحدى المشكلات التي واجهت الشركة وحدت من نشاطها ، وكانت احدى الأسباب الرئيسية التي حالت دون تطورها(٢)فكثيراً ما كانت الشركة تعلن عن المناقصات لتزويدها بالوقود(٣)وكانت بريطانيامصدراً رئيسياً للفحم الحجري التي تستهلكه بواخر الشركة(٤) ومع ذلك لم تغط الكميات المستوردة حاجات الأدارة المتزايدة من الوقود مما أدى الى تعطل العديد من بواخر الشركة لأيام عديدة ، وسعياً من الحكومة العثمانية الى توفير الوقود محلياً جرت بعض المحاولات للتنقيب عن الفحم في زاخو اذ اكتشف أنه من النوع الجيد الذي يفوق في الجودة الفحم الأنكليزي ، ألا أن المشروع فشل في النهاية بسبب صعوبة المواصلات(٥) وكثيراً ما لجأ ملاحو هذه الشركة كمعالجة انية للمشكة الى الطلب من المسافرين على متن بواخرها بجمع الحطب وأحراق الأسرة والاثاث تعويضاً عن نقص الوقود(٦) .

.

ومن المشاكل التي عانت منها الشركة العثمانية قلة الملاكات الفنية والمدربة ، خاصة الملاحين الذين لم يتقنوا سوى الفنون النظرية فيما ظلوا ضعفاء في قيادة البواخر وأمور أصلاحها ، وفي محاولة من أدارة الشركة لمعالجة المشكلة فانها لجأت في بعض السنوات الى الأستعانة بخبرة بعض العاملين في شركة لنج(٧) وكان العديد من العمال العاملين على متن بواخر الشركة يتصفون بالأهمال والتقصير في أداء واجباتهم لذلك أقترحت مجلة (لغة العرب)

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، هامش ص٢٣١-٢٦٦؛ العطية، المصدر السابق ،ص٤٨.

(٢) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٦٥.

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢٥٧٠ في ٣٠ رجب سنة ١٣٣٢هـ /١٩١٥.

(٤) العزي ، المصدر السابق ،ص١٧٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٦، ص١٧٧.

(٦) القيسي ، أحوال العراق الأقتصادية والأجتماعية ،ص٣٤؛ العزي ، المصدر السابق ،ص٦٧-٦٩.

(7)F.O 317 / 1243 / 2552 / Summary Of events in Turkish Iraq During The Month of November November 1910 , P. 5

أعتماد مبدا الثواب والعقاب تجاه العمال العاملين على البواخر العثمانية ، أسوة بما يجري على العاملين على متن سفن شركة لبخ العاملة بين بغداد والبصرة ، وبالتالي سيكون لهذا المبدأ أنعكاساته الأيجابية على زيادة واردات الحكومة ، وتقليل النفقات كما أنه سيدفع العمال الى المحافظة على بواخرهم علاوة على ذلك عانت الشركة العثمانية من مشكلة أخرى وهي عدم أنتظام دفع رواتب العاملين على متن بواخرها[١] .

وكان لعوامل الطبيعة تأثيرها من حركة الملاحة النهرية لبواخر الشركة ويأتي في مقدمتها التفاوت الكبير في مناسيب نهر دجلة والفرات من موسم الى اخر ، حيث تصل أقصى أرتفاع لها في شهري اذار ونيسان مما يسهل الملاحة بين البصرة والحلة من جهة اخرى[٢]غير أن تأثير هذا العامل لم يخل من سلبيات فقد يرتفع مستوى المياه بسبب الفيضانات الى الحد الذي تصبح فيه الملاحة متعذرة بالنسبة للبواخر التي لا يعود بأمكانها ملاحظة العوائق النهرية[٣]وأوردت جريدة (الزوراء) في أحد أعدادها أن شط العرب ، وبسبب كثرة المياه الداخلة فيه من نهري دجلة والفرات فاض وأغرق ما حوله مما تسبب في حدوث أضرار كبيرة منها تعطل الملاحة النهرية فيه[٤].

وفي الوقت نفسه كان لأنخفاض مناسب المياه تأثيره السلبي في حركة الملاحة النهرية حيث يبدأ منسوب المياه بالأنخفاض التدريجي منذ منتصف أيار ليصل الى أقصى درجات الأنخفاض في شهري اب وأيلول مما يهددحركة الملاحة وتحديداً في المنطقة المحصورة بين القرنة والعزير[٥] خاصة بالنسبة للبواخر الكبيرة ومنها باخرتي (بغداد) و(بصرة)[٦]. والأمثلة كثيرة كثيرة على ذلك[٧] ، فعلى[٨] سبيل المثال ذكرت جريدة (الزوراء) أن الباخرة(بصرة) ، وبسبب قلة قلة مياه نهر دجلة صخت عند منطقة سامراء فبادر قائمقام سامراء(أمين أفندي) الى تجنيد (١٥٠٠) رجل ، توجه بهم الى الباخرة حيث تمكنوا من سحبها الى وسط النهر[٩] .

---

(١)منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص٦٢٤.

(2)Chih a , op. cit .,p204.

(٣) السوداني ، المصدر السابق ،ص١١٢.

(٤) أوردت جريدة الزوراء ، جدولاً بفيضانات نهر نهر دجلة أنظر جريدة الزوراء ، العدد ١٨٥٦،في ١٥ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م .

(٥) السوداني ، المصدر السابق ، ص١١٥

(٦) جريدة الزوراء ، العدد٤٢٤ ،في ١٨جمادى الأخرة سنة ١٢١٩هـ/١٨٧٤م.

(٧) غنيمة ، تجارة العراق ....، ص١٦٣؛ السوداني المصدر السابق ، ص١١٢.

(٨) منافع بيع البواخر ، المصدر السابق ، ص٦٢٣.

(٩) جريدة الزوراء ، العدد ٤٥٣، في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م.

وتـذكر مـدام ديولفـوا أنهـا سـألت كـابتن البـاخرة (موصـل) عـن المـدة التـي تسـتغرقها السفرة،وعن المشاكل التي يواجهها فكان جوابه أنه لم يتفق أن وصلت . أي الباخرة موصل . الى بغداد في سفرتين متواليتين في المدة نفسها ، أذ أن تيار الماء السريع يتغير من يوم الى أخر ، ومن أسبوع لأخر ، واضاف "وفي فصل الصيف عندما يهبط الماء يصعب عندئذ قيادة السفينة ، وينفق في مثل هذه الأحوال أن تغوص الباخرة في الطين ، لعدة أيام أذا لم تمتد الى أسابيع حيث لا تستطيع أن تخرج ألا بعد تفريغها من المسافرين وما تحمله من البضائع بزوارق الى الساحل ، حتى أن هذه العملية لا تجدي نفعاً في بعض الأحيان فتضطر السفينة أن تنتظر مرور سفينة أخرى بها لتنتشلها من الأوحال والطين وعندئذ تكون خالية من ركابها وبضائعها "[١]..

ولمواجهة هذه المشكلة لجأت السفن النهرية الى تقليل حمولتها الى أدنىت ،حد[٢]أما بواخر الشركة العثمانية ونخص منها بالذكر باخرتي "برهانية" و"حميدية" فعلى الرغم من ان هاتين الباخرتين قد صممتا بحمولة مقدارها (٢٣٠) طن ، الا انهما لم تستطيعا حمل اكثر من ١٩٠ طنا في احسن الاحوال ، اما في وقت انخفاض منسوب المياه في نهر دجلة فان ادارة الشركة لم تكن تجازف بتحميل هاتين الباخرتين باكثر من (١٦٠-١٧٠) طنا[٣] ، كذلك الحال بالنسبة لبواخر شرطة لبخ التي لم يكن بامكانها حمل ما يتراوح بين ٣٤٠-٤٠٠ طن في الرحلة الواحدة عندما سكون منسوب المياه عاليا ، اما عندما ينخفض منسوب المياه فان الحمولة كانت تنخفض إلى ٢٨٠ طنا[٤] .

وهناك نقطة اخرى اتصلت بمسألة الظرف الطبيعية ، وقفت حجر عثرة في طريق الملاحة النهرية والمتمثلة بالترسبات النهرية وعلى وجه الخصوص في شط العرب . لعلى الرغم من صلاحية هذا النهر للملاحة ، الا ان ما كان ينقصه هو عدم تطهيره من الترسبات الفرنسية التي كان يأتي بها نهر الكارون سنويا من جبال بلاد فارس لشدة انحداره على العكس من نهري دجلة والفرات اللذين يفرغان حمولتيهما في الاهوار قبل التقائهما في القرية . وقد كونت هذه الترسبات حاجزا رسوبيا اتخذ شكلا هلاليا يمتد مسافة ٦-١٥ ميلا من الفاو وباتجاه الخليج العرب ، ولم يكن هذا الحاجز الغريني يعيق الملاحة تماما ففي حالات من الجزر الدنيا كان عمق الماء عنده يبلغ ١٠ اقدام في اعمق اجزائه ، وكان باستطاعة السفن البخارية ذات الغاطس ١٢.٥ قدم ان تمر من فوقه لان الحاجز يتكون من طين ناعم غير متماسك فكانت الباخرة تزيح هذا الطين حتى لو كان اقل من غاطسها وبخاصة إذا ما امتازت بمحركات قوية ، والا كان

---

(١) ديولافوا ، المصدر السابق ،ص٣١.

(٢) ادامون، المصدر السابق ،ج٢، ص٢٤٤.

(٣) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) السوداني ، المصدر السابق ، هامش ص ١١٢ .

عليها انتظار المد الذي يحدث مرتين في اليوم حيث يرتفع منسوب المياه حوالي ٤ – ١٦ قدم لتطفو الباخرة من جديد بيد ان السفن المحيطية الضخمة كانت تواجه مشكلة في ذلك . ولم تبد الدولة العثمانية اية محاولات جدية لازالة هذا العائق(١) .

ومن بين الجهود التي بذلت لتنظيف القنوات وازالة الترسبات محاولة الوالي مدحت باشا عندما استورد الة حفر (كراكة) لازالة العقبات التي تعترض الملاحة في نهر الفرات الا ان هذه الالة كان مصيرها الاهمال بعد عزل مدحت باشا حتى اكلها الصدأ(٢) .

وامام تفاقم مشكلة الملاحة النهرية بين القرنة والعمارة في مطلع القرن العشرين لدرجة بات من الصعب جدا على امهر الملاحين اجتياز بعض اجزاء النهر ، وفي محاولة من الدولة العثمانية للوقوف على اسباب هذه المشكلة ، اوفدت احد المهندسين لمسح النهر الا ان أي اجراء عملي لم يتخذ لتسهيل الملاحة في تلك الجهات(٣) .

وانعكس تأثير هذا العوامل مجتمعة في حركة التجارة من حيث طول المدة اللازمة لايصال البضائع ، فضلا عن الزيادة في اجرة النقل النهري ، ففي الوقت الذي تراوحت المدة اللازمة لنقل البضائع من الموانئ الاوربية إلى البصرة ما بين ٣-٤ اشهر وكان نقل هذه البضائع من البصرة إلى بغداد تستغرق بين ٢-٣ شهر ولذلك فكثيرا ما كان التجار يتسلمون الاقمشة الشتوية في بداية الصيف(٤) .

اما بالنسبة لاجور الشحن ، فان تكاليف الشحن النهري بين بغداد والبصرة إلى نفس كلفة نقل البضائع بين لندن والبصرة بالرغم من الاختلاف الكبير في المسافة إذ كانت كلفة الطن المنقول من لندن إلى البصرة هي جنيها استرلينيا(*) و١٥ شلن أي ما يعادل (٣٥) شلنا بما في ذلك مصاريف التفريغ في البصرة ، في حين كان الطن المنقول من البصرة إلى بغداد يكلف جنيها استرلينيا و(١٢) شلنا أي ما يعادل (٣٢) شلنا(٥) .

وفي اذار سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م قبل نقل ملكية الشركة العثمانية إلى الدائرة السنية كانت اجرة نقل الطن الواحد من البضائع المنقولة من البصرة إلى بغداد ٣٥ شلنا . وبعد نقل ملكية الشركة إلى الدائرة السنية ، انخفضت هذه الاجرة سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إلى ٣٢.٦

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦-٦٨ .
(٢) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٩٠ ؛ Geary, op. cit, vol. 1, p. 87 .
(٣) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٢٨-٣٢٩ .
(٤) اداموف ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .
(*) الجنيه الاسترليني = ٢٠ شلنا .
(٥) اداموف ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

شلنا/طن[١] لتعود وتنخفض من جديد سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م إلى ٢٨.٦ شلنا للطن ، ويعود سبب هذا الانخفاض في اجور الشحن إلى الدعم الذي لقيته الشركة العثمانية من الدائرة السنية علاوة على تأثير المنافسة بين الشركتين العثمانية والبريطانية في اسعار النقل حيث ذكرت احدى التقارير البريطانية التي تعود إلى تلك المرحلة بانه نتيجة للمنافسات التركية واصبحت اسعار النقل الان نصف ساكنه عليه منذ بضع سنوات[٢] .

ولا يخفى تاثير انعدام الامن في الطرق الخارجية من خلال الهجمات التي تقوم بها العشائر العراقية على المواصلات بشكل عام والمواصلات التجارية بشكل خاص وانعكاس ذلك على نشاطات الشركة العثمانية ، وقد حفلت المصادر التاريخية بنماذج عديدة لتعرض العشائر لطرق المواصلات لعل ابرزها تمرد عشائر بني لام والبومحمد ، التي اتخذت من ضفاف نهر دجلة مراكز لهجماتها . ففي ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م اقدمت هذه العشائر على قطع طرق المواصلات النهرية من بغداد والبصرة للمدة المحصورة بين منتصف اذار حتى نيسان من تلك السنة[٣] .

وفي سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م تكررت هذه الحالة ، عندما تمرد ابناء الشيخ صيهود شيخ البومحمد وبدأوا بتهديد المواصلات النهرية في نهر دجلة[٤] . وفي محاولة من الشركة البريطانية لعرقلة نشاط الشركة العثمانية المنافسة لها لجات إلى تقوية علاقاتها مع عدد من شيوخ العشائر القاطنة على ضفاف نهر دجلة ، ولا يما عشائر البومحمد قرب العمارة ، وتقديم الدعم لها بغية اثارة المتاعب للسلطات العثمانية من خلال التعرض لبواخر الشركة العثمانية ومهاجمتها ، وكانت هذه التحرشات المتقنة للتخطيط تدفع التجار المحليين إلى التعامل مع شركة لنج لان بواخرها اكثر ضمانا وامانا .

وقد لاحظ احد الباحثين في هذا المجال بان تمردات عشائر البو محمد – في اوائل القرن التاسع عشر المنصرم – كانت تتزامن مع ضغط السلطات العثمانية على شركة لنج[٥] .

وهناك نقطة اخرى كان لها تاثيرها السلبي في نشاط الادارة النهرية ، واتي تمثلت بالنشاط الملاحي لشركة لنج فعلى الرغم من المحاولات التي بذلتها السلطات العثمانية في

---

(١) السوداني ، المصدر السابق ، ص٨٥.

(٢) عيساوي ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ بينما حدد مصدر اخر مقدار الانخفاض الطارئ على اجور الشحن بـ ١٠% بالمقارنة مع السنوات السابقة ، اداموف ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

(٣) السوداني ، المصدر السابق ، ص١٠٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٢٢٧ .

سبيل النهوض بواقع الشركة العثمانية ومنها قرار شركة لنج من الملاحة من نهر دجلة سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م على اعتبار ان الامتياز الذي حصلت عليه الشركة الاخيرة يقتصر على نهر الفرات حيث افادت الشركة العثمانية من القرار المذكور فبادرت إلى رفع اجور شحنها مما تسبب في تدهور النقل والتجارة ، إلا ان الدبلوماسية البريطانية ما لبثت ان تمكنت من الغاء الخطر المفروض على نشاط الشركة الانكليزية في السنة نفسها[١] .

وفي سنة ١٨٩٣م حصلت الشركة العثمانية على امتياز جديد ، اعطاها الحق باستلام البضائع من السفن المحيطية دونما حاجة إلى انزالها في كمارك البصرة ، وانما التوجه ها إلى كمرك بغداد مباشرة ، وقد دفع الامتياز المذكور بعض التجار العراقية والاجانب إلى التعامل مع بواخر الادارة النهرية العثمانية لضمان دخول بضائعهم بسرعة إلى بغداد ، إلا ان الشركة الانكليزية سرعان ما حصلت على امتياز مماثل[٢] .

واستمرت محاولات السلطات العثمانية للحد من نشاط شركة لبخ ، ففي ١٦ كانون الثاني ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، بلغ جي.باركلي بانه قد علم بصدور برقية سرية مؤرخة في ١٦ ايلول ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م اعلن وزير النامنة (الاشغال) في الاستانة إلى القائد الجديد المعين في البصرة ، يحثه على استبعاد شركة لبخ من الملاحة في نهر دجلة والسعي لمعاملة الادارة الحميدية بشكل افضل من شركة لبخ ، واتخاذ جميع الخطوات لابعاد التجار وغيرهم من التعامل مع شركة لبخ[٣] .

وعلى الرغم من هذه المحاولات التي بذلتها السلطات العثمانية ، إلا انها لم تتمكن من منافسة غريمتها الشركة الاجنبية التي تمتعت بالحصانة السياسية والامكانيات المادية الضخمة، والخبرة التجارية ، والتمرس في شؤون الملاحة[٤] .

ولا ننسى الاشارة هنا إلى التقادم الزمني لسفن الشركة العثمانية ، فبالرغم من ارتفاع ايراداتها ، إلا ان تلك الايرادات لم تستغل لشراء بواخر جديدة ، أو اجراء التصليح والادامة على البواخر القديمة[٥] ، فكان ذلك سببا في تناقص اعداد البواخر الصالحة للعمل فضلا عن

---

(١) نوار ، المصالح البريطانية ... ، ص١٥٣ وما بعدها ؛ Sadamha , OP . Cit , P . 102 .

(٢) للتفاصيل انظر لقهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٠-٢٣٢ .

(٣) فؤاد ترانج ، (ترجمة وتحرير) ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠ ، ط١ ، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص٤٦-٤٧ .

(٤) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٨٩ ، في ١٤ رمضلن ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ؛ Chiha , OP . Cit . , P . 20 .

انخفاض كفاءتها[١] ، وقد اشارت احدى الوثائق البريطانية الى هذه المسالة في معرض انتقادها للوضع امست عليه سفن ادارة عمان العثماني ومنها سفينة البصرة ، فعلى الرغم من انها صممت لتكون بسرعة ١٤ عقدة إلا انها كانت عاجزة عن لاعمل بسرعة اكثر من (٩) عقدة في الساعة[٢] .

واكن للاوبئة والامراض تاثيرها في حركة المواصلات التجارية ، ومنها بواخر الشركة ، اذ كانت اولى التدابير والاجراءات المتخذة هو الزام المسافرين وافراد طواقم البواخر المغادرة والقادمة بتطبيق اجراءات الحجر الصحي[*] بما في ذلك البواخر التي هم على متنها . والامثلة كثيرة على ذلك فعلى اثر انتشار وباء الكوليرا في بلاد فارس سنة ١٨٧٠ قامت السلطات العثمانية بمراقبة القادمين في المراكز البحرية وفرض الحجر الصحي. كما منعت القادمين من هناك من السفر ما لم يحصلوا على شهادة السلامة الطبية من قبل السلطات المختصة[٣] . إلا ان تلك الاجراءات لم تقف حائلا دون انتشار المرض الذي ظهر في القرنة حيث اتخذت سلسلة من التدابير الاحترازية ، منها انشاء مركز للحجر الصحي في القرنة ، كما اصدرت الاوامر بعدم السماح للبواخر التوجه من البصرة إلى بغداد ، وضرورة ايقافها في القرنة لاجراء الحجر الصحي والفحص ، وبعد ان خفت حدة هذا الوباء في البصرة، عادوا نشرها من جديد ، لكن غي ميناء المحمرة واطرافها فصدرت الاوامر إلى الشركات العاملة في بغداد والخليج العربي بايقاف رحلاتها إلى المحمرة والمناطق التي انتشر فيها الوباء[٤] .

وكانت العمليات العسكرية تؤثر ايضا في الخدمات التي تقدمها الشركة العثمانية فعندما قام مدحت باشا بحملة على الاحساء سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م خصصت سفن الشركة لنقل التعزيزات والامدادات العسكرية إلى الاحساء سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م سفن الشركة لنقل التعزيزات والامدادات العسكرية إلى الاحساء مما ادى إلى تكدس الكثير من البضائع والسلع التي تعذر نقلها ، مما اثر بالتالي في نشاطات الشركة عندما ارتفعت اجور النقل على متن بواخرها[٥] .

---

(1) Haider , OP . Cit ., P . 451 .

(2) F.O . 271 /1007 , Consul – General Lorimer to sir Lowther Enclosure .

(*) سياتي الحديث عن الحجر الصحي في مبحث لاحق .

(٣) العزي ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ .

(٤) السوداني ، المصدر السابق ، ص١١٦ .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٣ في ٢٦ شعبان ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ، العدد ٨٤٨ في ١٤ صفر ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

لقد فضل الكثير من المسافرين السفر على متن السفن الانكليزية التي حازت على ثقة الناس بفضل انتظام سفراتها وحسن سير اعمالها وخدماتها التي تقدمها للمسافرين[١] .

من لخلا ما تقدم وعلى الرغم مما اكتنف سجل بحرية الشركة العثمانية من سلبيات ، إلا انه يمكن اعتبار هذه الشركة محاولة من الدولة العثمانية للحد من النشاطات البريطانية في ميدان الملاحة النهرية ، إلا ان ضعف الشركة من جهة وافتقادها إلى الامكانات المالية حال دون تحقيق هذا الهدف .

وفضلا عن الشركة العثمانية شهد النقل النهري في العراق بعض المحاولات المحلية لتشكيل شركات محلية ففي سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م شكل كل من عبد الحميد الدامرجي وعباس المحمد والخواشبر شركة للنقل التجاري النهري بين بغداد والبصرة ، براسمال قدره (٤٠٠٠٠) ليرة عثمانية ، وبواقع (٢٠٠) سهم قيمة السهم الواحد ٢٠ ليرة ، اما عن مدة عملها فقد حددت بـ (٦) سنوات ، مع امكانية تمديدها بعد ذلك ، وجرى تسجيل الشركة في محكمة تجارة بغداد انذاك ، ولكن يبدو ان للمشروع لم يتحقق ، اذ لم يرد ذكر لنشاطاتها التجاري[٢].

وحاول احد التجار اليهود ويدعى عزرا ابراهام جرجر تأسيس شركة ملاحية لنقل النهري وبمساعدة الملاحين البريطانيين ، غير ان سلطات ولاية بغداد رفضت منحة الامتياز ويعود سبب رفض الحكومة منح مثل هكذا امتياز قيام شركة منافسة للشركة العثمانية[٣] .

حاول الراسمالي الارمني ميخائيل برتقال باشا مسؤول الخزانة الخاصة في الدولة العثمانية سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م تاسيس شركة وطنية للنقل النهري من خلال تسيير مجموعة من البواخر في نهر دجلة بين بغداد والبصرة ، وفي نهر الفرات بين البصرة ومسكنه لتقدم مقام شركة عمان العثماني ، وبعد ان تم تنظيم صيغة قانون الشركة من قبل برتقال باشا جعل من جملة شروطه ، ان يكون الوالي أو مسؤول الاراضي السنية في ولاية بغداد رئيسا دائما لمجلس الشركة وانه هو الذي يعين مواقيت سفر البواخر وابحارها . بالرغم من ان مستشاريه والمقربين اليه اليه نصحوه بالغاء الشرط لان تجار بغداد لن يوافقوا عليه ، إلا انه لم يوافق على ذلك ، وعند اطلاع تجار بغداد على مضمون هذا القانون امتعوا عن الاسهام في هذه الشركة فكان ذلك احد الاسباب الرئيسية في افشال هذا المشروع[٤] .

---

(1) Chiha , OP . Cit , P . 207-208 .

(٢) شكري ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) سليمان البستاني ، عبرة وذكرة والدولة العثمانينة قبل الدستور وبعده ، تحقيق خالد زيادة (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ص ٢٢٨–٢٢٩ ؛ الداؤد ، المصدر السابق ، ص ص ٤٦–٤٧ .

وفي اعقاب تراجع الشركة العثمانية ولا سيما بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ ، محاولة شركة لبخ شراء الشركة العثمانية بدات السلطات العثمانية تفكر جديا في منح بعض التجار المحليين الحق في تأسيس عدد من الشركات الملاحية النهرية لنقل الركاب ما بين بغداد والبصرة عبر نهر دجلة . ففي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م قدم عبد القادر باشا الخضيري ، جعفر ابو التمن طلبا لتشكيل شركة للمراكب العراقية[١] . وتسيير مركبين كبيرين مع ست دوبات لنقل البضائع والركاب بين البصرة وبغداد ، براسمال قدره خمسة الاف سهم قيمة السهم الواحد عشر ليرات ، حيث وافق مجلس ولاية بغداد ومن ثم نظارة النفة على تأسيس الشركة المذكورة ، فسمح الوالي ناظم باشا (١٣٢٨-١٣٢٩هـ/١٩١٨م) بتنفيذ المشروع بشرط ان يوقع صاحب الامتياز ١٠% من صافي الارباح إلى دائرة البلدية[٢] .

كذلك اعطي امتياز اخر ليعقوب باشا عيسائي لتسيير مركبين بين بغداد والبصرة حيث حظي المشروع بموافقة والي بغداد ناظم باشا على وفق شروط عدة منها رفع هذه المراكب للراية العثمانية وان تتولى نقل الامراء والضباط العسكريين بنصف الكلفة ، فضلا عن نقل الخرائط وبريد الحكومة وان يدفع صاحب الامتياز ١٠% من ارباح الشركة إلى بلدية بغداد[٣] .

وفي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م اعطي امتياز لاحد التجار ويدعى لاغا محمد جعفر[٤]لتسيير باخرة كبيرة ومركبين صغيرين[٥] للعمل بانتظام في نهر دجلة . وسرعان ما باشرت هذه الشركة اعمالها في نقل البضائع والاشخاص حيث وصل مجموع البضائع المشحونة على مراكبها ٨.٥٩٧ طنا[٦] .

زفي اواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٣٣٠هـ/١٩١ اشتر شركة بواخر وطنية باسم شركة تجارة مراكب البصرة ، لتسيير البواخر في نهري دجلة والفرات ، حيث باشرت الشركة اعمالها بتسيير باخرتين في اوائل شهر كانون الاول سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م[٧] .

---

(١) جريدة الرقيب ، العدد ١٦٧ في ٢٣ رمضان ١٣٢٨هـ .

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ٥٩ في ٢٦ رمضان سنة ١٣٢٨هـ ؛ العدد ٧٦ في ٥ صفر ١٣٢٩هـ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ايراني الاصل وهو وكيل شركة بومباي والخليج العربي للملاحة البخارية .

(٥) فيما اشار مصدر اخر إلى امتلاك هذه الشركة لاربع بواخر صغيرة ، عيساوي ، المصدر السابق ، ص٣٩٤ .

(٦) فيما اشارت وثيقة بريطانية إلى ان الامتياز الممنوح للشركة كان في نهر الفرات وليس في نهر دجلة انظر : : قرانجي ، المصدر السابق ، ص ص ٤٩-٥٠ .

(٧) عيساوي ، المصدر السابق ، ص٣٩٤ .

واشار مصدر اخر إلى حصول احد تجار ولاية البصرة ويدعى جبرائيل صفور جلبي على امتياز سنة ١٣١هـ/١٩١٢م لتسيير المراكب بين بغداد والبصرة ، حث بلغ راسمال الشركة (١٢٠) الف ليرة مقسمة إلى (٢٤٠٠) حصة وبمعدل (١٢٠٠) حصة عادية و ١٢٠٠ حصة ممتازة ، قيمة كل حصة ٥٠ ليرة ، موزعة بين بغداد والبصرة ، وبشهر بواقع (٤٠٠) حصة عادية و (٤٠٠) حصة ممتازة لكل منها[1] .

على آية حال يبدو ان نشاط هذه الشركات المحلية كان محدودا ، وان بعضها ، ربما لم يباشر نشاطه الفعلي بعد الحصول على الامتياز[2] . حيث ذكر احد المصادر وجود ثلاث شركات بواخر سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م تعمل في شط العرب ودجلة فينا بين البصرة وبغداد ، وهي الادارة النهرية ، ولديها اربع بواخر وشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية ولديها ثلاث بواخر ، واغا جعفر ولديه اربع بواخر صغيرة جدا[3] .

---

(١) السوداني ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) عيساوي ، المصدر السابق ، ص٣٩٤ .

المبحث الرابع

النقل النهري في العراق ١٩١٤-١٩١٨ :

كانت هناك مجموعة من الاسباب دفعت بريطانيا منذ الايام الاولى لاحتلالها للعراق إلى الاهتمام بموضوع النقل النهري ، ويأتي في مقدمتها العامل العسكري المتمثل في الحاجة المتزايدة للقوات البريطانية المرابطة في العراق إلى المؤن والتجهيزات الكافية لدعم الاحتلال البريطاني ، وقلة وسائط النقل البرية والنهرية الموجودة في العراق ، وازدحام ميناء البصرة بالسفن والبواخر الراسية ، التي ترافقت مع افتقار هذا الميناء إلى الادوات والمعدات اللازمة للتفريغ ، كل ذلك دفع البريطانيين إلى الاهتمام بتحسين مستوى النقل النهري في العراق(١) ، إلا ان القوات البريطانية سرعان ما واجهت مشاكل عديدة في هذا الميدان لعل ابرزها :

١. عدم امكانية حركة السفن ذات الغاطس العميق في نهري دجلة والفرات ولمواجهة هذه المشكلة ، كانت هذه السفن ترسو في ميناء البصرة ليجري نقل المواد والاشخاص بعد ذلك في نهري دجلة والفرات على متن بواخر ذات غاطس اقل .
٢. ادت الفيضانات المتكررة إلى كثرة المستنقعات والاهوار التي كانت تتصل بالمجرى الاصلي للنهر والتي ادت إلى صعوبة ايجاد الاتجاه الصحيح لطريق التقدم الاصلي للنهر. لذلك اضطر البريطانيون إلى استعمال الزوارق الصغيرة للتموين والادامة لقطعاتهم(٢) .
٣. اما في موسم انخفاض منسوب المياه فقد أسهمت الجزر المتكونة في عرقلة الحركة النهرية وكمثال على ذلك اضطرار الجنرال طاوزند ( ) إلى ترك ثلاث سفن اثناء انسحابه من سلمان باك إلى الكوت بسبب ارتطامها بالجزر الطينية(٣) .

وادراكا من بريطانيا لاهمية النقل النهري ولتنظيم كافة القضايا المتعلقة به فقد تم استحداث مديرية النقل المائي الداخلي Internal Water Transportation ويرمز اليها بـ I . W . T التي اسندت ادارتها إلى اللواء كري (Crey) الذي شغل منصب (مستشار مفتش المواصلات) ، وقد اوكل اليها عدد من المهمات منها صيانة السفن النهرية ، فضلا عن تنظيم السيطرة النهرية ، واستكمالا لاعمال هذه الدائرة ، تم وضع عوامات دالة على المجرى الصالح للملاحة في نهر دجلة بين البصرة وبغداد التي كان يجري تحويلها من مكان لاخر ،

---

(1) Candler , OP . Cit ,., Vol , 1 . P . 9 .

(٢) افتقر ميناء البصرة إلى وجود الرافعات ، وكانت عملية الشحن والتفريغ تتم بواسطة المراكب الصغيرة ، غنيمة ، المصدر السابق ، ص١٢٧ .

(٣) شكري ، محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ ، ط٣ ، شركة النبراس للنشر والتوزيع ، (بغداد ، ١٩٥٤) ، ص٢٠٩ .

طبقا لتغيير مجرى النهر[١] . كما أنشأت السداد في المحلات الضرورية لمقاومة الفيضان ، اذ تولت هذه الدائرة انشاء عدد من ارصفة التنزيل في البصرة والمناطق الاخرى على طول خط المواصلات وعدد اخر من المهمات[٢] .

ونتيجة لجهود هذه الدائرة ازدادت اعداد البواخر النهرية فبعد ان كان عدد البواخر التي تمتلكها هذه الدائرة عند تاسيسها لا يتجاوز (٦) بواخر وثمان سفن ساحبة سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م ارتفع العدد إلى ٤٤٦ سفينة وقارب بخاري و ٧٧٤ من الجنائب و ٤١٤ من المراكب البخارية سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م فيما وصل عدد العاملين على متن هذه النقليات النهرية (٧٠٠) شخص وبلغ مجموع الحولة التي تم نقلها في تشرين الثاني ١٩١٦ (٨٥٠) طن بعدما كانت في نيسان لا تزيد على (٣٥٠) طن يوميا ، في حين بلغت الحمولة المنقولة من البصرة إلى الكوت قرابة (٩٠٠) طن يوميا ، فضلا عن (٥٠٠) طن تنقل من البصرة إلى بغداد[٣] . وبمرور الوقت تحولت دائرة النقل المائي (الداخلي) إلى منطقة كبيرة تعمل بكفاءة كبيرة بحيث انها عد في نظر بعضهم احد العوامل التي ساعدت بريطانيا على تحقيق اهدافها في العراق خلال سنوات الحرب العالمية الاولى[٤] .

وعلى اثر الاحتلال البريطاني للعراق عادت الشركات البريطانية التي كانت تعمل في البصرة إلى ممارسة نشاطاتها في التجارة والنقل اذ افادت إلى ابعد الحدود من الاحتلال البريطاني ومنها شركة لنج[*] . في الوقت الذي استمر فيه نشاط الزوارق والقوارب والمهيلات[٥] وامام النقص الحاد الذي واجهته قوات الاحتلال البريطاني في وسائط النقل النهري اخضعت جميع السفن الاهلية وبصورة رسمية للسيطرة العسكرية في كانون الثاني ١٩١٧ بعد ان تم دفع اقيامها لمالكيها وملاحيها وعند احتلال بغداد في اذار سنة ١٩١٧ كانت هناك ٢٠٠٠ سفينة محلية عاملة بامرة الجهة العسكرية[٦] .

---

(١) للتفاصيل حول اعمال هذه الدائرة انظر ولسن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٠ وما بعدها .

(٢) نديم ، حرب العراق ... ، ص٢٢٥ .

(٣) ولسن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(*) كانت هذه الشركة قد توقفت عن العمل قبيل الحرب بمدة قصيرة بسبب العلاقات السياسية المضطربة بين بريطانيا والدولة العثمانية ، وعندما قامت الحرب العالمية الاولى قدمت يفنها العون للاحتلال البريطاني ، لتعود تستانف نشاطاتها الملاحية ومن جديد ، التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٤٩٦ .

(٥) المهيلة : سفينة من الخشب ذات غاطس معتدل تراوحت حمولتها بين ١٠-٥٠ طنا ، ولسن ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٥٨ .

(٦) المصدر نفسه .

وفي الوقت نفسه ادلت سلطات الاحتلال البريطاني اهتماما واسع النطاق بميناء البصرة لكونه يمثل قاعدة الانطلاق لقوات الاحتلال البريطاني والمرتكز الاساسي لاستمرار تدفق القوات المحتلة وامداداتها الضرورية ، وفي هذا المجال تم استحداث (دائرة الميناء العام) التي اسندت ادارتها إلى جورج بيد كانن) (G . Bucnan) واضطلعت هذه الطائرة بالعديد من الواجبات منها :

١. السيطرة على الميناء البحري وموظفي الميناء .
٢. الاعمال الهندسية المتعلقة بالميناء والنهر ، منظمة استصلاح الانهر وذلك باستثناء ارصفة السفن النهرية .
٣. بعض الاعمال الهندسية التي يطلب القيام بها[١] .

من هذا المنطلق تم انشاء العديد من الارصفة ، ووزعت اضاءة نهرية مناسبة ، كما جرت عمليات عديد للمحافظة على عمق جيد في النهر ولا سيما عند حاجز الطمى في مدخل نهر شط العرب ، ومصب نهر الكارون في الشط لتسهيل سبيل الملاحة للسفن .

وعلى الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت لتطير الميناء وتحسينه فانه استمر حتى نهاية الاحتلال ، يعاني الكثير من المشاكل الفنية ونقص الخبرات ومن الحاجة إلى عدد اكبر من السقائف والمستودعات وغيرها[٢] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٤٩١ .

الفصل الخامس

المبحث الاول

الري في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤

لم تبدأ الدولة العثمانية ، وحتى بدايات القرن العشرين ، الاهتمام الكافي بمشاريع الري في العراق بالرغم من اهمية هذه المشاريع للزراعة التي كانت تعد العمود الفقري للاقتصاد العرقي يومئذ . واقتصر الاهتمام بهذا المجال على جهود فردية اضطلع بها بعض الولاة العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم العراق .

وكان لطبيعة ارض العراق ومواسم فيضان نهري دجلة وفرات ، وتوابعهما تاثيرها السلبي في الري في العراق . فبالنسبة لطبيعة الارض نجد ان ارض العراق تاخذ بالانبساط والاستواء التدريجي كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ، وبالتالي كانت مناطق وسط العراق وجنوبه ابتداءً من شمال العراق بغداد وتكريت على دجلة وهيت على الفرات ، وحتى شط العرب عرضة لخطر الفيضان اكثر من غيره من المناطق[١]

اما بالنسبة لموسم فيضان نهري دجلة والفرات فلم يكن هو الاخر مناسباً للزراعة ، فهما يفيضان في اخر فصل الربيع وهو موسم مبكر للزراعة الصيفية وموسم متاخر جدا بالنسبة للزراعة الشتوية ، اما المسالة الاخرى فهي توافق موسم الفيضانات في بعض الاحيان مع نضج المحاصيل الزراعية ،الامر الذي يؤدي الى اغراق المحاصيل الزراعية واتلافها[٢].

فضلاً عن هاتين المشكلتين عانى الري في العراق من مشاكل اخرى منها انه لاتوجد شبكات لتصريف المياه ، علاوة على مشكلة الرواسب (طمى الانهار) ، التي كثيراً ماترتفع فثي بعض الترع والجداول وتؤدي الى اغلاقها وبالتالي انحسار الماء عن قرى ومزارع اهله بالسكان فيضطر اهلها الى الهجرة وترك الزراعة .

وكان لهذه العوامل مجتمعة فضلاً عن عدم اهتمام العديد من الولاة العثمانيين بقنوات الري وتحسينها ، انعكاساتها السلبية في التقليص الاراضي الزراعية وانخفاض الانتاج الزراعي

---

(١) الارحيم ، المصدر السابق ص١٥٩ ، فعلى سبيل المثال ذكر مصدر ان عدد ما تعرضت له بغداد من الفيضانات للمدة المحصورة بين ١٨٤٠ . ١٩٠٥ وكان ١٩ فيضاناً لمزيد من التفاصيل ٠انظر ، احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ القسم الثاني ، مطبعة الاديب ، (بغداد ، ١٩٦٥) ، ص ص٣٧٦ . ٣٧٨ .

(٢) صالح حيدر ، التطور الاقتصادي في العراق ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزءان (٩ . ١٠) ، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٤ ، ص٤٤ .

بالرغم من امكانات اراضي العراق الزراعية الهائلة ، وقد اشار الرحالة اوليفييه الذي زار العراق في منتصف العقد الاخير من القرن التاسع العاشر . الى ذلك بقوله "لو وزعت مياه دجلة واقنية الفرات على الوجه الاحسن لتحولت الاراضي الجرداء الى اراضي زراعية لايوجد في العالم منطقة اغنى واجمل من بغداد وماجاورها"(١) . كما تطرقت احدى الوثائق العثمانية الى الاهمال الذي امست عليه الاراضي الزراعية في ولاية الموصل ومما جاء فيها "كانت اراضي ولاية الموصل مهملة ومعطلة رغم صلاحيتها للزراعة ، في حين كانت اراضي لوائي السليمانية وشهرزور (كركوك) عاجزة عن سد الحاجات المحلية من المحاصيل الزراعية"(٢) .

اما بالنسبة لاساليب الري فمن المعروف ان اراضي المنطقة الوسطى والجنوبية تروى سيحاً من مياه نهري دجلة وتفرعاتها ، فهناك اراضي تروى بواسطة الترع والسواقي يطلق عليها "ماوي" او "سكي" وهناك الاراضي التي تروى بواسطة الات رفع المياه كالدواليب والنواعير فتسمى "كردي" او "جردي" اما الاراضي التي تغمر بالمياه فتسمى "كبيس" او "جبيس" ، وهناك الاراضي التي تعتمد على الامطار وتسمى الديم(٣) . في حين استخدمت بعض المناطق ولاسيما القريبة من ضفاف الانهار ، المضخات والالات الحديثة(٤).

حاول اخر ولاة المماليك في بغداد وهو داؤد باشا الاستفادة من ثروات العراق الزراعية والاروائية والعمل على توظيف هذه الامكانيات خدمة للاقتصاد الزراعي ومن خلال احيائه لبعض المشاريع الاروائية فقد حفر

---

(١) سعاد هادي العمري ، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة (بغداد ، ١٩٥٤) ، ص٣٢ .

(٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٦٣٩ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الاوراق ٢٢٥٦ ، رقم القسم ١٤ ، رقم الضرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ١١ ، الوثيقة (غير مؤرخة) .

(٣) اداموف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٠ ؛ عيساوي ، المصدر السابق ، ص١٧٥ .

(٤) بلغ مجموع هذه المضخات قبيل الحرب العالمية الاولى (١٦٦) مضخة ، نديم ، احوال العراق في مرحلة مشروطية ... ص٩٣ .

شط الهندية[١] . فضلاً عن احياء عدد من الانهار المندرسة ومنها نهر عيسى الواقع غرب بغداد ونهر النيل[٢]حيث استخدم لكريه (٥٠٠٠) عامل وانجز العمل سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م كما يعود الفضل الى هذا الوالي في انجاز مشروع لرفع المياه من نهر دجلة[٣] .

وقام والي بغداد محمد رشيد الكوزلكي بفتح نهر الهارونية والمشيرة[*] في ديالى بالقرب من المقدادية فضلاً كريه لعدد من الانهار والقنوات منها نهر الدجيل في منطقة بلد التابعة لقضاء سامراء حالياً وجداول النيل والشاه والعوادل والبوجماع والباشية والجربوعية والشوملي الكبير والشوملي الصغير[٤].

واستعان والي بغداد نامق باشا بخبرة احد المهندسين المصريين المختصين بالري لتحسين القنوات المندرسة[٥] . لكن أي من تلك المحاولات لم تحقق اية نتائج ايجابية اذ استمر تقلص الاراضي الزراعية وتدهور وضعها بشكل خطير[٦] . حتى مجئ مدحت باشا ، الذي ابدى ابدى اهتماما في مجال الري وتحسين معدلات الانتاج الزراعي من خلال اتخاذه لعدد من التدابير لاصلاح الاراضي الزراعية[٧] .

---

(١) شط الهندية : وهي في الاصل ترعة لايصال الماء الى النجف والمناطق المجاورة وقد تضاربت الاراء في الشخص الذي قام بحفرها ، اذ ذكر بعضهم بان احد الاثرياء الهنود ويدعى (اصف الدولة) ، اوعز بحفر ترعة تاخذ ماءها من نهر الفرات جنوب المسيب ، ويقال ان احد الهنود من الطائفة الاسماعيلية تبرع وحفر نهراً لايصال الماء الى كربلاء ابتغاء الاجر والثواب . الاان الرواية الاصح ان اصل الهندية هي ترعة حفرتها امرأة هندية على نفقتها الخاصة عند زيارتها للنجف بعد ان رات قلة المياه فيها ، جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ، ج٢ ، ط٢ ، مطبعة الاداب ، (النجف ، ١٩٥٨) ، ص ص١٩٥ . ١٩٦ ؛ الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٨ .

(٢) احدى الجداول التي تتفرع من الجهة اليمنى لشط الحلة .

(٣) ياسين ، بدايات التحديث ... ، ص٥٢ .

(*) هي مجموعة من الجداول التي تتفرع من الجهتين اليمنى واليسرى لشط الحلة .

(٤) الالوسي ، المصدر السابق ، ص١٣٢ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ج(٧) ، ص١٠٩ ؛ الخياط ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٥) رحلة كييوم لجان الى العراق سنة ١٨٦٦ ، ترجمة الاب بطرس حداد ، مجلة المورد ، المجلد (١٢) ، العدد (٣) ، ١٩٨٣ ، ص٦٣ .

(٦) فائق ، المصدر السابق ، ص١٨٥ .

(٧) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث (١) نوع الوثيقة : اوراق يلديز ، دفتر مهمة ١٦٣ ، رقم الورقة الورقة ١٠ ، رقم الوثيقة (١٣) ، تاريخ الوثيقة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

وعلى اثر تحول مياه الفرات الى فرع شط الهندية ، بدلاً من فرع الحلة ، الذي شحت فيه المياه[(١)] . وجرت محاولات سابقة لعهد الوالي محت باشا لمعالجة تلك المشكلة . وترقى اولى تلك المحاولات الى سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م ، عندما قام الواليان علي رضا باشا اللاز ، ومحمد نجيب باشا (١٢٥٨ . ١٢٦٦)هـ/(١٨٤٢ . ١٨٤٩)م ، بانشاء سدة على فرع الهندية لغرض تحويل مياه الفرات الى فرع الحلة ، الاان السدة مالبث ان تحطمت سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م وتدفق منها الماء ، وفي سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م بني سد جديد لتوفير المزيد من المياه الاانه مالبث ان تصدع[(٢)] .

وامام فشل تلك المحاولات وكثرة شكاوى الاهالي من استمرار الحالة شكل الوالي مدحت باشا لجنة مؤلفة من عدد من مهندسي الري ، لوضع دراسة تفصيلة ومقترحات عملية لمعالجة تلك الحالة[(٣)] . حيث استمر العمل لمدة تزيد على الثلاثة اشهر ، ويبدو انه تغلب على المشكلة بدليل اشارة جريدة (الزوراء) الى ذلك احد اعدادها ، ان نهر الحسينية([*]) الذي يبس ماؤه من ثلاثة اشهر ، واوقع النفوس الوافرة العدد في كربلاء باظطراب العطش ، وصات عملياته مرتب الختام واطلق ماؤه[(٤)] . الاان هذه المشكلة لم تنته اذ سرعان ماعادت وتجددت من جديد بعد سنوات .

فكر مدحت باشا في اعادة ربط نهري دجلة والفرات . عن طريق قناة الصقلاوية لتحقيق هدفين رئيسين اولهما احياء الاراضي الزراعية الممتدة بين نهري دجلة والفرات وتحديدا مناطق غرب بغداد بهدف تشجيع الزراعة من جهة ولتامين مرور السفن النهرية الى اعالي نهر الفرات لغرض التجارة والنقل من جهة اخرى ، حيث بوشر في العمل الذي انجز وصار يعرف بسدة

---

(١) من المعروف ان نهر الفرات وعند مروره بناحية يجري بخط مستقيم من غير اية تشعبات وعلى بعد خمسة اميال جنوب المسيب ينقسم الفرات الى قسمين هما شط الحلة وشط الهندية . ثم مالبث الفرعان ان يلتقيان من جديد على بعد بضعة اميال شمال السماوة ، ولما كان صدر فرع الهندية اكثر انخفاضاً من صدر فرع الحلة ، ولهذا اخذ مجرى نهر الفرات يميل نحوالهندية ، وبمرور الوقت توسع مجرى فرع الهندية ، مماهدد فرع الحلة بالجفاف انظر : جريدة الزوراء ، العدد ١٢٣٤ ، ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م .

(٢) للتفاصيل انظر علي القاسم ، السفر المطيب في تاريخ مدينة المسيب ، مطبعة الاداب (النجف ، ١٩٧٤) ، ص ص١٣١ . ١٣٣ ، احمد سوسة ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ج٢ (بغداد ، ١٩٤٥) ص ص٢٨٦ . ٢٨٩ ، عيساوي ، المصدر السابق ، ص٤٢٠ .

(٣) سوسة المصدر السابق ، ص٢٩٠ .

(*) جدول من جداول نهر الحلة ينبع من الضفة الغربية للفرات ، على بعد (٥) اميال جنوبي المسيب .

(٤) حسان ناجي محمود الحديثي ، تاريخ الري في العراق ١٨٦٦٩ . ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٤٤) ، ص١٤ .

مدحت باشا[١] . الاان عدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لتدفق المياه الغزيرة وقت الفيضان ، ادى الى نتيجة عكسية ، سرعان ماشقت تلك المياه طريقاً جديدا الى مجرى الصقلاوية مما ادى الى خراب الارضي الواقعة اسفل الفلوجة[٢] .

وفي الوقت نفسه نشر احد المواطنين اقتراحا على احدى صفحات جريدة (الزوراء) طالب فيه السلطات العثمانية بالافادة من قناة النهروان[٣] ، والعمل على استصلاحها من خلال انشاء سد في منطقة دلي عباس (المنصورية) ، الواقعة اسفل النقطة التي يلتقي فيها نهر ديالى بالنهروان ، الاان مدحت باشا فشل في تحقيق ذلك بسبب عدم صلاحية مواد بناء السد لمقومة تيار المياه[٤] . فضلاً عن عدم تخصيص حكومة استنبول المبالغ التي تيطلبها تنفيذ هذا المشروع[٥] .

كما عمل مدحت باشا على حفر عدد من الانهار المندرسة وتطهيرها ، ومنها قناة قزلباط (السعدية)[٦] . ونهر عبد الله الواقع في قضاء (الجزيرة) ، الذي عرف فيما بعد بالحميدية ، وقد نجم عن هذه الاعمال احياء اراضي كثيرة[٧] .

كما عمل مدحت باشا على توفير المياه اسقي البساتين في جانب الكرخ من خلال حفر قناة الكنعانية القديمة ، واخذ جدولاً صغيرا الى قصبة الكاظمية لغرض سقي البساتين وسمي هذا النهر بـ (نهر الطليعة)[٨] .

ولم يكن النجاح حليف غالبية المشاريع التي اضطلع مدحت باشا بتنفيذها في العراق . وقد عزي سبب فشل تلك المشاريع الى نقص الاموال ، وقلة الخبرة الفنية فضلاً عن انعدام

---

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٢١٢٢ ، P 399 و Cit و op و Haider اما عن مصير هذه السدة فقد قام الاتراك بهدمها عند انسحابهم من بغداد عام ١٩١٧ ، فيما اعاد البريطانيون انشاءها في نفس العام ، وليم ويكلوكس من جنة عدن الى عبور نهر الاردن ، تعريب محمد الهاشمي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٥٥) ، ص٢١ .

(٢) سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ... ص ص١١١ . ١١٢ .

(٣) جدول قديم يستمد مياهه من نهر دجلة في نقطة جنوب مدينة تكريت جوار قرية (الدور) ، احمد سوسة ، تطور الري في العراق ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٦) ، ص٥٩ .

(٤) القهواني ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ ، للاسدي ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٥) عيساوي ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٦) سلمان ، العراق في مدحت باشا ، ص١١٢ .

(٧) الحديثي ، المصدر السابق ، ص١٤ .

(٨) جريدة (الزوراء) ، العدد ١١٢ في ٢٩ شوال سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م .

الدراسات الاولية ، والعمل بشكل مرتجل في اغلب المشاريع الاورائية ، علاوة على عدم اهتمام الولاة من بعده بتلك المشاريع[١] . وقد شخص لونكريك اسباب فشل هذه المشاريع بقوله "ان الاعمال لم تكن تتعدى القيام باجراءات لتنظيم الاعمال المحلية والطفيفة ، حيث ان الاداة لم تمتلك المعرفة ولا السيطرة ولا المال الضروري لذلك"[٢] . وابدى بعض الولاة الذين اعقبوا مدحت باشا نوعا من الاهتمام بموضوع الري ، ولو بشكل نسبي ومحدد ، نذكر منهم والي بغداد رديف باشا (١٨٧٣ . ١٨٧٥)م الذي انشأ سد الجزائر الانه لم يكن محكم البناء ولم تتبع في بنائه القواعد العلمية مما ادى الى تصدع السد وانهياره[٣] .

وفي اطار جهود السلطان عبد الحميد الثاني لاصلاح احوال العراق بشكل عام والواقع الزراعي بشكل خاص الذي تزامن مع استحداث الدائرة السينية ، "دائرة قومسيون السنية" فقد تم الايعاز الى بعض الولاة لتقديم افضل السبل والمقترحات لاصلاح احوال العراق وامتثالاً لهذه الاوامر قدم والي بغداد عبد الرحمن باشا (١٨٧٩ . ١٨٨١)م تقريراً الى السلطان العثماني عرض فيه صورة تفصيلية للاوضاع التي كانت تعيشها بغداد ابن تلك المرحلة واما الزراعة والري فقد اشار الوالي في تقريره الى تدني مستوى الزراعة والري ، وقد اقترح انشاء السدود لخزن المياه ، لاستخدامها عند الحاجة ، كما تطرق الى ماتسببه الفيضانات من اضرار كبيرة على المزرعات ، علاوة على تاكيده تجفيف المستنقعات بغية استغلال اراضيها للزراعة ، ناهيك عن التخلص من المخاطر التي تنجم عنها [٤] .

---

(١) الحديثي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

(٢) لونكريك ، اربعة قرون .. ، ص٦١ .

(٣) البستاني ، المصدر السابق ، ص ص٢٠٠ . ٢٠١ .

(٤) تألف التقرير المذكور من ثلاث عشرة صفحة مع ثلاثة ملاحق ، تناول فيها حاجة البلاد إلى الاصلاح في في اربعة جوانب مهمة هي التعليم ، الزراعة ، الصناعة ، التجارة . كما اكد ضرورة الحفاظ على الامن والنظام من خلال تعيين ظباط الامن ممن لديهم الخبرة باحوال الولاية ، فضلاً عن النقاط الاخرى التي تضمنها التقرير المذكور ، ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٩٣٠ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الكارتون ٢٠٥ ، رقم القسم ١٤ رقم الظرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ٧ ، تارييخ الوثيقة ٢٤ شوال ١٢٩٧هـ .

.

ثم الحق الوالي بهذا التقرير تقريرا اخر تطرق فيه الى قلة الاهتمام بمشاريع الري بقوله "لن العراق يمتلك قوة زراعية هائلة بسبب الانهار التي تجري في اراضيه ، والتي تكفي لسقي مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية ، وان الدولة العثمانية لو اهتمت منذ دخولها للعراق بمشاريع الري الزراعية ، كما يجب لكان العراق قد قطع شوطا كبيرا في مضمار الاعمار والازدهار ، الا ان الولاة الذين تعاقبوا عليه لم يكونوا من ذوي الكفاءة والجدارة ، ومن كان منهم يتمتع بالقدرة والكفاءة كان يقول من منصبه بعد مدة على تعيينه"[١] .

وعلى الرغم من قصر مدة ولاية هذا الوالي ، الا ان اعماله في مجال الري كانت بارزة ، وخاصة في منطقة الحلة ، حيث عمل على حفر عدد من الانهار والجداول وتطهيرها منها العوادل والظلمية (في ناحية المحمودية) ، والباشية ، والبوحسان ، والعينية ، والدولاب ، والخاتونية[٢] .

ومن ضمن التقارير الاخرى التيى تم رفعها الى السلطان عبد الحميد الثاني التقرير الذي تقدم به والي البصرة مضهر باشا سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م الذي تطرق فيه إلى انعكاسات الاوضاع السياسية المضطربة التي عاشها العراق عبر تاريخه الطويل ، على الزراعة والانتاج الزراعي عندما قال "مما هو ثابت تاريخيا ان العراق كان مقرا لدول معظمة في العالم مثل البابليين والاكاسرة والعباسيين وكان يتمتع بمستوى عال من العمران والازدهار ،

---

(١) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٩٣٦ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الاوراق ٢٢٥٦، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ١١ ، الوثيقة غير مؤرخة .

(٢) سميت هذه الجداول باسماء المناطق او باسماء العشائر التي تقطن تلك المناطق وان اغلبها اندرس في الوقت الحاظر ، الحديثي ، المصدر السابق ، ص١٨ .

الا ان النكبات والصدمات الاخيرة ألت به الى الضعف والانهيار ، وانخفضت نسبة الاراضي فيه اليوم الى واحد من عشر مجموع الاراضي الصالحة للاعمال الزراعية ..." (١) .

وفي تقرير اخر ناشد الوالي نفسه السلطات العثمانية الاهتمام برفع المستوى الزراعي، والتصدي الى الاطماع الانكليزية الرامية الى نهب خيرات العراق بقوله ان "الانكليز يطمحون في الاستيلاء على البصرة ، وان بقاءها في حالة التخلف يخدم مصالحهم ويمهد اهم السبيل لتحقيق اطماعهم ، من اجل ذلك فهم يعرقلون كل حركة اصلاحية تهدف الى تصحيح الاوضاع في البصرة وتحقيق الرفاه الى اهلها ..."(٢) .

وعلى اثر تعرض سد الكنعانية الواقع قرب الصقلاوية للتصدع اوعز والي بغداد مصطفى عاصم باشا (١٣٠٥ . ١٣٠٧)هـ/(١٨٨٧ . ١٨٨٩)م ، باعادة بناء هذه السدة حيث اشرف بنفسه على اعادة تعميرها(٣) .

كما عانت النجف هي الاخرى من مشكلة شحة المياه ، فعلى اثر استغاثة اهالي النجف بهذا الوالي ، اوعز الاخير الى عبدى الغني افندي في الجمارة (الحيرة) بالاشراف على حفر نهر من الجمارة ، لان نهر الهندية اتسع واجتاز الكوفة ومنها الى الجمارة ، حيث قام بجمع العمال من عشائر الفرات المجاورة للنجف ، واستغرق العمل (٤٦) يوما ، اخذ النهر يصب في بركة كبيرة في بحيرة النجف الجنوبية ، وقد سمي هذا النهر بنهر عبد الغني افندي نسبة الى مأمور السينة عبد الغني افندي ، وكان حفر هذا النهر سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م(٤) . الا ان هذا النهر سرعان ما تعرض للاندثار بفعل عوامل الرياح والرمال وتحديداً في سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م(٥) .

وفي اعقاب تجدد المشكلة القديمة الناجمة عن تحول مياه الفرات إلى شط الهندية بدلاً من شط الحلة ، اسهمت دائرة السنية في ايجاد حل مؤقت لهذه المشكلة عندما اوعزت بتشكيل لجنة مؤلفة من متصرفي الحلة وكربلاء ، ومحسن بك مدير الكشف في دائرة السنية الذي

---

(١) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٩٣٤ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم الاوراق ٤١٣ ، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٦ ، رقم الكارتون ٩٨ ، تاريخ الوثيقة شوال ١٢٩٧هـ .

(٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث ٣٩٣٩ ، نوع الوثيقة اوراق يلديز ، رقم القسم ١٤ ، رقم الاوراق ٨٨/١ رقم الظرف ٨٨ ، رقم الكارتون ١٢ ، تاريخ الوثيقة ٨ شوال ١٢٩٧هـ .

(٣) الحديثي ، المصدر السابق ، ص١٩ .

(٤) ويسين ، المصدر السابق ، ص١٣٦ ؛ ال محبوبة ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٠ .

(٥) ال محبوبة ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٠ .

قام بكشف الهر واوصى بسد جزء من صدر فرع الهندية المسمى "الردارء")[١] فضلاً عن ظاهر افندي وكيل السنية ، وبعض اصحاب الجنرة ونتيجة لاعمال هذه اللجنة فقد تمت ازالة مافي النهر من الموانع كالجزرات وغيرها[٢].

ما والي بغداد سري باشا (١٨٨٩-١٨٩٠م)(١٣٠٧-١٣٠٨هـ) ، فتركزت اعمال الاروائية في إنشاء سدة ضخمة تم انشاؤها لمنع تسرب الفيضانات إلى وادي الصقلاوية القديم ، غير انها ما سرعان ما تعرضت للانهيار فيصما بعد نتيجة ضغط مياه الفيضانات[٣] .

كما أمر الوالي نفسه بانشاء سد اخر إلى الشمال من سدة السرية ، عرف باسم سد البرمة ، بهدف منع تسرب مياه الكسرات التي قد تحدث إلى مجرى الهر الصقلاوية عن طريق الوادي المسمى (بازول البرمة) [٤] .

وعلى اثر تفاقم مشكلة مياه شط الحلة التي اخذت بالجفاف اثر تحولها إلى شط الهندية وما رافق ذلك من تدهور في انتاج المنطقة الزراعية نتيجة لعدم توافر كميات المياه الكافية لسقي المزروعات ، وفي اعقاب انقطاع المواصلات الهندية على طريق نهر الفرات بين الحلة والبصرة[٥] . وعلى اثر استغاثة اهالي الحلة والديوانية[٦] ، انصب اهتمام الدولة ابان تلك المرحلة المرحلة على إنشاء سدة الهندية[٧] . وكانت فاتحة اعمالها استقدام المهندس الفرنسي شوندرفر M. Schonder ومساعده ثيودور دوران ، اللذين اجريا كشفاً للمنطقة الممتدة على طول نهر الفرات وحتى مسكنه تمهيداً لانشاء السدة[٨] . وبعد عام تقريباً قدما تقريرهما إلى الوالي سري سري باشا معززاً بالخرائط . وقد احالة الوالي بدوره إلى وزارة النافعة والاشغال العامة[٩] لاستحصال الموافقة على تخصيص الاموال اللازمة تنفيذ المشروع وقد اسهمت خزينة الدولة

---

(١) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

(٢) سوسة ، فيضانات بغداد ...، ص٣٩٩ ؛ Haider , op . cit . ,p. 403 .

(٣) الحديثي ، ، المصدر السابق ، ص١٩ .

(٤) المصدر نفسه؛ المطية، ص٦٨ .

(5)Hiha , op . cit . ,p. 114 .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢٠ ، ٢٩ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م .

(7)Charles I ssawi The Economic History of the Middle East 1800 . 1914 (chicago University P. fluorescensress , 1966) , p. 191 .

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٠٦ ، ٧ صفر ١٣٠٧÷/١٨٨٩م ؛العدد ١٤١٧هـ في ٨ جمادى الآخرة ، سنة ١٠٣٧هـ/١٨٨٩م.

(٩) المصدر نفسه ، العدد ١٤٢٠ في ٢٠ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م .

بنصف الاموال المطلوبة ، أما النصف الاخر تم تامينة من الخزينة الخاصة ، وواردات الاراضي السنية(*) ، وممن كانت له مصلحة من الاهالي في بناء السد ، حيث بلغت مجموع الاموال المستحصلة للمشروع ١.٧٣٣.٩٩٨ قرشاًو ٣٣ بارة[١] .

جرى البناء بوتيرة عالية وباشراف من الوالي سري باشا ، حيث قدمت جدرية (الزوراء) في أحد تقاريرها وصفا لمساحة السد ، الذي امتد من نهر الهدية إلى مجرى الحلة وبارتفاع (٦) امتار ، وعرض(١٠٠) متر ، وبطول ١٢٠٠ متر[٢] .

كما ناشد الوالي رؤساء عشائر الحلة والهندية المساعدة ، فاستجابوا وامدوه بعدة الاف م العمال الذين تمت الاستعانة بهم في حفر صدر السد[٣] . وجرى افتتاح السد في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م وعرف باسم "سد شوندرفر"تيمناً باسم مهندسه[٤] . ونتج عن بناء هذا السد اعادة المياه إلى شط الحلة ، كما تشير بعض الدراسات إلى أن المياه الزراعية عادت إلى مجاريها[٥] إذ بدأت الحياة الاقتصادية في الحلة والمناطق المحيطة بها بالانتعاش من جديد بعد الانتهاء من اعمال تلك السدة سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م[٦] . غير أن السدة لم تصمد طويلاً ، لاسباب عدة منها الترسبات المستمرة ، متانة البناء[٧] . مما داى إلى خراب اجزائها منها فيما بعد .

وفضلاً إلى هذه الجهود التي قام بها الولاة في مجال الري ، كان لدائرة السنية اسهاماتها الواضحة في هذا المجال ، من خلال انشائها لعدد من السداد ، فضلاً عن إلى الكثير منن القنوات والجداول التي حفرتها أو قامت بكريها ، حيث كان لتلك الاسهامات تاثيراتها الايجابية في تطوير النشاطات الزراعية في العراق ، فعلى سبيل المثال لا الحصر اسند إلى هذه الدائرة

(*) بلغت اسهامات دائرة السنية من نفقات بناء ، السد حتى تشرين الاول سة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ، مبلغ ٢٠٠٦٦قرشاً ، الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

(١) للتفاصيل ، انظر س.و. ب سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م ، ص٢٣٦ ومابعدها .

(٢) برج ، المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٤ ؛ العزاوي ،، المصدر السابق ، ج٣، ص٤٨ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٥٠ ، في ١١ ربيع الاول سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م .

(٤) الواعظ ، المصدر السابق ، ص٩٩ ؛ Haider , op . cit . ,p. 403 .

(٥) ولمزيد من التفاصيل حول اعمال سدة الهندية انظر جريدة الزوراء ، الاعداد ١٤٢٣ في ٢١ محرم سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ، العدد ١٤٣٨ في ١٨ جمادي الاول سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م .

(٦) الالوسي ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٨-٢٣٤ .

(٧) المصدر فسه ، ص ص ٢٣٩ -٢٤١ .

مهمة تحكيم عدد من السداد ومنها سدتا المدرة ، والموجة ضض مت قضاء الكوت الامارة[١] . فيما قامت الدائرة نفسها عام ١٨٩٢ بتطهير نهر الحسينية[٢] .

وفي اعقاب انقطاع المياه عن النجف ، نتيجة لاندثار نهر عبد الغني بفعل عوامل الرياح والرمال ، وعلى اثر شكاوي اهالي النجف بادر قائمقام النجف خير الله افندي ، بمساعة دائرة السنية باعادة حفر صدر هذا النهر ، حيث جرى الماء صم جديد إلى النجف[٣].

لكن معاناة اهلي النجف لم تنته إذ سرعان ما تعرض النهر للاهمال فترسبت فيه الرمال وانقطع الماء عن النجف ، فندب أهل النجف قائمقام النجف خير الله افندي إلى حفر نهر عبد الغني يصكون كالمدد له وقد رفع القائمقام الأمر إلى بغداد ، فقام الوالي بدوره بالطلب منن استانبول بحفر نهر جديد لمدينة النجف قرب النهر الاول ، فصدر الأمر من السلثبطان بحر ذلك النهر الذي يسمى احياناً بنهر (الحميدية) ، نيبة إلى اسم الشلطان عبد الحميد ، وسمى احيانا بنهر (الحيدرية) ، نسبة إلى اسم (حيدر) ، وهو من اسماء الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، حيث تم الاحتفال بجريان نهر الحميدية في سنة (١٣١١-١٣١٢هـ)(١٨٩٣/١٨٩٤م) [٤] .

كما قامت الدائرة السنية سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م بشق نهر من هور اب نجم في لواء الديوانية ليروي اراضي الشنافية حيث سمي هذا النهر بنهر السنية[٥] .

أما بالنسبة لسدة الهندية فإنها لم تصمد طويلا إذ سرعان ما تعرضت للاهمال بعد نقل ضالوالي سري باشا وتصدعت بعض جوانبها ١٣١٤هـ/١٨٩٦م) ، مما استدعى القيام باصلاحات بلغت كلفتها ١٧٤٤٧٥ ليرة تركية[٦] . لتنهار مرة اخرى على اثر فيضانات سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م[٧] .

ويدخل ضمن اهتمامات الولاة العثمانيين ففي مجال الري جهود والي بغداد عطاالله باشات (١٣١٤-١٣١٧هـ)(١٨٩٦-١٨٩٩م) ، ي سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م تم تشكيل لجنة

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٦ .

(٣) س.و.ب سنة ١٣٢٥ ، ص١٣٩ ؛ الجراح ، المصدر السابق ، ص١٦٥ .

(٤) المصدر نفسه / ص ص ١٦٥-١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٢ .

(٦) أي ما يعادل ٨ ملايين قرش . للتفاصيل انظر : الحديثي، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٧) لوكنريك ، العراق الحديث ، ج١، ص١١١ .

متخصصة لمراقبة السداد الواقعة في اطراف ولاية بغداد ، وكلفت هذه اللقجنة بفحص السداد وبيان ما تحتاج منها إلى الاصلاح والتقوية ، واشرت اللجنة اعمالها في تشرين الاول سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م[١] .

كان لوالي بغداد نامق باشا الصغير (١٣١٧-١٣٢٠هـ)(١٨٩٩-١٩٠٢م) اسهاماته الواضحة ايضاً في هذا الميدان من خلال تحكيم عدد من السداد القائمة على نهر دجلة[٢] . والفرات ، وقد اسهمت هذه الجهود في الحد من الآثار السلبية الناجمة عن فيضانات نهري (دجلة والفرات) ، لاسيما النهر الاخير وتحديداً سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[٣] .

وعلى اثر انقطاع مياه نهر الفرات عن مدينة الديوانية بادر هذا الوالي سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م إلى الايعاز بحفر نهر الرشادي ، وبذلك حصلت المنطقة مجدداً على المياه اللازمة للري[٤] .

كما عمل هذا الوالي على اصلاح عدد من القنوات والانهار ، منها نهرا الحلة والزلمية في قضاء الحلة[٥] . ونهر الحسينية في كربلاء[٦] . ونهر اليوسيفية في سنجق الديوانية[٧] . فضلاً عن إنشائه لبعض السداد على نهر (الخالص) المتفرع من نهر (ديالى) والمتشعب إلى (الخالص الغربي) ومنطقة (التحويلة) ، وكان الغرض من هذه السداد توزيع الاستحقاق الكافي من المياه على اهالي المناطق المسكونة حولها[٨] .

---

(١) اسندت رئاسة هذه اللجنة إلى شوكت بك افندي مكتوبجي الولاية ، واصف بك افندي محاسب الاوقاف ، ونعمان افندي اح اعضاء مجلس ادارة الولاية ، ومخلص افدي اغا وكيل ضبطية مركز الولاية ، ورؤساء البلدية الثلاث ، وفؤاد افدي رئيس كتاب دائرة قلم المحاسبة في دائرة السنية ، انظر: جمعية الزوراء ، العدد ١٧٩١ ، في ١١ جمادي الاخرى سنة ١٨٩٨هـ- ١٣١٦هـ .

(٢) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٧ .

(٣) للتفاصيل انظر المصدر نفسه .

(٤) تعرض هذا النهر للجفاف نتيجة اعدم مراعاة القواعد السلبية عند حفر مجراها مما ادى إلى كثرة ترسباته ، وتطلب الأمر تشكيل لجنة لجمع الاموال لغرض توسيع النهر واعادة كريه من جديد ، الحديثي ، المصدر السابق، ص ص٢٢-٢٣ .

(٥) جريدة الزوراء ،العدد ١٨٩٦ ، في ٢٥ ذي العقدة سنة ١٣١٨÷ .

(٦) المصدر نفسه ، الاعداد ١٩١٢ في ١٠ جمادي الأولى سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١ ؛ العدد ١٩١٦ في ١٤ ريجب سنة ١٣١٩هـ /١٩٠١ م .

(٧) س.و.ب ، سنة ١٣١٨هـ، ص٥٥٨ .

(٨) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

وعلى اثر انهيار سدة العويجة سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٧م وانقطاع الماء عن جدول الخالص وما نجم عنه من اتلاف مزروعات تلك المنطقة ، اوعز ناسق باشا باعادة إنشاء هذا السد في السنة نفسها[١] .

أما بالنسبة إلى اسرة الهندية التي اخذت بالتدهور السريع على اثر التداعي الجزئي الذي لحق بها بعد فيضان سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م . حيث تدفقت معظم مياه الفرات إلى شط الهندية مجددا ، مما ادى إلى انخفاض كبير جداً في مياه شط العرب الحلة مخلفا وراءه الدمار والخراب في مناطق الحلة والديوانية والدغارة[٢] . لمعالجة المشكلة اوفدت الحكومة العثمانية المهندسين الفرنسي موجل Moujel . M لبناء الاستحكامات اللازمة لسدة الهندية وتعميرها[٣] . الأمر الذي ادى إلى ارتفاع منسوب المياه في شط الحلة ، فنتج عن ذلك احياء مساحات كبيرة من الاراضي بما فيها اراضي السلطات المعروفة بالاراضي السنية[٤] .

إلا أن السدة سرعان ما تعرضت للانهيار مرة اخرى ، واصبحت الحالة في شط الحلة اسوأ مما كانت عليه قبل إنشاء السدة[٥] . وامام الوضع المتردي الذي امست عليه السدة استقدمت الحكومة العثمانية خبير الري الفرنسي شوشود سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ، فقام بدراسة المشكلة ثم قدم تقريره الفني المتضمن تصوراته للمشكلة ومعالجتها ، إلا أن تلك المقترحات ونتيجة للاهمال والتسيب الاداري العثماني[٦].لم تاخذ طريقها للتنفيذ وبالتالي فإنها بقيت جسراً على ورق[٧] . مما نجم عنه بقاء مناطق مهمة من العراق تحت وطأة الظروف الطبيعية المتقلبة[٨].

وفي سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م انتبت الحكومة العثمانية خبير الري (ردي كونيية) لدراسة امكانية بناء سدة هندية ثانية[٩] . ويبدو أنه لم ينجح في وضع حد للمشكلة بديل استمرار الوضع

---

(١) جريدة الوزراء ، العدد ١٩٠٤ ، في ٧ صفر سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٢) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١، ص١١١، سوسة ، فيضانات بغداد ....، ص٢٥٦ .

(٣) لايوجد

(٤) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

(٥) سوسة ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ص٢٩١ .

(٦) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٧) الارحيم / المصدر السابق ، ص١٦٠ .

(٨) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٩) حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٨ .

الوضع المتدهور للشدة على ما هو عليه سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م عندما عين أبو بكر حازم بك (١٩٠٧–١٩٠٨م)(١٣٢٥–١٣٢٦هـ) والياً لبغداد ، ومن ضمن الاعمال التي قام بها في مجال الري اعادة بنائه لسد (الحويرة) في قضاء الدليم[١] . وسدة الكنعانية (السرية) الذي كان قد تعرض للانكسار على اثر فيضان سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م حيث وصل خراب السدة إلى الحد الذي كادت فيه أن تاخذ جميع ماء الفرات[٢] ، مما ادى إلى حرمان مساحات واسعة من الاراضي الزراعية من الماء حتى قامت دائرة السنية بالاتصال بالعاصمة (استانبول) ، بحكم كون معظم تلك الاراضي هي ملك لهذه الدائرة ، فاصدر السلطان عبد الحميد الثاني امراً سلطانياً بتحكيم سدة الكنعانية (السرية) باية صورة كانت[٣] ، حتى أن الوالي المذطور اشرف بنفسه على انجاز البناء الذي وصلت تكاليف انجازه إلى ٢٦ الف ليرة[٤] .

وتولت دائرة السنية ترصين عدد من السداد وتحكيمها التي تقع ضم اراضيها فعلى اثر فيضان نهر الفرات سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، تهدمت عدد من السداد منها سدة العبيدية ، وسد البو ذياب في قضاء الدليم ، @@@ من نهر العزيزية الذي تملكه دائرة السنية ، وسد الفدعم في قضاء الجزيرة ، وسد البو طيبان ، وسد الترياكية في قضاء الشامية . إلا أن ماجرى في لواء كربلاء لم يكن من الممكن السيطرة عليه فقد انكسر جزء من صدر قناة الاسكندرية ، التي تملكها دائرة السنية ، وهو الجزء القريب منن القام المعروف بمقام الامام الخضر ، فطفح الماء على مزارع الاسكندرية واغرقها ، كما اغرق مزارع دائرة السنية في المسيب ، فضلاً عن اقطاع قسم من طريق بغداد –كربلاء ، ولم تنفع اعمال التحكيم والتقوية في سد اللايح ، وسد ابي صصخوب الكائن داخل قضاء الهندية ، فعلى اثر تدفق الماء عليها انهارا ، ولم يتمكن من تعميرها ، حتى أن السداد القوية المحكمة في كربلاء تضعضعت ايضاً ، خاصة سد اللايح ، والكرب ، وخير الدين التي انهارت من اساسها ، فاغرقت صالماء جميع الاراضي السنية فضلاً عن املاك الاهالي في تلك المنطقة مما نجم عنه خسائر عظيمة[٥] .

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٥٠ في ١٢ رمضان سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٢) المصدر نفسه ، العدد ٢١٥٤ في ٦ شعبان ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ العدد ٢١٥٥ في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٣) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٢١٥٤ في ٦ شعبان سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٥) الجراح ، المصدر السابق ، ص ١٥٧– ص١٥٨ .

وفي الوقت فسه تشكلت لجنة اسندت اليها مهمة اعادة تحكيم السداد المنكسر في ضواحي بغداد وتعميرها وقد ضمت في عضويتها قائد الجندرمة مسعود بك ، ووكيل محاسب الاوقاف عبد الجبار افندي ، ورئيس البلبدية عبد الرحمن آل الحيدري... وآخرين[١] .

وكانت دائرة السنية قد خصصت سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م صرف مبلغ ١٢الف ليرة لتحويل صدر قناةالمحمودية لتكون نهراً دائماً يصل الفرات بدجلة ، بحيث تمر فيه السفن والبواخر النهرية ، علاوة على الفوائد الناجمة عن اقامة مثل هذا المشروع من توسيع لرقعة الاراضي المزروعة ، وتوسيع التجارة ، واعمار ناحية المحمودية ، إلا أن هذا المشروع لم يتم تنفيذه ، لاسباب غير معروفة[٢] . فضلاً عن ذلك صدرت الادارة السنية بانشاء سدة الهندية من جديد وبتخصيص مبلغ (١٣٠٠) الف ليرة لاعادة البناء ، ولما كان إنشاء هذه السدة يستغرق مدة طويلة قد تصل إلى ثلاث سنوات . فقد كانت هناك حاجة ماسة لاتخاذ تدابير عاجلة ومؤقتة لتخليص قضاء الحلة من العطش ، وتوفير مياه الري اللازمة للزراعة ، لذلك اتخذت الاجراءات اللابزمة لانشاء سد مؤقت من البردي بشرط استناده إلى سد (الهندية) القديم وقد خصص لهذا الغرض ، (٥ الاف ليرة) [٣] .

ولتحقيق الغرض نفسه ، ابتداء العمل باعادة حفر هور ابن نجم في قضاء الشامية التابع للواء الديوانية . واتضح فيما بعد أن تلك الاعمال كانت بلا طائل إذ انها لم تؤد إلى نتيجة تذكر[٤] .

ولاشك أن الخراب الذي اصاب سدة الهندية بيعد سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م قد الحق اضراراً بمجمل النشاطات في الحلة ، لاسيما الزراعية منها ، والت اثرت بدورها في المستوى المعاشي للسكان وفي واردات الخزينة ففي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بلغ نقصان تلك الوارادت نسبة كبيرة تزيد على النصف مقارنة بالاعوام السابقة إذ تدنى مقدار الواردات إلى ٤١٣١٧ ليرة بعد أن كانت سنة ١٣٢٦هـ/ ١١٩٠٨م (٩٣٤٣١) ليرة[٥] . وقد الغى نائب لواء الديوانية في مجلس المبعوثات (مصطفى الواعظ) ومن خلال تقريره المقدم إلى المجلس في دورته لسنة

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٤٣ في ٢٢ رجب سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٢) الجراح ، المصدر السابق ، ص١٥٢ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٠ في٨ صفر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد٢١١٢ في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٥) المهداوي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بمسؤولية ذلك على الموظفين منهم فضلاً عن عدم كفاءتهم الفنية لم ياخذوا بتوصيات المهندسين الذين اشرفوا على بناء السد بخصوص ضرورة صيانة وادامة السد باستمرار ، ولعل بعد المسافة بين الديوانية وموقع ذلك السد ، وضعف الشعور بالمسؤولية ، كانا ي مقدمة الاسباب التي جعلت الموظفين العثمانيين يتقاعسون عن تادية واجباتهم بهذا الخصوص . ونتيجة لذلك حصلت الاضرار الجسيمة في الحقول والمزارع وباقي النشاطات الاقتصادية بسبب تناقص مياه الفرات ابتداء من الحلة وحتى السماوة جنوباً ، الأمر الذي انعكس سلباً على واردات لخزينة المركزية في لواء الديوانية[١] .

وجدت الدولة العثمانية أن مشكلة المياه في العراق بدأت تزداد سوءاً ، وتترتب عليها مشاكل اقتصادية واجتماعية ، ولمعالجة الموقف المتأزم ، انتدبت الحكومة العثمانية مهندس الري الانكليزي وليم ويلكوكس Willcocks . W[٢] ليقوم بدراسة مشكلة الري بشكل ميداني واقتراح الحلول الناتجة لمعالجة هذه المشكلة واعداد التصاميم الفنية لاحياء مشاريع الري في العراق ، فقام بزيارة العراق سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وبرفقته (١٢) مهندساً مع عدد من المساحين وبعد أن مكث زهاء السنتين والنصف انجز خلالها التحريات الفنية اللازة قدم إلى وزارة الاشغال العامة (نظارة النافعة)تقريراً مفصلاً ضمنه كل ارائه وافكاره في معالجة مشاكل الري ، وارفق التقرير المذكور (٨٤) خارطة وتصميمات للمشاريع التي يتوقف عليها اعمار الاراضي وانعاش البلاد وتخليصها من اخطار الفيضانات[٣] .

من المسائل التي ركز ويلكوكس مسالة فيضانات انهار العراق واهمية ضبطها بقوله : "لو ضبط فيضان نهري دجلة والفرات ضبطاً متقناً لبلغ وادي الرافدين في الخصوبة شاؤاً لامثيل

---

(١) انظر: نص التقرير في الواعظ ، المصدر السابق ، ص ص٢٤٨-٢٥٠ .

(٢) أحد المختصين بشؤو الري ، اوفد إلى مصر لمعالجة شؤون الري هناك ، وهو الذي وضع تصميم مشروع خزان اسوان ، قام بزيارة العراق سنة (١٣٢٢-١٣٢٣هـ) (١٩٠٤-١٩٠٥م) ، له العديد من المؤلفات ، منها الري في بلاد ما بين النهرين ، وجن ةعدن إلى عبور نهر الاردن ومؤلفات اخرى عين مشاورا في وزارة الاشغال العمومية في تركيا .

F.O . 371 – 145 – 9842 , Memorandum on sir willcocks projects in southern Mesopota mia .

(٣) الفياض ، المصدر السابق ، ص٣٨ ، وقد شرت الحكومة العراقية هذا التقرير في ١٩٧٣ انظر : لويم ويلكوكس ، تقرير عن رعب العراق ومقدمة عن مستقبل العراق ، ج١ ، وطبعة الحكومة (بغداد، ١٩٣٧) .

لـه فـي التـاريخ"[١] ولتحقيـق ذلـك الهـدف فقد اقترح ويلكوكس اتخـاذ مجموعـة مـن التـدابير وعلـى الشكل الاتي

اولا. التدابير المتخذة لدرء خطر فيضان نـهر الفرات .

أ. يحفر نـاظم المصرف الحبانيـة بالقرب من منطقـة الرمـادي مجهز بـ(٢٥) فتحـة عرض كل منها (٣) امتار ، بكلفة (٥٧.٧٠٠)ليرة تركية .

ب. حفر مصرف في وادي نـهر الفرات بكلفة (٤٠.٢٠٠) ليرة تركية .

جـ. حفر مصرف في الصحراء بكلفة (٢٩٧.٦٠٠) ليرة تركية .

ثانياً. التدابير المتخذة لدرء خطر فيضان نـهر دجلة :

أ. إنشاء سدة على طول الضفة اليمنى من النهر بكلفة (٤٧.٥٨٠) ليرة تركية .

ب. وضـع عبارات انبوبية للري بكلفة (٥.٤٩٠) ليرة تركية .

جـ. إنشاء ناظم في محل تقاطع الصقلاوية بسد (عكركوف) بكلفة (٥.١٣٠) ليرة تركية.

هـ. إنشاء سدة في مدينة بغداد الاعظمية إلى الكرادة الشرقية حالياً بكلفة (٩.٣٦٠) ليرة تركية .

و. إنشاء ناظم ومصرف إلى نـهر (دجلة) على ضفة بغداد ، بكلفة (٥.٠٤٠) ليرة تركية[٢] .

اكد ويلكوكس لنه في حالة تنفيذ هذه المشاريع فسيكون بالامكان ري ثلاثة ملايين "ايكو"[٣] ، من أفضل الاراضي في العراق التي ستتمكن من انتاج مليون طن من الحنطة ، ومئتي الف طن من القطن[٤] .

وفي جانب اخر من هذا التقرير اكد ويلكوكس على امكانيـة الاكتفاء بمياه نـهر الفرات لارواء جميع المساحة المقابلة للارسيواء بين منطقتي الفلوجة والكوت ، وجميع الاراضي

---

(١)عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، مطبعة الاهالي (بغداد، ١٩٣٩) .

(٢) ويلكوكس ، المصدر السابق ، ص ص٢٨-٢٩ .

(٣) الايكو وحدة مساحة تساوي ٤٠٠٠م٢ .

(4)Issawi , op , cit., P. fluorescens . 191 , 195 .

الواقعة على مجرى الحي (الغراف) ، وهو مجرى نهر دجلة القديم الممتد من الكوت إلى بلدة الناصرية ، فضلاً عن الاراضي الواقعة على مجراه الحالي المار بمدينة العمارة(١) .

اكد ويلكوكس قابلية العراق للاعمار الزراعي وما ينتظره من مستقبل اقتصادي في وقت ازدادت فيه اطماع بريطانيا في العراق ، خاصة عندما يقول "أن امامنا الان احياء بلاد قديمة اسمها مرادف للخصب والفلاح منذ قرون عديدة فإنها كانت مطمح انظار الفاتحين فالدولة التي كانت تمتلك البلاد في العصور الغابرة كانت تمتلك المشرق وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي العراق لزراعة الحبوب"(٢).

ويمكن تقسيم المشاريع التي اقترحها ويلكوكس في هذا التقرير إلى مجموعتين:-

أ. المجموعة الأولى .

مجموعة الفرات التي تشمل على :-

١. مشروع سدة الهندية الذي اشتمل على إنشاء سدة الفرات في جنوب المسيب لتامين تجهيز المياه في شط الحلة وفي جداول الكفل وبني حسن والحسينية(*) .

٢. مشروع بحيرة الحبانية ومنخفض ابي دبس والغرض من ذلك استخدام هذين المشروعين المكملين لبعضهما بتحويل مياه فيضان نهر الفرات اليهما .

٣. مشروع سد الفلوجة ويشمل إنشاء سدة الفرات بجوار الفلوجة(٣) . وشق جدولين واسعين من مقدم السد لارواء الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات اولهما يسير في مجرى الصقلاوية القديم (الكرمة) ليصب في منخفض عكركوف ومن ثم يفتح جدول يأخذ ماءه من الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في موازاة الضفة اليمنى لنهر دجلة وينهي قرب بلدة الكوت على أن يروي هذا الجدول وفروعه الاراضي الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة حيث اطلق على هذا الجدول اسم جدول دجلة الايمن . وحين يتفرع الجدول الرئيسي الاثني من نهر الفرات في نقطة تقع إلى الجنوب من صدر الجدول الاول ، ويمتد بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر (الفرات) حتى يصل إلى صدر جدول (الاسكندرية) فيغذي كل الجداول التي تتفرع من

---

(١) ويلكوكس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢-٢٣ .

(٢) ويلم ويلكوكس ؛ اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة ، مجلة المقتطف ، المجلد(٢٨) ، الجزء(٥)، مايس ١٩٠٣ ، ص٤١٥ .

(*) مجموعة من الجداول المتفرعة من مقدمة (سدة الهندية) .

(٣) ويلكوكس ، تقرير عن ري العراق ...، ص٤٧ .

الضـفة اليسـرى لنهـر الفـرات (كجـدول ابـي غريـب – وجـدول اليوسـفية– وجـدول اللطيفيـة وجـدول الاسكندرية) ، وسمي هذا الجدول (جدول الفرات الايسر) [١] .

ب. المجموعة الثانية :–

مجموعة نهر دجلة واهمها مشروع سدة الكوت الذي يؤمن ايصال الماء إلى شط الفرات المندرس ، ومشروع سد بلد الذي يساعد على احياء منظومة الجداول القديمة الواقعة على ضفتي نهر دجلة في شمال الدلتا ، وهي النهروان على الضفة اليسرى والاسحاقي والدجيل على الضفة اليمنى ، كما اقترح استخدام منخفض الثرثار لتحويل مياه فيضان نهر دجلة إليه من خلال إنشاء سدة على نهر دجلة في جوار سامراء وفتح ترعة تأخذ المياه من الجانب الايمن للنهر أما السدة فتنتهي إلى المنخفض وكان ويلكوكس اول من لفت النظر إلى امكانيات منخض الثرثار مياه فيضانات نهر دجلة اليه[٢] .

ولما كانت هذه الدراسة تستند إلى الاحصائيات الفنية والخاصة بتسجيل مستويات لذلك انشأ ويلكوكس مقياساً على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند دار القنصلية البريطانية ، لرصد مناسيب المياه ، ومن ثم الاستعانة به في دراسة أحوال النهر داخل مدينة بغداد ، حيث عرف هذا المقياس بمقياس بغداد (الكمرك) الذي عد اول مقياس يتم انشاؤه في ذلك الوقت[٣] .

عد التقرير الذي قدمه ويلكوكس أحد الوثائق المهمة التي افادت العراق فيما بعد للاسباب الاتية :–

١. أنه كان بداية للتخطيط الصحيح في ري العراق .
٢. أن اراءه بقيت حصينة وظهر عدد من إلى حيز التنفيذ بعد عشرات السنين .
٣. لقد حدد التقرير وبصورة صحيحة كيفية توزيع المياه ، ووضع الاسس في كيفية درء خطر الفيضانات[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ؛ سوسة ، فيضانات بغداد ...، ج٢، ص٦٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٩ .
(٣) سوسة ، فيضانات بغداد ، ص٤٢٣ .
(٤) الحديثي، المصدر السابق ، ص٣٧ .

واجه ويلكوكس خلال دراسته ومسحه للمناطق المنوي اقامة المشاريع عليها جموعة من المشاكل لعل ابرزها :-

١. أنه لايوجد معلومات عن تسوية الاراضي .
٢. لاتوجد خرائط للبلاد عليها يعتمد عليها باستثناء خرائط المسح التي قام بعض الضباط والرحالة الذين زاروا العراق .
٣. كان يجب انجاز المهمة باقصى سرعة ممكنة[١] .
٤. أن مساحة الاراضي القابلة للارواء التي كان يقتضي اختيار انسبها للري كانت واسعة جداً .

وامام مالية الدولة العثمانية عن تحمل نفقات تنفيذ مثل هذه المشاريع[٢] . ارتؤي أن يكون انجازها تدريجياً الواحد بعد الاخر على أن يقدم الاهم على المهم ، وكان اول هذه المشاريع مشروع سدة الهندية الذي كان ويلكوكس قد اقترح اقامته في المكان تشعب فيه نهر ؟ إلى فرعي الهندية والحلة للعمل بسرعة وتامين تجهيز المياه إلى فرع الحلة الذي أخذ يجف نتيجة لتحول المجرى الرئيسي االنهر من اتجاه شط الحلة إلى اتجاه شط الهندية .

احيل انجاز المشروع إلى شركة جون جاكسون البريطانية[٣] . ووفق شريوط منها أن يأخذ المتعهدون على أنفسهم اتمام العمل برمته مع تحميلهم التبعات المالية في حالة عدم اتمام المشروع[٤] .

بوشر العمل في بناء السدة في شباط سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، واستغرق العمل زهاء السنتين ، حيث تم افتتاح السدة في ١٢كانون الاول سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م[٥] . بلغ طول السدة ٢٤٠ متراً ، وهي مؤلفة من ثلاثة احواض يشمل كل منها على ١٢ فتحة ، اتساع كل منها ٥

---

(١) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(٢)قدر ويلكوكس الكلفة التقريبية لارواء العراق بـ(١٠) ملايين جنيه استرليني . أداسوف ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٨٤ .

(٣) اوكل إلى هذه الشركة انجاز مشروع بحيرة الحبانية حيث نصت المقاولة حينذاك على تعهد الشركة بانجاز هذين المشروعين ، على أن يدفع للشركة ١٥% من مجموع الكلفة ، وكذلك ٥% من كلفة المواد والتجهيزات المستوردة إلى العراق لمصلحة المشروع ، احمد سوسة ، وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية ، مطبعة الحكومة (بغداد، ١٩٤٤ ، ص ص٨٤-٨٥ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ١٥٣ ، في ١٥ ايلول ١٩١٢ .

(٥) "ري العراق وقناطر الهندية" ، مجلة المقتطف ، ج٤، المجلد٤٤، نيسان ١٩١٤ ، ص ص٣١٦-٣١٩ ؛ الوردي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٩٤ .

امتار ، وكل فتحة من الفتحات المذكورة مجهزة ببوابتين من الفولاذ[١] . وتفتح جميع ابواب السد في اثناء موسم انخفاض منسوب النهر (الصيهود) فتسد الابواب حيث يجري توزيع المياه بطريقة المناوبة[٢] . ويوجد في الجانب الايسر ممر للسفن

عرضه(٨)امتار وطوله (٥٥)متر وعليه جسر متحرك [٣] .وتبلغ مجموع طول ارضية السدة (١١٢)متر، تتخللها(٣)خطوط من الركائن الحديدية . وفي جنوب الأرضية الرئيسية مساحة مغطاة بطبقة سميكة من الأحجار يبلغ طولها (٤٠)متر ، وتمتد الى جوار السد الغاطس ، اما الغرض الذي رصفت من اجله هذه الأحجار فهو تخفيف ضغط المياه الصاعدة عن الأرضية وفسح المجال لها لكي تترسب من تحتها دون أن تحدث ضرراً في بنائها[٤] .

كلف انجاز السدة حوالي نصف مليون جنيه استرليني[٥]وحققت منافع كبيرة جداً ، وكان وكان بالامكان ان تتضاعف هذه المنلفع لو انها ترافقت مع صيانة الامن ، وايجاد نظام ملائم للاراضي ، علاوة على استخدام الطرق الحديثة للزراعة [٦] .

اما بالنسبة لباقي المشاريع المقترحة ، فقد بدأ العمل بانجاز مشروع منخفض الحبانية وانجزت المراحل الاولى منه الا ان العمل سرعان ما توقف أثر اندلاع الحرب العالمية الاولى[٧] . ويغلب الظن ان موظفي الشركة لسروا من لدن السلطات التركية عند نشوب الحرب [٨].

وضعت الأدارة المحلية في ولاية بغداد مجموعة من العراقيل للحيلولة دون استمرار ديكلوكس في عمله التي اضطرته في النهاية الى تقديم استقالته[٩] .بعد ان امضى في عمله سنتين ونصف على الرغم من ان مدة الخدمة التي تعاقد عليها هي خمس سنوات .

---

(١) سوسة ، تطوير الري ...، ص٩٦ .

(٢) مندوب لغة العرب ، "مشارفة سدة الهندية" ، مجلة لغة العرب ، م٣، ج٢، اب ١٩١٢ ، ص٩٥ .

(٣) ري العراق وقناطر الهندية ، المصدر نفسه ،ص٣١٨ .

(٤) سوسة ، تطور الري في العراق ، ص٩٦ .

(٥)

(٦) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، ص١١٣ .

(٧) جريدة (صدى بابل) العدد ٢٢٠ في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٤ ؛ متي عقراوي ، العراق الحديث ، مطبعة العرب (بغداد ،١٩٣٦) ،ص١١٦ .

(٨) سوسة ، وادي الفرات ومشروع الحبانية ، ص٨٤ .

(٩) جريدة(النجاح) ، العدد٣٩ ، في١ رمضان سنة ١٣٢٩ هـ؛ جريدة(صدى بابل) العدد٩٩ في ١٠ ايلول ١٩١١ .

وفي هذا الصدد يدعي ويكلوكس ، ان والي بغداد . ناظم باشا . ابى ان يوقع على قائمة النفقات التي ارسلها(اي ديكلوكس) اليه لأن الوالي كان يضع يده على المبالغ المخصصة للمشروع وينفقها على اغراض عسكرية[١] . وبالرغم من اعترلض ديكلوكس على هذه الأجراءات علىة اعتبار ان الاتفاق بينه وبين السلطة العثمانية ،لا يعطي الحق لوالي بغداد في التدخل أو معارضته .وبقية حسم الخلاف ،احيل الموضوع الى وزارة الأشغال العامة (نظارة النافعة) للنظرفيه حيث جاء رأيها في النهاية مؤيداً لوجهة نظرالوالي ، عندما اعطى الحق لوالي بغداد بمراقبة تلك النفقات[٢] .

في لوقت نفسه شنت الثقافة ، وعدداً من الشخصيات السياسية ، منها وزيرالأشغال العامة،حملة انتقاد شديدة ضد ديكلوكس ومهندسيه متهمة اياهم بالتجسس لصالح الأستخبارات البريطانية [٣]كما وقف اْخرون موقفاً معارضاً من مشاريع ديكلوكس ،ولا سيما بعد أن دعا الى استخدام ٢٠٠٠ عامل هندي مع عوائلهم . وما ينجم عن ذلك من انعكاسات سلبية على السكان [٤] .

---

(١) سوسة ، فيضانات بغداد ،ص٦٣٢ . في حين ذكرت احدى الوثائق الأجنبية ان خلاف ديكلوكس كان مع(دفتردارالرواية)، الذي رفض تنفيذ الأوامر الصادرة من القسطنطينية ،

(٢) جريدة(صدى بابل) العدد ٥٢ في٣٠ تموز سنة ١٩١٠ .

(٣) الجابري ، المصدر السلبق ، ص٤٨٢ ؛ سوسة، فيضلنلت بغداد، ص٦٣٢-٦٣٣ .

(٤) النصيري ، المصدر السابق ،ص٢٠٣ .

وبالرغم من أهمية مشروع سدة الهندية ، الا أن بعض الأنتقادات وجهت الى هذا المشروع للأعتبارات الآتية :

١- لم يأخذ المشروع بنظر الأعتبار حجم سكان العراق فهو مشروع عظيم في حين اليد العاملة في العراق قليلة .

٢- عدم استناده الى دراسة كافية لحالة الأنهار وحاجة البلاد ،وطبيعة التضاريس الجغرافية .

٣- لم يأخذ بنظر الأعتبار عند وضع المشروع مسألة تأمين الملاحة في نهر الفرات[١] .

واذا كانت المشاريع والأعمال التي سبق ذكرها قد تركزت على المناطق الجنوبية والوسطى من العراق ، فأن هناك مشروعاً أخر من مشاريع الري ، جرت محاولة لتنفيذه في السنوات الأخيرة من العهد العثماني وهو مشروع ري كركوك ، بغية توفير المياه الزائدة من نهر الزاب الصغير لأرواء منطقة الحويجة الواقعة غرب كركوك ،ولتشجيع العشائر على الأستيطان ومزاولة الزراعة وكانت بداية هذا المشروع عندما قدم نائبا كركوك في مجلس المبعوثان وهما ناظم نفطجي وصالح افندي تقريراً الى المجلس في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، بينا فيه وجود أثار قناة تاريخية تعود الى القرون الوسطى وان اعادة احياء مثل هذا المشروع سيعود بفائدة عظيمة على المنطقة[٢] .

ويبدو أن هذا التقرير نال اهتمام الحكومة عندما اوفدت شخصاً يدعى عسلي أفندي الى المنطقة ولكن مما يؤسف له أن هذا الشخص قدم كشوفات هي اقرب ما تكون الى وصف رحلة سياحية ،ثم أرسلت لجنة اخرى برئاسة شخص أخر يدعى (خرستو) ولكن مما يؤاخذ على اعمالها هو جهلها بالأمور الفنية ،فبعد أن تجولت في المنطقة على غير هدى ولمدة ٦ أشهرعادت الى الأستانة خالية الوفاض ، وقد علمت الحكومة بعد مرور سنة ونصف بأن تلك اللجنة قد أضرت بالخزينة بمبلغ ١٤٠٠٠٠ ليرة . وعلى أثرها أرسلت لجنة فنية للتحقيق في الموضوع وقد أثبتت في تقريرها بأن الكشوفات المقدمة من لجنة (خرستو) كلنت غير قانونية[٣] .

---

(١) Hand book of Mesopotamia, op. Cit., Vol, (1), p. 126 ؛ الهاشمي ، مفصل جغرافية العراق، ص٢٥٨.

(٢) مجلة لغة العرب ، المجلد (٤) ، الجزء (٩) ، آذار ١٩٢٧، ص٥٦٥ .

(٣) احمد، ولاية الموصل ... ، ص٨٠ .

ثم تكررت المحاولة مرة اخرى سنة ١٩١٢ ، عندما أوفدت الحكومة العثمانية لجنة أخرى لدراسة امكانية تنفيذ المشروع ،ألا أن جهود هذه اللجنة باءت بالفشل بعد فترة عمل دامت ثلاثة اشهر . وقد عزت بعض المصادر اسباب ذلك الفشل الى الطبيعة الهضبية للأراضي الواقعة شمال كركوك[١] . وانتقدت جريدة (صدى بابل) الأموال التي تم انفاقها على هذا المشروع دون تحقيق أية نتيجة تذكر بقولها : لم يزل المهندسون منذ سنتين وأزيد يعدون الخرائط لجلب مياه نهر الزاب الصغير لارواء سهول كركوك . ولا تسأل عن الوف من الليرات التي انفقت وتنفق ، ومع الأسف لانرى لعملهم نتيجة والأيام والشهور تتولى ... والحكومة تتجاهل في هذا الشأن كأن هذه الأموال التي تنفق ليست من صندوقها[٢] .

وفي وقت لاحق نال المشروع المذكور اهتمام عدد من النواب العراقيين في مجلس المبعوثات ،ففي جلسة ١٩تموز سنة ١٣٣٣هـ،١٩١٤ كرر (مبعوث كركوك)،ناظم نفطجي مقترحه سالف الذكر . القاضي بضرورة تنفيذ مشروع ارواء الحويجة في كركوك ،وحفر ترعة بأسم "ترعة الرشادية" تتفرع من الزاب الصغير موضحاً الفوائد التي ستجنيها الحكومة والأهالي من تنفيذ المشروع .

وفي الوقت نفسه طالب النائب المذكور ، بضرورة تعيين مهندسين مختصين للتحقيق في هذا المشروع ، ومحاسبة المسؤولين عن هذا التقصير والأهمال المتعمد وتغريمهم المبالغ التي صرفته على هذا المشروع المذكور[٣]

- تقويم سياسة العثمانيين في مجال الري :-

شكلت الزراعة احدى الدعائم الرئيسية التي يركز عليها الاقتصاد العراقي في العهد العثماني حيث كان يعمل في ذهاء أربعة أخماس السكان [٤] ولا شك أن ازدها كان يتطلب أقامة نظام جيد وكفوء لتأمين الحاجات المائية للمناطق الزراعية من خلال أقامة السدود الكافية لدرء أخطار الفيضانات، وأمكانية تنظيم أستغلال المياه خلال مدة الجفاف ،وفضلاً عن ذلك كانت هناك حاجة الى أقامة العديد من قنوات البزل للحد من مشكلة ملوحة التربة التي كثيراً ما

---

(١)

(٢) جريدة(صدى بابل) العدد ٢٠٦في ٢٨أيلول ١٩١٣ .

(٣) ابراهيم خليل احمد(الموصل والأنتخابات العثمانية) . مجلة بيت النهرين ، العدد ٤٨، ١٩٨٢، ص٢٤٣.

(٤) لونكريك ، العراق الحديث ،ج١،ص٥٨.

هددت الاراضي الزراعية[1]لكن أنجاز بعض هذه ألاعمال في الولايات العراقية تأخر حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحديداً ابان ولاية مدحت باشا(١٢٨٦-١٢٨٩هـ)(١٨٦٩-١٨٧٢م)أذ أقتصرت ألاعمال المنجزة قبل هذه المرحلة على الاعمال المحلية ،التي غالباً ما كانت اعمال وقتية لا تتعدى في أحسن الاحوال ألاعمال التي يقوم بها الفلاحون لمقاومة عوامل الطبيعة التي سرعان ما تجرفها مياه الفيضانات المرتفقة والتي كبدت العراق خسائر فادحة في العديد من المناطق[2] ومما زاد في تردي الوضع الزراعي في العراق ، الضرائب والرسوم الزراعية المفروضة على الفلاحين ، حيث انها أرهقت الفلاحين ، حيث أنها أرهقت الفلاحين واثرت بالتالي في نشاطاتهم الأنتاجية[3]وعلى الرغم من التحسن المحدود الذي طرأ على نظام الري والزراعة في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والمتمثل بأنشاء عدد من السدود والقنوات الجديدة ألا ان تنفيذ هذه المشاريع عانى من سلبيات عديدة منها :-

- أفتقار الدولة العثمانية الى الخبرات الفنية الكافية لأنجاز مثل هكذا مشاريع :-

لم تكن المشاريع التي تم انجازها ابان العهد العثماني محكمة البناء ،اذ سرعان ما كانت تنهار بعد مدة قصيرة من أنشائها ، وخير شاهد على ذلك سدة الهندية ، حيث تعرضت للأنهيار لأكثر من مرة نتجت لعدم قيام البناء على الأسس العلمية والمحكمة[4].

كما تعرض نهر الرشادي الذي كان الوالي نامق باشا الصغير(١٣١٧-١٣٢٠هـ)(١٨٩٩-١٩٠٢م)قد قام بحفره في لواء الديوانية الى خطر الجفاف نتيجة لعدم مراعاة القواعد السليمة عند حفره مما أقتضى - كما سبقت ألاشارة - الى تشكيل لجنة لأعادة كريه وتوسيعه[5].

-سرعة تغيير الولاة :-

---

(١) نظمي ، المصدر السابق ، ص٣٢.

(٢) ك. ن كوتولوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ،ترجمة د. عبد الواحد كرم ،ط٣،مكتبة اليقظة العربية،(بغداد ،١٩٨٥)، ص٢٨.

(٣) شكلت الضرائب والرسوم الزراعية احد المصادر الرئيسية لتمويل الميزانيات العامة لكثيرمن الولايات العراقية التي اشتملت على الضرائب والرسوم الزراعية المفروضة على الحيوانات او المستحصلة كمقطوعات الأعشار وأيجارات الأراضي الأميرية وخراج الطابو وغيرها من الضرائب والرسوم الأخرى.

(٤) حسن ، المصدر السابق ،ص٢٨٦.

(٥) مجلة لغة العرب ، المجلد الثاني تموز ١٩١٢،حزيران ١٩١٣،ص٢٨٥.

على الرغم من الجهود التي أبداها بعض ألولاة لاصلاح حالة الري في العراق، ألا أن هذا ألاهتمام سرعان ما كان ينتهي بأنتهاء مدة ولاية الوالي نفسه ،فضلاً عن مشكلة أخرى كانت لها أنعكاساتها السلبية على الواقع الزراعي للبلاد ، والمتمثلة بسرعة تبدل الولاة ، وقصر مدة ولاية الكثير منهم ، والتي وقفت حائلاً دون تنفيذ الكثير من المشاريع والحيلولة دون انجازها بالمستوى المطلوب(١)وكمثال على ذلك جهود الوالي سري باشا (١٣٠٧-١٣٠٨هـ)(١٨٨٩-١٨٩٠م) في أنشاء سدة الهندية ،ألا أن سرعان ما تعرضت للتصدع والانهيار في اعقاب نقل هذا الوالي ، وعدم كفاءة الموظفين المشرفين على السدة ، فضلاً عن اسباب أخرى(٢) ألامر الذي أدى الى الحاق ألاضرار بألاراضي الزراعية وباقي النشاطات ألاقتصادية ألاخرى بسبب تناقص مياه الفرات أبتداء من الحلة وحتى السماوة .

وباستثناء سدة الهندية لم تعمر غالبية المشاريع التي تم انجازها ابان العهد العثماني طويلاً ، أذ سرعان ما تعرضت هذه المشاريع للأهمال بعد وقت قصير من أنشائها، ويذهب بعض الباحثين الى ان الهدف الرئيسي من أنجاز هذه المشاريع لم يكن أكثر من كونها مشاريع مؤقتة ورخيصة لتجنب كارثة مفاجئة ولوقت قصير ، وهناك أعتقاد بأنه حتى تلك المشاريع من امثال سدة الهندية ، وأستخدام السير وليم ويلكوكس ، كانت مدفوعة بألاهتمام الشخصي والمنفعة الذاتية للسلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ)(١٨٧٦-١٩٠٩م)، كما ان ألاعمال ألاخرى ، مثل تقوية السداد الترابية على دجلة والفرات وديالى وخاصة المجاورة لبغداد كانت هي ألاخرى تهدئة مؤقتة للمشكلة أكثر من كونها نتيجة للمعالجة الحقيقية لمشكلة الري والفيضان في القطر(٣) .

كما يمكن ملاحظة قلة التخصيصات المالية من خلال الميزانيات العامة لعموم الولايات العراقية ، اذ لم ترصد الحكومة ألاموال الكافية لأنشاء السراد وقنوات الري وصيانتها(٤)وكثيراً ما تعرض عدد من المشاريع ألاروائية للتوقف ولأكثر من مرة ، بسبب تلكؤ السلطات العثمانية في مسألة تخصيص ألارصدة المالية لها ،وكمثال على ذلك مشروع سدة الهندية(٥).

---

(١) لونكريك ، العراق الحديث، ج١،ص٦٧.

(٢) الواعظ ، المصدر السابق ،ص٢٤٨-٢٥٠.

(٣) الجراح ، المصدر السابق ،ص١٥٩.

(٤) حسن ، المصدر السابق ،ص٢٨٦؛ الحديثي ،المصدر السابق ،ص١٦.

(٥)

بقي نظام الري على ماهو عليه حتى ألاحتلال البريطاني للعراق ،اذ القت أحد المصادر الضوء على هذا الواقع بالقول أن :"القنوات المخربة ،وألانهار غاصة بالأقذار ومليئة بالطمى وكثير من السدود التي أقيمت للوقاية من الفيضانات لم تكن معززة بشكل كاف"[١].

(١) منتشافيلي ،المصدر السابق ،ص٢٢٢.

المبحث الثاني:

الري في العراق ابان الأحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨

أبدتبريطانيا اهتماماً متزايداً منذ مطلع القرن العشرين بالزراعة في العراق .فقد رأت بريطانيا بأن العراق يمتلك امكانيات اقتصادية لا حدود لها ، ويمكن أن يصبح منطقة تجارية ، كما أن السيطرة على فيضانات دجلة والفرات سيزيد من أنتاج محاصيل الحنطة والرز والقطن فكان ذلك أحد دوافع الأحتلال البريطاني للعراق ففي أحد التقارير التي قدمها فودن وهو أحد موظفي الزراعة في الهند سنة١٩٠٣، تطرق الى امكانيات العراق الزراعية بقوله"أن أرض ومناخ العراق الزراعية صالحان لزراعة القطن من جميع الوجوه"(١).

وحاول خبير الري الأنكليزي "وليم ويكلوكس"،من خلال مجموعة من البحوث والدراسات التي تولى نشرها ابان هذه المرحلة ،استقطاب أنظار بريطانيا الى الثروات الكامنة في العراق ،ففي بحثه الموسوم "أعادة مشاريع الري القديمة على نهر دجلة وأحياء[رخاء] الدولة الكلدانية " التي تضمن خططاً لتطوير الري في العراق من خلال احياء مجموعة من مشاريع الري القديمة والتي تركزت في المناطق الواقعة جنوب بغداد وشرقها ، حيث أكد ويكلوكس أن نجاح هذه المشاريع يعتمد على تسويق المحاصيل الزراعية التي سيتم انتاجها الى الأسواق الأوربية ، لذا فأن الأوربية ، لذا فالحاجة الى مد سكة حديد من بغداد الى الاسكندرية على سواحل البحر المتوسط ستكون أساسية لنجاح مثل هذه المشاريع المقترحة(٢)وفي جانب(٣)اْخر من مؤلفاته تطرق ويلكوكس الى الثروة المائية الكامنة في نهري دجلة والفرات بقوله"أذا توجهت مياه الرافدين الى الأراضي القاحلة فأن حياة جديدة ستدب في كل مدينة وقرية من مدن وقرى الدلتا ، وأن قيمة كل فدان ستزداد الى الضعف والثلاثة اضعاف"(٤)فيما(٥) أشار في مؤلف اخر الى "أن السيطرة الفعلية على فيضان دجلة والفرات تجعل دلتا النهرين تبلغ من الخصب ما لم يشهد التاريخ له مثيلاً ".

---

(١) نوار ،المصالح البريطانية في أنهار العراق ...،ص١١٥.

(٢) ابراهيم ، المصدر السابق،ص١١٠.

(٣) يحيى كاظم حمود المعموري، تطور الري في العراق وآثاره الأقتصادية والأجتماعية، ١٩٣٣-١٩٥٠،رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية ، ابن رشد(جامعة بغداد،١٩٩٩)،ص١٥.

(٤) صالح ،بريطانيا والعراق ...ص١٨١.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٨٣؛ ابراهيم ،المصدر السابق ،ص١٥٦.

وعندما أعلنت الحكومة العثمانية سنة ١٩٠٨، عن عزمها على بناء سدة الهندية دعمت الحكومة البريطانية أحدى شركاتها للحصول على هذا الأمتياز وعدت تعيين ويلكلوكس خبيراً للحكومة العثمانية أمراً في غاية الأهمية للمصالح البريطانية في العراق لأن هدف السياسة البريطانية يكمن في أحتكار موارد العراق لنفسها(١).

وفي نيسان بعث القنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر (@@@@@@) برقية الى السفير البريطاني في أستنابول جيرالد لوثر (@@@@@@)أكد فيها أهمية مشاريع الري في العراق ،وبانه منطقة النفوذ البريطاني يجب أن تمتد من هيت على الفرات وسامراء على دجلة الى الخليج العربي ، وأضاف أن أدخال عانه ضمن المنطقة سيجعل النفوذ البريطاني يغطي حدود ولايتي بغداد والبصرة تماما"(٢).

قبل أن يلفظوا انفاسهم الاخيرة إلى تلك الحفر ويذرون التراب عليهم وهم احياء(٣).

في ظل هذه الظروف الصعبة ولغرض توفير المواد الغذائية ولا سيما الحبوب باشرت دائرة الزراعة بدراسة الواقع الزراعي وشؤون الري ، حيث جرى تعيين خبيرين زراعيين هما هولند ودولين لدراسة مدى ملاءمة ارض العراق ومناخه للزراعة ، وقد قدم تقريرهما لذي اوضحا فيه مدى ملاءمة اراضي العراق الزراعية ، كما اقترحا استخدام خبير زراعي يوكل إليه اجراء التجارب اللازمة في اماكن مختلفة من العراق(٤).

ويدخل ضمن التجارب الزراعية التي تم تنفيذها ابان هذه المرحلة تجربة زراعة القمح الهندي ، والمشروع في الاصل دراسة تقدم بها اس اس كاريت الذي كان يشغل مسؤول شؤون واردات الأرض والاراضي السنية وشؤون المعارف والكمارك في هيئة الواردات في البصرة قبل مجيئه إلى بغداد سنة ١٩١٧ لتجربة زراعة القمح الهندي في الاراضي العراقية المحلية ، وقد حظي هذا المشروع بموافقة القيادة البريطانية ، حيث صدرت الاوامر لتنفيذ هذا المشروع وبالتعاون مع الحكام السياسيين في المناطق المحتلة(٥).

---

(١) المعموري ،المصدر السابق ، ص١٦.

(٢) الدليمي ، الدبلوماسيون البريطانيون ...،ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الحديث ، المصدر السابق، ص٥٢.

(٥) د.ك.و ، الملفة ، 2/132 ، ١ / ص٧ ، تجارب زراعية.

ابلغت الادارة البريطانية المحتلة ، حكومة الهند البريطانية بتاريخ ٢٣ايار١٩١٧ عن حاجتها إلى ١٧٠٠طن من الحنطة الهندية ، تمهيدا لتوزيعها على المناطق المشمولة بالتجربة وهي كل من البصرة ، والكوت ، والعمارة ، وبعقوبة ، والفلوجة ، والكاظمية ، وسامراء، والمسيب ، وخانقين ، والبغيلة(النعمانية) .

وعلى الرغم من الامال الكبيرة التي عقدتها سلطات الاحتلال على هذه التجربة ، إلا انها وجهت الكثير من الصعوبات التي اثرت في النهاية في نتائجها ، ناهيك عن شحة المياه في نهري دجلة والفرات، والذي زاد الأمور سوءا هو قلة الامطار في ذلك الموسم ، مما ادى إلى بقاء اكثر م عشرة الاف هكتار من الاراضي المزروعة بالحبوب من دون سقي ولمدة اكثر من شهر ونصف مما ادى إلى تلف البذور قبل أن يحصل الانبات ، وكانت اغلب نواظم الري في المقاطعات مهملة وغير صالحة لسقي المزروعات ، كما اكثر مضخات السقي كانت غير صالحة للعمل ، الامكر الذي ادى إلى فشل التجربة ، باستثناء ما حصلت عليه في بعض مناطق التجربة مثل (مزارع الشيخ سعد) التي عدتها السلطة ذات قيمة اقتصادية[١].

وتحدث ارنولد ولسن (نائب الحاكم البريطاني العام) ، عن هذه التجربة قائلا :" أن جانبا من الحنطة الهندية المستوردة لم تجد بالمحصول المرتجى ، من لم تكن من النوع الافضل الذي يلائم بلاد ما بين النهرين ...اضافة إلى عوامل اخرى منها تكاليف استيراد الحنطة من الهند الذي كلف مليوني بادن تقريبا ،كما أن سحب مثل هذه الكمية من الحبوب من الهند وهي تعاني المجاعة ، أمر يزيد من متاعب ومصاعب الحكومة هناك [٢]" وكانت المحصلة قلة انتاج الحنطة الهندية حسبما يتضح من الجدول الاتي :

الجدول ذو الرقم (١٥)

انتاج الحنطة الهندية في بعض مناطق العراق (بالطن) في سنة ١٩١٨

المنطقة	كمية الحاصل / بالطن
سامراء	١٠٠
بغداد	٢٥٠
الكاظمية	٦٠

(١) د.ك.و . وثائق الاحتلال البريطاني ، الملفة ،2/134 و ١ و ص١٢، تقارير زراعية.

(٢) ولمزيد من التفاصيل حول سبب فشل هذه التجربة انظر ولياسون المصدر السابق ج٢ / ص ص ٢٦٧-٢٦٨.

العزيزية	٢٥٠
بعقوبة	١٨٠
الكوت	٤٥٠
الفلوجة	١٠٠
خانقين	٧٠
بغيلة (النعمانية)	٣٠٠
المسيب	١٢٠

اما التجربة الزراعية الثانية التي جرى تنفيذها فهي[١] تجربة زراعة القطن في العراق ، فمع بدايات سنة ١٩١٨ ناشدة الادارة البريطانية المحتلة في العراق حكومة الهند البريطانية بضرورة ارسال خبراء في زراعة القطن على ان يصلوا باسرع وقت ممكن ، ويبدوا ان هذا الطلب لقي استجابة من حكومة الهند البريطانية اذ بادرت ، وعلى الفور ، الى ارسال احد الموظفين العاملين في دائرة الزراعة الهندية وهو الخبير روجر توماس (Roger Thomas) . وبعد قيامه بالعديد من التجارب وفي اماكن عديدة[٢] ، قدم تقريره الذي نشر سنة ١٩١٩ . وقد ركزت الفقرة التاسعة منه على الاهتمام بالري كضرورة قصوى كي يتم الحصول على المحاصيل الزراعية بصورة جيدة[٣] .

ومع بداية سنة ١٩١٥ بادرت سلطات الاحتلال الى تاسيس دائرة الري([*]) على شكل وحدة عسكرية تعمل بامرة العميد لويس (Lewis) ، وباشراف اللجنة الزراعية ، واعطيت لهذه الدائرة صلاحيات عدة منها :

١ – تطوير شبكات الري وصيانتها .

---

(١) د . ك . و ، ملفات الاحتلال ، الملفة 132 / 2 ، 1 ، ص 10 تجارب زراعية .

(٢) سوسة ، فياضانات بغداد ، ص٦٤١ ، ومن هذه الاماكن التي وقع عليها الاختيار منطقة الكرادة ، واراضي خان البئر ، واراضي خان بني سعد ، واراضي نهر المنصورية ومناطق اخرى انظر جريدة العرب ، العدد ١٢٣ في ٢٢ كانون الاول ١٩١٧ .

(٣) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(*) اما قبل تشكيل هذه الدائرة ، فاسند الى موظفي الواردات ادارة الشؤون المتعلقة بالري ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٧٩ .

٢ – اقامة الضفاف التي تلحق بها الاضرار نتيجة الفيضانات وصيانتها علاوة على السيطرة على الملاحة والري في القنوات الكبرى التي تتدفق من الانهر الرئيسية .

٣ – انشاء الطرق والجسور والمباني وصيانتها كافة في المناطق التي لاتوجد فيها مؤسسات لانجاز مثل هذه المشاريع(١) .

اقتصر اهتمام السلطات البريطانية المحتلة في شؤون الري على بعض الاعمال التي من شأنها منع وقوع الفيضان ، خاصة في نهاية سنة ١٩١٥ . اذ قام بعض المهندسين العسكريين باجراء الترميمات لبعض السدود والقنوات التي تضررت في اثناء الحرب(٢) .

كما قامت الدائرة نفسها بحفر عدد من الجداول وكريها منها قناة الصقلاوية التي عدت من اكبر القنوات التي تم فتحها ابان تلك المرحلة حيث قدر احد التقارير مساحة الاراضي التي يمكن ارواؤها بواسطة هذه القناة ٢٥٠،٠٠٠ اكر من الاراضي الزراعية الخصبة(٣) . ومن القنوات الاخرى التي تم كريها قناة ابي غريب(٤) واليوسفية(٥) فضلاً عن احياء عدد من الجداول القديمة منها عيسى(*) ، وصرصر(*) ، والملك(*) التي كانت موجودة منذ العصر العباسي والعصور التي سبقته .

واما سدة الهندية(٦) . لتي كانت في حالة يرثى لها فقد اعيد حفر عدد من القنوات المتفرعة من هذه السدة ، ومنها قناة بني حسن(٧) وقناة الكفل(٨) . وبكلفة مقدارها مليون ونصف

---

(١) د . ك . و ، وثائق الاحتلال البريطاني ، رقم الملفة 119 / 2 و 10 ص 10 "شؤون الري" .

(٢) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٣) P. 226 و Op. cIt. و Reports of Administration .

(٤) Ibid .

(٥) لهلالي ، معجم العراق ، ج٢ ، ص١١٠ .

(*)

(*)

(*)

(٦) اقتصر اهتمام العثمانيين على الجانب الغربي من السدة ، اذ تم حفر قناة بني حسن ، ولم يفعلوا أي شئ بشان القناة الشرقية ، (قناة الكفل) ، فكان ذلك سببا في حرمان مزروعات المناطق الواقعة اسفل القناة من المياه كلياً انظر ولسن ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص٢٦٣ . ٢٦٤ .

(٧) قناة بني حسن : تقع على الجهة اليمنى انهر الفرات وعلى بعد (٨٠٠) متر الى الشمال من سدة الهندية للتفاصيل انظر سوسة ، تطور الري في العراق ص١٠٦ .

(٨) قناة الكفل ، تقع في الجهة اليسرى لنهر لفرات ، على بعد (١٢٠) متراً الى الشمال من سدة الهندية ، سوسة سوسة ، ري العراق ... ، ص١٠٦ .

ونصف روبية[١] . لكن القائمين على هذا المشروع وبسبب عدم توافر المعدات والادوات اللازمة فشلوا في انجاز حافتي القناتين[٢] .

وفي صيف ١٩١٨ تولت الدائرة نفسها اصلاح السدة ، فاقتصرت تلك الاصلاحيات على القسم الشرقي من الارضية والاقسام المرصوفة بالاحجار ، وكذلك القسم الاعلى من السد الغاطس[٣] .

وجاء في تقرير دائرة الري لسنة ١٩١٨ انها اقدمت في شهر ايار ١٩١٨ على فتح نهر (خان حسان) في قضاء الحلة الذي بوشر بحفره قبل ثلاث سنوات واهمل لان العشائر القاطنة هناك كانت قد تعهدت بنفسها على انجاز هذا النهر .

كما اقدمت الدائرة في السنة نفسها على تنظيف جداول بعقوبة وجداول الحلة ، ثم قامت بتعيين عدد من المهندسين لادارة شؤون سدة الهندية .

كما باشر عدد من المختصين باعادة اعمار سدة "السرية" التي كسرها الاتراك عند انسحابهم منها واغرقوا الاراضي المعروفة لجوز عقرقوف ، وهددت المياه طريق الفلوجة ، الامر الذي جعل الاسراع في اصلاحها امراً ضرورياً[٤] .

فيما تولت الدائرة نفسها مسؤولية صيانة السداد المحيطة ببغداد ، وانشاء عدد من اخر منها ضمن المنطقة العلوية ومسكر الرشيد والزوية ، فيما جرى تحكيم السداد الشمالية التي تنتهي عند نهر دجلة في الطرف الشمالي من باب المعظم من خلال احداث ثغرة فيها عند الحاجة للتخفيف من وطأة فيضان النهر على مدينة بغداد ، وقد ساعدت هذه الاحتياطات على مرور فيضان سنة ١٩١٨ من دون ان يحدث أي ضرر في بغداد[٥] .

وفي الوقت نفسه بدأ العمل باحد المشاريع الطموحة الا وهو مشروع (بحيرة الحمار) الذي كان من المخطط له ان يتالف من ثلاثة مشاريع منفصلة عن بعضها وهي :-

١ - القناة الممتدة من بني حسن الى بني سعيد .

٢ - اقامة سدة دائمة عند النهاية الجنوبية للقناة .

---

(١) فوستر ، تكموين العراق الحديث ، ج١١ ، ص٤٠٢ .

(٢) P 180 و op . c I t . و Reports of Adminitration ، الهلالي ، معجم العراق ، ج٢ ، ص١٠١ .

(٣) سوسة ، تطور الري في العراق ، ص ص١٠١ . ١٠٢ .

(٤) د . ك . و ، ملفات الاحتلال ، الملفة ، 119 / 2 و 2 ، ص7 ، شؤون الري .

(٥) سوسة ، فيضانات بغداد ، ص٥٢٧ .

٣ – بناء سد الغبشية . الجبايش الوافي . حيث تم انجاز عدد من الاعمال المحكمة ومنها[١] :-

أ – سد البدعة ومشروع الشطرة .

ب – انشاء عدد من القنوات ومنها على سبيل المثال لا الحصر قناة الغافلية .

ج – تقوية او تسوية الجانب الايسر لنهر الفرات بالحجارة في القسم الذي يمر ببلدة الناصرية[٢] .

الا ان العمل في المشروع سرعان ماتوقف في شباط ١٩١٩[٣] . بعد اشهر من توقيع الهدنة مع العثمانيين .

وتضمن مشاريع الري في عهد الاحتلال البريطاني اعمال تقوية السداد الموجودة في لواء العمارة ونواحيها لمواجهة اخطار الفيضان وعلى وجه الخصوص في منطقة علي الغربي ومن ضمن هذه السداد سبيجة[٤] وامية[٥] وجدي[٦] والزاوية[٧] ، حيث بلغ مجموع المبالغ التي تم انفاقها بين ايلول وكانون الاول ١٩١٧ حوالي ٢٥٠، ٠٠٠ روبية[٨] وفي الوقت نفسه تم بناء سد سد في مدخل قناة المشرح والمجر الكبير في منطقة العمارة[٩] . وكانت الغاية من انشاء هذا السد هو توفير المياه من نهر دجلة ، كما تم تعميق المناطق الضيقة للقناة الواقعة اسفل منطقة (قلعة صالح) لكي تلائم كمية المياه الزائدة فيها[١٠] .

اما عن الملاك الوظيفي العامل في دائرة الري فقد تمت الاستعانة بالموظفين البريطانيين وفق عقود خاصة ومدد متفاوته ، اذ كان مدة العقد تنتهي او تتجدد حسب ماتدعوا اليه حاجة تلك الدوائر فعلى سبيل المثال ضمت الهيئة الفنية لدائرة الري (٢٥٢)موظفاً فنياً سنة ١٩١٨ من ذوي المراتب الرفيعة و ٢٥٠موظفاً فنياً ممن هم دونهم في المرتبة وكلهم من البريطانيين

---

(١) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣٣ .

(٢) A . R . O P . cit . و 353 .

(٣) ويلسون ، المصدرالسلبق ، ج٢ ،ص٣٣٣ .

(٤) وثائق الاحتلال البريطاني ، ملفه رقم 1091 ، "الري في علي الغربي" ، هـ ، ١،٢،٣،٤،٨ ص ص١ . ١١ .

(٥) المصدر نفسه ، و ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ص ص٣٠ . ٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ١٦ ، ١٧ ، ص ص٢١ . ٢٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ١٩ ، ٢٠ ، ص ص٢٧ . ٢٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ملفه رقم 920 ، " " ، و ٣٥ ص٣٨ .

(٩) المصدر نفسه ، و ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ص ص٥١ . ٥٢ ، ص٥٩ .

(١٠) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

والهنود كما كان هناك (٤٠٩) من العمال الفنيين والكتبة منهم ١٠% من العراقيين فقط وبذلك يكون المجموع العام للملاك الثابت (٩١١) بين موظف وكاتب وعامل[1] .

(١) سوسة ، تطور الري في العراق ، ص١٧٦ .

- مشروع الاستثمار الزراعي :-

ان الحاجة المتزايدة لقوات الاحتلال البريطاني للغذاء ، فضلاً عن حماية الملاحة العسكرية في الانهار دفعتها الى تاسيس مشروع التنمية الزراعية او مشروع الاستثمار الزراعي Agricultal Development[١] . الذي تبنى الدعوة الرسمية له (كاربيت) رئيس مجلس الايرادات[٢] ، وتمت المصادقة عليه في ١٩ ايلول ١٩١٧[٣] . وكن الغرض الرئيسي منه تطوير وسائل الري من خلال تحسين قنوات الري القديمة وحفر القنوات التي لم يكمل العثمانيين حفرها وفتح قنوات جديدة واستيراد مضخات الري باسرع وقت وتوزيعها على الفلاحين[٤] . وتهيئة الوسائل اللازمة لجعل الزراعة ممكنة في المناطق المسيطرة عليها ويدخل ضمن هذه الوسائل السيطرة السياسية لتظل القبائل هادئة والفلاحون قادرين على الانتاج وتقديم الدعم المالي وتيسير البذور لهم[٥] .

قدمت سلطات الاحتلال مايوفره المشروع في حالة نجاحه بحوالي ،(٩٠٠٠٠) طن من الحنطة والشعير و(١٥٠٠٠) طن من التبن وهي تكفي لسد الحاجة الجيش المحتل ، اما عن الكلفة الاجمالية للمشروع فق قدرت بـ ٣٠٠٠٠٠ باون فضلاً عن ١٠٠٠٠٠ باون نفقات الموظفين ووسائل النقل[٦] .

اقتصر المشروع في بادئ الامر على منطقة الفرات الاوسط وتحديدا الحلة والديوانية النجف والكوفة وابو صخير ، الا ان تقدم القوات البريطانية جعل من الممكن الحاق بعض المناطق الواقعة على نهر دجلة وديالى بالمشروع[٧] . حيث لم يمض وقت طويل حتى كانت اعمال التنمية الزراعية قد شملت جميع المقاطعات المحتلة[٨] .

---

(١) سوسة ، تطور الري في العراق ، ، ص١٦٨ .

(٢) عرف المشروع بتسميات عديدة منها " الانبعاث الزراعي" "والتقديم الزراعي" انظر : المصدر نفسه ، ص٢٦٥ ، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(٥) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٦) السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي .. ، ص٨٠ .

(٧) بيل ، المصدر السابق ، ص٢٤٥ ؛ فوستر ، تكوين العراق الحديث ، ج١ ، ص١٦٠ .

(٨) الجواهري ، المصدر السابق ، ص٤١٦ .

اما عن ادارة المشروع ، فقد ارتبط مدير هذا المشروع في البداية بالحاكم المدني العام مباشرة ، ثم انيط امر ادارته بنائب مدير الميرة [١] . في حين هدفت اللسلطات البريطانية من تنفيذ هذا المشروع الى مجموعة من الاهداف التي يمكن اجمالها :-

١ - توسيع رقعة الاراضي الزراعية :-

قدرت السلطات البريطانية في ضوء حاجتها وحاجة عموم السكان ، مساحة الاراضي التي ينبغي زراعتها سنة ١٩١٨ بـ ٦٠٠ الف ايكر[٢] . ولتحقيق هذا الهدف شرعت السلطات البريطانية في اصلاح مايمكن اصلاحة من الاراضي الزراعية .

وقد نجحت في سياستها تلك الى حد كبير ، فعلى سبيل المثال حققت اعمال اري في الهندية اصلاح مساحات شاسعة من الاراضي القابلة للزراعة[٣] ، ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى اخضعت جميع اراضي منطقة الفرات للاعتبادات العسكرية نظراً لامكانيات الحاضرة والمستقبلية ، كما قدمت الكثير من الدراسات الهادفة الى احياء زراعة مساحات واسعة من الاراضي المحتلة[٤] .

٢ - اعمال الكري والارواء وبناء السدود الترابية :-

انجزت السلطات البريطانية ضمن خطتها بشان مشروع الانماء الزراعي كري العديد من الانهر المندرسة ، وكما قامت بتطهير العديد من الانهر التي يمكن اعادة المياه اليها ، فقد قامت السلطات البريطانية بتطهير نهر الرضوانية قرب المحمودية[٥] وحفرت قناة جديدة موازية لقناة اليوسفية اثر اندراس نهر الرضوانية قرب المحمودية ، حيث انفقت السلطات البريطانية مبلغ ٢٨ الف روبية لتطهير هذا النهر[٦] ، واستعانت السلطات البريطانية بعدد من العمال الهنود ، فضلاً فضلاً عن مايربو على ١٨٠٠ عامل عراقي[٧] .

---

(١) فوستر ، تكوين العراق الحديث أج١، ص١٦٠ .

(٢) الجواهري ، المصدر السابق ، ص٤١٦ .

(٣) P . 191 و op . cit . و Candler .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول تلك الدراسات انظر الجواهري ، المصدر السابق ، ص ص٤١٧ . ٤١٨ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ١٢١ ، في ٢٠ كانون الاول ١٩١٧ .

(٦) جرت محاولات سنة ١٩١٧ لاعادة حفر قناة اليوسفية ، الا ان العمل سرعان ما توقف بسبب عدم اسعتقرار اسعتقرار المنطقة بتاثير النزاعات العشائرية حول حقوق التصرف بالاراضي P

203 و op . cit . و R eport of Administration .

(٧) I bid . p . 167 .

اما في الكوت فقد درست امكانية رفع الرواسب[١] التي طمرت نهر الغراف الواقع بين الكوت والحي ، وافتتحت قناة الصقلاوية التي تم كريها واكمل العمل في بعض القنوات التي كان العثمانيون قد اوشكوا على انجازها .

كان العمل المتواصل في قناة المحمودية الجديدة محط اعجاب الحاكم العسكري المسؤول عن المنطقة ، وفي المنطقة الثاينة قدمت الاموال اللازمة لحفريات ابي صخير وام قطاية وجدول عيسى غزالي ومبزل جويحة بن جري المريع رئيس ال زياد .

وفي الكوفة كتب وكيل المدينة يحث ناظر المالية الاسراع بارسال المهندس للاشراف على تطهير الانهر المندرسة لمنطقة هور الدخن (العباسية) ، وتامين ارواء المزارع التي ساءت حال اصحابها ، وفي كربلاء اشيد بالجهود التي بذلها مهندس الري بتوزيع المياه بصورة عادلة بين الملاكين والزراع ، اما في ديالى فقد تمت السيطرة على الضفة اليسرى من نهر ديالى من خلال اقامة احد السداد على نهر ديالى اسفل راس خرسان ، ممامكن اصحاب البساتين من الحصول على كميات كافية من المياه لبساتينهم .

اما بالنسبة للضفة اليسرى من هذا النهر فقد واجهت القائمين على العمل بعض المشاكل التي اخرت انجاز سد الواجهة حتى أب ١٩١٨[٢] . كما وضعت الترتيبات من اجل تنظيف قناة بلدروز ، وصدرت الاوامر لفتح جميع القنوات الاروائية التي طمرت بسبب مد سكة حديد بغداد . بعقوبة ، وذكر الحاكم السياسي لمنطقة شهربان انه يتوقع تنظيف قناة شهربان في شباط سنة ١٩١٨ ، وانه سيكون بالامكان زراعة (١٦٤) فداناً بعد انجاز تنظيفها[٣] ، اما في البصرة فقد ارسلت السلطات البريطانية مئات الفلاحين لتنظيف قنوات وبساتين النخيل ، وفي السليمانية كانت الاعمال الرئيسية هي تنظيم قنوات دلين وموهان ومالوان كما جرى تنظيم الاوقات الخاصة لتوزيع المياه وحددت ايضاً القرى المستفيدة من ما هذا التوزيع وعولجت مسالة توفير المياه لـ ٣٠% من القرى التي ماتزال تفتقر الى المياه من اجل ارواء الحاصلات الصيفية ، وقد ابرق الحاكم السياسي للمنطقة طالباً ارسال مهندس للري ليتولى الاشراف على هذه المسالة .

---

(١) الجواهري ، المصدر السابق ، ص٤١٩ .

(٢) Reports of Administration . و op . cit . و p . 23

(٣) عماد الجواهري ، "الاوضاع الاقتصادية في العراق في عهد الاحتلال البريطاني" ، في المعضل في تاريخ العراق المعاصر ، ص ص٥٨١ . ٥٨٢ .

وفي الموصل حث الظابط المسؤول عن دائرة الزراعة السلطات البريطانية على ارسال مهندس الى اربيل لدراسة امكانيات توفير المياه بواسطة الكهاريز والابار [١]

أما بشأن، السدود الترابية فإن السلطات البريطانية قدمت السلف لبناء سد (روفة) حجان والغزالي والنفيل وسد أبو الرماح في منطقة الشامية . وانجزت السلطات البريطاية في منطقة الشامية أيضا بناء (روفة) تحيط بقصبة مدينة غماس بطول (٢٠٠) متر وبعرض (٦) امتار وبعلو (٢) متر لدرء مخاطر الفيضانات وحجز لمياه لزراعة الشلب ، وقدمت السلطات البريطانية تقريرا عن اهمية لاعادة باء السد (روفة) الذي جرفته المياه والذي بناه الزراع على شط دغفيلية لرفع المياه في قناة الحلبة قرب جماجة فغي منطقة السماوة ، وفي منطقة ديالى ذكر أن الظروف كانت تقتضي بناء فتحة الخالص وسد الحويجة ، والاستعداد للتحفظات اللازمة على باقي السدود لدرء مخاطر الفيضان[٢].

٣-اعمال التسليف والانفاق :-

رصدت السلطات البريطانية (٤٠٠) الف باون استرليني لتمويل هذا المشروع ، ويلحظ أن قسما من هذه المبالغ قد تم صرفها بشكل قروض عينية (بذور) تقدم إلى السراكيل[*] بعد التعاقد معهم على مقاولة خاصة ، وكان اقسى الشروط على الزراع ، هو اعادة المبلغ ذخائر عينية نظرا لاطراد ارتفاع الاسعار ، كما أن شروطا كانت تقيد السراكيل تقضي بعدم بيع الحاصل إلى التجار والالتزام ببيعه إلى سلطات المحتلة ، ففي الشامية بلغ مجموع السلف المدفوعة إلى شيوخ المنطقة للمدة من تشرين الاول ١٩١٧-٢٦ شباط ١٩١٨ - ١٤٨١١٠.١١ روبية ، أما في الحلة فبلغ مجموع نفقات الانماء الزراعي للمدة الواقعة من ١٤ تشرين الاول إلى ١٧ كانون الاول ١٩١٧ مبلغ ٩٠.٠٠٠ روبية[٣].

---

(١) الجواهري ، الاوضاع الاقتصادي ... ، ص٥٨٣.

(٢) المصدر نفسه .

(*) السركال ، اصلها كلمة (سركال) الفارسية التي تعني رئيس العمل .

(٣) الجواهري ، الاوضاع الاقتصادية ... ، ص ٥٨٣.

٤-العمل:-

كان اقرار مشروع الانماء الزراعي فرصة مناسبة لبدء حملة واسعة النطاق الالوف من الفلاحين لانجاز اعمال الري وشق الطرق وتعبيدها وبناء الجسور ونشاء المعسكرات ، حيث اوكلت مهمة اعداد العدد الكافي من العمال إلى بعض شيوخ العشائر المتعاونين مع سلطة الاحتلال ، والامثلة كثيرة على ذلك ، فعلى سبيل المثال اتخذت الترتيبات اللازمة مع الشيخ عبد الله محمد الياسين ، والشيخ محمد القصاب.في الكوت لتجهيز الفلاحين لغرض اعمال الري وبالفعل تم ارسال (١٠٠) رجل من السراج ، و(١٢٠) من قبيلة المياح ، كما أن هذا العجدد الكبير من عشيرة ربيعة والمكاصيص يجهزون العمال لحماية سدود النهر وصيانتها بامرة الضابط المسؤول عن قسم الري في المنطقة(١).

٥ -اتباع الاسايب الحديثة في الانتاج

ادخل الانكليز اساليب المكننة في الانتاج ، مع اعطاء الاسبقية للفلاحين الذين يتعهدون بزراعة الحبوب ، فقد طلب في سنة ١٩١٧ تجهيز مزارعي العمارة بـ (٣٠) مضخة ، وفي سنة ١٩١٨ تم تجهيز زراعة العمارة بالالات الحراثة لقاء زيادة في الضريبة المأخوذة على المثارة ، إذ زيدت الضريبة من ٣ روبيات إلى ٥ روبيات للمشارة الواحدة(٢).

وفي الوقت نفسه قامت سلطات الاحتلال باصلاح عدد من المضخات وتوزيعها على الفلاحين فضلا عن توزيع مادة النفط على الفلاحين لتأمين تشغيلها (٣).

وواجهت القائمين على المشروع مشاكل عديدة لعل ابرزها الاضطرابات العشائرية التي امكن التغلب عليها -عليه السلام- طريق ضمان تأييد شيوخ العشائر من خلال الدعاية التي بثها الضباط السياسيون للمشروع ، فضلا عن الوعود التي اعطيت لهم باعطائهم الايرادات الممتازة(٤) ، كما اقتضت المصالح البريطانية التدخل لحل منازعات بعض القبائل ومها عشيرتا الجحيش والمعامرة القاطنتان في المناطق الواقعة شمال الحلة وجنوب المسيب(٥).

---

(١) الجواهري ، الاوضاع الاقتصادية ... ص ص ٥٨٣-٥٨٤.

(٢) الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراض ، ص ص ٤٣-٤٣٢.

(3)Report of Administration op cit ,p.204.

(٤) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، ص١٦٠.

(٥) الحديثي ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

ومن المشاكل الاخرى التي واجهها المشروع مشكلة فشل استعمال بعض القنوات ، وتعرض البذور إلى السرقة ، وعدم دقة اعمال المسح[١] ، ومع هذا نجح المشروع في تحقيق جزء كبير من اهدافه ، منها تحقيق زيادة في الانتاج الزراعي ، إذ بلغ اول حاصل للمشرو سنة ١٩١٨ حوالي (٥٠-٦٠)[*] الف طن من الحبوب ، ولا شك انها كانت نتيجة مشجعة للقائمين على المشروع للاستمرار فيه[٢] . كما ساهم المشروع في تطوير وسائل الري على نهر الفرات من خلال تطهير جميع الجداول الموجودة على جانبي هذا النهر، وتأمين أفضل السبل لجعل الزراعة ممكنة في المناطق المسيطر عليها[٣].

(١) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١، ص١٦٠.

(*) كانت خطة المشروع انتاج ، ٢٨٠.٠٠٠ طن من الحبوب ، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٥.

(٢) الحديثي ، المصدر السابق ، ص٥٧.

(٣) السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ... ، ص٨٠، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٥.

تقويم اعمال الري في العراق ابان الاحتلال البريطاني للعراق

عانت المشاريع التي نفذتها دائرة الري من صعوبات كثيرة كان لها انعكاساتها في تقليل فعاليتها ، ولعل في مقدمتها أن اهتمام السلطات العسكرية المحتلة بالري لم يكن مبنيا على خطة معينة ، بل كان مدفوعا بمراعاة المصالح السياسية البريطانية ، ومنها الظروف الاستثنائية التي نفذت خلالها اكثرية مشاريع الري ، وهي ظروف حملت للخضوع للمتطلبات العسكرية المستعجلة أحد اسباب الانجاز [١] ، وبالتالي اعطاء المصالح البريطانية الافضلية في مشاريع الري المنجزة ، مع تفضيل الاعمال السحطية والمشاريع الوقتية ذات الفائدة الانية التي منها اعمال تقوية بض السداد وغلق الفتحات فيها على الاعمال والمشاريع الضخمة[٢].

كما كانت النفقات الضخمة التي تحتاجها مشاريع الري وراء الاحجام عن تنفيذ الكثير من المشاريع [٣]، ومنها مشروع منطقة الكرادة حيث سوغ الحاكم العسكري رفضه لتنفيذ هذا المشروع بقوله : " ان النفقات الطائلة التي يتطلبها أي مشروع دائمي لمقاومة النهر يجعل تنفيذ ذلك امرا متعذرا"[٤].

كما كان لعامل السرعة ي الانجاز تأثيره السابي في حالة الزراعة والري في بعض المناطق ، فعلى سبيل المثال حدث عام ١٩١٥فيضان كبير في منطقة الشعيبة الأمر الذي هدد بقطع الامدادات عن القوات البريطانية ولمعالجة هذه المشكلة لجأت قوات الاحتلال إلى بناء سد يمتد من البصرة إلى الشعيبة ومدوا فوقه سكة حديدي لنقل الذخائر ، لكن إنشاء هذا السد كان له مجموعة من السلبيات ، منها منع مياه الاهوار من الجريان إلى النهر أيام الفيضان وحصرها في شمالي السدة ، مما هدد الاراضي المحيطة بمنطقة (كرمة علي) بعد أن أصبحت المنفذ الوحيد لمياه الاهوار إلى شط العرب[٥].

وفضلا عن ذلك واجهت قوات الاحتلال صعوبة توفير الايدي العاملة الاجنبية التي استقدمتها قوات الاحتلال إلى العراق ، ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالعمالة العراقية ، وأيام صعوبة الحصول عليها اضطرت

---

(١) د.ك.و. وثائق الاحتلال البريطاني ، الادارة المركزية ، رقم الملففة 2/534 و ٧ ، ص١٦ ؛ سوسة ، تطور الري في العراق ، ص ص ١٨١-١٨٢.

(٢) المصدر نفسه ، رقم الملفة ، 2/129 و ١٤ ، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه ، رقم الملفة 2/534 و٧ ص١٦.

(٤) الحديثي ، المصدر السابق، ص٥٥.

(٥) سليمان فيضي ، البصرة العظمى ، عني بنشره عبد الحميد فيضي (بغداد، ١٩٦٥) ، ص ص ٧٦-٧٧.

سلطات الاحتلال إلى الاستعانة ببعض شيوخ العشائر العراقية لتزويدها بالاعداد الكافية من العمال ، ومنها شيوخ عشيرة زوبع وما يجاورها لـامين العدد الكافي ولمعدل (٥٠٠-٦٠٠) عامل يوميا في قناة ابي غريب ، فضلا عن تأثير سحب هذه العناصر ، في النشاطات الاقتصادية لا سيما الزراعة[١].

ولا يخفى تأثير العوامل الطبيعية كالامطار والفيضانات والاوبئة والامراض وغيرها في توقف العمل في بعض المشاريع الاروائية فعلى سبيل المثال توقف العمل في أحد مشاريع الاروائية في منطقة الفلوجة ولمدة شهرين متواليين نتيجة لانتشار مرض الكوليرا في هذه المنطقة[٢] .

---

(1)Report of Administration op cit ,p.

(2)Ibid ,p..

ويعزى تزايد الأهتمام البريطاني بمنح مشاريع الري في العراق الى شركات بريطانية الى فشلها في السيطرة على مشروع سكة حديد بغداد- برلين لذلك أعلنت بريطانيا عن تخليها عن طلبها في الأسهام في مشروع سكة حديد بغداد برلين مقابل منح الشركات البريطانية امتيازات وعقود خاصة بمشاريع الري في العراق ، حيث أكد المفاوضون البريطانيون خلال المفاوضات الخاصة بمشروع السكة مع الألمان أن خيارهم الأول ينصب على مشاريع الري المقترحة في العراق التي تقدم اليها مناقصون بريطانيون[١]. ونظرة في المادة الخامسة من الأتفاقية (البريطانية- الألمانية) الموقعة في حزيران سنة ١٩١٤توضح مدى الأهتمام البريطاني بالزراعة والري وبطرق الملاحة في بلاد ما بين النهرين التي جاء فيها "تعترف ألمانيا بأماني بريطانيا الزراعية واحتكارها للمواصلات النهرية فيه"[٢] .

وفي حزيران ١٩١٤عبر أدوارد كري(@@@@@@)وزير الخارجية البريطانية عنة مخاوف حكومته للسفير الألماني في لندن لشنوفيكي (@@@@@) من وقوع الري ومشاريعه في العراق بيد الألمان ،وكشف عن رغبة بريطانيا في أحتكار مشاريع الري في العراق مقابل عدم معارضتها أحتكار ألمانيا لمشاريع الري في سهول أدنة[٣] .

وبأحتكار الأنكليز للعراق يبدأالدور الثاني من أدوارأعمال الري في العراق ، اذ مهد أحتلال بريطانيا للعراق السبيل لرسم سياسة الري والزراعة في العراق ووفقاً لما تقتضيه المصالح البريطانية الأقتصادية والسياسية التي مهدوا من خلالها السبيل لأستعمار العراق[٤].

كان للعمليات العسكرية التي رافقت الأحتلال البريطاني للعراق أنعكاساتها السلبة على الزراعة ، وتدمير قنوات الري الموجودة في العديد من المناطق[٥].

كما لايخفى ألتأثير السلبي للسياسة التي أنتهجتها الوات العثمانية المنسحبة والقائمة على تدمير عدد من السدود والمشاريع الأروائية بهدف أعاقة تقدم القوات البريطانية ، نخص منها بألذكر سد(أبي غريب)[٦]،وما نجم عن ذلك من أتلاف للأراضي الزراعية المزروعة بمحصول الرز ، كما أدى كسر سد(ألصقلاوية) في اذار١٩١٧، الى نقص المياه في نهر الفرات كثيراً ،

---

(١) المعموري ، المصدر السابق ، ص١٧.

(٢) سوسة ، فيضانات بغداد..،ص٦٣٧.

(٣) المصدرنفسه.

(٤) أبراهيم ، المصدر السابق ،ص١٥٨.

(٥) بيل ، المصدر السابق ،ص٢٣٨.

(٦) تقع على بعد (٤) أميال جنوبي الفلوجة للتفاصيل أنظر لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ،ج٢،ص٢٥٨.

الأمر الذي أدى الى تقليل الأنتاج الزراعي للمنطقة ، خاصة الرز المزروع في منطقة الشامية[١]
.

ومما زاد في تدهور الأوضـاع الزراعية شحة الأمطار لثلاثة مواسم زراعية متوالية[٢] فضلاً عن توقف الكثير من المضخات عن العمل بسبب شحة الوقود اللازم لتشغيل المضخات أو عطل الكثير منها أو بسبب تحطيمها من القوات العثمانية المنسحبة[٣] كما أن قيام قوات الأحتلال بشق الطرق ومد سكك الحديد قد وضع نهاية لعمل كثير من الجداول[٤]ومن المشاكل الأخرى التي عانت منها الزراعة ابان تلك المرحلة الخصومات التقليدية بين الملاكين من سكان المدن والفلاحين من أبناء العشائر ،التي أثرت في الزراعة وكانت سبباً في أهمال زراعة أراضي كثيرة[٥].

ولما كانت فلسفة سلطات الأحتلال هي الأعتمادعلى البلاد المفتوحة ، لتوفير مصادر الغذاء اليومي لقوات الاحتلال ، فضلاً عن أخذ ما يمكن أخذه من قدراتها المالية ايراداً لها[٦] فمن الطبيعي والحالة هذه أن يؤثر الأحتلال البريطاني تأثيراً مباشراً في مجمل النشاطات الأقتصادية في البلاد ومنها الزراعة فمنذ بداية الأحتلال البريطاني للعراق ارتبطت شؤون الزراعة في المناطق المحتلة .بالحاكم العسكري لكل منطقة ، بموجب الصلاحيات والسلطات التي منحتها له القيادة البريطانية ، ووفق تعليمات أصدرتها لهذا الغرض ألا أن العمل بهذا الأجراء لم يستمر طويلاً ، فقد شكلت سلطات الأحتلال هيئة الزراعة @@@@@@@@ضمن دائرتي الري والزراعة ، تأسستا في شباط وتموز ١٩١٥على شكل وحدتين عسكريتين ضمن كل واحدة في عضويتها مدير الري ، ومدير الزراعة والمشاور المالي للقائد العام ممثلين عن الجانب العسكري ، وسكرتير الواردات والشؤون المالية للحاكم العسكري العام ، وضابط الواردات الأول الذي تولى سكرتارية اللجنة عن الجانب المدني وقد ترأس اللجنة نائب مدير الميرة[٧] .

---

(١) ولسن ،المصدر السابق ،ج٢،ص٤٠؛ فوستر ،نشأة العراق الحديث ،ص٣٤٥.

(٢) بيل ،المصدر السابق ،ص٢٣٨.

(٣)

(٤) ولسن ، المصدر السابق ،ج٢،ص٢٦٤.

(٥) كانت الحلة في حالة ثورة علنية أذا لم يكن الملاكون يجرأون على التقرب من أراضيهم وبالتالي أهملت زراعة أراضي كثيرة ، أما الأراضي المزروعة فكانت القبائل تزرعها من دون الرجوع الى ملاكيها ، بيل ،المصدر السابق ،ص٢٣٩.

(٦) عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ، دراسة في التطورات العامة ١٩١٤-١٩٣٢،دار ١٩٣٢،دار الحرية للطباعة (بغداد ،١٩٧٨،ص٩٩،ص٤١٤.

(٧) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقررات العراق السياسية ،ج٣،مطبعة دار السلام ،بغداد، ١٩٢٥،ص٥.

وبهدف تأمين الغذاء اللازم لقواتها بالدرجة الأولى لجأت سلطات الأحتلال الى طلب المساعدة العاجلة من السلطات البريطانية في الهند لأمدادها بكميات من بذور الخضراوات والحبوب لتوزيعها على الفلاحين[١] وبعد مراسلات عديدة حصلت سلطات الأحتلال على هذه البذور ،ألا أنها وصلت متأخرة عن موسم الزراعة الأمر الذي حال دون زراعتها ، فأدى ذلك الى نقص في المواد الغذائية لقوات الأحتلال[٢]ومع ذلك قامت سلطات الأحتلال بتوزيع هذه البذور على الفلاحين في مناطق العمارة والناصرية والبصرة ، مقابل مبالغ مالية حددتها سلطات الأحتلال[٣].

وفي أعقاب الأحتلال البريطاني لبغداد في أذار ١٩١٧،واجه العراق أوضاعاً أقتصادياً متدهورة ،حيث سبب أنقطاع الطريق بين بغداد والموصل نتيجة المعارك التي أستمرت من أذار١٩١٧حتى تشرين الثاني ١٩١٨نقصاً حاداً في المواد الغذائية ، وقد ذكرت المس بيل بأن "أنقطاع الطريق كان من المصاعب الكبيرة التي أدت الى نقص المواد الغذائية التي كنا في أمس الحاجة لها وخاصة الحنطة والشعير والخضراوات التي تشتهر بها ولاية الموصل "[٤]فيما ذكرت احدى التقارير البريطانية العائدة الى تلك المرحلة بأنه (ليس هناك أية زراعة)[٥] أما ارنولد ويلسون فقد وصف الوضع الزراعي في العراق بقوله "أن الحاصلات الزراعية في بعض المناطق لم تعطي ناتجاً يسد حاجة الجيش والأهالي"ودعماً لهذا الرأي أورد ويلسون بعض الأمثلة على ذلك فقضاء الهندية لم تكن فيه أية محصولات زراعية وفي الحلة كانت المحاصيل ضئيلة جداً ،وفي كربلاء وما جاورها تضررت المحاصيل الزراعية نتيجة الفيضان ، وفي الديوانية وبالرغم من وجود المضخات الأروائية .الا أنها لم تؤد دورها بسبب نقص الوقود ، وفي بعقوبة دمرت العمليات العسكرية غالبية الأراضي الزراعية ، كما أن محصول الشامية من الرزكان غير المثمر

---

(١) حدد الطلب الذي أرسله برسي كوكس نائب الحاكم البريطاني العام الكميات المطلوبة ب(١٥٠)طناً من بذور الطماطة و (٢٥٠)طناً من حبوب الحنطة الحمراء ، و(٢٢٠)طناً من بذور السبيناغ ، و (٦٠)طناً من الشعير فضلاً عن بذور خضراوات أخرى ، د.ك.و :وثائق الأحتلال البريطاني الملفة ٢١٣ ،و ٦١،(شراء حبوبه من الهند).

(٢) المصدر نفسه ،٢٩،ص٢.

(٣) المصدر نفسه ،٢٧٩ ، ص٣٩.

(٤) بيل ، المصدر السابق ، ص٧٨.

(٥)

، ولم يعط أي ناتج يمكن الأستفادة منه فضلاً عن أن أغلب قنوات الري كانت في حالة سيئة جداً نتيجة ترسبات @@@ الكثير فيها[١] .

فيما عانت المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية . التي تمتد من سامراء حتى الموصل وصولاً الى كردستان . هي الأخرى من النقص الحاد في المواد الغذائية وخاصة الحبوب[٢] ولمعالجة الموقف المتأزم لجأت السلطات العثمانية الى أتخاذ عدة أجراءات منها وضع اليد على كل ما في أسواق مدينة الموصل من مواد غذائية لتامين أحتياجات قواتها المنهارة[٣]مع ذلك لم تفلح هذه الأجراءات في وضع حد لمعاناة هذه المدينة ، أذ سرعان ما أرتفعت أسعار المواد الغذائية فعلى سبيل المثال بيعت عبوة الحنطة وزن ١٣.٥ كيلو ونصف ب ٣ ليرات ذهب ، والبيضة الواحدة ب٣٠ قرشاً ، ولم يكن الناس يملكون الأثمان الكافية لشراء هذه المواد ، فحصلت المجاعة وأستفحل أمرها في سنة ١٩١٨ [٤] .

وصف أحد المؤرخين الوضع المأساوي الذي عاشته المدينة بقولهكان يومياً يموت عشرات الناس عدا أولئك الذين لم يخرجوا من بيوتهم وقفلوا أبوابها على أنفسهم حتى قضوا نحبهم ، وكان موظفوا الصحة ينقلون الموتى الى حفرهم الأخيرة ، فيرمون كا عشرة منهم أو أكثر في حفرة واحدة وكثيراً ما نقلوا بعض الأشخاص .

(١) ويلسون، المصدر السابق ،ج٢،ص٢٤٦.

(٢) العمري ، تاريخ مقررات العراق ...،ص١٣٨.

(٣) عبد المنعم الفلاس ، الموصل خلال الحرب العالمية الأولى ، مجلة المعرفة ، العدد٥٠، شباط ،١٩٦٣، ص٩.

(٤)

الفصل السادس: الخدمات الصحية

المبحث الأول:

الحالة الصحية العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤

المبحث الثاني:

-الخدمات الصحية العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤

-دوائر الحجر الصحي

-تقويم واقع الخدمات الصحية في العراق ١٨٦٩-١٩١٤

المبحث الثالث:

الخدمات الصحية في العراق إبان الاحتلال البريطاني ١٩١٤ -١٩١٨

الفصل السادس

الخدمات الصحية

المبحث الأول :

الحالة الصحية في العراق ١٨٦٩-١٩١٤

ترجع البدايات الأولى لاهتمام الدولة العثمانية بالخدمات الصحية إلى سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، عندما صدر في هذه السنة نظام الكرنتينة (الحجر الصحي) ، الذي نص على تأسيس دوائر الحجر الصحي في الولايات العثمانية ، علاوة على إنشاء عدد من المحاجر الصحية عند المنافذ الحدودية ومدن العتبات المقدسة[١] .

وفي سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م صدر (نظام الإدارة الصحية العمومية) ، وهو أول نظام يتعلق بالصحة العامة ، حيث ألزمت المادة الأولى منه بلديات الولايات العثمانية بتعيين طبيب ومعاون له في حين حددت المادة الخامسة واجبات هذا الملاك الطبي بمعاينة مرضى البلدة مجاناً، على أن تتكفل البلدية بدفع رواتبهم من ميزانيتها[٢] .

واولى هذا النظام جانبا من اهتمامه لنظام الكرنتينة (الحجر الصحي) ، فعلى سبيل المثال ألزمت المادة السابعة منه مأموري دوائر الكرنتينة بوجوب إبلاغ الجهات الرسمية في حالة ظهور وباء ما[٣] .

وقبل التطرق إلى جهود السلطات العثمانية في إقامة المؤسسات الصحية في الولايات العراقية ، لابد من إعطاء لمحة سريعة عن الواقع الصحي المتردي الذي عاشته الولايات العراقية ، حيث أدت البيئة دوراً كبيراً في التأثير في المستوى الصحي فكلما كانت المدينة نظيفة قل انتشار الأمراض ، لكن الحقيقة شيء والواقع الفعلي شيء آخر ، إذ إتسمت الغالبية العظمى من المدن العراقية بقلة نظافتها ، ناهيك عن كثرة البرك والمستنقعات التي لم تبذل السلطات العثمانية أية جهود ملموسة في ردمها[٤] .

---

(١) النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ... ، ص٤٠١ .

(٢) الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص٧١٣-٧١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٧١٥ .

(٤) فوصيل ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

علاوة على إفتقار المدينة العراقية إلى نظام لإسالة المياه ، إذ كانت مياه الشرب تنقل على ظهور الحيوانات من الأنهار ومصادر المياه القريبة ، ومن الآبار الملوثة داخل البيوت[١] .

كما كان لافتقار الولايات العراقية لنظام تصريف المياه[٢] اثر كبير في انتشار الجراثيم والامراض الزهرية ، إذ ان تخزين المياه القذرة مدة طويلة ، وعدم اهتمام الاهالي بتنظيفها بصورة مستمرة مرة كل شهر في الاقل ، أو استخدام المواد المطهرة سببت الروائح الكريهة التي افسد هواء الدور ، وفي بعض الاحيان تتسرب إلى مياه النهر مختلطة مع مياه الشرب ، ناقلة جميع الامراض السارية ، ولم يقتصر الامر على البيوت فقط بل تعداها إلى الاماكن العامة كالخانات والحمامات[٣] ، فضلاً عن المدابغ المنتشرة قرب الانهار حيث كانت ترمي فضلاتها فيها فكانت سبباً اضافياً في انتشار الكثير من الامراض ، ومنها التهاب المعدة والامعاء والديزانتري وغيرها من الامراض ، كما شكل وجود الحيوانات الداجنة وما شاكلها في البيوت سببا اضافيا لانتشار كثير من الجراثيم والمكروبات التي تسبب الامراض . ومما زاد في انتشار الامراض كثرة المقاهي والمطاعم القذرة والمفتقدة إلى ابسط الشروط الصحية[٤] .

وقلما وجدنا من الولاة من يهتم بنظافة المدن والاطعمة والمأكولات وتعد مبادرة والي بغداد احمد توفيق باشا سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م احدى المبادرات الفريدة من نوعها ، عندما أمر القصابين واصحاب المأكولات بوضع ستر من الخام على موادهم للمحافظة عليها من الغبار والذباب[٥] .

ومن العوامل الاخرى التي أسهمت في تدهور الحالة الصحية تدني المستوى التعليمي ، وانعدام الوعي الصحي لدى الغالبية العظمى من السكان ، واذا كان ثمة من يراجع الطبيب فان ذلك لا يكون قبل استفحال المرض ، وبالتالي لا يتمكن الطبيب من شفائه لفوات الاوان[٦] .

---

(١) عبد الحكيم حكمت ، المسح الطبي لولاية بغداد سنة ١٨٨٩ ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، (زغوان ، ١٩٩٧) ، ص١٢١ .

(٢) س.و.م سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ص١١١-١١٢ ، وهي في الاصل دراسة تقدم بها طبيب بلدية الموصل أيوب نجم الدين سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، اوضح من خلالها الاوضاع المتردية التي عاشتها هذه الولاية ابان تلك المرحلة .

(٣) جريدة صدى بابل ، العدد ٤ ، ١٣ ايلول ١٩٠٩ ، العدد ٢٨ ، ٢٨ تشرين الاول ١٩١٠ .

(٤) س.و.م سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م ، ص١١٣ .

(٥) ياسين ، بدايات التحديث في العراق ... ، ص٣٨ .

(٦) عقراوي ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي ... ، ص٨٢ .

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على تفتيش الامراض السارية والوبائية وقوع العراق في مفترق الطرق فضلاً عن قربه من الهند مما جعله عرضه للامراض الوافدة التي كانت تنقل بواسطة القوافل التجارية وقوافل الزوار الاجانب[١] . علاوة على جثث الموتى التي يتم نقلها من ايران وغيرها من البلاد الاسلامية لتدفن في النجف الاشرف وكثيرا ما كانت هذه الجنائز تبقى فترة من الزمن في إنتظار إنجاز المعاملات الرسمية لتأمين مرورها ، مما ترتب عليه الكثير من المحازير الخطيرة[٢] .

لم تكن في العراق وحتى ستينات القرن التاسع عشر مستشفيات باستثناء المستشفى الوحيد في ولاية الموصل ، الذي يرقى تاريخ افتتاحه إلى سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م اما الاطباء فيندر ان يكون هناك اكثر من طبيب في مركز كل ولاية[٣] . لذلك اقتصرت ممارسة المهنة على بعض المشعوذين والدجالين وبعض المتطببين الذين لم تتجاوز معرفتهم الحقائق التي تلقوها شفاها ، إذ توسع بعضهم في معلوماته من خلال قراءته بعض الكتب القديمة ، اما بالنسبة للقرى والارياف فقد مارس المهنة اشخاص توارثوها عن آبائهم واجدادهم[٤] .

وامام هذه الاسباب ، لم يكن مستغربا انتشار الامراض الوبائية التي كانت تفتك بالسكان فتكاً ذريعا ، فعلى سبيل المثال تفشى وباء الكوليرا (الهواء الاصفر) في الاعوام ١٨٢٠ ، ١٨٣٠ ، ١٨٦٥ ، ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٣ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧[٥] .
فيما تفش الطاعون وبشكل وبائي في السنوات ١٧٨٣ ، ١٨٠٢ ، ١٨٣١ ، ١٨٦٧ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٧ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢[٦] . ناهيك عن الامراض المعدية الاخرى ، كالجدري ، والتيفوئيد ، والدايزنتري ، اما الامراض الجلدية فانتشرت هي الاخرى خاصة بين البرد[٧]. ولم يكن امام السكان للوقاية من هذه الاوبئة سوى الهروب من المدن الموبوءة إلى اماكن اخرى

---

(١) الخياط ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٨٠ .
(٢) حكمت ، المصدر السابق ، ص١٢٣ ؛ Cuinet, Op. Cit., P.41.
(٣) في حين ذكرت مصادر اخرى إفتتاح ما عرف انذاك بدار العزل ، التي أرخ احد المصادر افتتاحها بسنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ؛ عبد الحميد العلوجي ، تاريخ الطب العراقي ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص٢
(٤) ابراهيم خليل احمد ، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١ ، مجلة اداب الرافدين الرافدين ، العدد(١٦)، ١٩٨٦ ، ص٢٥٢ .
(٥) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ص٣٦٥٦ ؛ حسن ، المصدر السابق ، ص٢٦٠. ص٢٦٠.
(٦) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص٣٦٥٩ .
(٧) اداموف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٦ .

خالية من المرض فعندما تفشى مرض الطاعون في بغداد سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م اضطر اهلها إلى ترك المدينة والاقامة في مخيمات في الصحراء وخارجها[١] .

المبحث الثاني

الخدمات الصحية العامة في العراق ١٨٦٩-١٩٤١:-

---

(١) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٧١ .

يعود الفضل إلى والي الموصل محمد اينجة بيرقدار (١٨٣٥-١٨٤٣ م) في انشاء اول مستشفى رسمي في العراق وهو مستشفى "القشلة العسكرية"[١] ، حيث كان الغرض الرئيسي من إنشائه تأمين الخدمة الصحية للفرقة (١٢) من الجيش العثماني الموجودة في الموصل ، وكان يدير المستشفى المذكور سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م عدد من اطباء الالوية وهم المقدم ديمتراكي ، والرائد عيسى والجراح اسماعيل افندي ، يساعدهم إثنان من الصيادلة ، ثم انضم للعمل معهم كل من الاطباء البنباش (المقدم) حسن بدري ومحمد أمين وبسبب ظروف الحرب العالمية الاولى والحاجة الماسة إلى مثل هذه الخدمات ، فقد ازدادت أهمية هذا المستشفى ابان تلك المرحلة[٢] .

اما اول مستشفى عام في العراق فقد أنشاءه في بغداد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) الذي ادرك منذ الوهلة الاولى يتدهور الاوضاع الصحية ، فاحدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأت الحملة الاولى ضد التخلف والشعوذة والامراض المنتشرة بين الجميع آنذاك[٣] . ولما كانت خزينة الولاية لا تكفي لبناء المشروع المذكور ناشد مدحت باشا الاهالي بالتبرع لبناء المستشفى[٤] فانهالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء... عند ذلك تم تشييد هذا المستشفى الذي جرى افتتاحه سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وسمي بـ "مستشفى الغرباء"[٥] .

إحتوى هذا المستشفى على ٥٠سريراً ، وضم عدداً من الاقسام منها قسم الامراض الباطنية وقسم الجراحة ، وقسم الامراض الزهرية ، فضلا عن جناح خاص للمساجين والمعتوهين والعواهر[٦] . فيما الحقت بالمستشفى شعبة بسيطة للاسعاف وكان العلاج في المستشفى مجانا[٧]

---

(١) احمد علي الصوفي ، تاريخ المحاكم والنظم الاداريةفي الموصل ، (الموصل ، ١٩٤٩) ، ص١٨.

(٢) ولمزيد من التفاصيل حول المستشفى المذكور انظر كمال اوزباي ، (الطبابة العسكرية في العراق في اواخر الدولة العثمانية)، ترجمة محمود الحاج قاسم ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد(٢٢) ، (ايلول ٢٠٠٠) ، ص١٥٩ .

(٣) سركيس ، مباحث عراقية٠٠٠ ، ج٢ ، ص٣٠٩ ؛ الهلالي ، معجم العراق ، ج٢ ، ص٢٠٦ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٢ ، ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ؛ الاعظمي ، المصدر السابق...، ص٣٩ .

(٥) جريدة الزوراء ، العدد ٩٥ ، ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م . كان احد المتبرعين لانشاء هذا المستشفى الشاه ناصر الدين القاجاري (١٨٤٨-١٨٨٦ م) ؛ حتاتة ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(٦) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٧) العلوجي ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

. اما ادارة المستشفى فقد اسندت إلى دائرة البلدية الاولى(1) . ويبدو ان هذا المستشفى لم يلق اقبالاً عند افتتاحه بسبب تفضيل الناس لاساليب العلاج التقليدية القديمة . كما تم تخصيص هذا المستشفى للغرباء لذلك كان معظم الملتجئين اليه من الفقراء والمتسولين، إذ وجد بعضهم فيه المكان المناسب ليقضوا فيه بقية حياتهم(٢) .

واجهت المستشفى منذ بداية تأسيسها وحتى نهاية العهد العثماني ، صعوبات عديدة لعل في مقدمتها إفتقارها إلى الموارد الكافية لتأمين استمرارية عملها ، وأمام هذه المشكلة لجأت ادارة المستشفى إلى مناشدة الاهالي لبذل المساعدات المادية(٣) .

اما المشكلة الثانية التي واجهت عمل المستشفى فكانت الافتقار إلى الملاكات الطبية والادارية الكفوءة ، التي كانت احد اسباب اغلاق المستشفى لاكثر من مرة . حتى قيام والي بغداد قدري باشا ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، باعادة ترميم المستشفى وتأمين لوازمه من الادوية والمعدات الطبية ، الا ان الاهتمام لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تعرض للاهمال ، لاسيما بعد نقل الوالي قدري باشا ، ثم انتهى امر المستشفى نهائيا سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، عندما نقلت محتوياته إلى المستشفى الذي انشأه نامق باشا –الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا– في حين تم نقل عائدية بناية المستشفى إلى دائرة المعارف حيث اصبحت بناية للمدرسة الاعدادية الملكية(٤) .

يعود الفضل إلى نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢م) في انشاء ثاني مستشفى في بغداد في جانب الرصافة(٥) . حيث جرى افتتاحه في ١٥ ذي الحجة ١٣١٨هـ/ ٥ نيسان ١٩٠١م واشتمل على عدة اقسام (باطنية ، جراحية ، عيون ، نسائية) ، وردهات خاصة للعمليات ، وقسم خاص للمجانين فضلاً عن صيدلية ملحقة به ومسجد ومطبخ وحديقة(٦) .

---

(١) س.و.م ، سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م . وقد استمر اشراف هذه البلدية حتى سنة١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م عندما اصبح تابعا لبلدية بغداد الثالثة ، ثم ارجعت ادارته لبلدية بغداد الاولى سنة١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م ، انظر س.و.ب ، سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص١٣٣ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٤١ .

(٢) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٢ ، ٢٢ صفر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ العدد ٢٤٩٣ ، ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

(٤) متعب خلف جابر الجابري ، تاريخ التطور الصحي في العراق للمدة من عام ١٩١٤-١٩٣٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٨٩) ، ص١٦ .

(٥) للتفاصيل انظر جريدة الزوراء ، العدد ١٨٩٨ ، ١٧ ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ؛ العدد ١٩٠٤ ، ٧ صفر سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ؛ العدد ١٩٠٩ ، ٤ ربيع الاخرة سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٨٧٣ ، ٢ ربيع الاول ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

لقي المستشفى المذكور اهتماماً كبيراً من الوالي نامق باشا الذي كان يطمح إلى جعله افضل من غيره ، لذا جلب له الادوية والمطهرات والآلات الجراحية من اوربا[١] . اما عن الهيئة الادارية للمستشفى فتألفت من مدير ووكيله وعاملين أخرين لمختلف الشؤون الادارية فضلاً عن مجموعة من الاطباء لمختلف الاختصاصات الموجودة في المستشفى امثال الدكتور نظام الدين للامراض الباطنية ، والجراح ذهني بك للامراض الجلدية ، وطبيب العيون سامي سليمان[٢] .وبغية ديمومة العمل في هذا المستشفى ، تم تشكيل لجنة مركزية اوكل اليها مهمة الاشراف على ادارة المستشفى ، ضمت في عضويتها طبيب دائرة البلدية الاولى ، ومعاون والي البصرة ، وعدد اخر من الاعضاء[٣] .

اما عن نفقات المستشفى فكانت ثلثاها تدفع من واردات البلدية ، اما الثلث الاخر فيجري استيفاؤه من الدائرة السنية وتحديداً من واردات التزام جسر الخر[٤]، وكانت الاصول المتبعة في ادخال المرضى إلى هذه المستشفى ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تؤيد فقر حاله قبل دخوله المستشفى[٥] .هذا وقد بلغ عدد المراجعين في الشهر الاول من افتتاحه (٨٤) مريضا مريضا ، شفي منهم (٤٣) مريضاً ،مات (٤) مرضى وبقي (٣٧) مريضا تحت المعالجة[٦] .

وابان ولاية نجم الدين ملا (١٩٠٨-١٩٠٩م) تم استرداد بناية مستشفى الغرباء الذي شيده مدحت باشا من دائرة المعارف، حيث نقلت اليه محتويات المستشفى الذي كان نامق باشا قد أنشأه[٧] ، وقام هذا الوالي باعادة اعمار المستشفى عن طريق تبرعات الاهالي ، وباسهام خاص منه ايضاً[٨] فيما تولت دائرة البلدية الثالثة مهمة الاشراف عليه[٩] ، الا الا ان المستشفى سرعان ما اخذ يتدهور بسبب افتقاره إلى الملاكات اللازمة إلى ان تولى

---

(١) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ١٩٠١ ، ١٥ محرم ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٤) جسر الخر : يقع هذا الجسر على نهر الخر ، وهو اول جسر حديدي جرى افتتاحه سنة١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ ١٨٩٨ م ، وبعد تدوير املاك السنية اثر خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، اصبحت واردات هذا الجسر تذهب إلى وزارة المالية ، وبذلك انقطع ذلك الثلث عن تمويل مصروفات هذا المستشفى لذلك توجب على دائرة البلدية دفع مصاريف المستشفى المذكور . انظر جريدة الرقيب، العدد ٧ ، ١٨ صفر ١٣٢٧ هـ /١٩٠٩ م ؛ الجراح ، المصدر السابق ، ص١٨٤ .

(٥) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٩٠٤ ، ٧ صفر ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٧) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٨) جريدة الرقيب ، العدد ٢١ ، ٢١ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

(٩) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٠٣ ، ١٧ ايلول ١٩١٣ .

الدكتور محمد كاني(*) ادارة المستشفى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م الذي كانت له اسهاماته في الارتقاء بواقع المستشفى من خلال توسيعه لقاعاتها ، والاعتناء بتنظيفها ، والتوسع في خدماتها العلاجية . فعلى سبيل المثال ارتفعت اعداد العمليات الجراحية التي اجراها اطباء المستشفى المذكور ، إذ قام الدكتور كاني وحده باجراء ما لا يقل عن ٦٠ عملية جراحية خلال شهر ايلول سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م .ولاول مرة في تاريخ العراق الحديث اسندت وظائف التمريض إلى بعض الراهبات الفرنسيات حيث كان ذلك احد أسباب زيادة إقبال النساء على مراجعة المستشفى المذكور (١).

وقد استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م ، حيث قام العثمانيون باخلائه ونقلوا كافة محتوياته وسجلاته واتلفوا بعضها ، اما الانكليز فقاموا بتحويله إلى مستشفى للامراض العقلية(٢) .

ويذكر وليس بدج الذي زار بغداد سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وجود مستشفى اهلي عائد إلى احد الاشخاص البغداديين كان يعالج الناس مجانا(٣) .

وفي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م صدر الامر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لانشاء مستشفى اخر في ولاية بغداد حيث جرى إفتتاحه سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م سمي بـ "مستشفى المجيدية" ، جرى تخصيصه لمنتسبي الجيش العثماني في العراق ، وكان يديره الاطباء العسكريون الملتحقون بالقطعات العسكرية العثمانية في العراق(٤) .

(*) محمد كاني : طبيب تركي الاصل ، مختص بالجراحة العامة اولا ، والجراحة النسائية ثانيا عين سنة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م مديرا لمستشفى الغرباء ، وظل فيه حتى الاحتلال البريطاني لمدينة بغداد . العلوجي ، المصدر السابق، ص٤٤٤ .

(١) جريدة صدى بابل، العدد ٢٠٣، ١٧ أيلول ١٩١٣ ؛ الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٢) العلاف ، بغداد القديمة ، ص٣٣ .

(٣) بدج ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٥ .

(٤) الجابري ، تاريخ التطور الصحي٠٠٠ ، ص ص١٨- ١٩ .

وقد جرت محاولات عديدة لتحسين المستشفى وتوسيعه منها المحاولة التي قام بها قائد الفيلق السادس (صدقي باشا) سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م[١] . أستمر المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عندما اتخذته القيادة العسكرية للجيش البريطاني مقرا لمستشفاها العسكري تحت اسم المستشفى العسكري البريطاني الثابت رقم (٢٣)[٢] .

وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى افتتاح مستشفى اهلي في بغداد شيدها احد اثرياء اليهود ويدعى مستشفى (مير الياهو الياس)[٣] حيث عُدّت من افخم المستشفيات وأكبرها آنذاك[٤].

وهناك مستشفى (دار المعلمين) التي فتحت ابوابها للمراجعين في نيسان ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م[٥] ، ومستشفى (السبع ابكار)[٦] التي أخذت تستقبل جرحى الحرب العالمية الاولى بشكل بشكل يومي[٧] .

اما بالنسبة للاقضية التابعة لولاية بغداد ، فاشارت سالنامة بغداد لسنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، إلى وجود مستشفى عسكري في قضاء الحلة ، تألف ملاكها الطبي من طبيب وجراح فضلاً عن ملاك وظيفي وعدد من موظفي الخدمة[٨] .

وكان هناك مستشفى اخر في قضاء كربلاء ، بطاقة استيعابية قدرها ٣٠سريراً[٩].

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢١١١ ، ٢٧ ذي العقدة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٢) لانكلي ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

(٣) العلاف ، بغداد القديمة ، ص٣٥ .

(٤) تقع هذه المستشفى خارج باب المعظم قبالة ثكنة الخيالة التي عرفت فيما بعد باسم "الكرنتينة" (موقع التجنيد العامة في الوقت الحاضر) وظلت هذه المستشفى قائمة طيلة العهد الجمهوري وعرفت باسم مستشفى الشعب ، تم التخلي عنها بعد سنة ١٩٧٤ على اثر انشاء مستشفى الشعب الجديد قبالة مستشفى دار السلام ، لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، هامش ص٩٧ .

(٥) جريدة صدى بابل ، العدد ١٣٢ ، ٢٨ نيسان ١٩١٢ .

(٦) السبع ابكار وهي تسمية لاحدى مناطق بغداد .

(٧) محمد صالح ربيع العجيلي ، الخدمات الصحية لمدينة بغداد ،" دراسة في جغرافية المدن" ، رسالة ماجستير ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) ، ص٢٢ .

(٨) س.و.ب. سنة ١٣١٧ه/١٨٩٩م ، ص١٦٤ .

(٩) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٤ ، ٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ العدد ٢٥١٤ ، ٢١ جمادى الاخرة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م؛ جريدة صدى بابل، العدد ٢٣٠، ١٥ اذار ، ١٩١٤ ، فيما اشارت مجلة لغة العرب إلى وجود مستشفى اخر في قضاء كربلاء انظر (سفرة إلى كربلاء والحلة ونواحيها) ، مجلة لغة العرب ، المجلد(١) ، الجزء (٤) ، تشرين الاول سنة ١٩١١ ، ص١٥٨ .

وأمام مطالب الاهالي بافتتاح مستشفى في قضاء النجف[١] . صادق مجلس ولاية بغداد على تخصيص (١٥٠) الف ليرة من ميزانية الولاية لانشاء المستشفى المذكور[٢] . كما تقرر إنشاء مستشفيين في قضائي الكاظمية وسامراء على ان تستوفى تكاليف انشائهما من تبرعات الاهالي[٣] . الا اننا لم نعثر على اية اشارة تؤكد انشائهما هاتين المستشفيين .

اما بالنسبة لولاية البصرة فقد إفتقرت هذه الولاية وحتى العقد التاسع من القرن التاسع عشر إلى مثل هذه الخدمات ، ويبدو انه بناء على تعليمات وردت من استانبول ، إجتمع أعيان البصرة وكبار العسكريين والموظفين ، وتقرر جمع التبرعات لاقامة مستشفى تضم عشرين سريرا ودار للعجزة تكفي لايواء (٢٠) عاجزا . وخلال مدة ثلاثة اشهر ، جرى افتتاح المستشفى التي سميت بـ (مستشفى الغرباء) (غرباخسته خانه سي) ، وذلك في ٢٨ آب ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م في محلة عزالدين حيث بدأت بتقديم خدماتها للمراجعين من المرضى[٤] .

فضلاً عن ذلك ، كانت هناك مستشفى البحرية العسكري الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب في منطقة الصالحية ، التي اتخذت ايضاً مركزا للحجر الصحي[٥] .

اما فيما يخص ولاية الموصل ففضلاً عن المستشفى العسكري ، اشارت سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م إلى وجود مستشفى اخرى في قضاء دهوك[٦] . فيما أشارت سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م إلى وجود مستشفى عسكري في كركوك[٧] . ومستشفى مدني في السليمانية[٨] . وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م تبرعت بلدية الموصل بانشاء مستشفى الغرباء في المدينة ، حيث عين فيها عدد من الاطباء العراقيين منهم الدكتور داؤد الجلبي ، والدكتور فتح الله غنيمة ، والدكتور عبد الكريم قليان[٩] .

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢٠٨٥ ، ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م .

(٢) المصدر نفسه ، العدد ٢٥١٤ ، ٢١ جمادى الاخرة سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ٢١٢٤ ، ٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) جعفر عبد الدائم المنصور ، الحالة الصحية في البصرة ١٩٢١-١٩٣٩ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، ، (جامعة البصرة ، ١٩٩٨) ، ص٥٢ .

(٥) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص٣٨٤ .

(٦) س.و.م ، سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ، ص٢٦٣ ، ص٢٨٦ .

(٧) المصدر نفسه، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص ص١٨٣-١٨٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٢٢٧ .

(٩) ذنون ، المصدر السابق ، ص١١٠ ؛ الطائي ، الاوضاع الادارية ...، ص٣٠ .

ومن المهام التي اضطلعت بها هذه المستشفيات ايضا اجراء التلقيحات ضد الامراض المعدية[1] إذ احتوت بعضها على شعب خاصة أوكل اليها القيام بهذه المهمة حيث عرفت هذه الشعب بشعب التلقيح "تلقيح خانة شعبة سي" وكمثال على ذلك شعبة التلقيحات التابعة لمستشفى الغرباء في البصرة ، وتألف ملاكها الوظيفي من مدير ، ووكيل مستحضر ، وكاتب وعدد من موظفي الخدمة[2] . ثم اسندت هذه المهمة فيما بعد إلى دوائر الصحة التي دأبت على تنظيم حملات التلقيح ضد امراض الجدري والتيفوئيد ... وغيرها من الامراض[3] . وعلى وجه الخصوص للموظفين وطلب المدارس الابتدائية والرشدية[4] .ولم تقتصر حملات التلقيح ضد الامراض المعدية على مراكز الولايات بل تعدتها إلى العديد من الاقضية ، منها الديوانية[5] ، سامراء[6] ، مندلي ، كوت الامارة وغيرها من الاقضية الاخرى[7] .

اما بالنسبة للصيدليات ، فقد ذكرت المصادر وجود عدد من الصيدليات توزعت على الشكل الآتي :

٦ صيدليات في ولاية بغداد[8] . وصيدلية رسمية واحدة في البصرة هي (صيدلية البلدية) البلدية) فضلاً عن عدد من الصيدليات الاهلية وهي صيدلية كريكور ، وعزيز افندي وسميح شالوم[9] . ففضلاً عن (٦) صيدليات أهلية في ولاية الموصل وهي صيدلية يوسف سنبل في

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢٠٦٩ ، ١٧ محرم سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م ؛ العدد ٢١١٧ ، ١٥ محرم سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ؛ ومن الجدير بالذكر ان التطعيم أدخل إلى العراق لاول مرة سنة ١٨٠٢م من قبل جراح المقيمية البريطانية حيث كانت مادة التطعيم تصل من فينا انظر لوريمر ،المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص٣٧٠٦ .

(٢) ب.و.س. سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ ، ص١٨١ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٥٨ ، ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٢٥٥٤ ، ٦ ربيع الاخر سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٥) جريدة صدى بابل ، العدد ١٣١ ، ٢١ نيسان سنة ١٩١٢ ؛ جريدة الزوراء ، العدد ٢١١٩ ، صفر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

(٦) المصدر نفسه ، العدد ٢١٠٥ ، ١٥ شوال سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٧) المصدر نفسه ، العدد ٢٤٩٣ ، ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

(٨) الالوسي ، المصدر السابق ، ص١١٧ ؛ ثم ازداد العدد إلى ١٣ صيدلية سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م. انظر س.و.ب. سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، ص١٨٦ ، فيما اشارت جريدة صدى بابل إلى وجود صيدلية واحدة في كربلاء ، واخرى في قضاء الحلة هي صيدلية البلدية . انظر جريدة صدى بابل ، العدد ٢٣٠ ، ١٥ اذار ١٩١٤ .

(٩) المنصور ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

سوق الشعارين ، وصيدلية عبد الله الحكيم في شهرسوق ،وصيدلية سليمان رمو في محلة الجولاق ، وصيدلية يوسف زيوني في سوق باب السراي ، وصيدلية نجيب قندلا مقابل السجن القديم[١] . فيما اشارت سالنامة ولاية الموصل لسنة١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م إلى وجود صيدليتين في في كركوك[٢] .

وكثيرا ما ارتبطت الصيدلية بوجود طبيب خاص يحدد وجوده في الصيدلية لتقديم العلاج للناس[٣] .وكان هناك تجار يقومون باستيراد الادوية من الخارج ، وكثيراً ما استغل باعة الادوية الادوية والعقاقير حاجة الناس المتزايدة لبضاعتهم ، فكانوا يبيعونهم الادوية التي انتهى امد صلاحيتها للاستعمال وباسعار عالية مما اجبر الكثير من الفقراء والمحتاجين على عدم شراء الدواء لضعف امكاناتهم المادية[٤] . في حين فضل الكثيرون الاعتماد على الاعشاب والوصفات والوصفات الموجودة لدى العطارين .

اسند نظام الادارة العمومية الصادر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م مهمة الاشراف على المؤسسات الصحية إلى الجهاز البلدي الذي ضم في عضويته طبيباً مختصاً يقوم بالاشراف على الشؤون الصحية في المناطق التابعة لادارة البلدية[٥] .

وفي سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م تشكلت أول ادارة صحية في العراق في ولاية بغداد ، حيث تألفت من مفتش صحي يعاونه طبيب البلدية ، وكاتب واحد[٦] . ومنذ هذا التاريخ انفصلت هذه الدائرة عن البلدية واصبحت دائرة مستقلة ، اعقبها تشكيل دوائر مماثلة في كل من البصرة[٧] ،والموصل واما مديرية صحة ولاية الموصل فتكونت وحسب ما ورد في سالنامة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م من المدير محمد نوري أفندي ، والكاتب صادق أفندي ، وكاتب الوفيات (توفيقخانه كاتبي) محمود أفندي ، وسرغارديان وهو رضا بك ، والطبيب حنا خياط ، و(٨) أطباء مناوبين ، ومضمد واحد ، وموظف خدمة[٨] .

---

(١) ذنون ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

(٢) س.و.م. سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص٢١٢ .

(٣) جريدة الزوراء ، العدد ١٠٣٠ ، ١٤ شعبان ١٢٩٩هـ/١٨٨١م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٨٠٤ ، ١١ صفر ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م .

(٥) أوجب هذا النظام على كل بلدية من بلديات ولايات الدولة العثمانية ان تعين طبيباً ، ومعاوناً في المدن الكبيرة ليعاين المرضى مجاناً مرتين في الاسبوع في محل تحدده الادارة البلدية الدستور ، المصدر السابق ، م٢ ، ص١٨٣ .

(٦) الوتري ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(٧) الشيخلي ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة ، ج٢ ، ص٢٦٥ .

(٨) س.و.م ، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، ص١٢٦ .

كانت هناك دوائر صحية في عدد من الاقضية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرت سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ان دائرة صحة كربلاء ضمت ملاكاً وظيفياً تألف من مأمورين وموظفين أثنين[١] . فيما تكونت دائرة صحة خانقين من طبيب وثلاثة اعضاء، ومعاين للجثث الواردة من ايران فضلاً عن عدد من الموظفين[٢] . كما اشارت السالنامات العثمانية إلى وجود هيئات صحية في عدد من الولايات العراقية ومنها ولاية بغداد التي تكون ملاكها الوظيفي من وكيل مفتش الصحة ، وعدد من الاطباء بضمنهم طبيب بيطري ، ومأمور اعاشة وقابلة[٣] . . في حين تكونت الهيئة الصحية لولاية الموصل من مفتش للصحة وطبيب البلدية ، وطبيب بيطري ، ومأمور الاشغال والقابلة[٤] . اما عن الدور الذي اسند إلى هذه الهيئات فيبدو انها مارست نوعا من التفتيش الدوري للادارات الصحية الفرعية .

وتقتضي الضرورة هنا الاشارة إلى ان هناك اطرافاً اخرى اسهمت في تقديم الخدمات الصحية في العراق إلى جانب السلطات العثمانية ، ولاسيما الارساليات التبشيرية فقد كانت الخدمات الطبية في طليعة الخدمات التي قدمتها الارساليات التبشيرية التي وفدت الىالعراق ، إذ ادرك اعضاء هذه الارساليات ... ان تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتأمين الاحتكاك المباشربالناس ، وبالتالي تأمين الوصول إلى الغايات التبشيرية لان الناس كانوا يومذاك ، بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات ، والى ذلك يشير احد اعضاء هذه البعثات بقوله "ان الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يملكان ترخيصا يفتح امامهما الابواب المغلقة"[٥] .

ولعل ابرز تلك النشاطات نشاط الاباء الدومنيكان الذين قدموا خدماتهم الطبية لاهالي الموصل ، بعد مدة قصيرة من تأسيس وارساليتهم فيها سنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م ، إذ برز منهم طبيبان ايطاليان هما الاب فرنسيسكو توریاني " Turriani " والاب دومنيكو كوديليونشني "Codeleoncini" حيث استقبلهم الجليليون وافسحوا لهم مجالاً ودافعوا عنهم ، ولم تقتصر خدماتهم الطبية على مدينة الموصل فعندما مرض احد اقرباء حاكم العمادية ارسل امين باشا الجليلي (١٧٥٢-١٧٥٥م) الاب توریاني لمعالجته[٦] .

---

(١) س.و.ب ، سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ص١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص٣٣٢-٣٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٣ .

(٤) س.و.م ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، ص١٥٧ .

(٥) سعاد رؤوف شير ، التغلغل الامريكي في العراق ١٩٢١-١٩٣٩ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) ، ص٣٠ .

(٦) احمد ، النشاطات الطبية ...، ص٢٥٨ .

كما اشتهر من المبشرين الدومنيكان الاب جان باتيستابويتي (P.Gain batista Boetti) ، وكذلك الاب يوسف قوميانلي ، والاب اوغسطين مارجي (Marchi) الذي كانت له جهود عمرانية وطبية إذ قام بتشييد ديرمار يعقوب قرب دهوك سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م وفتح مستوصفا لمعالجة الاهالي في المناطق الجبلية(١) الذي استمر في تقديم خدماته العلاجية حتى الحرب العالمية الثانية(٢) .

وفي أعقاب إنتقال قيادة البعثة التبشيرية الدومينيكية في الموصل من الايطاليين إلى الفرنسيين سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م برز عدد من الاطباء منهم الاب هياسانت بيسون Besson، والاب لويس ليون Lion والاب كالان Gallan والدكتور دنيس كوليه Gollet وعدد اخر من الاطباء(٣) .

وفي سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م مر بالموصل البارون ليجون Lijeune ممثل الامبراطور نابليون الثالث قادماً من بلاد فارس وفي اثناء رحلته اصيب بمرض ادى إلى وفاته بعد حين علىأثر ذلك قامت والدته سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م بالتبرع بمقدار كبير من المال لانشاء مستشفى في الموصل سمي باسم "مستشفى ليجون" الذي جرى افتتاحه سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م(٤) . وامام افتقار ولاية الموصل إلى مثل هذه الخدمات ، لقي المستشفى اقبالا متزايدا من المراجعين إذ بلغ عدد المراجعين سنة١٢٩٤ هـ/١٨٧٧م (٣٠) الف مراجع ، ليرتفع العدد لسنة١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨م إلى (٣٨.٢٠٠) مريضاً ، وفي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بلغ عددهم ٥٢.٠٠٠ مريضاً . كما احتوى المستشفى ايضا على ردهة للمعوزين والمرضى الغرباء(٥) . كما قامت الارسالية نفسها بافتتاح عيادة طبية لمعالجة امراض العيون(٦) فضلا عن دار للمسنين(٧) .

وفي سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م قامت جمعية التبشير الكنسية الانكليزية Church Missionary Society بافتتاح مستشفى خاص بها في بغداد(٨) . حيث تألف في بداية افتتاحه من عيادة خارجية ،واربعة اسرة تم تخصيصها للمرضى الذين هم بحاجة إلى اجراء عمليات جراحية وبمرور الوقت احرز هذا المستشفى تقدماً ملحوظاً في الخدمات العلاجية التي

---

(١) الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية ... ، ص١١٣ .

(2) Duval, op. cit., P. 30.

(٣) احمد ، النشاطات الطبية ... ، ص٢٥٩ .

(4) Geary, op. cit., Vol. 2, P. 85; Duval, op. cit., P. 23.

(5) Ibid. PP. 11-12; الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية ...، ص١١٥

(٦) ذنون ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٧) كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٧٥ .

(٨) فوصيل ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

قدمها ، على الرغم من محاولات السلطات العثمانية اغلاق المستشفى المذكور ، إذ ارتفع عدد اسرة المستشفى حتى وصلت إلى ٣٢ سريرا[١] . في الوقت الذي تألفت الهيئة المشرفة على ادارة المستشفى سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م من طبيبين تابعين للجمعية وصيدلي فضلا عن خادمين وسيدة تم تدريبهم على اعمال التمريض[٢] . وأمام النجاح الذي حققه هذا المستشفى، باشرت الارسالية التبشيرية المذكورة بتشييد مستشفى جديد في محلة السعدون ، الا ان هذا المستشفى سرعان ما توقف العمل به وبشكل نهائي بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى[٣]. وفي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م قامت الارسالية ذاتها بافتتاح اول صيدلية انكليزية في بغداد[٤].

اما بالنسبة لولاية الموصل ، فقد امتد اليها نشاط هذه الارسالية سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م عندما تم افتتاح احدى المستشفيات التي أسندت ادارتها الى الدكتور ستن H. M Sutton أعقبه الدكتور كريفث A. H. Criffth الذي جرى في عهده توسيع المستشفى ، اذ وصل مجموع الاسرة الى (٢٤) سريراً ، كما انضم للعمل في هذا المستشفى عدد من الاطباء العراقيين منهم الدكتور فتح الله ساعاتي ، والدكتور أبلحد عبد النور ، ويبدو ان الاقبال على هذا المستشفى كان ضئيلاً الى الحد الذي اضطر القائمين على ادارته الى إغلاقه سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م[٥] .

وفي ولاية البصرة ، كان للارسالية العربية Arabian Mission وهي إرسالية تبشيرية أ مريكية ظهرت جهودها في هذا المضمار ابتداءا من سنة١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م ، من خلال الخدمات العلاجية التي قدمها الدكتور ريكز C.E.Riggs ، حيث بلغ مجموع المرضى المستفيدين من هذه الخدمات ، خلال الشهر الاول من افتتاحها (٥٥٠)مريضاً[٦]. ثم اخذت اعداد المراجعين بالازدياد خاصة بعد قيام أطباء الارسالية المذكورة باجراء العمليات الجراحية[٧]

---

(١) غنيمة ، البروتستانت والانجيليون في العراق ، ص ص٨١-٨٢ .

(٢) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص٣٤٤٤ .

(٣) غنيمة ، البروتستانت والانجيليون في العراق ، ص٨٢ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٢٧ ، ٢٢ شباط ١٩١٤ .

(٥) غنيمة ، البروتستانت والانجيليون في العراق ، ص ٨٣ .

(6) Bergman , op. cit . , p. 21; Barny , op , cit . , p. 72.

(٧) بلغ عدد المرضى الذين استفادوا من الخدمات العلاجية التي قدمتها هذه الارسالية (١١٣٧) مريضاً سنة ١٣١٧ هـ/١٨٩٩ م ، ارتفع العدد الى (٥٨٦٤) مريضاً سنة١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م ، للتفاصيل انظر : التميمي ، التبشير في الخليج العربي ... ، ص ص ٨٦ -٩٥.

. وفي نهاية سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤ م إفتتحت الارسالية المذكورة عيادة نسائية ، كما تم توسيع مجال الخدمة الطبية لتشمل القبائل القاطنة في شمال وشرقي البصرة[١] .

ومع بدايات العقد الاول من القرن العشرين وجد اطباء الارسالية العربية بان الوقت قد حان للاستقرار طبياً حيث بدؤا يفكرون ببناء مستشفى جديد ، الا ان خططهم تلك واجهت الكثير من العقبات بعضها بسبب السلطات العثمانية ، وبعضها الاخر بسبب تكاليف المشروع[٢] ولم تدخل الفكرة حيز التنفيذ الا في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، عندما وضع الحجر الاساس لمستشفى لانسنك التذكاري Lansing Memorial Hospital وبرأسمال مقداره (٦) الاف دولار تبرع به أحد أصدقاء البعثة[٣] حيث مارست هذه المستشفى دورها الصحي وبشكل جلي خلال الحرب العالمية الاولى .

وقام المبشرون الكرمليين بافتتاح صيدلية ببغداد ، فضلاً عن تقديم الدواء قدمت الصيدلية المذكورة خدمات علاجية من خلال انتدابها لعدد من الاطباء الماهرين للعمل منهم الدكتور ارام أفندي اخصائي الجراحة والعيون [٤]. كما انشأ الكرمليون داراً للايتام واخرى للمكفوفين والعجزة [٥]. ومنذ العقد الاول من القرن التاسع عشر قامت شركة الهند الشرقية الانكليزية بادخال التطعيم الى العراق من خلال إيفاد الاطباء العاملين في هذه الشركة الى بغداد والبصرة ، في حين قدم مستوصف المقيمية البريطانية العاملة في بغداد خدماته العلاجية الى المرضى [*] تلك الخدمات التي استمرت حتى قيام الحرب العالمية الاولى اذ وصل عدد المرضى المراجعين لهذا المستوصف خلال شهر تشرين الثاني سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م (١٠٦٢)مريضاً [٦]. ليرتفع العدد الى (٢٢٥٢) مراجعا في شباط ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م [٧].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

(٢) شير ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠-٣١.

(3) Barny , op. cit. , p.147.

(٤) وصل عدد المرضى المراجعين خلال شهر اذار من سنة١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م الى (١٠٠٠) مراجع في الشهر الواحد . انظر جريدة صدى بابل العدد ٢٢٧ ، ٢٢ شباط ١٩١٤ ؛ العدد ٢٣٠ ، ١٥ اذار ١٩١٤ .

(٥) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج ٦ ، ص ٣٤٣٥.

(*) عد الدكتور جيمس شورت D. J. Short , أول طبيب للمقيمية اذا التحق بعمله سنة ١٨٠٠ م انظر : الدليمي ، الدبلوماسيون البريطانيون.. ص ٧٠.

(6) I. O.R., L/p+s / 10 / 212 , Minute paper , No. , 5054 , p. 41.

(7)Ibid , No. 2094 , p.24 .

وقد حظى اسلوب تعامل المبشرين ، وأطباء القناصل في ميدان الخدمة الطبية باحترام الناس ، وجلب أنظارهم خاصة المثقفين منهم الى قيم الحضارة الاوربية ، ونبه أذهانهم الى واقع شعبهم المأساوي في ظل الحكم العثماني(١) . غير ان الجهود الطبية للارساليات التبشيرية القنصليات لم تكن ذات أهداف إنسانية بحتة فهي أتخذت من الخدمة الطبية وسيلة لجذب الناس اليها (٢). والتمهيد لنفوذهم السياسي ولجمع المعلومات عن السكان وميولهم ولاعطاء إنطباعات ايجابية عن حبهم للانسانية .

دوائر الحجر الصحي :

تشكلت ادارة المجلس الصحي الاعلى في عهد السلطان محمود الثاني عندما قرر الاخير اللجوء الى مساعدة ممثلي الصحة العالميين لمنع انتشار الامراض الوبائية ، خاصة بعد انتشار مرض الطاعون الذي إجتاح العاصمة استانبول سنة ١٢٥٣ هـ/ ١٨٣٧م وقد تألفت ادارة

---

(١) النصيري ، المصدر السابق ، ص ٧٨.

(٢) التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص ٤٩.

المجلس المذكور من ثمانية اعضاء ممثلين للدولة العثمانية ، ومندوبي قناصل روسيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وبريطانيا وبلجيكا واسبانيا وهولندا واليونان والسويد والنرويج وايران[١].

وفي سنة ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م صدر نظام الكرنتينة Quarantine أو ما يعرف بالحجرالصحي [٢] تلاها اصدار أنظمة وتعليمات فرعية لهذا النظام حتى اصدار نظام الادارة العمومية ، الذي اولى جانباً من إهتمامه لموضوع الحجر الصحي إذ الزمت إحدى مواد هذا النظام مأموري الكرنتينة بضرورة إخطار الجهات الرسمية في حالة ظهور وباء ما[٣].

شهدت الولايات العراقية خاصة ولاية بغداد ، إفتتاح العديد من دوائر الحجر الصحي، التي كانت تمارس اعمالها بصورة منتظمة في منتصف القرن التاسع عشر[٤]. وقد عنى الوالي مدحت باشا في اثناء ولايته بافتتاح عدد من دوائر الحجر الصحي في مناطق السليمانية وراوندوز وخانقين ومندلي وفي مدن العتبات المقدسة وبعض المدن الكائنة في الطرق الموصلة اليها لكثرة الزوار الايرانيين الذين يفدون لزيارتها ، كما منع الايرانيين من الحج عن طريق العراق الى الديار المقدسة ما لم يتزودوا بشهادة السلامة الصحية من دوائر الحجر الصحي الموجودة على الحدود[٥].

ثم توالى انشاء عدد من دوائر الحجر الصحي واما ولاية البصرة مثلا ، فضلاً عن مركز الحجر الصحي الرئيس الذي اقيم فيها[٦] جرى إفتتاح عدد من دوائر الحجر الصحي

ومنها دائرة الحجر الصحي في منطقة أبي الخصيب [٧] والفاو [٨].

---

(١) أداموف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، ح ٧ ، ص٤١ . فيما ارخ العلوجي صدور هذا النظام سنة١٢٧٩ هـ/ ١٨٦٢ م أنظر : العلوجي ، المصدر السابق ، ص ١١١.

(٣) الدستور ، المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٧٥١.

(٤) العمري ، بغداد كما وصفها السواح الاجانب ،ص ٨٩.

(٥) سلمان، العراق في عهد مدحت باشا ، ص ٧٢ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول هذه الدائرة انظر : اليوسف ، المصدر السابق ، ص ص ٨٤ –٨٥.

(٧) اليوسف ، المصدر السابق ، ص ٨٥.

(٨) كانت هذه الدائرة في بداية افتتاحها في مدينة البصرة غير ان الظروف إقتضت تحويلها الى منطقة الفاو ، شرف الدين بن عارف ، (أحوال البصرة في اواخر القرن التاسع عشر) ، ترجمة حسين الداقوقي ، مجلة الاخاء ، العدد الثالث ، ١٩٦٨ ، ص ٣ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج ٦ ، ص ٣٦٧٣.

اما عن الملاك الاداري لهذه الدوائر ، فعلى سبيل المثال لا الحصر تألفت دائرة الحجر الصحي في بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م من مفتش وهو طبيب ورئيس كتاب وكاتب ومضمد وعدد اخر من العمال[١] ، في حين تألفت دائرة الحجر الصحي في خانقين من طبيب ورئيس كتاب وثلاثة كتاب[٢].

دأبت دوائر الحجر الصحي على إتخاذ الاجراءات اللازمة تجاه الاشخاص والسفن الوافدة الى العراق ، من خلال حجز الزوار القادمين لمدة (١٠) أيام ، وكانت تلك الاجراءات تزداد شدة في اثناء انتشار الامراض [٣] فخلال المدة المحصورة ما بين الاعوام ١٨٩٦–١٩٠٠ ١٩٠٠ تم حجز (٤٠٩) سفينة تجارية ، كما خضع للعزل والتطهير ثمانية الاف مسافر وعشرون الفا من أطقم السفن[٤]. في حين وصل مجموع المستفيدين من خدمات دوائر الحجر الصحي ١٤.٣٦٣ مسافراً سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م كان من ضمنهم ٤.٩٢٩ من العراقيين[٥]. العراقيين[٥]. كما شملت إجراءات الحجر الصحي الرزم والطرود البريدية التي تم انزالها الى كمرك الحجر الصحي حيث تم تطهيرها قبل نقلها[٦].

اعتمدت دوائر الحجر الصحي في تأمين نفقاتها المالية على الايرادات التي تستوفيها من المستفيدين من خدماتها الصحية التي تألفت من :

١. الرخص التي تمنح لمرور السفن اذ تدفع كل سفينة (٢٠) بارة عن الطن الواحد اذا لم تزد حمولتها عن (٥٠٠) طن و (١٢) بارة اذا كانت الحمولة بين (٥٠٠–١٠٠٠) طن و (٨) بارة عن الطن الواحد أذا إزدادت عن ذلك .
٢. الرسوم التي تؤخذ من السفن لقاء مكوثها في مراكز الحجر الصحي ، والتي تراوحت أقيامها ما بين (١٠–٤٠) قرشا لليوم الواحد تبعاً لمقدار حمولة السفينة ، فضلا عن دفع (٤٥) قرشا

---

(١) س. و. ب. سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١ م ، ص ٣٣٢.

(2) Hand Book of Mesopotamia , op. Cit. ,p. 68 ; س.و.ب. سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١،ص ص٣٣٢–٣٣٣.

(٣) للمزيد من التفاصيل حول تلك الاجراءات أنظر : جريدة الزوراء ، العدد ١٤٠٤ ، ٩ محرم ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩ م ؛ العدد ١٤٤٣ ، ٣٠ ذي الحجة ١٣٠٧ هـ /١٨٨٩م ؛ العدد ١٩٠٠ ، ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩م .

(٤) أحمد ، النشاطات الطبية ... ، ص ٢٦٣ .

(5) Consular Report on the Trade of Basra for the Year 1907. No. 4024 , Anuual Series No. 3865, P. 9

(٦) اليوسف ، المصدر السابق ، ص ص ٨٦ –٨٧.

لصالح حراس الدائرة الصحية ، كما أخذت ضريبة اخرى مقابل تعقيم البضائع الداخلة والخارجة خاصة القادمة من المناطق المصابة(١) .

٣. الضريبة التي تستوفيها دوائر الحجر الصحي عن كل زائر يقضي مدة الحجر الالزامي في مراكز الحجر الصحي وتتراوح بين (٨-١٠) قرش . في حين استوفت دوائر الصحة مبلغ (٥٠) قرشا عن الجنازة التي تدخل المدن لتدفن فيها بغض النظر عن كونها من الولاية او من خارجها (٢) .

من خلال ما تقدم تظهر الموارد المالية الكبيرة التي كانت تستوفيها هذه الدوائر ، اذ قدر أحد المصادر عائدات هذه الدوائر في ولايتي بغداد والبصرة بـ (٦٨٣٠)جنيهاً (٣). وبغية اعطاء صورة تقريبية عن أقيام هذه العائدات التي تستوفيها هذه الدوائر وأقيام مصروفاتها فقد ارتأينا إختيار دوائر الحجر الصحي في ولاية بغداد انموذجاً لهذه الدوائر .

الجدول ذو الرقم (١٥)

الايرادات والمصروفات الخاصة

بدوائر الحجر الصحي في ولاية بغداد ١٩٠١-١٩٠٤(*)

السنة	الايرادات	المصروفات

(١)جريدة الزوراء ، العدد ١٢٠٨٥ ، ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م؛ اداموف ، المصدر السابق ،ج ١ ، ص ١٢٤.

(2)Cuinet , op. cit. , p. 13.

(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٠٥٧ .

(*) شكري ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

	بارة	قرش	بارة	قرش
١٩٠١	٢٥	١٢٤.٧٥١	٢٥	٤٢٦.٠٣٠
١٩٠٢		٩٢١.٢٦٠		٣٧٨.٠٠٠
١٩٠٤		٧٥١.٣٤٢		٤٢٠.١٩٨

من خلال هذا الجدول يتبين ان الايرادات كانت اقل من المصروفات في سنة١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م فقط ، يقابلها زيادة كببيرة في ايرادات هذه الدوائر للسنوات التالية .

وفي سنة ١٣٢٧هـ /١٩٠٩م اصدرت وزارة الصحة في استانبول بعض التعديلات على قواعد الحجر الصحي ، اعقبها تعديل اخر سنة١٣٣١ هـ/ ١٩١٣م ، قضى بتاسيس موقف[١] للحجر الصحي في جميع مراكز الالوية وغيرها من التعليمات[٢].

بالرغم مما اكتنف عمل هذه الدوائر من سلبيات . فقد نجحت والى حد ما في ضوء إمكانتها المتاحة ، في الحد من انتشار الامراض الى حدما ، فلو سمحت السلطات المعنية انذاك للوافدين من المناطق الموبوءة بالدخول الى العراق ، من دون اتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة تجاههم لكان من المتوقع ان تقضي هذه الامراض الفاتكة على اعداد كبيرة من السكان .

- تقويم واقع الخدمات الصحية في العراق ١٨٦٩-١٩١٤:-

لم تكن الاوضاع الصحية في العراق ابان العهد العثماني باحسن حال من الولايات العربية الرازحة تحت السيطرة العثمانية فالامراض الوبائية كانت تضرب أطنابها بين السكان من دون ان تبدي السلطات العثمانية جهودها لاتخاذ الوسائل الكفيلة لوقف هذا التدهور في الحالة الصحية والذي يمكن ان يعزى سببه الى :

---

(١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٦٣-٦٤.

(٢) جريدة الزوراء ، العدد ٢٤٨٤، ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٢هـ /١٩١٤م.

– قلة المستشفيات في الولايات العراقية ، علاوة على تركزها في مراكز الولايات الرئيسية وعلى وجه الخصوص ولاية بغداد[1]. فيما لم يرد أي ذكر للمستوصفات الصحية طيلة مدة السيطرة . وبالتالي ظلت باقي السناجق والأقضية محرومة من هذه الخدمات مع ما ترتب على ذلك من تردٍ للاحوال الصحية ، وانتشار الامراض خاصة الوبائية التي كانت تفتك بالسكان[٢] ، فعلى سبيل المثال كان مرض الهيضة (الكوليرا) أحد الاوبئة التي اجتاحت العراق وللاعوام ١٨٧١، ١٨٨٩، ١٨٩٣، ١٨٩٩...الخ واودت بحياة اعداد كبيرة من السكان[٣].

وكانت المستشفيات الموجودة ، غير قادرة بامكانياتها المحدودة ، على إداء الواجبات المناطة بها بسبب إفتقارها الى الامكانيات المادية والفنية ، كما ان عناية الولاة بها لم تكن متواصلة ، كما حدث ذلك لمستشفى الغرباء الذي تولى مدحت باشا إنشاءه عندما تعرض للاهمال بعد عزل الوالي المذكور ، وإقتصر الاهتمام بهذه المستشفى على جهود فردية قام بها بعض الولاة للنهوض بواقع هذا المستشفى ونخص منها بالذكر جهود الواليين قدري باشا ونامق باشا ، في حين وصل الاهمال ببعض هذه المؤسسات الى الدرجة التي لم تصلح معه بنايتها لاستخدامها كمستشفيات بسبب ضيق المكان وعدم لياقته وافتقار بعضها الى الادوات الطبية[٤]. علاوة على بدائيتها ناهيك عن افتقار الكثير منها الى الادوية الكافية[٥] .

– من المشاكل الاخرى التي واجهت الخدمات الصحية قلة التخصيصات المالية ، وإنعدامها في احيان كثيرة[٦] . فعلى سبيل المثال لم تكن هناك اية تخصيصات مالية للصحة ضمن ميزانية ولاية الموصل سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م[٧] ، وإذا كان هذا حال مراكز الولايات الرئيسية فما بال الاقضية والنواحي ، مما اثر سلبا في واقع الخدمات الصحية المقدمة . ولمواجهة هذه المشكلة لجات الكثير من المستشفيات الى الاعتماد على التبرعات المقدمة كاحد الموارد الرئيسية لتمويل نفقاتها[٨].

---

(1)Cuinet, Op . Cit. , P12.

(٢) الجابري ، تاريخ التطور الصحي...، ص ٤٥.

(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، خ٣، ص ٣٥٣٩.

(٤) منتشاشفيلي ، المصدر السابق ،ص ٨٠.

(٥) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٢٩، ١٨ اذار سنة ١٩١٤.

(6) Geary ,OP . Cit., VOL. I . p.92.

(٧) س.و.م، ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ، ص ١٥٥، فيما كانت حصة الحقل الصحي من ميزانية ولاية بغداد لسنة ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م، ٢٧,٢٣٠ قرشا س.و.ب، سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨ م ،ص ٢٨٥.

(٨) جريدة الزوراء ، العدد ١٢١٢، ٢٢ صفر سنة ١٣٢٥هـ /١٩٠٧ ؛ العدد ٢٤٩٣ ، ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣ هـ /١٩١٤م .

– ولم تكن في الولايات العراقية اية مؤسسات تعليمية طبية ، اذ لم تقم اية جهة طبية وطوال سنوات السيطرة العثمانية بانشاء اية مراكز طبية لذلك إقتصر اعتماد المستشفيات على الاطباء الاتراك وبعض الملاكات الاجنبية . فقد ذكرت جريدة (الزوراء) في احد اعدادها قائمة باعداد الاطباء الاجانب الموجوين في ولاية بغداد اواخر القرن التاسع عشر والذين لم تتجاوز اعدادهم العشرين طبيباً ، منهم الدكتور (ادلر) وهو طبيب نمساوي كان مستخدماً في الجيش العثماني ، ثم انتقل الى منزله في محلة رأس القرية حيث افتتح عيادته هناك وكان يعالج المرضى بالوسائل الطبية الفنية والطبيب الثاني (لازار) وهو نمساوي عمل موظفا في البلدية ، ومارس الطب في رأس القرية ، اما الطبيب الثالث فيدعى (يانقو) ، وكان طبيبا عسكريا ، ثم استقال واخذ يمارس الطب في عيادته ، والدكتور (أش) في محلة التوراة والدكتور (لبي)[١].فضلا الى عدد اخر من الاطباء الاجانب الذين كانوا يفدون الى بغداد بين فترة واخرى ، وغالبا ماتولت الصحف العراقية الاعلان عن مجيئهم ، نذكر منهم الدكتور (فرنسيس أنلي) وزوجته المختصين بمعالجة الاسنان والدكتور (يوسف كنعان) اخصائي العيون[٢] .

ومع هذا العدد القليل من الاطباء ، كان هناك عدد من العراقيل حالت دون تقديمهم الخدمات الطبية للسكان ، منها قلة معرفتهم باحوال البلاد ، فضلاً عن عدم معرفتهم اللغة العربية[٣] ، بالاضافة الى قلة خبراتهم الطبية[٤] واما الاطباء الاتراك فكان غالبهم من العسكريين العسكريين . وبالتالي حتمت الضرورات العسكرية عدم استقرارهم في مكان واحد[٥] . وحتى الاطباء الاجانب الذين وفدوا للعراق ابان تلك المرحلة فإنهم لم ياتوا خصيصاً لممارسة مهنة الطب وانما كانت لهم اهداف اخرى . فقد عمل القناصل البريطانيون على دعم الجهود الطبية كنوع من التمهيد للنفوذ السياسي للبلاد وجمع المعلومات عن السكان وميولهم ، وكمثال على ذلك التقارير التي قدمها بعض اطباء المقيمية البريطانية في بغداد خلال تجوالهم في العديد من المناطق[٦] . كما افادت الدوائر البريطانية ابان حملتها على العراق سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م من

---

(١) جريدة الزوراء ، العدد ٢٢٢، ذي الحجة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م.

(٢) جريدة صدى بابل ، العدد ١٢٧ ، ١٢٤ اذار ١٩١٢.

(٣) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٩ ومابعدها

(٤) الجابري ، تاريخ التطور الصحي ... ، ١٩.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩ .

(٦) من هذه التقارير الذي اعده طبيب المقيمية د. جون روص عن رحلته من بغداد إلى اثار الحضر سنة ١٨٣٦–١٨٣٧ ، ونشره في الجمعية الجغرافية الملكية حيث لفت من خلاله الانتباه إلى اثار الحضر ، الدليمي الدبلوماسيين البريطانيون ... ، ص٧٠ .

المعلومات التي قدمتها المس بيل عن العراق خلال انتدابها من السلطات المحتلة للعمل ممرضة في الفرات الاوسط(١) .

طرأت بعض الزيادة على اعداد الاطباء عندما التحق الرعيل الاول من الاطباء العراقيين ، من خريجي الكليات الطبية مثل كلية حيدر باشا باستانبول ومدرسة دمشق الطبية وكلية الطب الفرنسية في بيروت للعمل في المستشفيات العراقية(٢) . وابرز هؤلاء الاطباء علي فكري البغدادي داؤد جلبي وحنا خياط وعبد الله الدملوجي(٣) . ومع ذلك فإن تخرج هذه الملاكات الطبية لم يضع حداً للمشكلة إذ عانى كثير من الاقضية من النقص الحاد في عدد من الملاكات الطبية ومنها على سبيل المثال لا الحصر اقضية الشامية وبدرة وعانة ومندلي والسماوة(٤) .

أما بالنسبة لاطباء الاسنان فلم يكن في العراق عموما اطباء بهذا الاختصاص حيث اسندت هذه المهمة الى الحلاقين(٥) .

– وامام قلة الاطباء المؤهلين لممارسة مهنة الطب ، وبسبب ضعف الوعي الصحي لدى العراقيين راجت ممارسة من كان يطلق عليهم المتطببون وكان اغلبهم من الدجالين والمشعوذين اشتهر منهم حكيم حداد ، وهو متطبب لايحمل شهادة طبية جاء إلى بغداد من ايران وسكن محلة الطاطران سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م فذاع صيته ، والسيد احمد الذي سكن محلة الدهانة ، والاسطة عباس الذي اشتهر بممارسة الجراحة النسائية ، اما من النساء فقد اشتهرت المدعوة فرحة خاتون في ممارسة طب العيون(٦) .

ولم يكن في امكان الدوائر الصحية ، بامكاناتها المتواضعة اتخاذ الاجراءات الكفيلة للحد من انتشار الامراض والاوبئة حتى وان وجدت بعض الاجراءات فيمكن القول بانها كانت بدائية وعقيمة(٧) . فعندما حدث طاعون سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م اكتفت السلطات المحلية وكاجراء وقائي ، بعزل المناطق التي حدثت فيها الاصابة ، ومنعت أي اتصال بين المناطق المصابة، مما هدد سكانها بالهلاك ولا سيما وان المنازل العراقية كانت تتسم بكثرة السكان(٨) ولم تكن هذ الاجراءت الوقائية تطبق على الجميع إذ كانت العائلات الفقيرة تحبس حتى يقضى عليها الوباء

---

(١) شكري ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

(٢) بلغ مجموع الاطباء العراقيين المتخرجين من هذه الجامعات (٢٧) طبيباً خلال المدة المحصورة بين ١٩٠٠–١٩١٧ ، الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، ص٣٣٨ .

(٣) العلوجي ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ٢١٠ ، ٢٦ تشرين الاول ١٩١٣ .

(٥) العلاف ، بغداد القديمة ، ص٣٦ .

(٦) الوتري ، المصدر السابق ، ص ص ٥٧–٦٠ ؛ العلاف ، بغداد القديمة ، ص٣١ .

(٧) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٤١ ، ٩ ذي الحجة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م .

(2) Geary , OP . Cit ., Vol 1 , P . 130 .

في حين كان الاغنياء والموسورون من السكان ورجال الحكم والقناصل يهربون بعيداً عن الناس والمرضى معهم الخيام ومواد التموين إلى خارج المدن[١] .

وتجدر الاشارة إلى ضيق افق بعض الولاة ورفضهم إتخاذ الاجراءات الوقائية للحيلولة دون انتشار كثير من الامراض ، فعلى سبيل المثال رفض عبد الرحمن باشاإبان ولايته الاولى (١٨٧٥-١٨٧٧) ، على اثر انتشار وباء الطاعون سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م الاجراءات الوقائية التي كان قد اقترحها طبيب القنصلية البريطانية كولفيل ، الا انه سرعان ما عدل رايه امام ارتفاع الوفيات ، وتكرر حدوث الوباء في السنة التالية[*]، إذ تم اخراج ما يربو على ثلثي سكان بغداد ، وكانت معظم الوفيات بين الذين فضلوا البقاء في بيوتهم[٢] . وعلى العكس من ذلك عرف بعض بعض الولاة جهودهم في الحد من انتشار الامراض الوبائية فعلى اثر انتشار وباء الكوليرا (الهواء الاصفر) بادر والي بغداد ناظم باشا(١٩١٠- ١٩١١ م) إلى تشكيل لجنة صحية (قومسيون) في بغداد ، اسندت اليها مهمة اتخاذ التدابير الصحية الواقية للحد من تفشي هذا الوباء داخل ولاية بغداد ، منها العناية بنظافة المدينة وتطهيرها ، ورفع القمامة من البيوت والطرق وتعيين اطباء داخل المدينة وخارجها وفحص الفواكه ، واتلاف الفاسد منها والمحافظة على نظافة مياه نهر دجلة وتحذير الاهالي من القاء الاوساخ او غسل الملابس وما اشبه ذلك كما وضع الحجر الصحي في اطراف الولاية التي ياتي منها الداء لمنع سريانه[٣] . وتعزيزاً لهذه الاجراءات قام ناظم باشا باغلاق المدارس جميعا خوفا من انتشار المرض بين الطلبة[٤] . ولا يخفى الدور الذي الذي اضطلعت به الصحف العراقية في مجال التوعية الصحية للوقاية من الامراض الوبائية في حال انتشارها[٥] .

- اما بالنسبة لدوائر الحجر الصحي ، فلم تكن في مستوى المسؤولية لضعف امكانياتها المادية والفنية ، المتمثلة في بناياتها المتداعية ، غير المستوفية للشروط الصحية[٦]. والتي هي عبارة عن خيام وصرائف[٧] . أقيمت فوق ارض رطبة يلاقي نزلاؤها الأمرين لا من حيث رطوبتها

([١]) الوردي ، المصدر السابق ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص١٤٣ .

([*]) بلغ مجموع ضحايا هذا الوباء سنة١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م في مدينة بغداد وحدها ٥٠٠ شخص انظر Geary , OP . Cit ., Vol., 1 , P . 130 .

([٢]) عيساوي ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٨-١٦٩ .

([٣]) جريدة ، صدى بابل ، العدد ٦٠ ، ١٣ تشرين الاول ١٩١٠ .

([٤]) المصدر نفسه ، العدد ٦٢ ، ٢١ تشرين الاول ١٩١٠ .

([٥]) المصدر نفسه ، العدد ٦٤ ، ٢٨ تشرين الاول ١٩١٠ .

([٦]) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

([٧]) جريدة الزوراء ، العدد ١٩٠٢ ، ٢٢ محرم ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

فحسب بل لما يقدم فيها من الطعام الرديء ، والماء العكر لدرجة ان بعض الاصحاء كانوا يقعون صرعى المرض تحت رحمة الظروف المناخية السيئة(١) .

وعلى الرغم من اعتراف القائمين على دوائر الحجر الصحي بعدم ملاءمة الخدمات المقدمة في هذه الدوائر في ظل الظروف الراهنة ، الا انهم كانوا غير قادرين على علاج الوضع ، إذ لم تلق النداءات المستمرة إلى العاصمة العثمانية (إستانبول) ، بضرورة تشكيل لجان صحية لاعادة بناء عدد من المحاجر الصحية اية نتائج ايجابية(٢) . فضلا عن ذلك اتسم الجهاز الذي يشرف على قرارات الحجر الصحي بالفساد والرشوة ، فرجال الامن والجنود والموظفون استغلوا هذه الدوائر لايجاد مصدر رزق يدر عليهم المال الوفير(٣) . فكان بامكان الزوار رشوة هؤلاء الموظفين والحصول على بطاقات السماح بالدخول إلى البلاد(٤) .

فيما يرى أحد الباحثين ان اجراءات الحجر الصحي التي بالغت السلطات العثمانية في تطبيقها كانت تاخذ طابعاً سياسياً تبعاً لعلاقة الدولة العثمانية بالحكومات الاجنبية(٥) .

كان ضعف اجراءات الحجر الصحي مدعاة إلى مطالبة جريدة (الزوراء) ، بضرورة تشكيل لجان مؤلفة من مفتش الحجر الصحي وعدد من الاطباء ورؤساء البلديات لضمان تطبيق اجراءات الحجر الصحي ، والزام مفتش الحجر الصحي باتخاذ التدابير اللازمة بمقتضى ما لديه من تعليمات في المجال الذي فيه المرض وكذلك في حق الاشخاص(٦) .

حاولت الدولة العثمانية تحسين المستوى الصحي لعموم ولاياتها من خلال اصدارها لعدد من القوانين ، منها تعليمات منع الامراض السارية لسنة ١٣٣٠هـ/١٩١١ ، وتعليمات منع سريان الحمى التيفوئيدية سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م والامراض الزهرية سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م(٧) .

ولا بد من التطرق إلى الاثار السلبية للحرب العالمية الاولى في الخدمات الصحية العثمانية ، فعند اعلان النفير العام للحرب العالمية الاولى كانت جميع اقسام التجنيد قد بدات العمل وشرع في الاستعداد لتكملة التشكيلات الصحية ، وقدر تعلق الامر بالفرقة (٣٨) التي انيط بها واجب الحماية الرئيسية للبصرة وحواليها كان لهذه الفرقة مركز صحي بسعة (٢٥٠) سريرا ، ومستوصفات في الناصرية والعمارة سعة كل منها(١٥) سريرا ، وتم تنسيب الدكتور

---

(1) Consular Report on the trade of Basra for the Year 1907. No 4024, Annual Series No. 3865. P. 9.

(2) Ibid .

(٣) ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ١٠ ؛ لانكلي ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

(٤) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص٣٨٠ .

(٥) القهواتي ، المصدر السابق ، ص٩٣ .

(٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٩٠٢ ، ٢٢ محرم ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

(٧) العلوجي ، المصدر السابق ، ص١١٠ وما بعدها .

عبد القادر بك وعدد من الاطباء للعمل في هذه الفرقة ، وقبل ان يتيسر للفرقة الوقت الكافي لاكمال نواقص الامور الصحية ، بادر الانكليز إلى الهجوم على جبهة (الفاو) وامام تراجع القوات العثمانية ونتيجة لقرار الاخلاء ابقي في مستشفى البصرة على المرضى الخطرين والجرحى الذين استصعب حملهم تحت اشراف الطبيب المتقاعد (كريكور بك) ، في حين تم نقل البقية الباقية من المرضى إلى العمارة حيث تم إفتتاح مستشفى خاص بهم ، أعقبه إفتتاح مستشفى اخر في الناصرية سعة (٥٠٠) سرير ، وفيما عدى ذلك اضيف (٦٠٠) سرير في البيوت[*] . كما خصص (٢٥) سريراً لاستراحة الضباط وبمساعدة جمعية الهلال الاحمر لقي مرضى هذه المستشفيات نوعا من الرعاية الصحية[١] .

وفي ١٥ نيسان ١٩١٥ م جرى أفتتاح مستشفى (منازل) في كوت والعمارة بسعة (٢٥٠) سريراً ، كما الحق بالمستشفى المذكور مذخر لاعاشة الافراد والمرضى ، وقد عقدت النية على افتتاح مستشفى بديل في منطقة الجزيرة ، بسعة (١٥٠) سريراً ، الا ان هذا المستشفى لم يفتتح نهائيا بسبب ظروف الحرب التي شهدتها البلاد انذاك[٢] .

الا ان تقديم الخدمات الصحية سرعان ما سجل تراجعاً ، فعلى اثر الاحتلال البريطاني للعمارة (في ٣٠ حزيران ١٩١٥) ، صدرت الاوامر بتقليص عدد اسرة مستشفى الناصرية إلى (١٥٠) سريراً ، حيث اعطيت مستلزماته إلى الفرقة (٣٥) ، كما الغي مستشفى الكوت ، وقد ترتب على الغاء هذه المستشفيات ازمة خطيرة نتيجة لخلو المنطقة من أية مؤسسة صحية وكانت نتيجتهاإرسال جميع المرضى إلى بغداد[٣] . حيث تم توزيع هؤلاء المرضى على مستشفيات بغداد ، إذ بلغ عدد المرضى الداخلين إلى هذه المستشفيات في تشرين الثاني ١٩١٥ (٦١١٤٩) مريضا و (٤٦٨٥) جريحا توفي منهم (٥٤٥) شخصا[٤] .ناهيك عن الدور الذي لعبته المستشفيات السيارة التي رافقت القطعات العسكرية العثمانية في أثناء تحركاتها[٥] .

(*) بسبب ظروف الحرب العمالية ولغرض توسيع الخدمات الصحية المقدمة وبالنظر لاتخاذ بعض الولايات كمراكز للفيالق ، ظهرت الحاجة إلى اتخاذ بعض بيوت الجند كمستشفيات لمعالجة المرضى والجرحى .

(١) تشكلت جمعية الهلال الاحمر الخيرية في العراق سنة ١٩١٤ ، وقد قامت هذه الجمعية بتطوير عدد من المستشفيات التي سياتي الحديث عنها لاحقا .

(٢) اوزباي ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٠ .

(٥) اما اطباء هذه المستشفيات فكان يجري تعيينهم بتوجيه من السلطات العثمانية في استانبول ، جريدة صدى بابل ، العدد ٢٠٣ ، ١٧ ايلول ١٩١٣ .

اما بالنسبة لولاية الموصل ، فعلى اثر قيام الحرب العالمية الاولى ، بسبب عودة الموصل مقراً للفيلق السادس ، ازدادت الحاجة إلى الخدمات الطبية إذ اتسع المستشفى العسكري واضيف اليه (١٥٠) سريراً ، فيما ادمجت مستشفى (الغرباء) العائدة للبلدية مع ردهات المدرسة الاعدادية التي افتتحت انذاك لتكون تحت امرة الجيش ، كما جرى إفتتاح مستشفى غير نظامي في البيوت اطلق عليه تسمية المستشفى المركزي وسبعة (٢٥٠٠) سريراً وعانت المستشفيات التي جرى افتتاحها في البيوت من صعوبة العناية وكثرة الاوساخ مما أدى إلى انتشار القمل بشكل كبير جدا ، وقد اصيب بعض الاطباء بمرض التيفوئيد في اثناء معالجتهم للمرضى المصابين منهم النقيب الطبيب هيرانت سرماك اشيان بك الذي توفي والدكتور عبد القادر بك الذي تشافى[١] . ثم اعقبها إفتتاح مستشفى في باب سنجار بسعة (٥٠٠) سرير[٢] .

لم يقتصر عمل المستشفيات على معالجة الجنود الجرحى بل شمل مكافحة الامراض التي انتشرت بين المدينين واكثر هذه الامراض الامراض الزهرية . حيث تم ادخال البغايا الى المستشفى المركزي للمعالجة ، وللتوسع في الاهتمام بالجانب الصحي فقد تحولت الكنائس وبعض البيوت إلى مستشفيات لمعالجة مختلف الاغراض وتحقيقاً للهدف نفسه ، افتتح الالمان مختبرا للتحليلات المرضية ، وفي ٣٠ تشرين الاول ١٩١٤ م صدرت الاوامر باخلاء المرضى ما عدا (١٥٠) من المرضى الخطرين إلى الجزيرة وبقيت الامور على هذه الحالة حتى توقيع هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨[٣] .

لقد قام الاطباء في المستشفى المركزي وبقية المستشفيات التي انتشرت خلال الحرب العالمية الاولى بتقديم خدمات جليلة للمرضى العسكريين والاهالي حيث أسهم عدد من هؤلاء الاطباء في تأدية الواجبات الطبية والانسانية نذكر منهم رئيس الاطباء عزت سليمان والجراح (المقدم) كمال سوغر والجراح خليل سيزائي (سيزر) والجراح مصطفى تحسين كوركان والجراح الاحتياط (المقدم) داؤد الجلبي والدكتور كاني كومكابي والدكتور مراد والدكتور ضياء كمبالكي واخصائي الجلدية احمد بلال والدكتور رائد كايكن[٤] .

---

(١) العبيدي ، الادارة العثمانية في ولاية الموصل٠٠٠ ، ص١٣٥ .

(٢)فضلاً عن هذه المستشفيات اوردت احد المصادر وجود عدد اخر من المستشفيات ، منها مستشفى الامراض المعدية (الحميات) بسعة(٣٠٠)سريراً، ومستشفى دار نقاهة مع حمام قرب اربيل بسعة(٥٠٠)سريراً ، محطة صحية في لوتير قرب اربيل بسعة (٥٠) سرير ، مستشفى اربيل بسعة ٢٠٠ سرير ، ومحطة صحية في التون كوبري(وهي مدينة صغيرة تقع على الطريق بين الموصل واربيل) بسعة(٢٥)سريراً ، ومستشفى كركوك بسعة ٣٠٠ سرير ، اوزباي ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٣) اوزباي ، المصدر السابق ، ص ص ١٤٨-١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه .

وعنـد انسـحاب القـوات العثمانيـة إلـى الموصـل اضـيف إلـى المستشـفيات المـذكورة مستشفيات في مقرات القطعات وتحت رقم(٣) و (٤) سعة لكل منهما (٣٠٠) سرير[١] . كما لا يخفى الدور الذي اضطلعت جمعيتا الهلال الاحمر ، والصليب الاحمر من خلال تطويرهما للمستشفيات الموجودة في الولايات العراقية ، فضلاً عن افتتاحها عدداً اخرمن المستشفيات منها في ولاية بغداد حيث قامت الجمعية الاولى بافتتاح عدد من المستشفيات منها على سبيل المثال ، مستشفى بغداد للهلال الاحمر رقم (١) بادارة الطبيب سامي زكي بك ومستشفى الهلال الأحمر رقم (٢) بسعة (٣٠٠) سرير بإدارة النقيب الطبيب ضياء بك ومستشفى الهلال الاحمر رقم (٣) بسعة (١٠٠) سرير الذي افتتح في القنصلية الروسية ومستشفى الهلال الاحمر رقم (٤) وبسعة (٣٠٠) سـرير الـذي تـم تخصيصـه لمعالجـة الجرحـى . وفـي تشـرين الاول ١٩١٤ جـرى افتتـاح مستشفى الهلال الاحمر رقم (٥) وتم تخصيصه لمعالجة الامرض الجلدية والزهرية[٢] .

اما المستشفى الذي افتتحه هذه الجمعية في الموصل في دار القاصد الرسولي الواقعة في محلة الرابعية بالموصل ، فقد تم تجهيزه بعد من الاطباء منهم الدكتور حنا خياط والدكتور فـتح الله السـاعاتي ، والـدكتور رؤوف عبـو اليونـان واطبـاء عسـكريين مـن الجـيش

العثماني الذي كان مرابطاً في الموصل كما الحق بالمستشفى المذكور صيدلية[٣] . وقد حظيت هذه المستشفيات بالدعم المالي من الاهالي من خلال التبرعات المستمرة التي تم تقديمها لهذه المستشفيات[٤] . كما كان لهذه المستشفيات دور ملموس في مساعدة الجرحى العثمانيين في اثناء الحرب .

---

(١) محمود الحاج قاسم محمد، (الطب) ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد(٤) ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ، ١٩٩٢) ، ص٣٨٦.

(٢) اوزباي ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٣) ذنون ، المصدر السابق ، ص١١٠ ، قامت السلطات المحتلة ابان هذه المرحلة بتحويل موقع هذا المستشفى من دار القاصد الرسولي إلى بناية مدرسة الصناعة التي كانت قوات الاحتلال قد عطلت الدراسة فيها ، وبقيت هذه المستشفى تشغل بناية مدرسة الصناعة حتى تم تشييد بناية المستشفى الجمهوري في عهد الحكم الوطني ، ذنون المصدر السابق ، ص١١١ .

(٤) جريدة الزوراء ، العدد ٢٥٥٣ ، ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥ ؛ العدد ٢٥٥٤ ، ٦ ربيع الآخرة سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥ .

اما بالنسبة لجمعية الصليب الاحمر فتولت هي الاخرى افتتاح عدد من المستشفيات ، منها مستشفى الصليب الاحمر الالماني في الموصل ، ومستشفيات الصحراء الالمانية برقم (١١) و (١٢) والمستشفى المركزي في العمارة ... وعدد اخر من المستشفيات[١] .

من خلال هذا الاستعراض لواقع الخدمات الصحية ابان هذه المرحلة يمكننا الاستنتاج بان هناك قدراً لابأس به من الاهتمام بهذه الخدمات الا انها لم تكن لتتناسب مع متطلبات العراق والحاجة الماسة لتطوير أوضاعه الصحية[٢] ، واستناداً إلى ما ذكرناه لا يمكن الاتفاق مع رأي الدكتور موسيس دير هاكوبيان ، الذي اشار إلى ان الوضع الصحي في العراق بعد سنة ١٩٠٨ كان سيئاً للغاية ولا اثر لاية مؤسسة صحية ، وان الأطباء لا يتجاوزون عدد الأصابع ، وان دور التمريض اقتصرت اسمياً على(٧٠)سريراً في بغداد والموصل والبصرة[٣] .

المبحث الثالث

الخدمات الصحية في العراق ابان الاحتلال البريطاني

١٩١٤-١٩١٨

باشرت السلطات المحتلة منذ الايام الاولى للاحتلال البريطاني للبصرة باتخاذ اجراءات عاجلة لمعالجة الوضع الصحي الذي أمست عليه القوات المحتلة ، ولاسيما ان حالة الحرب ووجود القوات العسكرية احدث ازدحاماً في البصرة ، نجم عنه تراكم القاذورات ومياه المجاري في قنوات المياه مما ادى إلى اندثار بعضها وتعرقل عملية المد والجزر في النهيرات التي تسقي البساتين وهذا ما اثر في صحة السكان . كما نتج عن وجود القوات المحتلة في البصرة ظهور امراض لم تكن كثيرة الشيوع من قبل مثل عدوى البعوض البلدي الذي نقلته القوات البريطانية من الهند فضلا عن (الانفلونزا) ، التي كانت سببا في وفاة عدد كبير من السكان فاقت اعداد

---

(١) اوزباي ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٢) محمد ، المصدر السابق ، ص٣٨٧ .

(٣) موسيس دير هاكوبيان ، حالة العراق الصحية في نصف قرن ، ط١ ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد : ١٩٨١) ، ص١٢ .

الوفيات الناتجة عن الاصابة بالهيضة (الكوليرا) ، علاوة على الامراض الاخرى التي تفشت بين القوات المحتلة[١] . وقد اشارت احصائية بريطانية إلى ظهور عشرة آلاف اصابة بين المحتلين كان سببها ضربة الشمس وامراض سوء التغذية[٢] .

امام عدم تناسب الابنية الصحية الموجودة وعدد الاطباء مع حاجات قوات الاحتلال إلى الخدمات العلاجية ، شرعت سلطات قوات الاحتلال في تحديد اماكن المستشفيات لاستقبال المرضى والجرحى من الضباط والجنود التابعين للجيش البريطاني ، وبالنظر لقلة المباني الصحية لجأت قوات الاحتلال إلى استخدام عدد من اماكن السكنى لتكون مستشفيات لمعالجة أفراد القوات البريطانية ، حيث استفادت من قصر الشيخ خزعل الواقع في محلة الرباط في مدينة البصرة وحولته إلى مستشفى عسكري – بريطاني كما جرى تحويل قصر الحاج محمود النعمة – احد اثرياء البصرة – إلى مستشفى خاص لمعالجة الضباط[٣] . وفعلت قوات الاحتلال الشيء نفسه في منطقة القرنة ، اذ وقع اختيارها على احد الدور ليتم فيه انشاء اول مستشفى بريطاني في هذه المنطقة ، اما عن الملاك الطبي الذي جرى استخدامه في المستشفى فقد تمت الاستعانة باحد الجراحين العراقيين، فضلاً عن مساعد طبي تم استدعاءه من الهند ويدعى شارفاراز حسين[٤] . وقد احتوى هذا المستشفى على (١٢) سريرا ، وغرفة لاجراء العمليات الجراحية فضلا عن الصيدلية التي كانت تزود المراجعين بالعلاج مجاناً[٥] . وفي شهر حزيران ١٩١٥ جرة افتتاح اول صيدلية رسمية في البصرة[٦] .

فيما استمر مستشفى لانسنك التذكاري[*] في تقديم خدماته العلاجية إلى الجنود والمصابين والاسرى وكان ذلك على حساب الخدمات الصحية التي يقدمها المستشفى للأهالي

شهدت هذه المرحلة تطويراً في الخدمات الطبية التي قدمتها الارسالية الامريكية عندما حولت هذه الارسالية جزءاً من نشاطها الطبي من البصرة إلى العمارة ، بعد ان لمست حاجة

---

(١) المنصور ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤–٥٥ .

(٢) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٣٠ .

(٣) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال ... ، ص ص ٣٨٤–٣٨٥ ؛
Reports of Administration , op.cit , p.307 .

(٤) جريدة الاوقات البصرية ، العدد ٣٤ ، ١٨ كانون الاول ١٩١٧ .

(٥) جريدة الاوقات البصرية ، العدد ٦٠ ، ٢١ ايار ١٩١٨ .

(٦)المصدر نفسه.

(*)كان نوري السعيد احد نزلاء هذا المستشفى بعد اصابته بمرض التدرن الرئوي. انظر شير ، المصدر السابق ، ص٣١ ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٦٦ .

الاخيرة إلى خدماتها الصحية بفعل تحول المدينة الاخيرة إلى واحدة من اكبر معسكرات الجنود البريطانيين[١] .

كما استخدمت قوات الاحتلال العديد من السفن التي تم تصميمها كمستشفيات صغيرة، من بينها السفينة (فريلا) لنقل المرضى والجرحى اما إلى الهند مباشرة ، أو إلى مرسى كاظمة في الكويت حيث تنتظرها سفن مستشفى كبيرة – لا تستطيع عبور حاجز شط العرب – ينقل اليها المصابون فيجرى حملهم بقصد المعالجة أو النقاهة هناك وبمرور الوقت تضاعفت عملية نقل المرضى إلى الهند ، ففي شهر تموز سنة ١٩١٦ بلغ عدد المرضى المنقولين من رجال الحملة البريطانية حوالي ١٨ الف رجل[٢] .

ومن الضروري الاشارة هنا إلى ان سلطات الاحتلال لم تكن تستهدف من اقامة المؤسسات الصحية وتحسين الموجود منها خدمة السكان انما هدفت اساسا إلى المحافظة على صحة القوات المسلحة البريطانية والحفاظ على فاعليتها . بيد ان سلطات الاحتلال سعت من خلال تقديم بعض الخدمات الصحية إلى كسب رضا الاهلين ، فكانت الخدمات الصحية من وسائل الدعاية للدولة المحتلة[٣] .

ومع بداية الاحتلال البريطاني للبصرة ، أحيلت مسؤولية التنظيف والخدمات في قصبتي البصرة والعشار إلى الطبيب والجراح الرائد نورمن سكوت (N.Scott) ، وامام تزايد الحاجة لتلك الخدمات ، عين لكل قسم في المدينة ضابط صحي ، فاصبح الطبيب المدني مسؤولا عن قصبة البصرة ، فضلا عن ادارته لمستشفى الحميات – الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا – اما الطبيب العسكري فتولى مسؤولية طبابة قصبة العشار[٤] .

ابتدأت قوات الاحتلال نشاطاتها الطبية في البصرة بافتتاح اول مستوصف في كانون الثاني سنة ١٩١٥ وبملاك محدود ثم جرى تحويل هذا المستوصف بعد ذلك إلى ما عرف بـ (المستشفى المدني) إلا ان بناية هذا المستشفى لم تكن ملائمة ، فضلا عن عدم قابليتها لاستيعاب أعداد المراجعين المتزايدة[٥] .

---

(١) المصدرنفسه ، ص ١٦٦ .

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٣٨٦ .

(٣) عقرواي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥٩ .

(٤) بركات ، المصدر السابق ، ص١٩١ .

(٥) الجابري تاريخ التطور الصحي ٠٠٠ ، ص٤٢ .

ولمواجهة هذا الواقع اتخذت مجموعة من الترتيبات لتوسيع المستشفى ، حيث قامت ادارة الصحة بتحويل دائرة البرق العثمانية إلى جناح اضافي للمستشفى[١] . واستمرت الجهود لتحسين هذا المستشفى وزيادة كفاءته حتى وصلت طاقته الاستيعابية سنة ١٩١٨ إلى (١٥٠) سريرا[٢] .

وذكر مصدر عن قيام احد اثرياء البصرة بالتبرع بمبلغ بمبلغ ١٠٠٠٠٠ روبية لتطوير هذا المستشفى ، مما مكن السلطات المحتلة من شراء معدات طبية من الهند خاصة بالعمليات الجراحية اذ تم استحداث صالة للعمليات الجراحية مجهزة بالمعدات الجراحية الحديثة[٣] .

وشهد هذا المستشفى اقبالاً شديداً من المواطنين خاصة العيادة الخارجية التي كانت من اكثر اقسلم المستشفى تعاملاً يومياً مع السكان ، اذ بلغ مجموع المراجعين (٢٤٨٠) مراجعاً خلال سنة ١٩١٨[٤] . وفي محاولة من سلطات الاحتلال للتقليل من اعداد المراجعين لجأت إلى فرض اثمان للخدمات العلاجية والدوائية ، اذ تراوحت بين ٨ انات(*) إلى روبية واحدة .

وبدأ العمل بهذا الاجراء اعتبارا من ١١ نيسان ١٩١٧[٥] مما ادى إلى تناقص اعداد المرضى الذين يقصدون العيادة الخارجة للمعالجة . من جهة اخرى فان فرض هذه الاجور وفر مبالغ لا بأس بها لخزينة السلطة المحتلة[٦] . وبالتالي اقتصرت الخدمات التي قدمها

المستشفى على المواطنين الهنود وكبارالمتنفذين ويبدو ان هذا ما كانت تهدف اليه سلطات الاحتلال ، لذلك اجرت تلقيحاً لـ (٨٧٩)موظفاً بريطانياً من العاملين في المؤسسات المدنية ضد الامراض المعدية[٧] .

وعلى الرغم من التحسينات المستمرة التي اجرتها سلطات الاحتلال على هذا المستشفى إلا انه بقي غير ملائم كمبنى طبي لاسباب عديدة منها قدم بناية هذا المستشفى وعدم استيعابها للمرضى[٨] ، لذلك اتجهت انظار تلك السلطات لبناء مستشفى تخلد فيه ذكرى الجنرال ستانلي

---

(١) بيل ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(2) Reports of Administartion , op . cit , p. 272 .

(٣) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٣٨٩ .

(4) Reports of Administartion , op . cit , p.272 .

(*) ٨ انات نصف روبية وتساوي ٣٣.٢فلساً عراقياً ، القهواتي ، المصدر السابق ، ص٤٨٣ .

(٥) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٣٩٠ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المنصور ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(٨) لمزيد من التفاصيل حول التحسينات التي اجريت على هذا المستشفى انظر : التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٣٨٨-٣٩١ .

مود[*] وتحقيقا للهدف نفسه قامت سلطات الاحتلال بافتتاح مستشفى اخر في محلة الرشدية إلى الشمال من بلدة الزبير حيث اشتمل المستشفى المذكور على (٣) غرف تم تخصيصها للمرضى وغرفة العمليات الجراحية وصيدلية فضلاً عن مرافق خدمية اخرى[١] .

وفي نيسان ١٩١٥ م جرى افتتاح مستوصف اخر في منطقة العشار ، اشرف على العمل فيه مساعد الطبيب فرانسيس Dr.Francis ، ويزوره الطبيب المدني في البصرة ثلاثة ايام في الاسبوع لملاحظة المرضى الذي بلغ اعدادهم (١١٠٦٩) مريضاً للمدة المحصورة بين ١ نيسان ١٩١٦ – ٣١ اذار ١٩١٧ وخلال العام التالي من تأسيس المستوصف الحقت به غرفة لترشيح الجثث التي يعثر عليها في النهر بدلاً من إرسالها إلى مستشفى البصرة[٢].

وتم افتتاح مستوصف ثالث في الزبير في تموز ١٩١٥ وكان العدد اليومي للمرضى الذين يراجعون للعلاج ضئيلا اذ لم يتجاوز الـ (٣٥) مريضاً في احسن الاحوال ، وبسبب هذه الضآلة في عدد المرضى الذين يأتونه للعلاج ، والحاجة في مستشفى البصرة إلى خدمات المشرف الطبي عليه فقد اقترح الجراح المشرف على شوؤن الصحة المدنية في البصرة في احد تقاريره غلق المستوصف وقد اغلق بالفعل وعلى فترات متقطعة ، ثم سرعان ما

(*) قائد القوات البريطانية التي احتلت بغداد ، وهو صاحب الوعد الشهير بأن الانكليز جاءوا محررين لا فاتحين ، توفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ متأثرا باصابته بمرض الكوليرا ، نديم ، احوال العراق ...، ص٢٤٣ .

(١) المصدر نفسه ، العدد ٥٩ ، ٢٠ ايار ١٩١٨ .

(٢) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٣٩٥-٣٩٦ .

يستأنف نشاطه من جديد حتى وصل عدد المرضى المعالجين فيه إلى (٨٨٤٧) مريضا للمدة المحصورة بين ١ نيسان ١٩١٧ – ٣١ كانون الاول ١٩١٧[١] .

وفي نيسان ١٩١٧ فرضت سلطات الاحتلال ضريبة نقدية على الدواء والعلاج الموجود في هذه المستوصفات التي ظلت تعاني من عدد من المشاكل والمتمثلة بقلة عدد العاملين فيها وضعف كفائتهم المهنية ، فضلا عن نقص الوسائل الطبية اللازمة للعلاج وعدم ملائمة الاماكن التي تحتلها هذه المستشفيات والمستوصفات من عدة جوانب للغرض الذي وجدت من اجله[٢] .

فضلاً عن ذلك حولت السلطات المحتلة مستشفى الحميات (العزل) في منطقة دويد جنوب غرب مدينة البصرة ، الذي كانت تعزل فيه المومسات المصابات بالامراض الزهرية في العهد العثماني ، إلى مستشفى عزل للمصابين بالامراض المعدية امثال الطاعون والكوليرا والملاريا وكان لهذا المستشفى دور في الحد من انتشار الامراض المعدية[٣] . خاصة بعد إصدار تلك السلطات لنظام (الامراض المستولية السارية) سنة ١٩١٥ م الذي الزمت فيه المواطنين بوجوب الاخبار عن الاصابات المعدية حال ظهورها[٤] .

ومع ذلك عانى المستشفى المذكور من عدد من المشاكل والمعوقات لعل ابرزها النقص في ملاكه الطبي سواء من حيث الخبرة الطبية ام العدد وبالتالي كان ذلك احد الاسباب الرئيسية في ارتفاع نسبة الوفيات في بعض الامراض مع ذلك صار هذا المستشفى احسن نسبياً – إلى حد ما – مما كان عليه في العهد العثماني[٥] .

واتخذت السلطات المحتلة من مستشفى البحرية العثمانية القديم الواقع في التنومة على الضفة اليسرى من شط العرب محجراً صحياً لمعالجة افراد قواتها المصابين بامراضها المعدية كالطاعون والهيضة والجدري ... وغيرها من الامراض ، ولكن بعد ان اجريت جملة من الاصطلاحات في المبنى جعلته مناسبا كمستشفى للغرض المعد له قامت السلطات البحرية بالاستيلاء على المستشفى وحولته إلى ثكنات للبحرية ، وعلى اثر ذلك تم اتخاذ بنايات المحجر الصحي العثماني القديمة الكائنة في الضفة ذاتها من شط العرب كمستشفى للحجر الصحي ، بعد ان اجريت عليها اصلاحات كبيرة مكنت من استخدامها كمجموعات منفصلة لمختلف انواع

---

(١) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٣٩٦-٣٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٧ .

(٣) المنصور ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول نص هذا القرار انظر جريدة الزوراء ، العدد ٢٥٤٥ ، ٢ صفر سنة ١٣٣٤ هـ/١٩١٥ .

(٥) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص ص ٣٩٣-٣٩٤ .

الامراض المعدية[1] . والجدير بالذكر ان السلطات المذكورة ميزت افراد القوات المحتلة الذين عولجوا في ردهات خاصة في البناية في الوقت الذي كانوا يعزلون المواطنين في اكواخ مجاورة للمحجر الصحي[2] .

وفي الوقت نفسه اصدرت قوات الاحتلال مجموعة من القوانين الخاصة بالحجر الصحي ، استلهمت موادها الرئيسية مما كان مطبقاً في الموانئ الهندية آنذاك ، وبموجب تلك القوانين كان على كل سفينة تصل البصرة من الموانئ أو تنقل الجنود من سفن النقل التي لا تستطيع عبور سد الفاو إلى ميناء البصرة ، كذلك الحال بالنسبة إلى المراكب الشراعية المحلية التي ترد إلى البصرة من موانئ الهند أو الخليج العربي أن يخضع للتفتيش الصحي ومن ثم تمنح براءة الحجر الصحي اذا ثبت خلوها من آية اصابة مرضية معدية في حين فرضت ضريبة على الاشخاص وتبعا للمدة الزمنية التي يقضونها في الحجر الصحي وعلى الشكل التالي :

١. الدرجة الاولى خمس روبيات يومياً .
٢. الدرجة الثانية روبيتان يومياً .
٣. الدرجة الثالثة روبية واحدة يومياً [3] .

في حين كانت سلطات الاحتلال تأخذ (٢٤) روبية عن كل جنازة تصل إلى بغداد ، حتى بلغت حصيلة تلك الضرائب التي استوفتها سلطات الاحتلال (٥٣.٠٠٠) روبية سنة ١٩١٨[4] .

ولم تمنع الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال تجاه السفن الوافدة ، من تسرب الامراض المعدية ففي المدة بين ٢٤نيسان –١٦ تموز ١٩١٥ ظهرت (١١١) إصابة بالطاعون في البصرة ، كما إنتشر مرض التهاب السحايا والحمى الراجعة (الملاريا) وامراض اخرى[5] . ويعزى سبب فشل إجراءات الحجر الصحي إلى معظم الاصابات التي

ظهرت كانت قد وفدت بواسطة السفن البريطانية الناقلة للقوات المحتلة[6] .

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول تلك التحسينات التي اجريت على هذا المستشفى. انظر: التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٣٩٩ .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه ، ص٤٠١ .

(4) الفياض ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .

(5) المنصور ، المصدر السابق ، ص ص٥٩–٦٠ .

(6) فعلى سبيل المثال قامت سلطات الاحتلال في ميناء البصرة وخلال المدة الواقعة بين ١٩ كانون الثاني ١٩١٥ وحتى ٣١ اذار ١٩١٦ باحتجاز عشرة سفن تحمل اصابات مرضية معدية لامراض مختلفة كانت كلها

فضلاً عن هذه المستشفيات قامت سلطات الاحتلال بافتتاح عدد من المستشفيات في الناصرية والعمارة(١) . ناهيك عن المستوصفات التي تم افتتاحها في كل من سوق الشيوخ(٢) وقلعة سكر(٣) .

وعندما احتلت القوات البريطانية بغداد في اذار ١٩١٧ ، قامت السلطات الصحية بترميم مستشفى الغرباء الذي صار يعرف بالمستشفى المدني ، حيث اشار التقرير البريطاني لولاية بغداد سنة ١٩١٧ م إلى "ان المستشفى قد نهبه السكان وسرقت الابواب والنوافذ ، حتى الاشجار في الحديقة قطعت ، وقد شرعت السلطة بعمل الترميمات وعينت فيه ممرضات فرنسيات" (٤) . كما تم استحداث اقسام جديدة وبتخصصات مختلفة مثل النسائية والعيون والاطفال فضلاً عن الردهات الخاصة(٥) . كما الحقت بلمستشفى المذكور صيدلية تم تزويدها بالادوية اللازمة من لندن ، فيما الحق للعمل في المستشفى ملاك طبي مؤلف من مدير المستشفى تاديوس كورديان اخصائي الامراض الباطنية والدكتور نور الله معاون المدير والدكتور ايفانس للجراحة والدكتور مظفر للمعاينات الداخلية والخارجية(٦) .

وعد هذا المشفى في وقتها اول مستشفى يقدم خدماته العلاجية للامراض النسائية والاطفال، اذ سمح لنساء الفئات الفقيرة بالدخول إلى المستشفى وتلقي العلاج بشهادة من مختار المحلة ثبت فقر حالتهن المادية(٧) .

وفي سنة ١٩١٨ م أحيلت ادارة المستشفى إلى الدكتور براهام Braham حيث تم تزويد المستشفى بالانارة الكهربائية ، كما تم استحداث جناح خاص للعيادة الخارجية(٨) .

تابعة للسلطات المحتلة باستثناء سفينة عربية واحدة ، التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ... ، ص٤٠١ .

(1) Reports of Administartion , op . cit , p.404.

(٢) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(٣) بلغ عدد المرضى المراجعين لهذا المستوصف ما معدله (٣٥) مريضاً في اليوم وبمرور الوقت ازدادت اعداد المراجعين حتى وصلت إلى (١٤.٧٣١) مراجعاً للمدة المحصورة بين ايار ١٩١٨ وحتى نهاية هذه السنة ، ناهيك عن العمليات الجراحية التي تم اجراؤها في هذا المستوصف ، اذ تم اجراء(٣٦٧)عملية صغرى و ٣ عمليات كبرى . Reports of Administartion , op . cit , p. 272 .

(4) Reports of Baghdad Wilayat 1917, p.174.

(5) Reports of Administartion , op . cit , p.398 .

(٦) الجابري ، تاريخ التطور الصحي ٢٠٠٠،ص٣٦ .

(٧) الوتري ، المصدر السابق ، ص٧٤ ؛ العلوجي ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(٨) العلوجي ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ ؛ الجابري ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

وفي ٦ اذار ١٩١٨ جرى إفتتاح مستشفى ثان في بغداد عرف بـ"المستشفى العام الجديد) ، في جانب الرصافة[١] حيث اسندت ادارته إلى الدكتور دنلوب Dunlop[٢] .

أما المستشفى الثالث الذي جرى إفتتاحه فسمي بـ"مستشفى العزل" ، وكان في بادئ الأمر عبارة عن مخيم في الجزء الشمالي من باب المعظم وفي مكان منخفض عن الأرض من السهل أن تغمره المياه زمن الامطار ، وبديهي أن مستشفى كهذا لا ينتظر أن يجنب المدينة اخطار الامراض الوبائية ، ثم جاء استبدال الخيام بغرف طبية لاتفي بالغرض حتى جاء التفكير بانشاء مستشفى متكامل في اواخر سنة ١٩١٨م . أما عن ادارة المستشفى فاسندت إلى أحد الاطباء العسكريين يعاونه معاون جراح ثانوي Sub-Assistant Surgeon وهو من الهنود وممرضتان روسيتان وعدد من الخدم[٣] .

كما ذكرت جريدة (العرب) في أحد اعدادها إفتتاح مستشفى للامراض الزهرية ، إذ اختير أحد فنادق بغداد وهو (اوتيل عثمان) بناية لذلك المستشفى وكان يضم ثمانين غرفة[٤] .

كذلك استمر مستشفى (مير الياس) في تقديم خدماته العلاجية إذ ذكرت جريدة (العرب) أن هذا المستشفى كان يستقبل (١١٠)الاف مراجع سنوياً[٥] .

كما جرى افتتاح عدد من المستشفيات منها المستشفى المدني في الكوت[٦] . ومستشفى آخر في السماوة يرقى تاريخ افتتاحة إلى كانون الثاني ١٩١٨[٧] . وفي ايار ١٩١٨ جرى افتتاح افتتاح مستشفى ثالث في الحلة اسندت ادارته إلى الكابتن (النقيب) كامبل بيغ (Campbell Begg) ، أما عن اجور العلاج فكانت روبية واحدة لكل يوم[٨] . اعقبها افتتاح مستشفى رابع في كربلاء[٩] .

وتم افتتاح عدد من المستوصفات الصحية منها المستوصف الذي جرى افتتاحه في منطقة الكاظمية حيث اسندت ادارته إلى الدكتور علي فكري وهو طبيب تركي سابق[١٠] . كما

---

(١) جريدة العرب ، العدد ٥٧ ، ٨ اذار ١٩١٨ .

(٢) الوتري ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص٧٤ ؛ العجيلي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ١٣٣ ، ٢٥ تشرين الاول ١٩١٨ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٣١ ، كانون الثاني ١٩١٨ .

(٦) المصدر نفسه ، العدد ١١٥ ، ١٣ كانون الاول ١٩١٧ .

(7) Report of Administration , op . cit . , P. 58 .

(٨) I bid . 145 .

(٩) I bid . 196 .

(١٠) مركز دراسات الموصل رقم الملفة E 2/1 . (التعليم ١٩١٥ـ١٩٢٥) ، ٤ ،ص١٣ .

جـرى افتتـاح مستوصـفات اخـرى فـي امـاكن مختلفـة ، منهـا علـى سـبيل المثـال لا الحصـر المستوصفات الصحية في كل من الحلة وكربلاء والمسيب[1]والهندية[2]والديوانية[3]وفي هيت ، والرمادي والفلوجة[4]وبعقوبة[5]وخانقين[6]وسامراء[7] والكوفة وقد جرى تحويله إلى مستشفى صغير صغير سنة ١٩١٨ وبلغ مجموع مراجعيه (١٣٠) مراجع يوميا ، أما عن اجور المراجعة فكانت اربع أنات في المراجعة الأولى وانتان في المراجعة التالية[8] .

وفضلاً عن الخدمات العلاجية اليومية التي قدمتها هذه المستوصفات ، فقد كان لها اسهاماتها الواضحة في الحد من انتشار عدد من الامراض الوبائية كالتيفوئيد والكوليرا ... التي اجتاحت بعض مناطق العراق سنة ١٩١٧ م ، كما دأبت هذه المستوصفات على إجراء التلقيحات لعدد من الامراض الوبائية[9] .

ولابد من الاشارة إلى غلبة الطابع العسكري على المؤسسات الصحية ، إذ كانت الخدمات الطبية وحتى ذلك الحين يقوم بها أطباء عسكريون يمارسون مهنة الطب فضلاً عن واجباتهم الاعتيادية .

أما عن الادارة الصحية فقد اسست دائرة الصحة المدنية في البصرة سنة ١٩١٥[10] .وفي سنة ١٩١٨ اسست اول ادارة صحية في العراق باسم ادارة الصحة العامة المدنية . انتدب

---

(1) جرى افتتاح هذا المستوصف في حزيران ١٩١٨ حيث تالف ملاكه الصحي من طبيب تركي وصيدلي . Reports of Administration , op . cit . , P. 169 .

(2) I bid . 127 .

(3) تراوح عدد المراجعين لهذا المستشفى بين ٨٠ . ٩٠مريضاً فضلاً عن اجراء عدد لاباس به من العمليات الصغرى Ibid . P . 205

(4) I bid . p. 44 .

(5) اسندت ادارة هذا المستوصف إلى الكابتن (النقيب) هاريس ، اعقبه الكابتن (النقيب) انطوان يعاونهم في ذلك ذلك مساعد جراح عراقي يدعى رياض احمد ، وكان معدل المراجعين للمستوصف (١٢٠)مراجعاً يومياً فيما قام الملاك الطبي العامل في هذا المستوصف بمعالجة الامراض الشائعة كامراض العيون والملاريا وحالات قليلة من السل فضلاً عن إجراء عدد من العمليات الجراحية . I bid p. 24

(6) I bid .

(7) تالف الملاك الطبي لهذا المستوصف من مساعد جراح هندي ومضمد ، أما اعداد المراجعين فوصل إلى ٢٠مراجعاً يومياً I bid . P. 8

(8) I bid . P. 93 .

(9) I bid P. 25 .

(10) ويلسون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٤٠ .

لرئاستها بريطاني هو W . R . Batty وكان يعمل معه مجموعة من الاطباء المدنيين[١] اعقبها تشكيل عدد من الدوائر الصحية الفرعية (هيئات صحية) ، في عدد من المدن العراقية منها هيت والشامية[٢] والنجف[٣] . إذ عهدت إلى هذه الدوائر مهمات عديدة منها الاشراف على على كل ما يتصل بصحة المدن من خلال مراقبة الحالة الصحية للاسواق ومراقبة الاطعمة والمشروبات ونظافة المحلات[٤] وتسجيل الولادات والوفيات وتسجيل ممارسي مهنة الطب والصيدلة والقبالة والامراض المعدية واجراء التلقيحات ضد الامراض الوبائية ، ونقل الزوار والجثث من ايران والهند قاصدة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء... وغيرها من الاجراءات الصحية الاخرى[٥] .

أما بالنسبة إلى ولاية الموصل فقد اختلف الأمر إذ أن إحتلال بريطانيا للموصل جاء بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد نحو اسبوع من عقد هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨[٦] . ومن هنا فإن شطراً من هذه الخدمات الصحية قد تم تخصيصة لخدمة الاهالي بغية بغية كسبهم إلى جانب قوات الاحتلال البريطاني . حيث اتخذت هذه السلطات بعض التدابير الصحية كان في مقدمتها إلغاء دائرة الصحة العثمانية ، والاستعاضة عنها بدائرة صحة ارتبطت بالبلدية وعين يحيى سميكة مديراً لها[٧] . كما قامت بتوسيع مستشفى الهلال الاحمر العثماني في المدينة وتحويله إلى مستشفى مدني حيث تم تخصيص قاعات للنساء واخرى للرجال وعمل فيه مجموعة من الاطباء المختصين ، حيث كان يساعد الجراح المدني فيه معاون طبيب انكليزي ورئيسة ممرضات مع ممرضين انكليز وعدد من المرضات الارمنيات وطبيبان أو ثلاثة أطباء من العراقيين منهم د.حنا خياط[٨] ، كما تم افتتاح عدد من المستوصفات في جميع مراكز مراكز الاقضية التابعة للموصل[٩] . في الوقت نفسه عملت السلطات الصحية على تطويق

---

(١) الجابري ، تاريخ التطور الصحي ، ص٢٤ .

(٢) تالفت هذه الهيئة من ملاك وظيفي مؤلف من مركبي ادوية عدد ٤ ، موظفين عدد (٢) ، كناسين عدد (٢) ومسؤولي ردهات عدد (٢) انظر: Reports of Administration , op . cit . , P. 98

(٣) I bid . , P. 92 .

(٤) I bid . , P. 222 .

(٥) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨٤ .

(٦) اقدمت سلطات الاحتلال وفي اعقاب الاحتلال البريطاني للموصل على اسر (١٥٠) مريضاً مع الاطباء المعالجين وارسلتهم إلى البصرة اوزباي ، المصدر السابق ، ص ص١٤٨ –١٤٩ .

(٧) ذنون ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

(٨) ذنون ، المصدر السابق ، ص١١١ .

(٩) بيل ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

انتشار مرض الملاريا في المناطق الشمالية والجبلية التابعة لولاية الموصل وذلك عن طريق توزيع الادوية المضادة مثل الكينين[١] .

وهنا لابد من الاشارة إلى أن الاهتمام البريطاني بتقديم الخدمات الصحية للاهالي وفتح المؤسسات الصحية على الرغم من عودته بالنفع بعض الشئ على السكان المحليين ، إلا أن تلك الخدمات جاءت لخدمة الجيش المحتل بالدرجة الأولى وخشية انتقال عدوى من الامراض من الاهالي إلى الجيش . وذلك من خلال الاهتمام بالصحة العامة ونظافة المدينة كما أنها انتهجت سياسة قائمة على جعل المناطق المسكونة بقواتها أفضل في الحالة الصحية حتى لو كان ذلك على حساب الناحية الصحية للاهالي[٢] . ومع ذلك عانت المؤسسات الصحية في العراق ابان الاحتلال البريطاني من مجموعة من السلبيات لعل ابرزها :-

- قلة التخصيصات المالية :

بقيت مشكلة قلة التخصيصات المالية كما هو الحال بالنسبة لباقي القطاعات الخدمية الاخرى احدى اهم المشكلات الرئيسية التي عانى منها هذا القطاع الخدمي ، وانعكس تأثير هذه المشكلة بالتالي على واقع الخدمات الصحية ، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال المقارنة بين مصروفات هذه الدائرة ومجموع المصروفات الادارية العامة ففي سنة ١٩١٦-١٩١٧م بلغت مصروفات دائرة الصحة ٨٧.١٨٠ روبية من مجموع النفقات الادارية البالغة ٣.١٦٣.٢٠٠ روبية وفى سنة ١٩١٧-١٩١٨ ،بلغت تخصيصات تلك لدائرة و١٣٩.٨٨٧ روبية من مجموع النفقات الادارية البالغة ١٠.٠٢٨.٢٨٦ روبية[٣] .

-عدم كفاءة اجراءات السلطة المحتلة في مجال الحجر الصحي ، فعلى الرغم من أن تلك الاجراءات نجحت إلى حد ما في التقليل نسبياً من تسرب بعض الامراض كالجدري مثلاً فإنها فشلت في وقف انتشار العديد من الامراض السارية الاخرى إذ ظهرت اصابات بالكثير منها حتى أن ميناء البصرة اعلن ميناء موبوءاً بمرض الطاعون خلال المدة الواقعة بين ٢٤ نيسان – ١٦ تموز١٩١٥ حيث ظهرت (١٠٠) اصابة بهذا المرض في مدينة البصرة والمناطق المحيطة ، كما تسرب إلى بعض مناطق المدينة ايضاً مرض السحايا والحمى الراجعة ، اللذان لم يكونان معروفين في البصرة قبل الحرب[٤] ، وتكررت الحالة نفسها عندما اجتاح البلاد سنة ١٩١٧ م

---

(١) احمد ، النشاطات الطبية ... ، ٣٥٠ .

(٢) المنصور ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٣) نظمي ،المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

(٤) التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، ص٤٠٢ .

وباء الكوليرا ، وكإجراء وقائي قامت سلطات الاحتلال باجراء تطعيم عام ضد هذا المرض[١] . وفي الاول من شباط اصدر الحاكم الملكي اعلاناً دعا فيه كل من يحترف الطب أن يبلغ وبدون أي تاخير عن اية اصابة بامراض الكوليرا والطاعون والجدري والامراض المعدية الاخرى ، وهدد البيان كل من يتاخر عن التبليغ بايقافه عن مهنته فضلاً عن غرامة مالية[٢] .

ومع ذلك لم تنفع الاجراءات الوقائية التي اتخذتها سلطات الاحتلال في الحد من انتشار هذا المرض وعلى وجه الخصوص حملات التلقيح التي كانت تجريها المستشفيات[٣] بسبب امتناع الكثيرين عن اجراء التلقيح[٤] بسبب انعدام الوعي الصحي .

ومن ضمن الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال في مواجهة هذا الوباء اقامة العديد من مستشفيات العزل ، منها مستشفى العزل في الديوانية[٥] . كما لايخفى الدور الذي اضطلعت به الهيئات الصحية في مجال التوعية الميدانية ، من خلال طبع نشرات باللغة العربية ، فضلاً عن نشر العديد من المقالات في الجرائد اليومية ، اكدت ومن خلالها اهمية النظافة والاجراءات الواجب اتخاذها لتجنب الاصابة بهذا المرض[٦] . وعلى الرغم من تلك الاجراءات فقد ظل المرض يفتك بالسكان ويودي بحياة الكثير من الضحايا .

وعزت بعض المصادر سبب فشل اجراءات الحجر الصحي إلى أن معظم الاصابات التي ظهرت كانت قد نقلت بواسطة السفن التي كانت تنتقل القوات البريطانية[٧] .

في حين عزت مصادر اخرى سبب فشل تلك الاجراءات – خاصة في السنة الاخيرة من الحرب إلى عدم قدرة الهيئات الصحية ، خاصة في العتبات المقدسة وبسبب قلة الملاكات الطبية فيها على مواكبة الاعداد المتزايدة من الزوار إلى هذه المناطق[٨] .

---

(١) إلا أن الجنرال مود (قائد الحملة البريطانية على بغداد) رفض اجراء التطعيم ضد هذا المرض مما ادى إلى وفاته في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، الخياط صور من تاريخ العراق ... ، ص٢٨٤ ؛
Candler , op . cit . , volII , P. 246

(٢) مجموعة البيانات والاعلانات الصادرة من القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، بيان رقم (٧) ، مطبعة دنكور، (بغداد، ١٩٣٦) ، ص٢٢ .

(٣) جريدة الاوقات البصرية ، العدد ٥٠ ، ١٠ كانون الثاني ١٩١٨ ، العدد ٦٠ ، ٢١ ايار ١٩١٨ . وكثيراً ما كانت مواد التطعيم تعطى مجاناً لكل طبيب اهلي عند طلبه ذلك .

(٤) مركز دراسات الموصل ، رقم الملفة E 2/1 ، التعليم ١٩١٥–١٩٢٥ م ، و٤ ص١٣ .

(٥) عوضاً عن هذه المستشفيات اقيمت في أماكن اخرى مخيمات لعزل المرضى المصابين بالامراض الوبائية وكمثال على ذلك مخيم العزل الذي اقيم في منطقة الفلوجة ،
Reports of Administration , op . cit . p. 205 , 227 .

(٦) I bid . p. 256

(٧) فوستر نشأة العراق الحديث ، ج١ ، ص٤٣٠ .

(٨) Reports of Administration , op . cit . , P. 92 .

وعانـت الكثيـر مـن المستشـفيات والمستوصـفات مـن مشـاكل عديـدة منهـا عـدم ملاءمـة بناياتهـا كمؤسسـات طبيـة ، منهـا مستشـفى العزل فـي البصـرة[1] .فضـلاً عن النقص الحـاد فـي الملاكات الطبيـة ، وامام هذه المشكلة ظهرت الحاجة إلى فتح كليـة طبيـة فـي بغداد ، غيـر أن هذه الفكرة سرعان ما لاقت مقاومة عنيفة من جهات مختلفة طبية وحكومية ، حيث كانت وجهة نظر المعارضـة لفكرة عدم فتح هذه الكلية تستند إلى أن البلاد لم تكن مستعدة لتحمل مثل هذه النفقـات ولاسـيما وان معـدات المستشـفيات والمختبـرات كانـت غيـر كافيـة ومعدومـة ، ولـم يكـن الاطبـاء مـن حيث العدد والاختصـاص والمقدرة كـافين للقيـام باعبـاء الكليـة ، عـلاوة علـى تـراكم اشغالهم في المستشفيات لذلك فإنهم فضلوا أن تقوم الحكومة بارسال طلاب الطب للدراسة في الخارج على افتتاح هذه الكلية[2] .

---

(1) I bid . P. 258 .

(2) عقراوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٩ .

الخاتمة

إن هذه الدراسة هي محاولة لتقويم الخدمات العامة في العراق بين ١٨٦٩–١٩١٨ وليس الخوض في سرد كل تفاصيل تلك الخدمات العامة التي كانت موضوعاً للعديد من الدراسات الاكاديمية العراقية والعربية .واستناداً إلى ما ورد في هذه الدراسة من معلومات يمكن ايراد الملاحظات الختامية الاتية :

أولا ان الخدمات العامة بوصفها من التزامات الدولة تجاه مواطنيها ، لم تكن معروفة في العراق قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بل ان الخدمات العامة ، مفهوماً وممارسة ، لم تتبلور في الدولة العثمانية بوجه عام الا في عهد الاصلاحات الحديثة والتنظيمات التي شهدتها تلك الدولة في القرن التاسع عشر صدرت في اطارها العديد من القوانين والتشريعات ، كما اتخذت الاجراءات لتطبيقها بهذه الدرجة او تلك .

ثانياً يمكن عد سنة ١٨٦٩بداية لتاريخ الخدمات العامة في العراق الحديث وقد ارتبط ظهور العديد من تلك الخدمات العامة بتولي مدحت باشا مقاليد الولاية في العراق بين ١٨٦٩–١٨٧٢ . فقد كان مدحت من بين زعماء حركة الاصلاح الحديث في الدولة العثمانية ، ولذا اهتم بوصف العديد من القوانين والاجراءات الاصلاحية موضع التطبيق عند مجيئه إلى العراق . وهكذا كان تأسيس البلديات الحديثة ، والمدارس الرسمية ، والاهتمام بالخدمات الصحية والنقل والبريد والرعي . وقد واصل العديد من الولاة الذين اعقبوا مدحت باشا في العراق اهتمامهم بهذه الدوائر والجوانب الخدمية ، في حين لقيت اهمالاً من عدد اخر منهم وتقتضي الموضوعية القول بان تلك الخدمات العامة كانت في تحسين تدريجي اخذين في الاعتبار الامكانات المتوافرة يومئذ .

ثالثاً : ان القول بان الخدمات العامة في العهود الاخيرة من عهد السيطرة العثمانية كانت في تحسين تدريجي لا يعني انه لا توجد جوانب سلبية فيها . ومن ذلك قلة التخصيصات المالية عموماً للخدمات العامة التي كان يفترض ان تكون لها الاولوية في ذلك ، ولم تكن هناك ملاكات مؤهلة كافية في المجالات الخدمية مثل التقليم والصحة ، وعدم دفع الرواتب بانتظام ، مع قلتها ، الامر الذي ادى إلى انتشار الرشوة والمحسوبية .وفضلاً عن ذلك فان الخدمات العامة تركزت في المدن اساساً .

رابعاً : لاشك ان الخدمات العامة التي سبقت الاشارة اليها اسهمت إلى حد ما ، في إحداث بعض التغيرات الاجتماعية والاقتصادية فالتعليم الرسمي الحديث انتج شريحة عراقية متعلمة ، ونخبة مثقفة كان لها دورها في العراق الحديث والمعاصر ، وكان لتحسن خدمات النقل من جهة وخدمات البريد والاتصالات البرقية من جهة اخرى اسهام في تسهيل تجارة العراق الخارجية

وتطورها ولا شك ان الخدمات البلدية والخدمات الصحية اسهمت ، إلى حد ما ، في تحسين الاوضاع في المدن العراقية ، ولا سيما المدن الكبرى الثلاث بغداد والبصرة والموصل .

خامساً : كان للحرب العالمية الأولى تأثير سلبي في الخدمات العامة العثمانية في العراق ، لان العثمانيين منحوا الاولوية للمجهود الحربي ، وسخروا الامكانات المتاحة لخدمة القوات العثمانية في العراق . ومع بداية الاحتلال البريطاني للعراق وفي اثناء تلك الحرب ابدت سلطات الاحتلال اهتماماً بدوائر الخدمات العامة ونشاطاتها وعملت على اعادة تشكيل تلك الدوائر ، بعد انسحاب العثمانيين ، وتأسيس دوائر حزمية اسندت الاشراف عليها في البداية إلى ضباط من قوات الاحتلال . الا ان هذا الاهتمام البريطاني ، وعلى الرغم من تقديم بعض الخدمات العامة للسكان ، الا ان قصب السبق كان لقوات الاحتلال .

المصادر والمرجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة

١. وثائق دار الكتب والوثائق (بغداد)

أ) – ملفات البلاط الملكي

– تقرير عن المعارف في العهد العثماني والعهد الحالي ، رقم الملفة ٨١١/٨١٠ .

ب) – وثائق الاحتلال البريطاني المحفوظة في دار الكتب والوثائق (بغداد)

- شراء حبوب من الهند ، الملفة المرقمة ٢/١٢
- شؤون الري ، الملفة المرقمة ٢/١١٩
- الملفة المرقمة ٢/١٢٩
- تجارب زراعية ، الملفة المرقمة ٢/١٣٢
- تقارير زراعية ، الملفة المرقمة ٢/١٣٤
- ميزانية بلدية هيت ، الملفة المرقمة ٢/٢٧٥
- مشاريع تكاليف نصب انابيب لتجهيز المياه للبصرة والعشار .
- مديرية تجهيز الماء ، الملفة المرقمة ٢/٣٨٩
- تسمية الشوارع الساحات والطرق في بغداد ، الملفة المرقمة ٣٩٦
- الملفة المرقمة ٥٣٤
- الملفة المرقمة ٢/٥٧٣
- الملفة المرقمة ٢/٧٠٧
- الملفة المرقمة٩٢٠
- الري في علي الغربي ، الملفة المرقمة ١٠٩١
- الملفة المرقمة ٢١٥٧
- الملفة المرقمة ١/٢٤٢٣

٢. وثائق الاحتلال البريطاني المحفوظة في مركز دراسات الموصل – جامعة الموصل .

- رقم الملفة E1/1 (مرحلة الاحتلال البريطاني)
- رقم الملفة E2/1 (التعليم ١٩١٥ – ١٩٢٥)

٣. وثائق الاحتلال البريطاني المحفوظة في مركز وثائق البصرة – جامعة البصرة .

- انارة طرق ، رقم الملفة 32053/021 .

٤. وثائق الحكومة البريطانية (وزارة الهند) المحفوظة لدى مراكز دراسات الخليج العربي/ جامعة البصرة .

- I.O.R., L/P+S/ 19/ 88, No. 39950, Mr. Marling to Sir Grey, 31 October 1909.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 88, No. 1005, Mr. Marling to Sir Grey, 3 January 1910.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of November 1911.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of January and February 1912.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of October 1912.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of February 1913.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq during June 1913.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq September 1913.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Summary of Events in Turkish Iraq during February and March 1914.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 212, Minute paper, No. 5054.
- I. O. R., L /P+S/ 10/ 620, Progress reports, No. III., for period ending 2.9 December 1918.

٥. وثائق دائرة السجلات العامة P. R. O في لندن نسخ مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد :-

- F.O 371/148/2490/ The Baghdad Railway Convention of March 1903.
- F.O 371/148/2490/ from Ocont to F.O 28 April 1903.
- F.O 371/148/2490/ The Influence of the Railway of British interst, Memoradum June 1905.

- F.O 371/145/9842/ Memoradum on sir will cocks projects in southern Mesopotamia 23 January 1906.
- F.O 371/348/9199/ From Major Ramsay, Baghdad to secretary of Government of India, Calcutta, on Jewish school at Baghdad, 22 March 1906.
- F.O. 371/148/9876/ Extract from the diary of the Turkish – Arabia political Residency for the week ending January 1906.
- F.O 371/220371/ The Baghdad Agents to the Euphrates and Tigris steam Navigation Company, 13 May 1907.
- F.O 371/1007/ Consul. General Lorimer to Mr. Louther Enclosure, 23 March 1910.
- F.O 371/1243/2552/ Summery of Event in Turkish Iraq the month of November 1910.
- F.O 371 /3042/228554/ Office White hall November 1917.
- F.O 3406/ Administration reports, Department of revenue, Baghdad 1918.
- F.O 195/ 2338/ XK764, Turkish Affairs.
- F. O 371/604/3042/ X No., 7803.

٦. التقارير المحفوظة في مكتبة المتحف (بغداد)

Consular Report on the trade of Basra for the year 1907. No. 4024, Annual series No. 3865.

٧. وثائق الخارجية البريطانية نسخة مترجمة محفوظة في دار الكتب والوثائق .

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، رقم الملفة ان أو ٣٤٠٧/٣٧١ اكس / ٩٣٧٧ .
- وثائق وزارة الخارجية البريطانية ان / اف ٣٤١٧ اكس /ام ١٠٧٧٣٩ .

٨. الوثائق العثمانية :

(ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، نسخة مترجمة ومصورة محفوظة في مركز التوثيق الاعلامي الاعلام / بغداد)

- رقم البحث ١٦٢ ، نوع الوثيقة : أو راق يلديز ، دفتر مهمة ٢٥٥ ، رقم الاوراق ١٥٣ ، تاريخ الوثيقة اواسط شوال ١٢٦٠هـ .
- رقم البحث ٣٩٨ ، ونع الوثيقة : اوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٦١ ، تاريخ الوثيقة ١٢٧٨هـ.
- رقم البحث ١٤ ، نوع الوثيقة : اوراق يلديزو ، دفتر مهمة ٢٦٢ ، رقم الورقة ٧٥ ، رقم الوثيقة : اوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٦٣ ، رقم الورقة ١٠ ، رقم الوثيقة ١٣ ، تاريخ الوثيقة ١٢٨٨هـ .
- رقم البحث ٢ ، نوع الوثيقة : اوراق يلديز ، دفتر مهمة ٢٦٣ ، رقم الورقة ٣٣ ، رجب ١٢٨٨هـ .
- رقم البحث ٣٩٣٠ ، نوع الوثيقةة : اوراق يلديز ، رقم الاوراق ١٢٠٥ ، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ١٢٠٦ ، رقم الكارتون ٧ ، تاريخ الوثيقة ١٧ ايلول ١٢٩٦هأ ، ٢٤ شوال ١٢٩٧هـ .
- رقم البحث ٣٩٣٦ ، نوع الوثيقة : اوراق يلديز ، رقم الاوراق ١٢٥٦ ، رقم القسم ١٤ ، رقم الظرف ٢٦ ، رقم الكارتون ١١ ، تاريخ الوثيقة (غير مؤرخة) .
- رقم البحث ٣٩٣٩ ، نوع الوثيقة : اوراق يلديز ، رقم القسم ١٤ ، رقم الاوراق ٨٨/١ ، رقم الظرف ٨٨ ، رقم الكارتون ١٢ ، تاريخ الوثيقة ٨ شوال ١٢٩٨هـ .
- رقم البحث ١٣٩٤٢ ، نوع الوثيقة : اوراق يلديز ، رقم القسم ١٤ ، رقم الاوراق ٣٤ /٨٨ ، رقم الظرف ١٨ ، رقم الكارتون ١٢ ، الوثيقة (غير مؤرخة) ارادة خارجية رقم ٩٧٦٦ ، لف١ ، الرقم العام ٥٤٨ .

ثانياً :-

الوثائق المنشورة

١. العثمانية

أ. الدستور ، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل ، ج١ و ج٢ ، (بيروت ، ١٣٠١هـ) .

ب. المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية ، ١٥٢٥-١٩١٩ ، ترجمة الدكتور خليل علي مراد والدكتور علي شاكر علي (نسخة خطية مصورة في مركز دراسات الموصل ، ١٩٩٥)

٢. البريطانية

١. فؤاد قزانجي ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠ ، (بغداد ، ١٩٩٠) .

2. Arab Tribes of the Baghdad wilayat, July 1918, Issued by the F.O Arab Bureau Baghdad Calcutta, 1919, Superintealent Government printing India.

3. Office of the Civil Commissonoer, Administration Reports of Baghdad wilayat, 1917.
4. Reports of Administration for Territories in Me Sopotamia Vol. I 1, (Calcutta, 1918).

ثالثاً : المطبوعات الرسمية :-

أ. البريطانية

- الحكومة العراقية ، وزارة العدلية ، مجموعة البيانات والاعلانات الصادرة من القائد العام، بيان رقم (٦) ، في ٢٨ كانون الاول ، ١٩١٧ .
- Great Britain, Admirality intelligence Department A Hand book of Mesopotamia Vol. 1 (November, 1919).

ب. العثمانية :-

- السالنامات العثمانية :-

١) سالنامات ولاية الموصل :-

١. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م
٢. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠هـ/١٨٩٢م
٣. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٢هـ/١٨٩٤م
٤. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
٥. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٣٠هـ/١٩١٢م

٢) سالنامات ولاية بغداد

١. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٢٩٩هـ/١٨٨١م
٢. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م
٣. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م
٤. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٠٩هـ/١٨٩١م
٥. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٠هـ/١٨٩٢م
٦. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٢هـ/١٨٩٤م
٧. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٥هـ/١٨٩٧م
٨. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٦هـ/١٨٩٨م
٩. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٧هـ/١٨٩٩م
١٠. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٨هـ/١٩٠٠م
١١. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣١٩هـ/١٩٠١م
١٢. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٢١هـ/١٩٠٣م

١٣. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
١٤. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
١٥. بغداد ولايتي سالنامه سي ١٣٢٩هـ/١٩١١م

٣) سالنامات ولاية البصرة

١. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣٠٩هـ/١٨٩١م
٢. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣١٠هـ/١٨٩٢م
٣. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣١١هـ/١٨٩٣م
٤. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣١٧هـ/١٨٩٩م
٥. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣١٨هـ/١٩٠٠م
٦. بصرة ولايتي سالنامه سي ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م

٣. سالنامات عمومية

١. سالنامه دولت عليه عثمانية ١٣٠٥هـ/٨٨٧م

٤. سالنامات المعارف العمومية :-

١. سالنامه نظارت معارف عمومية ١٣١٣هـ/١٨٩٥م
٢. سالنامه نظارت معارف عمومية ١٣١٦هـ/١٨٩٨م
٣. سالنامه نظارت معارف عمومية ١٣١٣هـ/١٨٩٥م
٤. سالنامه نظارت معارف عمومية ١٣١٣هـ/١٨٩٥م

رابعاً : المصادر الوثائقية :

- قزانجي ، فؤاد (ترجمة وتحرير) العراق في الوثائق البريطانية ، ١٩٠-١٩٣٠ ، تقديم ومراجعة عبد الرزاق الحسني ، (بغداد ، ١٩٨٩) .
- لوريمر ، جون غوردن ، دليل الخليج ، مكتب الترجمة ، ديوان حاكم قطر (الدوحة ،

- ـــــ دليل الخليج ، قسم الجغرافي ، ترجمة ديوان امير قطر ، ج١ ، ج٢ ، ج٣ ، ج٦ ، (قطر ، د.ت) .

خامساً : المخطوطات

- اصفر ، جبرائيل حنوش ، مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، مخطوط محفوظ في دار المخطوطات ببغداد تحت الرقم ٣٠٣٦٤ .
- الالوسي ، محمود شكري ، اخبار بغداد ما جاورها من البلاد مخطوط محفوظ في دار المخطوطات ببغداد تحت الرقم (٦٢٨٧) .
- العمري ، خير الدين ، من المهد الى اللحد ، ج١ ، طبعة اولية يحترز عليها السيد سعود العمري في مكتبته الخاصة مطبوعة على الالة الكاتبة .

سادساً: الكتب العربية والمعربة :-

١. ابراهيم ، عبد الفتاح ، على طريق الهند ، مطبعة الاهالي ، (بغداد ، ١٩٣٩) .
٢. احمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، (البصرة ، ١٩٨٢) .
٣. احمد ، ابراهيم خليل ، نشأة الصحافة العربية في الموصل ، ط٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٨٢) .
٤. اداموف ، الكسندر ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة د. صالح هاشم التكريتي ، ج١ ، ج٢ ، مركز دراسات الخليج العربي ، (البصرة ، ١٩٨٢، ١٩٨٩).
٥. ادموندز، سي جي ، كرد وترك وعرب ، رحلات وبحوث عن الشمال الشرقي في العراق ، (١٩١٩-١٩٢٥) ، ترجمة جرجيس فتح الله ، (بغداد ، ١٩٧١) .
٦. الارحيم ، فيصل محمد ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤ مطابع الجمهور ، (الموصل ، ١٩٧٥) .
٧. اسماعيل ، زبير بلال ، اربيل في ادوارها التاريخية ، دارسة تاريخية عامة لاربيل وانحائها منذ اقدم العصور حتى الحرب العالمية الاولى ، مطبعة النعمان ، (النجف ، ١٩٧٠) .
٨. ــ علماء ومدارس اربيل ، مطبعة الزهراء الحديثة ، (الموصل، ١٩٨٤) .
٩. الاعظمي ، علي ظريف مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، (بغداد ، ١٩٢٦) .
١٠. الالوسي ، علي علاء الدين ،الدرر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق جمال الدين الالوسي وعبد الجبار الجبوري ، (بغداد ، ١٩٦٧) .
١١. امين ، احمد ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، (بيروت ، د.ت) .

١٢. انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسدي واحسان عباس ، ط٦، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٨٠) .
١٣. أنيس ، محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤) ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٨١) .
١٤. ايرلاند ، فيليب ويلارد ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت ، ١٩٤٩) .
١٥. البازركان ، علي ، فصول من تاريخ التربية والتعليم ، ذكريات ووثائق ، (بغداد ، ١٩٩٢) .
١٦. البازي ، حامد ، البصرة في الفترة المظلمة، منشورات البصرة، (بغداد ، ١٣٨٩هـ).
١٧. بحري ، لؤي ، سكة حديد بغداد ، دراسة في تطوير دبلوماسية قضية سكة حديد بغداد حتى عام ١٩١٤ ، (ترجمة ، ١٩٦٧) .
١٨. بدج ، سير وليس، رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٦٨) .
١٩. البراك ، فاضل ، المدارس اليهودية والايرانية في العراق ، دراسة مقارنة ، ط٢ ، الدار العربية ، (بغداد ، ١٩٨٥) .
٢٠. بركات ، رجب ،بلدية البصرة (١٨٦٩ – ١٩٨٣) ، ج١ ، منشورات مركز الخليج العربي ، (البصرة ، ١٩٨٤) .
٢١. برو ، توفيق علي ، العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤ ، دار الهنا للطباعة ، (القاهرة ، ١٩٦٠) .
٢٢. البزاز ، عبد الرحمن ، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٠) .
٢٣. البستاني ، سليمان ، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق خالد زيادة ، (بيروت ، ١٩٧٨) .
٢٤. بطاطو ، حنا ، العراق ، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني وحتى قيام الجمهورية ، ترجمة عفيف الرزاز ، الكتاب الاول ، مؤسسة الابحاث العربية (بيروت ، ١٩٩٠) .
٢٥. البكري ، عادل ، تاريخ الكوت ، مطبعة العاني ، (بغداد ، ١٩٦٧) .

٢٦. بكنغهام ، جيمس ، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ج٢، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٦٨) .
٢٧. بك ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٧) .

٢٨. بيل ، جير وترود ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط دار الكتب، (بيروت ، ١٩٧١) .
٢٩. التميمي ، حميد احمد حمدان ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٩) .
٣٠. التميمي ، عبد المالك خلف ، التبشير في منطقة الخليج العربي ، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، مؤسسة الكميل ، (الكويت ، ١٩٨٨) .
٣١. برترام ، توماس ، مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠ ، ترجمة عبد الهادي فنجان ، مطبعة العاني ، (بغداد ، ١٩٦٨) .
٣٢. الجادرجي ، كامل ، من اوراق كامل الجادرجي ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٧١) .
٣٣. الجبوري ، حنان عيسى ، مشكلات ادارة المدرسة الثانوية في العراق ، مطبعة الارشاد(بغداد ، ١٩٧٠) .
٣٤. الجبوري ، عبد الجبار حسن ، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٥٨) .
٣٥. الجميل ، سيار كوكب ، حصار الموصل ، الصراع الاقليمي واندحار نادر شاه ، صفحة لامعة من تاريخ العراق الحديث ، بيت الموصل ، (الموصل ، ١٩٩٠) .
٣٦. ــــ تكوين العرب الحديث (١٥١٦-١٩١٦) ، ط١ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٩١) .
٣٧. جواد مصطفى واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، (بغداد ، ١٩٥٨) .
٣٨. جواد ، هاشم ، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٦).
٣٩. الجواهري ، عماد ، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٧٨) .
٤٠. حتاتة ، يوسف كمال ، (معربا) ، مذكرات مدحت باشا ، (مصر ١٩١٣) .
٤١. حسين ، علي ناصر ، تاريخ السكك الحديد في العراق (١٩١٤-١٩٤٥) ، (بغداد ، ١٩٨٦) .

٤٢. حسن ، صالح فليح ، جغرافية التعليم الابتدائي في العراق ، (بغداد ، ١٩٧٩) .
٤٣. الحصري ، ساطع ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٦٠) .

٤٤. ـــــــ حوليـــــة الثقافـــــة العربيـــــة ، مطبعـــــة لجنـــــة التـــــأليف والنشـــــر (القاهرة ، ١٩٤٩) .
٤٥. ـــــــ مـــــــذكراتي فـــــــي العـــــــراق ١٩٢١-١٩٢٧ ، ج١ ، دار الطليعـــــــة (بيروت، ١٩٦٧) .
٤٦. حكمت ، عبد الحليم ، المسح الطبي لولاية بغداد سنة ١٨٨٩ ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، (زغوان ، ١٩٩٧) .
٤٧. الحلي ، يوسف كركوش ، مختصر تاريخ الحلة ، القسم الاول ، في الحياة السياسية ، منشورات المكتبة الحيدرية ، (النجف ، ١٩٦٥) .
٤٨. حمـــادة ، ســـعيد ، النظـــام الاقتصـــادي فـــي العـــراق ، المطبعـــة الامريكانيـــة (بيروت ، ١٩٣٨) .
٤٩. الحمداني ، طارق نافع ، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ، ١٩٨٩) .
٥٠. الحياني ، جاسم ، التعليم الصناعي في العراق ماضيه وحاضره بحث مستقل من المؤتمر الهندسي العربي التاسع المنعقد في بغداد للفترة من ١٣-١٨ كانون الاول .
٥١. الخالد ، خليل ابراهيم ومهدي محمد الازدي ، تاريخ احكام الاراضي في العراق ، سلسلة دراسات (٢٢٢) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٠) .
٥٢. خان ، ميرزا حسن ، تاريخ ولاية البصرة ، دراسة في الاحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ترجمة بتصرف محمد وصفي أبو سفلى ، مركز دراسات الخليج العربي (البصرة ، ١٩٨٠) .
٥٣. خـــدوري ، مجيـــد ، اســـباب الاحـــتلال البريطـــاني للعـــراق ، مطبعـــة الشـــعب ، (الموصل، ١٩٣٣) .
٥٤. الخياط ، جعفر ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، (بيروت ، ١٩٧١) .
٥٥. الـــداؤد ، محمـــود علـــي ، محاضـــرات عـــن الخلـــيج العربـــي والعلاقـــات الدوليـــة ، (١٨٩٠-١٩١٤) ، جامعة الدول العربية (القاهرة ، ١٩٦٠) .
٥٦. الدجيلي ، حسن ، تقدم التعليم العالي ، دراسة قائمة على الوثائق والمستندات ، مطبعة الرشاد ، (بغداد ، ١٩٦٣) .
٥٧. الدملوجي ، صديق ، مدحت باشا ، مطبعة الزمان ، (بغداد ، ١٩٥٣) .
٥٨. الدوري ، حسين ، الادارة العامة في العراق ، (بغداد ، ١٩٧٩) .
٥٩. ديولافوا ، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة العراق سنة ١٨٨١ ، ترجمة علي البصري ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٥٨) .

٦٠. الديوه جي ، سعيد ، تاريخ الموصل ، ج٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ٢٠٠١) .
٦١. ـ بحث في تراث الموصل "دراسة في المصادر التاريخية لتراث وخطط مدينة الموصل" ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٨٢) .
٦٢. الرحال ، حسين ، وعبد المجيد كمونة ، الادارة المركزية والادارة المحلية في العراق (بغداد ، ١٩٥٣) .
٦٣. رؤوف ، عماد عبد السلام ، تاريخ مياه الشرب القديمة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ٢٠٠٢) .
٦٤. ـــ الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ/١٧٢٦-١٨٣١ ، مطبعة الاداب ، (النجف ، ١٩٧٥) .
٦٥. الزبيدي ، فخري ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٧ ، ج١ ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٩٠) .
٦٦. زكي ، محمد امين ، تاريخ السليمانية وانحائها ، نقله إلى العربية محمد جميل بندي الروزبياني ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ، (بغداد ، ١٩٥١) .
٦٧. زمرة من المدرسين ، سر تأخر المعارف العراقية ، ج١ ، مطبعة المعارف العراقية ، (بغداد ، ١٩٤٢) .
٦٨. سركيس يعقوب ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد ، ج٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، (بغداد ، ١٩٥٥) .
٦٩. سرية ، صالح عبد الله ، تطور التعليم الصناعي في العراق ، مطبعة دار الجاحظ (بغداد ، ١٩٦٩) .
٧٠. سعد ، نهاد صبيح ، الفكر التربوي عند ساطع الحصري تحليله وتقويمه ، مطبعة دار الكتب الكتب ، (جامعة البصرة ، ١٩٧٩) .
٧١. السهروردي ، محمد صالح ، لب الالباب ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٣٣) .
٧٢. سوسة ، احمد ، تطور الري في العراق ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٦) .
٧٣. ـــ فيضانات بغداد في التاريخ ، القسم الثاني ، مطبعة الاديب ، (بغداد ، ١٩٦٥) .
٧٤. ـــ وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، ١٩٤٤) .
٧٥. ـــ وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ج٢ ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٥) .

٧٦. ـــ ومصطفى جواد ، دليل خارطة بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، (بغداد، ١٩٥٨) .
٧٧. سيوفي ، نيقولا ، مجموعة الكتابات المحررة في مدينة الموصل عني بتحقيقها ونشرها سعيد الديوه جي ، مطبعة شفيق ، (بغداد ، ١٩٥٦) .
٧٨. الشابندر ، معمر ، وهاشم الوتري ، تاريخ الطب في العراق ، (بغداد ، ١٩٣٩) .
٧٩. شوكت ، ناجي ، سيرة ذكريات ثمانين عام ١٨٩٤-١٩١٤ ، (بغداد ، ١٩٩٠) .
٨٠. الشيخلي ، محمد رؤوف طه ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها ، ج١ ، مطبعة البصرة ، (البصرة، ١٩٧٢) .
٨١. ـــ المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠هـ إلى سنة ١٣٦٠هـ ، (البصرة ، ١٩٧٧) .
٨٢. الشيخ داود ، صبيحة ، اول الطريق الى النهضة النسوية ، ط١ ، مطابع الرابط ، (بغداد ، ١٩٥٨) .
٨٣. صالح ، زكي ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ ، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري ، مطبعة العاني (بغداد ، ١٩٦٨) .
٨٤. الصائغ ، سليمان ، تاريخ الموصل ، ج١ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٩٢٣) .
٨٥. الصوفي ، احمد علي ، تاريخ بلدية الموصل ، ج١ ، مطبعة الجمهور ، (الموصل ، ١٩٧٠) .
٨٦. ــ تاريخ المحاكم والنظم الادارية في الموصل ، (الموصل ، ١٩٤٩) .
٨٧. ــ خطط الموصل ، ج١ ، (الموصل ، ١٩٥٣) .
٨٨. العباسي ، محفوظ ، امارة بهدينان العباسية ، ج١ ، (الموصل ، ١٩٦٩) .
٨٩. عبد الحسين ، محمد ، المعارف في العراق على عهد الاحتلال البريطاني ، المكتبة العصرية ، (بغداد ، ١٩٢٢) .
٩٠. العبيدي ، غانم سعيد ، التعليم الاهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية ، تطوره ومشكلاته ، مطبعة الادارة المحلية (بغداد ، ١٩٧٠) .
٩١. عز الدين ، يوسف ، الشعر العراقي واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٥٦) .
٩٢. ـــ الشعر العراقي اهداف وخصائصه في القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٧٧) .
٩٣. ــ داؤد باشا ونهاية المماليك ، دار البصري (بغداد ، ١٩٦٧) .

٩٤. العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، (بغداد ، ١٩٣٦) .
٩٥. ــ تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، (بغداد ، ١٩٥٤) .
٩٦. ــ تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٧ ، (بغداد ، ١٩٥٥) .
٩٧. ــ تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٨ ، (بغداد ، ١٩٥٦) .
٩٨. العطية ، غسان ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١ ، تقديم حسين جميل ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، مطبعة دار السلام (لندن ، ١٩٨٨) .
٩٩. عقراوي ، متي ، العراق الحديث ، مطبعة العهد ، (بغداد ، ١٩٣٦) .
١٠٠. العلاف ، عبد الكريم ، بغداد القديمة ، ط٢ ، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ، ١٩٩٩) .
١٠١. العلوجي ، عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٦٧) .
١٠٢. علي ، علي شاكر ، تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٧٥٠) ، دارسة في أحوال السياسة ، مكتبة ٣٠ تموز ، (الموصل ، ١٩٨٥) .
١٠٣. العمر ، فاروق صالح ، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، دراسة وثائقية ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٧) .
١٠٤. عمر وميض جمال ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ١٩٨٤) .
١٠٥. العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، مطبعة المعرفة ، (بغداد ، ١٩٥٤) .
١٠٦. العمري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، (بغداد ، ١٩٢٥) .
١٠٧. عوض ، عبد العزيز محمد ، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤ مطبعة المعارف ، (القاهرة ، ١٩٦٩) .
١٠٨. عيساوي ، شارل ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ، (١٨٠٠-١٩١٤) ، ترجمة رؤوف عباس حامد ، (بيروت ، ١٩٩٠) .
١٠٩. غرايبة ، عبد الكريم ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠-١٩١٨) ، ط١ ، (دمشق ، ١٩٦٠) .
١١٠. الغلامي ، عبد المنعم ، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨-١٩٢٥ ، ج١ ، (بغداد، ١٩٥٨) .
١١١. غنيمة ، حارث يوسف ، البروتستانت والانجليون في العراق ، مطبعة الناشر المكتبي، (بغداد ، ١٩٩٨) .

١١٢.غنيمة ، يوسف رزق الله ، تجارة العراق قديماً وحديثاً ، ط١ ، مطبعة العراق ، (بغداد ، ١٩٢٢) .
١١٣. فائق ، سليمان ، تاريخ بغداد ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ، مطبعة المعارف، (بغداد ، ١٩٦٢) .
١١٤. فوستر ، هنري ، تكوين العراق الحديث ، ترجمة عبد المسيح جويدة ، ج١ ، مطبعة السريان ، (بغداد ، ١٩٨٦) .
١١٥. ـــ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، (بغداد ، ١٩٨٩).
١١٦. فوصيل ، بيير دي فوصيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤ ، ترجمة اكرم فاضل ، (بغداد ، ١٩٦٨) .
١١٧. الفياض ، عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، مطبعة دار الارشاد ، (بغداد ، ١٩٦٣) .
١١٨. فيضي ، سليمان ، البصرة العظمى ، عني بنشره عبد الحميد فيضي ، مطابع دار التضامن ، (بغداد ، ١٩٦٥) .
١١٩. ـــ مذكرات سليمان فيضي ، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي ، دار الساقي (بيروت ، ١٩٩٨) .
١٢٠. القسام ، علي ، السفر المطيب في تاريخ مدينة المسيب ، مطبعة الاداب ، (النجف ، ١٩٧٤) .
١٢١. القصاب ، عبد العزيز ، من ذكرياتي ، دار عويدان ، (بيروت ، ١٩٦٢) .
١٢٢. القهواتي ، حسين محمد ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي (١٨٦٩-١٩١٤) مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٨٠) .
١٢٣. الكركوكلي ، رسول حاوي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة كرم ، (بيروت ، د.ت) .
١٢٤. الكرملي ، الاب انستاس ماري ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا ، (البصرة ، ١٩١٩) .
١٢٥. كوتولوف ، ك.ن ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة عبد الواحد، كرم ، مكتبة اليقظة العربية ، (بغداد ، ١٩٨٥) .
١٢٦. كوك ، ريجارد بغداد مدينة السلام ، نقله إلى العربية د.مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ج١ ، ط١ ، مطبعة شفيق ، (بغداد ، ١٩٦٧) .
١٢٧. لانكلي ، كاثلين إم ، تصنيع العراق ، ترجمة محمد حامد الطائي و د.خطاب صكار العاني ، مكتبة دار المتنبي ، (بغداد ، ١٩٦٣) .

١٢٨. لونكريك ، ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط١ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، (بغداد ، ١٩٨٥) .
١٢٩. ـــــ العراق الحديث من ١٩٠٠-١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ج١ ، (بغداد ، ١٩٨٩) .
١٣٠. لويد ، سيتين ، الرافدان ، موجز تاريخ العراق منذ اقدم العصور حتى الان نقله إلى العربية طه باقر وبشير فرنسيس ، (بغداد ، ١٩٤٣) .
١٣١. آل محبوبة ، جعفر باقر ، ماضي النجف ، ج١ ، ط٢ ، (مطبعة الاداب) ، (النجف ، ١٩٥٨) .
١٣٢. مزعل ، جمال اسد ، نظام التعليم في العراق ، (الموصل ، ١٩٨٩) .
١٣٣. مشتاق ، طالب ، اوراق ايامي ، ط٢ ، (بغداد ، ١٩٨٩) .
١٣٤. منتشا شفيلي ، البرت م ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، ١٩٧٨) .
١٣٥. المنشئ البغدادي ، احمد بن السيد احمد الحسيني ، رحلة المنشئ البغدادي ، نقلها إلى العربية عن الفارسية عباس العزاوي ، (بغداد ، ١٩٤٨) .
١٣٦. المهداوي ، علي هادي عباس ، الحلة في العهد العثماني المتأخر ، ١٨٦٩-١٩١٤ ، دراسة في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ج١ ، منشورات بيت الحكمة ، (بغداد ، ٢٠٠٢) .
١٣٧. ميجر سون ، غلام حسين الشيرازي ، رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ج٢ من السليمانية إلى بغداد ترجمة فؤاد جميل ، ط١ ، مطابع الجمهورية، (بغداد ، ١٩٧١) .
١٣٨. النبهاني ، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى ، البصرة ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، (البصرة ، ١٩٨٠) .

١٣٩. النجار ، جميل موسى ، التعليم في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩-١٩١٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ٢٠٠١) .
١٤٠. ـــ الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد ، ٢٠٠١) .
١٤١. نديم ، شكري محمود ، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ ، ط٣ ، شركة النبراس للنشر والتوزيع ، (بغداد ، ١٩٥٤) .
١٤٢. نوار ، عبد العزيز سليمان ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٨) .

١٤٣. ـــ تاريخ العرب المعاصر (مصر والعراق) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٧٣) .
١٤٤. ـــ داؤد باشا إلى بغداد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٨) .
١٤٥. ـــ عوامل فعالة في الاتجاهات الفكرية والسياسية في العراق الحديث واثره في تكوين الزعامة ١٨٧٢-١٩٠٩ ، (القاهرة ، ١٩٧٤) .
١٤٦. ـــ المصالح البريطانية في انها العراق ١٦٠٠-١٩١٤ ، (القاهرة ، ١٩٧٣) .
١٤٧. نورس ، علاء موسى كاظم ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١ ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، منشورات وزارة الاعلام ، (بغداد ، ١٩٧٥) .
١٤٨. ـــ العراق في العهد العثماني ١٧٠٠-١٨٠٠م ، (بغداد ، ١٩٧٩) .
١٤٩. ينبور ، كارستن ، رحلة ينبور في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمد حسين الامين ، (بغداد ، ١٩٧٥) .
١٥٠. الهاشمي ، طه ، مفصل جغرافية العراق ، ج١، مطبعة دار السلام، (بغداد ، ١٩٣٠).
١٥١. هاكوبيان ، موسيس دير ، حالة العراق الصحية في نصف قرن ، ط١ ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ، ١٩٨١) .
١٥٢. هرشلاغ ، ز ، ي ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، (بيروت ، ١٩٧٣) .
١٥٣. الهلالي ، عبد الرزاق ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧ ، ط١ ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، (بغداد ، ١٩٥٩) .
١٥٤. ـــ تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٧٥) .
١٥٥. ـــ معجم العراق ، ج١ ، مطبعة النجاح (بغداد ،١٩٥٣) .
١٥٦. الوائلي ، ابراهيم ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ط٢ ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٧٨) .
١٥٧. الواعظ ، مصطفى نور الدين ، الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر ، مطبعة الاتحاد ، (الموصل ، ١٩٤٨) .
١٥٨. الوتري ، هاشم ومعمر الشابندر ، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، ١٩٣٨) .
١٥٩. وداعة ، ناجي ، لمحات من تاريخ النجف ، مطبعة الحضارة ، (النجف ، ١٩٧٣) .

١٦٠. الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٣ ، مطبعة الشعب ، (بغداد ، ١٩٧٢) .
١٦١. ويكرام ، دبليو واديكارتي ويكرام ، مهد البشرية أو الحياة في شرق كردستان ، ترجمة جرجيس فتح الله ، (بغداد ، ١٩٧١) .
١٦٢. ويلسون ، سير ارنولد تي ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة فؤاد جميل ، ج١ ، ط١ ، مطابع دار الجمهورية ، (بغداد ، ١٩٦٩) .
١٦٣. ــ ، ـــ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٩٢) .
١٦٤. ــ ، ـــ، ج٣ ، (بغداد ، ١٩٩٢) .
١٦٥. ويلكوكس ، وليم ، تقرير عن ري العراق مقدمة عن مستقبل العراق ، ج١ ، مطبعة الحكومة (بغداد ، ١٩٣٧) .
١٦٦. ـــ من جنة عدن إلى عبور نهر الاردن ، تعريب محمد الهاشمي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٥٥) .
١٦٧. وليمسون ، جون فريدريك ، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي (١٨٠٠-١٩٥٨) ، ط١ ، ترجمة مير بصري ، (لندن ، ١٩٩٩) .
١٦٨. آل ياسين ، محمد حسن ، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مطبعة المعارف، (بغداد ، ١٩٧٠) .

سابعاً : الكتب الاجنبية :

١. الانكليزية :

1. Barny, F. Jand Mason, The History of the Arabian Mission. 1962.
2. Blunt, Ann, Bedounin Tribes of the Euphrates, Vol. 1,2 (London, 1968).
3. Candler, Edmund, the long road to Baghdad cassland company (London, 1919).
4. Davison, Roderic H, Reform in the Ottoman Empire 1856-1976 Princeton University press, (New Jersey, 1963).
5. Geary, Grattan, Through Asiatis Turkey Vol. 1,2 (London, 1878).
6. Geere H. valentine, by Nile and Euphrates, (London, 1904).
7. Guest, John S, The Yezidiz A study in survival (London, 1987).
8. Issawi, Charles, The Economic History of the Middle East 1800-1914, Editel and with introduction the university of Chicago press, 1960 .
9. Layard, Austen H., Discoveries in the ruins of Niniveh and Brenard, (London, 1853).
10. Lewis, Brenard, The Emergence of Modern Turkey, Oxford University Press, (London, 1961).
11. Macarthy, Justin, The Arab world Turkey and Balkans (1878-1914), (Boston-1982).
12. Shaw, Stand ford and Ezel kural shaw, History of the Ottoman Empire, and Modern Turkey, Vol. 2 (Cambridge, 1976).
13. Sluglett, Peter, Britain in Iraq (1914-1932), (London, 1976).

ب. الكتب الفرنسية :

1. Duval, V.P, La'mimssion Des Dominicanis a Mossoul, (cponis, 1898).
2. Chiha, Habib K., La'province de Baghdad, Son pass, Son present Imp. El – Maaref, (Leciore, 1908).

3. Cuinet, vital La Turquie d’ Asie, Tom Troisieme, Ernest, Leroux Editeur, (Paris, 1894).

ثامناً: الرسائل والاطاريح الجامعية :

- العربية :

١. احمد ، ابراهيم خليل ، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٥) .

٢. الجابري ، متعب خلف ، تاريخ التطور الصحي في العراق للمدة من عام ١٩١٤-١٩٣٢ رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٨٩) .

٣. الجابري ، محمد هليل ، الحركة القومية في العراق ١٩٠٨-١٩١٤ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٠) .

٤. الجبوري ، تاريخ القضاء في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية (ابن رشد) ، (جامعة بغداد ، ٢٠٠٠) .

٥. الجراح ، صباح حسين اعقاب ، املاك السنية في العراق ١٨٧٦-١٩٠٩ ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٠) .

٦. الحاج سعيد ، ميساء ، محمد رؤوف الغلامي ، ١٨٩٠-١٩٦٨ ، دراسة تاريخية في نشاطه العلمي والسياسي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٩) .

٧. الحاج علاوي ، نسيبة عبد العزيز عبد الله ، الادارة العثمانية في الموصل (١٨٧٩-١٩٨٠) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٢) .

٨. الحديثي ، حسان ناجي ، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ رسالة ماجستير كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٤) .

٩. حسن ، جاسم محمد ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٧٥) .

١٠. حسين ، علي ناصر ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩١) .

١١. حسين ، محمد توفيق ، التوجيهات القومية في صحافة العراق اواخر الاحتلال العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، (الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨) .

١٢. الدليمي ، فواز ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) .

١٣. الدليمي ، صالح خضر محمد ، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤ ، دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، (الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦) .

١٤. ذويب منتهى عذاب ، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) .
١٥. الرويعي ، حيدر عبد عيسى ، الاباء الدومنيكان في الموصل دراسة في نشاطاتهم الطبية والثقافية والاجتماعية ١٧٥٠-١٩٧٤ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) .
١٦. الزبيدي ، كاظم محمد كاطع ، العمارة الخدمية في الموصل في العصر العثماني ، الخانات والحمامات ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) .
١٧. السامرائي ، وليد غفوري معروف ، سكك حديد العراق ودروها في التنمية الوطنية والقومية ، دراسة في جغرافية النقل ، رسالة ماجستير ، كلية التربية (جامعة بغداد ، ١٩٨٩) .
١٨. السعدون ، عبد الحكيم عجيل ، البصرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، دراسة في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، رسالة ماجستير (جامعة البصرة، ١٩٨٩) .
١٩. سلمان ، علي حمزة تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١-١٩٤٥ ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٠) .
٢٠. سلمان ، محمد عصفور ، العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .
٢١. السوداني ، هشام سوادي هاشم ، المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) .
٢٢. شير ، سعاد رؤوف ، التغلغل الامريكي في العراق (١٩٢١-١٩٣٩) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) .
٢٣. شكري ، ياسين شهاب ، ولاية بغداد ١٨٧٢-١٩٠٩ دراسة في اوضاعها الادارية والاقتصادية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٤) .
٢٤. الطائي ، ذنون يونس ، الاتجاهات الاصلاحية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل، ١٩٩٠).
٢٥. ـــ الاوضاع الادارية في الموصل ١٩٢١-١٩٥٨ ، اطروحة دكتواره، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٨) .
٢٦. الطيف ، بشير ابراهيم ، خدمات البريد في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، قسم الجغرافية ، (جامعة بغداد ، ١٩٩١) .

٢٧. العاني ، عبد المجيد عبد الحميد ، السياسة البريطانية تجاه الكويت ١٨٦٩-١٩١٥ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٤) .
٢٨. عباس ، باسم حمزة ، تاريخ التربية والتعليم في البصرة ١٩٢١-١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٩٢) .
٢٩. عباس ، بدر مصطفى ، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ١٨٦٩/١٢٨٦-١٩٠٩/١٣٢٧ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) .
٣٠. عبد القادر ، عصمت برهان الدين ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني (١٩٠٨-١٩١٤) ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .
٣١. العبيدي ، شذى فيصل رشو ، الادارة العثمانية في الموصل في عهد الاتحاديين (١٩٠٨-١٩١٨) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) .
٣٢. العبيدي ، محمد عبد الرحمن يونس ، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الاسلامية (١٨٧٦-١٩٠٩) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) .
٣٣. العجيلي ، محمد صالح ربيع ، الخدمات الصحية لمدينة بغداد ، دراسة في جغرافية المدن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) .
٣٤. العزي ، هيثم مصطفى علوان ، ادارة بحرية العمان العثماني من خلال جريدة الزوراء ١٩٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، (معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ١٩٩٥) .
٣٥. علي ، علي شاكر ، ولاية الموصل في القرن السادس عشر دراسة في اوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية ، اطروحة دكتوراه ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٢) .
٣٦. علي ، سجى قحطان محمد ، الادارة العثمانية في الموصل ، ١٨٣٤-١٨٧٩ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٢) .
٣٧. علي ، غانم محمد ، النظام المالي العثماني في العراق ، ١٨٣٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .
٣٨. غالب ، سعدي علي ، جغرافية النقل البري في العراق ، اطروحة دكتوراه ، ج١ ، كلية الآداب ، (القاهرة ، ١٩٧٨) .
٣٩. الغريباوي ، فاطمة شمخي ، الحركة الفكرية في بغداد ١٨٦٩-١٩١٤ رسالة ماجستير، كلية الاداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) .
٤٠. القيسي ، جاسم محمد هادي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١-١٨٦٩، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٠)
٤١. محمود ، محمد احمد ، احوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٠) .

٤٢. مراد ، خليل علي ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٠٤٨-١١٦٤ هـ) ، (١٦٣٨-١٧٥٠م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٥) .
٤٣. المعموري ، يحيى كاظم ، تطور الري في العراق واثاره الاقتصادية والاجتماعية ١٩٣٣-١٩٥٠ ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) .
٤٤. المنصور ، جعفر عبد الدائم ، الحالة الصحية في البصرة ١٩٢١-١٩٣٩ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٩٨) .
٤٥. مهدي ، سؤدد كاظم ، ارنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٥) .
٤٦. موسى ، سلامة حسين ، التبشير في العراق وسائله واهدافه ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٥) .
٤٧. النحاس ، زهير علي احمد ، تاريخ النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٩٥).
٤٨. نديم شكري محمود ، احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية ١٩٠٨-١٩١٨ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٥) .
٤٩. النصيري ، عبد الرزاق احمد ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق، اطروحة دكتوراه ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٠) .
٥٠. الوائلي ، عبد ربه سكران ابراهيم ، الامارة البابانية الكردية ١٧٨٤-١٨٥١ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة القاهرة ، ١٩٧٩) .
٥١. ويسين ، ناهدة حسين علي ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير (١٨٣١-١٩١٧)، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية (ابن رشد) ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٩) .
٥٢. ياسين ، نمير طه ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ، (جامعة المستنصرية ، ١٩٨٤) .
٥٣. اليوسف ، خلود عبد اللطيف ، البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة البصرة ، ١٩٩٢) .

- باللغة الانكليزية :

1. S. Haider, Land Problems of Iraq, PH.D thesis, University of (London, 1942).
2. H.J Borgman, The Reformed Church in Americ's Mission in Iraq 1890 to 1950 (with special emphass on the work of John van Ess), University of puget sound, 1963.

تاسعاً: البحوث والمقالات المنشورة :

١. الاثري ، محمد بهجت ، "محمد بهجت الاثري يحدد ملامح بغداد اواخر حكم العثمانيين" ، مجلة امانة العاصمة ، العدد (١٦٦) ، ١٩٧٨ .

٢. احمد ابراهيم خليل ، "التشكيلات الادارية والعسكرية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني" ، مجلة بين النهرين العدد (٣٧-٣٨) ، ١٩٨٢ .

٣. ـــ "الموصل والانتخابات العثمانية" ، مجلة بين النهرين العدد (٤٨) ، ١٩٨٢ .

٤. ـــ "اوراق تاريخية موصلية" ، المجلس البلدي في الموصل ، جريدة الحدباء ، العدد (١٨٧) في كانون الثاني ١٩٨٥ .

٥. ـــ "اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩-١٩١٤" ، مجلة التربية والعلم ، العدد (٣) شباط ، ١٩٨١ .

٦. ـــ "جريدة الزوراء البغدادية مصدراً لتاريخ العراق الحديث ١٨٦٩-١٩١٤" ، في مجموعة باحثين ، ندوة بغداد في التاريخ ، ايار ، ١٩٩٠ .

٧. ـــ "حركة التربية او التعليم والنشر" ، حضارة العراق ، الجزء(١١) ، (بغداد، ١٩٨٥) .

٨. ـــ "مدرسة صنائع الموصل" ، جريدة الحدباء ، العدد ٢٢٢ في ١٣ أيلول ١٩٨٥ .

٩. ـــ "النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق (١٢٥٨-١٩٢٠)" ، مجلة اداب الرافدين ، العدد (١٦) ، ١٩٨٦ .

١٠. اوزباي ، كمال ، "الطبابة العسكرية في العراق في اواخر الدولة العثمانية" ، ترجمة محمود الحاج قاسم ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد (٢٢) أيلول ، ٢٠٠٠ .

١١. البازركان ، حسان علي ، "المدرسة الالمانية في بغداد" ، مجلة بغداد ، العدد (٣٠) مايس، ١٩٦٧ .

١٢. بن عارف ، شرف الدين، "احوال البصرة في اواخر القرن التاسع عشر" ، ترجمة حسين الداقوي ، مجلة الاخاء، العدد (الثالث) ، ١٩٦٨ .

١٣. بيات ، فاضل مهدي ، "التعليم في العراق في العهد العثماني" ، دراسة تاريخية ، في ضوء السالنامات العثمانية ، القسم الاول ، مجلة المورد ، المجلد (٢٢) ، العدد (١) ، ١٩٩٤ .

١٤. ـــ "التعليم في العراق في العهد العثماني" ، دراسة تاريخية ، في ضوء السالنامات العثمانية ، القسم الثاني ، مجلة المورد ، المجلد (٢٢) ، ١٩٩٤ .

١٥. الجميلي ، صادق ، "حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية" ، مجلة امانة العاصمة ، العدد (١٩) ، ١٩٧٩ .

١٦. الجواهري ، عماد ، "الاوضاع الاقتصادية في العراق في عهد الاحتلال البريطاني" ، في المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، منشورات بيت الحكمة ، (بغداد ، ٢٠٠٢) .
١٧. حسين ، علي ناصر ، "الادارة البريطانية في العراق (١٩١٤-١٩١٨) في المفصل في تاريخ العراق المعاصر" ، مجموعة باحثين ، منشورات بيت الحكمة ، (بغداد ، ٢٠٠٢).
١٨. حداد ، بطرس ، (مترجم) ، "رحلة كيوم لجان إلى العراق سنة ١٨٦٦" ، مجلة المورد، المجلد ١٢ ، العدد (٣) ، ١٩٨٣ .
١٩. حمدان ، حميد احمد ، "نظرة على واقع الخدمات العامة في البصرة خلال فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١" ، مجلة الخليج العربي العدد (٦) ، ١٩٧٦ .
٢٠. الحمداني ، سالم ، "التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر" ، مجلة اداب الرافدين العدد (١٠) ، اذار ، ١٩٧٩ .
٢١. الحمداني ، طارق نافع ، "بعض جوانب الحياة في مدينة بغداد ومصادرها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر" ، في ندوة بغداد في التاريخ ، ايار ، ١٩٩٠ .
٢٢. حيدر ، صالح ، "التطور الاقتصادي في العراق" ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزءان (٩-١٠) ، تشرين الثاني ، كانون الاول ١٩٥٤ .
٢٣. الدجيلي ، كاظم ، "انواع السفن في العراق" ، مجلة لغة العرب ، الجزء(٣) ، أيلول ، ١٩١٢.
٢٤. الدفتري ، محمود صبحي ، "شاهد من القرن (١٩) يتذكر حوادث بغداد" ، مجلة امانة بغداد ، العدد (١٨) ، ١٩٧٨ .
٢٥. الديوه جي ، سعيد ، "جسر الموصل في مختلف العصور" ، مستل من مجلة سومر ، المجلد (١٢) ، مطبعة الرابطة (بغداد ، ١٩٥٦) .
٢٦. ــ "السقا في الموصل" ، مجلة التراث الشعبي ، المجلد الاول ، الجزء(٣)، تشرين الثاني ، ١٩٦٩ .
٢٧. ذنون ، يوسف ، "اضواء على رواد الاثار والتراث في الموصل (١٨٩٣-١٩٨١)" ، مجلة الجامعة ، العدد (٦) ، اذار ، ١٩٨٢ .
٢٨. رجب ، هناء ، "التعليم في العراق بين الماضي والحاضر" ، مجلة المعلم الجديد ، ج٣، م (٤٣) ، تشرين الاول ١٩٨٦ .
٢٩. رؤوف ، عماد عبد السلام ، "تاريخ مياه الشرب القديمة" ، مجلة المورد ، المجلد (٨) ، العدد (٣،٤) ، بغداد ، ١٩٧٨ .
٣٠. "ري العراق وقناطر الهندية" ، مجلة المقتطف ، المجلد (٤٤) ، الجزء(٣) ، نيسان ، ١٩١٤ .

٣١. الزبيدي ، محمد حسن ، "التربية والتعليم" ، حضارة العراق ، الجزء(١٢) ، (بغداد ، ١٩٨٥).
٣٢. زيدان ، عبد المجيد ، "معارفنا في عهد الاحتلال" ، جريدة الثورة ، العدد (٣٨٩) ، في ٨ شباط ١٩٦٠ .
٣٣. السامرائي ، ضياء محمد جاسم ، "الطلبة والمدرسون في بغداد ايام وزارة داؤد باشا" ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الجزء(٢) ، (بغداد ، ١٩٨٨) .
٣٤. سركيس ، يعقوب ، "الملاحة التجارية في العراق" ، مجلة التجارة ، الجزءان (٢،٣) ، شباط .
٣٥. سيرايت ، سارا ، "رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر" ، ترجمة فؤاد قزانجي ، مجلة المورد ، المجلد (١) ، العدد (٤) ، سنة ١٩٨٩ .
٣٦. سركيس ، يعقوب ، "ولاة بغداد من سنة ١٣٣٢هـ إلى الاحتلال البريطاني" ، مجلة المجمع العلمي ، المجلد (٤) ، الجزء (١) ، ١٩٥٦ .
٣٧. "سفرة إلى كربلاء والحلة ونواحيهما" ، مجلة لغة العرب ، المجلد (١) ، الجزء (٤) ، تشرين الاول ، ١٩١١ .
٣٨. العامر ، يقظان سعدون ، "البصرة في العهد العثماني الاخير" ، موسوعة البصرة الحضارية ، الموسوعة التاريخية ، (جامعة البصرة ، ١٩٨٩) .
٣٩. عبد الحسين ، فلاح ، مصطفى عباس جعفر ، "طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث" ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد (٥٨) ، ابريل ، ١٩٨٩ .
٤٠. عبد الله ، ياسين عبد الكريم ، "المؤسسة العسكرية في العهد العثماني" ، تاريخ القوات المسلحة ، الجزء(١) ، ط١ ، وزارة الدفاع ، (بغداد ، ١٩٨٦) .
٤١. العدول ، جاسم محمد حسن ، "تاريخ اول مدرسة صناعية في بغداد" ، في ندوة بغداد في التاريخ ، أيار ، ١٩٩٠ .
٤٢. ـــ "شركة تتراموای بغداد – الكاظمية" ، مجلة التربية والعلم، العدد (١٧) ، ١٩٩٥ .
٤٣. ـــ "الموصل في العهد الحميدي" (١٢٩٣–١٣٢٧هـ) (١٨٧٦–١٩٠٩) موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد (٤) ، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٤٤. العلاف ، ابراهيم خليل ، "الخدمات البرقية والبريدية في العراق ابان العهد العثماني" ، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية العدد (٢١) ، أيلول ، ٢٠٠٠ .
٤٥. ـــ "سبيلخانة الموصل ومجانية مياه الشرب" ، جريدة الثورة ، العدد ١٠٣١٩ ، في ١٣ تموز ٢٠٠١ .

٤٦. علي ، شاكر علي ونمير طه ياسين ، "الفريق عمر وهبي قائد القوة الاصلاحية في ولاية الموصل ١٨٩٢-١٨٩٣" ، مجلة التربية والعلم ، العدد (١١) ، ١٩٩٨ .
٤٧. ـــ "الموصل وحركة التنظيمات العثمانية (١٢٥٥-١٢٩٣هـ) (١٨٣٩-١٨٧٦م)" ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد الرابع ، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٤٨. العمر ، جهاد صالح ، "البصرة بين الحربين العالميتين (١٩١٨-١٩٣٩)" ، موسوعة البصرة الحضارية ، الموسوعة التاريخية (البصرة ، ١٩٨٩) .
٤٩. غالب ، سعدي علي ، "الخدمات العامة" ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد (٥) ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٥٠. الغلامي ، عبد المنعم ، "الموصل خلال الحرب العالمية الاولى" ، مجلة المعرفة ، العدد (٥٠) ، شباط ١٩٦٣ .
٥١. "فوائد الفنر والفرن" ، مجلة لغة العرب ، المجلد الاول ، الجزء (٧) ، كانون الثاني ١٩١١.
٥٢. فوك ، وليم بيري ، "احوال بغداد في القرن التاسع عشر" ، ترجمة عبود الشالجي ، مجلة سومر ، الجزءان (١،٢) ، المجلد (١٦) ، (بغداد ، ١٩٦٠) .
٥٣. قاشا ، سهيل ، "الكلك في مذكرات الرحالة الاجانب" ، مجلة التراث الشعبي ، العدد (٢) ، السنة (١١) ، (بغداد ، ١٩٨٠) .
٥٤. القصيري ، اعتماد يوسف ، "المدرسة الرشدية العسكرية والاعدادية العسكرية" ، مجلة سومر ، المجلد (٤٧) ، ١٩٩٥ .
٥٥. القيسي ، عبد الوهاب ، "حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد (٣٤) ، كانون ، ١٩٦١ .
٥٦. كاظم ، عبد المنعم ، "تاسيس بلدية بغداد وتطورها إلى امانة العاصمة" ، مجلة امانة العاصمة العدد (١٥) ، اذار ، ١٩٧٨ .
٥٧. كلدان ، محمد ، "تأسيس المدارس النظامية في كركوك" ، مجلة الثقافة الجديدة ، كركوك، العدد (٢) ، حزيران ، ١٩٥٤ .
٥٨. م. مندوب لغة العرب ، "مشارفة سد الهندية" ، مجلة لغة العرب ، الجزء (٢) ، اب ١٩١٢ .
٥٩. "منافع بيع البواخر" ، مجلة لغة العرب ، المجلد (٣) ، الجزء(١٢) ، حزيران ، ١٩١٤.
٦٠. مراد ، خليل علي ، "اوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى" ، ندوة التعليم في الموصل والتي نظمها مركز دراسات الموصل بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٩٨ .

٦١. ــ "تجارة الموصل" ، موسوعة الحضارية ، المجلد (٤) ، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٦٢. ــ "النظام المالي" ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد الرابع ، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٦٣. نديم شكري ، "سير عمليات الاحتلال عسكرياً احوال العراق في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٩ في الموصل في تاريخ العراق المعاصر" ، منشورات بيت الحكمة (بغداد ، ٢٠٠١) .
٦٤. نورس ، علاء موسى كاظم ، "بغداد في رحلات الاجانب في العهد العثماني" ، مجلة المورد ، المجلد (٥) العدد (٣) ، ١٩٧٦ .
٦٥. الهاشمي ، "محمد رحلة متتكر من دمشق إلى بغداد سنة ١٩٢١" ، مجلة المقتطف ، ج٢، ١٩٢١ .
٦٦. ويلكوكس ، ويليم ، "اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة" ، مجلة المقتطف، ج٥ ، المجلد ٢٨ ، مايس ١٩٠٣ .
٦٧. ياسر ، عباس ، "صفحات مطوية من تاريخ المراة في العراق" ، مجلة بين النهرين ، السنة الثالثة ، العدد الخامس (الموصل ، ١٩٧٧) .
٦٨. ياسين ، نمير طه ، "بدايات حركة التحديث" ، موسوعة الموصل الحضارية المجلد الرابع، (الموصل ، ١٩٩٢) .
٦٩. اليونان ، يونان عبو ، "حرية التصويت في انتخابات المجلس البلدي" ، جريدة (الموصل)، العدد (٤٥٧) في كانون الاول ١٩٢١ .

عاشراً : الدوريات

أ. المجلات

١. الاخاء
٢. اداب الرافدين
٣. امانة العاصمة
٤. بين النهرين
٥. بغداد
٦. الجامعة
٧. الثقافة الجديدة
٨. المجلة التاريخية للدراسات العثمانية
٩. التجارة
١٠. التراث الشعبي
١١. التربية والعلم
١٢. دراسات الخليج والجزيرة العربية
١٣. سومر
١٤. غرفة تجارة بغداد
١٥. كلية الآداب
١٦. لغة العرب
١٧. المعرفة
١٨. معهد المخطوطات العربية
١٩. المقتطف
٢٠. المورد
٢١. النبراس

ب. الصحف

١. الاوقات البصرية
٢. الثورة
٣. الحدباء

٤. الرقيب
٥. صدى بابل
٦. العرب
٧. الموصل
٨. النجاح

حادي عشر : الموسوعات

The Encyclopedias of Islam, Vol. (2), (London : 1965).

ثاني عشر : القواميس

١. سامي ، شمس الدين ، قاموس الاعلام ، تاريخ وجغرافيا لغاتني وتعبير اصلحه كافة اسماء خاصة بي جامعدر ، (استانبول ، ١٣١٧هـ) .

Abstract

Public services mean those activities which have the nature of being services offered by governmental institutions of a state to its citizens such as health, educational and other duties. These should be distinguished from those offered by individuals or private institutions in order to achieve specific goals, such as those educational and health services initiated by missionaries sent to Iraq during the period dealt in this study. Therefore, this study focuses only on those governmental public services offered by the state .

The year of 1869, the beginning of Midhat pasha's rule in Iraq 1869-1872, was chosen since it is considered a turning point in the history of public services in Iraq . This study follow up the gradual development of public services in Iraq till the end of the Ottman rule in Iraq at the end of 1918.

This study consists of an introduction and six chapters. The Introduction is a general survey of the Ottoman administration in Iraq. It also studies the British occupation between 1914-1918.

Chapter one deals with the educational services in Iraq between 1869-1918 with reference to the role of non-governmental institutions. It also tackles the Ottoman educational reforms and the establishment of modern school . Moreover, this chapter is an evaluation of Ottoman policy towards education, Finally, It tackles the British educational policy in Iraq.

Chapter two deals with municipal services during both the Ottoman rule and the British occupation of Iraq and the main tasks of the municipalities , including the problems and obstacles.

Chapter three is concerned with postal and telegraph services and the main offices of this services established in Iraq Wilayats.

Chapter four is devoted to transportation and communication with special attention to the project of the Kazimiya Tramway and for river navigation Company .

Chapter five deals with some irrigation projects constructed at that time such as . Al-Hinddiya dam . This chapter also discusses the role of this sector in securing the supply for the British Army during the British occupation .

The last chapter is devoted to health services in Iraq Wilayats, referring to major health institutions constructed at that period , with reference to the role of the missionaries in this sphere.

Public Services In Iraq
(1869-1918)

A Thesis Submitted

By

Luma Abdul-Aziz Mustafa

To
The council of College of Arts
University of Mosul

in Partial fulfillment of the requirements
for the Ph.D

In

Modern History

Supervised by

Prof. Dr. Khalil Ali Murad

1424 A.H. **2003 A.D**